

مكتبة الجاهل
أبي عثمان غسان بن جراح الجاهل

٢٥٥ - ١٥٠

بتحقيق واستزاد
عبد الله بن محمد

الكتاب الأول



[قال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر
والتحقيق العلمي في المسابقات الأدبية التي
نظمها المجمع اللغوي ١٩٤٩ - ١٩٥٠]

الجزء الرابع

الطبعة الثانية

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
عباس ومحمد محمود الحلبي وشركاهم - خلفاء

كتاب الحيوان

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

المجلد الرابع

بتحقيق وإشراف

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

جميع الحقوق محفوظة للشارح

١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦ م

تقديم :

كل تكملة موضوعة بين معقفين في هذا
الجزء خاصة ، وتروكة بدون تعليق
وتنبيه ، فهي من النسخة الشنقراطية
المرموز لها بالرمز (س) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

نبدأ في هذا الجزء ، بعونِ الله وتأييده ، بالقول في بُحْملة الذِّرة والنملة ،
كما شرطنا به آخِرَ المصحف^(١) الثالث . ولا حولَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ
الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ^(٢) .

(خصائص النملة)

قد علمنا أن ليس عندَ الذِّرة غِنَاءُ الفَرَسِ في الحرب ، والدَّفْعُ عن
الحريم . ولَكِنَّا إذا أَرَدْنَا مَوْضِعَ الْعَجَبِ والتَّعْجِيبِ ، والتَّنْذِيرِ على
التَّعْدِيرِ ، ذكرنا الحسيسَ القليلَ ، والسَّخِيفَ المِهينَ ؛ فَأَرَيْنَاكَ مَا عِنْدَهُ مِنَ
الْحِسِّ اللطيفِ والتَّقْدِيرِ الغريبِ ؛ وَمِنْ النَّظَرِ في العواقبِ ، ومشاكلِ
الإنسانِ ومزاحمَتِهِ .

والإنسانُ هو الذي سُخِّرَ له هذا القَلَكُ بما يشتمل عليه .
وقد علمنا أنَّ الذِّرةَ تَدْخُرُ للشتاءِ في الصَّيْفِ ، وتَتَقَدَّمُ في حالِ المُهْلَةِ ،
ولا تُضَيِّعُ أَوْقَاتَ إِمْكَانِ الحَزْمِ . ثم يبلغ [من]^(٣) تفقُّدَها وحُسْنَ خُبَرِها ،
والنَّظَرِ في عواقبِ أَمْرِها ، أنها تخافُ على الحبوبِ التي ادَّخَرَتْها للشتاءِ

(١) س ، هـ : « الجزء » . وما أثبت من ط هو ما اختاره الجاحظ في تسمية
أجزاء هذا الكتاب . انظر تقديم الكتاب ص ٢٨ في صدر الجزء الأول .

(٢) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من س .

(٣) الزيادة من س ، هـ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٣ : ١٩٩) .

في الصيف ، أن تعفن وتسوس^(١) ، ويقبلها بطن الأرض ؛ فتخرجها إلى ظهرها ؛ لتبيسها وتعيد إليها جفوفها^(٢) ، وليضربها النسيم وينفي عنها اللخن والفساد .

ثم ربما كان - بل يكون^(٣) أكثر مكانها نديًا . و [إن^(٤)] خافت أن تنبت نقرت موضع القطمير^(٥) من وسط الحبة ، وتعلم أنها من ذلك الموضع تبتدئ وتنبت وتنقلب ، فهي تفلق الحب كله أنصافاً . فأما إذا كان الحب من حب الكزبرة^(٦) ، فلقته أرباعاً ؛ لأن أنصاف حب الكزبرة ينبت من بين جميع الحبوب . فهي على هذا الوجه مجاوزة لفطنة جميع الحيوان ، حتى ربما كانت في ذلك أحزم من كثير من الناس . ولها مع لطافة شخصها وخفة وزنها ، في الشم والاسترواح^(٧) ما ليس لشيء .

وربما أكل الإنسان الجراد أو بعض ما يشبه الجراد ، فتسقط^(٨) من يده الواحدة أو صدر الواحدة ، وليس يرى بقربه ذرة ولا له بالذرع عهد

(١) يقال : ساس الطعام يساس سوما ، بالفتح ؛ وسوس كسم ، وسيس كقيل ، وسوس بفتح السين وتشديد الواو المفتوحة .

(٢) كذا على الصواب في س . وفي ط ، هـ : « ليسها ويعيد إليها جفوفها » .

(٣) س : « لكون » .

(٤) الزيادة من نهاية الأرب (١٠ : ١٧٥) .

(٥) القطمير : شق النواة ، وهو يريد هنا شق كل حبة . ط ، هـ : « أن ينبت بقرب » وأثبت ما في س .

(٦) الكزبرة والكسبرة ، بضم الكاف والباء في كل منهما - وقد تفتح الباء - : ضرب من الأباير معروف .

(٧) الاسترواح : التشم .

(٨) س : « فتسقط » .

في ذلك المنزل ، فلا يلبث أن تقبل ذرة قاصدة إلى تلك الجرادة ،
فترومها وتحاول قلبها ونقلها ، وسحبها وجرها ، فإذا أعجزتها يئد أن بكت
عذراً ، مضت إلى جحرها راجعة ، فلا يلبث ذلك الإنسان أن يراها قد
أقبلت ، وخلفها صويحباتها كالخيط الأسود الممدود ، حتى يتعاون عليها ،
فيحملها .

فأول ذلك صديق الشم لما لا يشمه الإنسان الجائع . ثم بعد الهمة ،
والجراحة على محاولة نقل شيء في وزن جسمها مائة مرة ، وأكثر من
مائة مرة .

وليس شيء من الحيوان يقوى على حمل ما يكون ضعف وزنه (١)
مراراً غيرها . وعلى أنها لا ترضى بأضعاف الأضعاف ، إلا بعد انقطاع
الأنفاس .

(كلام النمل)

فإن قلت : وما علم الرجل أن التي حاولت نقل الجرادة فعجزت ،
هي التي أخبرت صويحباتها من الذر ، وأنها كانت على مقدمتهن ؟ قلنا :
ليطول التجربة ، ولأننا لم نر ذرة قط حاولت نقل جرادة فعجزت
عنها ، ثم رأيناها راجعة ، إلا رأينا معها مثلاً ذلك ، وإن كنا لا نفصل
في العين بينها وبين أخواتها ، فإنه ليس يقع في القلب غير الذي قلنا .
وعلى أننا لم نر ذرة قط حملت شيئاً أو مضت إلى جحرها فارغة ، فتلقاها

(١) ط ، هـ : « ضعفه » .

ذَرَّةٌ ، إِلَّا واقَفَتْهَا ساعة وخَبَّرَتْهَا بشيءٍ . فدلَّ ذلك على أنَّها في رجوعها عن الجرادة ، إنما كانت لأشباهاها كالرائد لا يكذبُ أهله^(١) .

ومن العجب أنَّكَ تُنَكِّرُ أنَّها توحى إلى أختها بشيءٍ ، والقرآن قد نطقَ بما هو أكثرُ من ذلك أضعافاً . وقال رؤبة بن العجاج^(٢) :

لو كُنْتُ عَلَّمْتُ كَلَامَ الْحُكْلِ^(٣) عِلْمَ سُلَيْمَانَ كَلَامَ النَّمْلِ
وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ حَتَّى إِذَا^(٤) اتَّوَا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ
يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ

(١) الرائد : من يرود السكلا والمنزل : أى بنظره ويطلبه ويختار أفضله . والعبارة إشارة إلى المثل المعروف : « الرائد لا يكذب أهله » ، يضرب للذى لا يكذب إذا حدث . وإنما قيل ذلك للرائد لأنه إن لم يصدقهم فقد غرر بهم .

(٢) كذا جاءت النسبة في الصحاح وثمار القلوب ٣٤٩ ، ٥١٥ وأمثال الميداني (١ : ٤٥٤ ، ٢ : ٨٥) وبلوغ الأرب (٣ : ٢٢٠) وستأى أيضاً في ص ٢٣ . لكن قال ابن برى : « الرجز للعجاج » . انظر اللسان (حكل) . ومثل هذه النسبة عند الدميرى (حسل) .

(٣) ابن برى : « صوابه : أو كنت » . وقبلة :

تسألنى من السنين كم لي فقلت : لو عُمِّرْتُ عُمرَ الحِجْلِ

وقد أناه زمن الفِطْحِ والصَّخْرُ مبتل كطين الوحل

أو كنت قد أوتيت علم الحِكل كنت رهينَ هَرَمٍ أو قتل

والحِكل من الخيران ، بالضم : ما لا يسع له صوت ، كالذر والنمل . والحِسل ، بالكسر : ولد الفسب ، زعم الأصمى أنه يبلغ مائة سنة ثم يسقط سنه ، فعند ذلك يسمى ضباً . انظر ثمار القلوب ٣٣٢ .

(٤) في الأصل : « فلما أتوا » . وهو تحريف من الناسخين ، وستأى صحيحة في ص ١٥ ، ٢٠ وقد اتفق السبعة على القراءة المثبتة .

(٥) تحتل أن تكون جواباً للأمر ، وأن يكون نهياً بدلاً من الأمر . والمعنى لا تكونوا حيث أنتم فيحطمنكم ، على طريقة : لا أرينك هنا .

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴿١﴾ . فقد أخبر القرآن أنها قد عرفت سليمانَ وَأَثْبَتَتْ عَيْنَهُ ^(١) ، وأنَّ علمَ منطقها عنده ، وأنها أمرت صَوِيحِبَاتِهَا ^(٢) بما هو أحزَم وأسلم . ثمَّ أَخْبَرَ أنها تعرفُ الجنودَ من غير الجنود ، وقد قالت : ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٣﴾ . وَنَخَالَكَ أَيُّهَا الْمُنْكَرُ تَبَسُّمُهُ بِجَاهِنَ ^(٣) ، أَنَّكَ لم تعرفَ قَبْلَ ذَلِكَ [الوقتِ وَبَعْدَهُ ، شيئاً مِنْ هذا الشكل من الكلام ، ولا تدبيراً في هذا المقدار . وأما ما فوقَ ذلك فليس لك أن تدَّعِيَه . ولكن ، ما تنكِرُ من أمثاله وأشباهه وما دُونَ ذلك ، والقرآنُ يدلُّ على [أَنَّ لَهَا بياناً ، وقولاً ، ومنطقاً يَفْصِلُ بينَ المعاني التي هي بسبيلها ؟ ! فلعلها مكلفةٌ ، ومأمورةٌ منهيةٌ ، ومُطِيعَةٌ عاصيةٌ . فأولُ ذلك أَنَّ المسألةَ من ^(٤) مسائلِ الجهالاتِ ، وإنَّ مَنْ دَخَلَتْ عَلَيْهِ الشُّبْهَةُ مِنْ هذا المكانِ لَنَاقِصٌ ٤ الرَّوِيَّةُ ^(٥) رَدَى الْفِكْرَةَ ^(٦) . وقد علمنا ، وهم ناسٌ ولهم [بذلك] فضيلةٌ في الغريزة وفي الجنس والطبيعة . وهم ناسٌ إلى أن ينتهوا إلى وقت البلوغ ونزولِ الفَرْضِ ^(٧) حَتَّى لو وَرَدَتْ ذَرَّةٌ لَشَرِبْتَ مِنْ أَعْلَاهُ .

(١) أي ذاته . ط ، هـ : « فأثبت » .

(٢) س : « صواحباتها » على طريقة جمع الجمع .

(٣) كذا في س . أي تبسم سليمان بما رأى من حال النمل . ط ، هـ : « تشبه بجاهن » .

(٤) هـ ، ط : « عن » . وأثبت ما في س .

(٥) الروية : النظر والتفكير . ط ، هـ : « الناقص الرؤية » صوابه في س .

(٦) في الأصل : « ودنى الفكرة » ، ولعل صوابه ما أثبت .

(٧) ط ، هـ : « الغرض » محرف . وفي العبارة وسابقتها ولاحقتها اضطراب .

(شعر فيه ذكر النمل)

وقال أبو دهب^(١) :

آبَ هَذَا اللَّيْلُ فَاکْتَنَعَا وَأَمَرَ النَّوْمُ فَاَمْتَنَعَا^(٢)
فِي قِبَابٍ وَسُطَ دَسْكَرَةٌ حَوْلَهَا الزَّيْتُونَ قَدْ يَنَعَا^(٣)
[وَلَهَا بِالْمَاطَرُونَ إِذَا أَكَلَ النَّمْلَ الَّذِي جَمَعَا^(٤)]
خَرْفَةٌ ، حَتَّى إِذَا ارْتَبَعَتْ سَكَنْتُ مِنْ جِلْقٍ بَيَعَا^(٥)

(١) اسمه وهب بن زمعة الجمحي ، وفي الأغاني (٦ : ١٥٠) أنه قال الشعر في آخر خلافة علي . ومدح معاوية وعبد الله بن الزبير . وقد كان ابن الزبير ولاء بعض أعمال اليمن . وأنه كان سيداً شريفاً ، يحمل الحملات ، ويعطي الفقراء ، ويقري الضيف . . . وقد انفرد الجاحظ بنسبة الأبيات الآتية إلى أبي دهب . والصحيح أنها ليزيد بن معاوية ، يتغزل بها في نصرانية كانت قد ترهبت في دير خراب ، عند الماطرون . انظر الكامل ٢١٧ ليسك وخزانة البغدادى (٣ : ٢٧٩ بولاق) ومعجم ياقوت (الماطرون) واللسان (كنع) . وفي الكامل أيضاً أن بعضهم ينسبه إلى الأحوص .

(٢) ط : « أرب هذا » ، وصوابه في س ، هـ والمعجم واللسان . ورواية الأخفش في حواشي الكامل : « طال هذا الحم » ورواية ياقوت : « آب هذا الحم » . واكتنع : حضر ودنا . وأمر : صار مرا . وخبطه البغدادى بالبناء للمفعول ، ولست أذهب مذهبه .

(٣) الدسكرة ، بفتح الدال : بناء يشبه قصرأ حوله بيوت ، وجمعها دساكر ، تكون للملوك . والوجه في ترتيب هذا البيت أن يكون بعد الرابع ، كما ورد في الخزانة والمعجم .

(٤) الماطرون ، بكسر الطاء ، ويروى بفتحها ؛ وبفتح النون ، ويروى بكسرهما . ويروى أيضاً : « بالمساطرين » وهي رواية المبرد . الذي جمعاً : أى الذى جمعه . والنمل يأكل في وقت الشتاء ما جمعه في زمن الصيف .

(٥) الخرفة ، بالضم : ما يجتنى . ورواية العباب والمقاييس والخصص (١١ : ٩) : « خلفه » بكسر الخاء وباللام بعدها . والخلفة : الثمر يظهر بعد الثمر الكثير . وهذا اللفظ لا يزال مستعملاً عند زراع مصر . وارتبعت : دخلت في الربيع . وجلق بكسر الجيم واللام المشددة للمكسورة ، قال ياقوت : اسم لسكورة الغوطة كلها ، وقيل بل هي دمشق نفسها ، وقيل موضع بقرية من قرى دمشق .

عِنْدَ غَيْرِي فَاتَمَسَ رَجُلًا يَأْكُلُ التَّنُومَ وَالسَّلْعَا (١)
 ذَاكَ شَيْءٌ لَسْتُ آرِئُهُ وَأَرَاهُ مَا كَلَّا فِطْعَا (٢)
 وقال أبو النّجم في مثل ذلك (٣) :

وكانَ نُشَابَ الرِّيحِ سُنْبُلَةً (٤) وانخَصَرَ زَبْنًا سِدْرُهُ وَحَرْمَلُهُ (٥)
 وَاَبْيَضُ إِلَّا قَاعَهُ وَجَدَوْلُهُ (٦) وَأَصْبَحَ الرُّوضُ لَوِيًّا حَوْصَلُهُ (٧)
 وَاَصْفَرُّ مِنْ تَلْعٍ فليجِرْ بِقَلِّهِ (٨) وَاُنْحَتَّ مِنْ حَرْشَاءٍ فَلَجٍ خَرْدَلُهُ (٩)

(١) التّنوم ، بفتح التاء وتشديد النون المضمومة : شجر له حمل صغار كمثل حب
 الخروع ، ويتفلق عن حب يأكله أهل البادية ، وكذا النعام ، وكيفما زالت الشمس
 تبعها بأعراض الورق . قلت : كأنه ما يسمى اليوم بعباد الشمس . والسلع ،
 بالتحريك : شجر يرتقي حبلا خضرا لا ورق لها ، وقضبانها تلتف على الفصون
 وتتشبهك ، وله ثمر مثل عناقيد العنب صغار ، فإذا أينع أسود ، فتأكله القروود .
 (٢) الفطع ، ككتف : الفطيع .

(٣) انظر بعض أشعار هذا الرجز في جمهرة ابن دريد (٢ : ١٣٣) والاشتقاق ١٨٢ والمزهر
 (٢ : ٣٥٨) .

(٤) جعل سنابل الزرع كأنها رماح للرياح تشرعها في كل جهة . س : « نشات »
 وهو محرف .

(٥) السدر ، بالكسر : شجر النبق . والحرمل ، كجعفر : نبت يرتفع ثلث ذراع وله
 ورق كورق الصفصاف .

(٦) ابيض الروض : صوح نباته . وإنما سلم نبت القاع والجدول من ذلك لمسا بقى من
 الماء فيهما . وقد اضطره الشعر فرفع ما بعد إلا . وحقه النصب .

(٧) حوصل الروض : قراره ، وهو أبطأ هيجا . واللوى : ما بين الرطب واليابس .

(٨) التلع ، بالفتح : جمع تلعة ، وهي مجرى الماء من أعلى الوادى . والفليج ، بالجيم :
 عنى به المتسع . ط : « فليح » وقد حرك قاف « بقله » لوزن الشعر .

(٩) ط ، هـ : « فليح » ، صوابه في س واللسان (حرش ، قطار) . والفلاج :
 النهر الصغير . والحرشاء بفتح الحاء وبالشين : خردل البر . وهي في الأصل ،
 « خرساء » ، صوابها من اللسان في موضعيه .

وانشقَّ عن فصيح سواء عنطله^(١) وانتفض البروقُ سوداً فلنقله^(٢)
واختلف النمل قطاراً ينقله^(٣) طارَ عن المهر نسيلٌ يُنسله^(٤)

(استطراد لغوى)

قال أبو زيد : الحمكة القملة ، وجمعه حمك : وقد ينقاسُ ذلك
في الذرة .

قال أبو عبيدة : قرية النمل من التراب^(٥) ، وهى أيضاً جرثومة النمل .
وقال غيره : قرية النمل ذلك التراب والجحر^(٦) بما فيه من الدرّ والحبّ
والمازن . والمازن هو البيض ، وبه سموا مازن .

(١) كذا في الأصل . ولعل صواب : « عنطلة » : « عنصله » ، والعنصل ، كقنفذ :
البصل البرى .

(٢) البروق ، بفتح الباء والواو بينهما راء ساكنة : شجر ضعيف له ثمر حَب أسود
صغار . وهو الذى يقال فيه المثل : « أشكر من بروقة » ؛ لأنها تعيش بأدنى
ندى يقع من السماء . ط ، هـ : « البرذون » صوابه فى س . وانظر لهذا الشطر
الاشتقاق والمزهر .

(٣) اختلف : أقبل وأدبر . والقطار : أصله للإبل أن يتلو بعضها بعضاً على نسق .
وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط : « قطار » وفى س ، هـ :
« قطاراً » ، وصواب روايته من اللسان . ولفظ « ينقله » هى فى ط ، هـ :
« نيقله » بتقديم النون . صوابه فى س . وفى اللسان : « تنقله » .

(٤) النسيل ، بفتح النون : ما يسقط من الصوف والشعر والريش . وأنسل الحيوان
الصوف والشعر والريش : أسقطه . وكلبه « طار » أراها جواباً لشرط فى
آيات قبل هذه . وفى الأصل : « يسيل سنبله » ولعل الوجه فيه ما أثبت .

(٥) ط ، هـ : « الزاب » ولا وجه له . وصوابه فى س . وفى اللسان : « وقرية
النمل : ما تجمع من التراب » . وفى المخصص (٨ : ١٢٠) : « أبو عبيد :
قرية النمل وجرثومته : ما يجمع من التراب » .

(٦) فى الأصل : « الحجر » ووجهه ما أثبت .

قال أبو عمرو^(١) : الزُّبَال ما حملت النملة فيها ، وهو قول
ابن مقبل :
كريم النجار حمى ظهره فلم يرتزأ برُكوب زبالا^(٢)

(شعر في التعذيب بالنمل)

وأنشد ابن نُجَيْم^(٣) .
هَلَكُوا بِالرُّعَافِ وَالنَّمْلِ طَوْرًا ثُمَّ بِالنَّحْسِ وَالضُّبَابِ الذُّكُورِ^(٤)
وقال الأصمعيُّ في تسليط الله الذرَّ على بعض الأمم :
لحقوا بالزَّهَوِيِّينَ فَأَمْسَوْا لَا تَرَى عُقْرَ دَارِهِم بِالْمَبِينِ^(٥)
سَلَّطَ اللَّهُ فَازِرًا وَعُقَيْفًا نَ فَجَازَاهُمْ بَدَارِ شَطُونِ^(٦)

- (١) هو أبو عمرو بن العلاء . س : « أبو عمر » .
(٢) البيت في صفة فعل من فحول الإبل . والنجار ، بالكسر : الأصل . حمى ظهره :
أى منع ظهره من الركوب . ويرتزأ ، بالبناء للمفعول : ينقص . وفي ط ، هـ :
ر يـ نو « و س : « يوتوا » تحريف ما أثبت من اللسان (زبل)
الخصص (٨ : ١٢٠) . و « كريم » هى فى الأصل « كرم » وصوابها فى
المرجعين السابقين .
(٣) فى ط ، هـ : « نعيم » . وفى س : « لحيم » . وصوابه ما أثبت . واسمه
يحيى بن نعيم . وأسلفت ترجمته فى (٢ : ٣٥١) .
(٤) الرعاف ، بالراء المضمومة : سيلان الدم : وقد تحدث الجاحظ عن الإهلاك بالرعاف
فى (٦ : ١٥٠) . س : « بالعرف » تصحيف . والضباب : جمع ضب ،
ذلك الحيوان .
(٥) لعل « الزهويين » اسم مكان . س : « بالزهوتين » . هـ : « بالزهويين »
وعقر الدار : أصلها . وقيل : وسطها . ط : « عقد » صوابه فى س ، هـ .
(٦) يقال عقفان ، كعثان ، وعقيفان بهيئة التصغير ، وسيأتى شرحه . وفى الأصل :
« عقيقان » بقاءين ، وهو تصحيف صوابه فى اللسان . والرواية فيه :

سَلَّطَ الذَّرُّ ، فَازِرٌ أَوْ عُقَيْفًا نَ فَاجَازَاهُمْ لِدَارِ شَطُونِ

ط : « فجازاهم به إشطون » صوابه فى س ، هـ .

٥ يَتَّبِعُ الْقَارَّ وَالْمَسَافِرَ مِنْهُمْ تَحْتَ ظِلِّ الْهَدْيِ بِذَاتِ الْغُصُونِ^(١)
 فازر ، وعَقِيفَانِ^(٢) : صِنْفَانِ مِنَ الذَّرِّ ، وكذلك ذكروه عن دغفل
 [بن حنظلة] الناسب^(٣) . ويقال : إِنَّ أَهْلَ تِهَامَةَ هَلَسُوا بِالرُّعَافِ مَرَّتَيْنِ .
 قال : [وكان آخِرُ مَنْ مَاتَ بِالرُّعَافِ مِنْ سَادَةِ قَرِيْشٍ ، ^(٤)] هِشَامُ
 ابْنُ الْمَغِيرَةِ .

قال أمية بن أبي الصلت في ذلك :

نَزَعَ الذَّكَرَ فِي الْحَيَاةِ وَغَنَّا وَأَرَاهُ الْعَذَابَ وَالتَّدمِيرَ^(٥)
 أَرْسَلَ الذَّرَّ وَالْجَرَادَ عَلَيْهِمْ وَسَنِينًا فَأَهْلَكَتْهُمْ وَمُورًا^(٦)
 ذَكَرُ الذَّرِّ إِنَّهُ يَفْعَلُ الشَّرَّ وَإِنْ الْجَرَادَ كَانَ ثُبُورًا^(٧)

(١) القار ، تقرأ باختلاس الألف ليستقيم الوزن . وهو مقابل المسافر . وفي الأصل :
 « الفار » بالفاء . و « الهدى » هي في ط ، هـ : « الندى » .

(٢) عقيفان بقاف تليها ياء ثم فاء ، وبهيئة التصغير .

(٣) النص في لسان العرب : « قال دغفل النسابة : ينسب النمل إلى عقفان والفازر .
 فعقفان جد السود ، والفازر جد الشقو » .

(٤) هذه الزيادة الضرورية أثبتتها اعتماداً على ما ورد في الحيوان (٦ : ١٥٠) حيث
 يتحدث الجاحظ عن الرعاف .

(٥) أى سلبه الله حسن الذكر في حياته . و « غنا » هي كذلك في ط ، هـ .
 وفي س : « غنى » وأراها محرفتين . ورواية الديوان ٣٤ : « سلب الذكر
 في الحياة جزاء » . والضمير عائد إلى فرعون ، إذ يقول أمية قبل هذا البيت :

وبفرعون إذ تشاق له المسا ، فهلا لله كان شكورا

قال إني أنا الحجير على النا س ولا رب لي على مجيرا

فحاه لإله من درجات ناميات ، ولم يكن مقهورا

وأما البيت الآتي ، فهو من أمية حديث عن العذاب الذي ألحقه الله ببعض الأمم ،
 انظر الديوان .

(٦) السنين : جمع السنة ، وهي القحط والأزمة . والمور ، بالضم : النبار بالريح . س :
 « دموراً » ولها وجه ؛ فالدمور بالضم . أصله أن يهجم الرجل على القوم ، أو

يدخل عليهم بغير إذن ، وأثبت ماقى ط ، هـ والديوان ، والحيوان ، (٦ : ١٥٠) .

(٧) الثبور : الهلاك .

(نملة سليمان)

وقرأ أبو إسحاق^(١) قوله عز وجل : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ
الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ . حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ ﴾
فقال : كان ذلك الوادى معروفاً بـ وادى النمل ؛ فكأنه كان حى . وكيف
نُسِكِرُ^(٢) أن يكون حى ؟ ! [و]^(٣) النمل ربما أجلت أمة من الأمم .
عن بلادهم .

ولقد سألت أهل كسكر^(٤) فقلت : شعيركم عجب ، وأرزكم
عجب ، وسمسكم^(٥) عجب ، وجدائكم عجب ، وبطسكم عجب ،
ودجاجكم عجب ، فلو كانت لكم أعناب ! فقالوا : كل أرض كثيرة
النمل لا تصلح فيها الأعناب . ثم قرأ : ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا
مَسَاكِنَكُمْ ﴾ ، فجعل تلك الجحرة^(٦) مساكن . والعرب تسميها كذلك .
ثم قال : ﴿ لَا يَحِطُّ بِكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ ﴾ فجمعت من اسمه وعينه ،

(١) هو إبراهيم بن سيار النظام .

(٢) ط ، هـ : « فكيف ينكر » .

(٣) الزيادة من ثمار القلوب ٣٤٥ .

(٤) كسكر ، بوزن جعفر : كورة من كور فارس . عن معجم ياقوت .

(٥) هذا هو الموافق لما سبق فى ج ٣ ص ٢٩٥ س ٢ . وفى ط ، هـ :

« سمنكم » وفى س : « صحتكم » وربما كانت هذه الأخيرة محرفة عن : « صحنكم »

وقد سبق تفسيرها فى حواشى (٣ : ٢٩٥) .

(٦) الجحرة ، بجمع مكسورة تليها حاء مفتوحة : جمع جحر . وفى الأصل :
« الجحرة » محرف .

وعرّفت الجند من قائد الجند ، ثم قالت : ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ فكانوا معذورين وكنتم ملومين ، وكان أشدّ عليكم . فلذلك قال : ﴿ فَتَبَسَّمْ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا ﴾ لما رأى من [بُعد^(١)] غورها وتسديرها ، ومعرفتها . فعند ذلك قال : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

(أمثال في النمل)

قال : ويقال : « ألطف^(٢) من ذرة^(٣) » و : « أضبط^(٤) من نملة^(٥) » .
قال : والنملة أيضاً : قرحة تعرض للساق ، وهي معروفة في جزيرة العرب^(٦) .

قال : ويقال : « أنشب^(٧) من ذرة^(٨) » .

(قول في بيت من الشعر)

فأما قوله^(٩) :

لَوْ يَدِبُّ الْحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الدَّ رِّ عَلَيْهَا لَأَنْدَبَتْهَا السُّكُومُ^(١٠)

- (١) الزيادة من س ، هـ .
 - (٢) ألطف ، من اللطافة ، وهي الدقة . س : « ألحف » من الإلحاف ، وهو الإلحاح ؛ لأنها تلح في طلب قوتها .
 - (٣) أضبط ، من الضبط ، وهو شدة اللزوم . ويقال أيضاً « أضبط من ذرة » ، ومن الأعمى ، ومن صبي « انظر أمثال الميداني (١ : ٣٩١) .
 - (٤) فسرها صاحب القاموس بقوله : « قروح في الجنب . . . وبثرة تخرج في الجسد بالتهاب واحتراق ، ويرم مكانها يسيراً ، ويدب إلى موضع آخر كالنملة » .
 - (٥) في الأصل : « أنشب » .
 - (٦) هو حسان ، كما في الموشح ٦٣ ، من قصيدة في ديوانه ٣٧٦ - ٣٨٠ .
 - (٧) أندبتها : أثرت فيها . والسكوم : جمع كلم ، بالفتح وهو الجرح . قالوا : وأفضل من قول حسان هذا ، قول امرئ القيس (انظر الموازنة ١٣٦) :
- من القاصرات الطرف لودب محول من الذر فوق الإتب منها لأثرا

فَإِنَّ الْحَوْلَى مِنْهَا لَا يُعْرَفُ مِنْ مَسَانِّهَا^(١) ، وَإِنَّمَا هُوَ كَمَا
قَالَ الشَّاعِرُ :

تَلَقَّطَ حَوْلَى الْحَصَى فِي مَنَازِلٍ مِنَ الْحَى أُمِسَتْ بِالْحَبِيبِينَ بَلَقَا^(٢)
قَالَ : وَحَوْلَى الْحَصَى : صَغَارَهَا . فَشَبَّهَهُ بِالْحَوْلَى مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ .

(أَحَادِيثُ وَآثَارُ فِي النَّمْلِ)

ابْنُ جُرَيْجٍ ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتَبَةَ ، عَنْ
ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مِنَ الدَّوَابِّ أَرْبَعٌ
لَا يُقْتَلْنَ : النَّمْلَةُ ، وَالنَّحْلَةُ ، وَالصُّرَدُ ، وَالْهُدُودُ » .

وَحَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَسْعُودِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ
ابْنُ سَعْدٍ ، مَوْلَى عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ^(٣) قَالَ : « نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْزِلًا فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ ، فَجَاءَ وَقَدْ أَوْقَدَ رَجُلٌ عَلَى قَرِيَةٍ
نَمْلٌ ، إِمَّا فِي شَجَرَةٍ وَإِمَّا فِي أَرْضٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
مَنْ فَعَلَ هَذَا ؟ ! أَطْفِئْهَا أَطْفِئْهَا ! » .

وَيَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ بْنِ جَرِيرٍ^(٤) ، قَالَ : أَنْبَأَنَا أَبُو زُرْعَةَ

(١) المسان : الكبار السن . ط ، هـ : « مسكنها » ، وصوابه في س .

(٢) ط : « بالحببيين » . وفي الموازنة ١٣٧ : « بالحبين » .

(٣) س : « مولى عبد الرحمن بن عبد الله » .

(٤) هو أبو زُرْعَةَ بْنُ عَمْرٍو بْنِ جَرِيرٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ الْكُوفِيُّ ، اختلف في اسمه ،
فَقِيلَ هَرَمٌ ، وَقِيلَ عَمْرٌو ، وَقِيلَ عَبْدُ اللَّهِ ، وَقِيلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَقِيلَ جَرِيرٌ . من الرواة
الثقات . تقريب التهذيب .

عن أبي هريرة قال : « نزل نبيُّ من الأنبياء تحت شجرة ، فعصته نملة ، فقام إلى نملٍ كثير تحت شجرة فقتلهن » ، ف قيل له : أفلا نَمَلَةً واحدة ؟ ! » .

وعبد الله بن زياد المدني ، قال : أخبرني ابنُ شهاب ، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال : « سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : نزل نبيُّ من الأنبياء تحت شجرة ، فقرصته نملة ، فأمرَ بجهازه (١) فأخرجَ مِنْ تحتها ثمَّ أمرَ بقرية النمل فأحرقت ، فأوحى الله إليه : أفي أن قرصتك نملة أهلكك أمة من الأمم يسبحون الله تعالى ؟ ! فهلاً نملة واحدة ! » .

يحيى بن كثير ، قال : حدثنا عمر بن المغيرة بن الحارث الزماني (٢) ، عن هشام الدستوائي (٣) قال : إن النمل والذر إذا كانا في الصيف كله ينقلن الحب ، فإذا كان الشتاء وخفن أن ينبت فلقنه .

هشام بن حسان ، أن أهل الأحنف بن قيس لقوا من النمل أذى ، فأمر الأحنف بكرسي [فوضع عند جحرهن ، فجلس عليه ثم تشهد] فقال : لتنتهن أو لنحرقن عليكن ، أو لنفعلن أو لنفعلن (٤) ! قال : فذهبن .

(١) الجهاز ، بالفتح : المتاع . والكسر لغة رديئة . وانظر إسناده هذا الحديث والقول فيه عند الدميري .

(٢) ط ، هـ : « الزناني » . وأثبت ما في س ، وكتب في جانب منها : « خ : الزناني » .

(٣) كذا على الصواب في س . وفي ط ، هـ . « ابن الدستواي » . وانظر ما أسلفت من تحقيق في هذا الراوي (٣ : ٥٢٧ — ٥٣٨) وكذا تذييل الجزء الثالث .

(٤) ط ، هـ : « أو لتفعلن » بالتاء ، وليس بشيء . والتكرار لتأكيد الوعيد

وعوف بن أبي جميلة^(١) عن قسامة بن زهير^(٢) قال : قال أبو موسى الأشعري : **إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَادَةً ، حَتَّىٰ إِنَّ لِلنَّمْلِ سَادَةً .**
عبد الله بن زياد المدني ، قال : أنبأنا ابن شهاب ، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال : **« سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : خَرَجَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بِالنَّاسِ يَسْتَسْقُونَ ، فَإِذَا هُمْ بِنَمْلَةٍ رَافِعَةٍ رَأْسَهَا إِلَى السَّمَاءِ ، فَقَالَ ذَلِكَ النَّبِيُّ : ارْجِعُوا فَقَدْ اسْتَجِيبَ لَكُمْ مِنْ أَجْلِ هَذَا النَّمْلِ ! » .**

مسعر بن كدام^(٣) ، قال . حدَّثنا زيد القمي^(٤) عن أبي الصديق الناجي^(٥) قال **« خَرَجَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ - عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - يَسْتَسْقِي فَرَأَى نَمْلَةً مُسْتَلْقِيَةً عَلَى ظَهَرِهَا ، رَافِعَةً قَوَائِمَهَا إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ تَقُولُ :**

(١) عوف بن أبي جميلة ، بفتح الجيم ، الأعرابي العبلي البصري ، ثقة روى بالقدح وبالتشيع . مات سنة ست ، أو سبع وأربعين بعد المائة ، وله ست وثمانون . تقريب التهذيب .

(٢) قسامة ، بفتح القاف ، ابن زهير المازني البصري ، راو من التابعين البصريين ، وكان ممن افتتح الأبله مع عتبة بن غزوان . الإصابة ٧٢٨٠ .

(٣) مسعر ، بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح المهملة ، ابن كدام ، ككتاب ، ابن ظهير الهلالي ، أبو سلمة الكوفي . ثقة ثبت فاضل مات سنة اثنتين ، أو ثلاث أو خمس وخمسين بعد المائة . تقريب التهذيب ، والمعارف ٢١١ . قال ابن قتيبة : **« وَكَانَ يَقُولُ : مَنْ أَبْغَضَنِي فَجَعَلَهُ اللَّهُ مَحْدَثًا ! » .** لعله يريد ما يعانون من مشقة التثبت . وفي الأصل : **« مسعود »** ، وهو تحريف .

(٤) كذا ورد في الأصل بالقاف ، ولعله **« العمى »** البصري قاضي هراة ، الذي ترجم له ابن حجر في التقريب ١٧٣ . قالوا : إنما قيل له العمى لأنه إذا سئل عن شيء قال : لا حتى أسأل عمي .

(٥) أبو الصديق بتشديد الدال المكسورة : هو بكر بن عمرو - وقيل ابن قيس - الناجي بالنون والجيم المكسورة ، وهو لقب له ، بصري ثقة مات سنة ثلاث ومائة . وفي الأصل : **« الباجي »** وصوابه في القاموس والتقريب .

اللهم إنا خلقنا من خلقك ، ليس بنا غنى عن سقائك ؛ فإمّا أن تسقينا وترزقنا ، وإمّا أن نميتنا وتهلكنا ! فقال : ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم ! » .

(تأويل آية)

وحدثني أبو الجهمجاه قال : سأل أبو عمرو المكفوف^(١) عن قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا ﴾ . فقلت له : إن نذيراً يعجب^(٢) منه نبي من الأنبياء ثم يعظم خطره حتى يضحكه لعجيب ! قال : فقال : ليس التأويل ما ذهبت إليه . قال : فإنه قد يضحك النبي ، عليه السلام ، من الأنبياء من كلام الصبي ، ومن نادرة غريبة . وكل شيء يظهر من غير معدنه ، كالنادرة تسمع من المجنون ، فهو يضحك . فتبسّم سليمان عندى على أنه استظرف ذلك المقدار من النملة ، فهذا هو التأويل .

(سادة النمل)

وقال أبو الجهمجاه : سأله عن قول أبي موسى^(٣) : إن لكل شيء سادة حتى الذر . قال : يقولون : إن ساداتها اللواتي يخرجن من الجحر ، يرتدن بجماعتها ، ويستبقن إلى شمس الذي هو من طعامهن .

(١) المعروف : أبو عمر ، وهم جماعة في تقريب التهذيب . س : « المكفول » .

(٢) س : « إن تدبيراً يتعجب » .

(٣) هو أبو موسى الأشعري ، كما سبق في الصفحة التي مضت .

(تأويل شعر لزهير)

وقال زهير :

وَقَالَ سَاقِضِي حَاجَتِي ثُمَّ أَتَقَى عَدُوِّي بِأَلْفٍ مِنْ وَرَائِي مُلْجَمٍ
فَشَدَّ وَلَمْ تَفْزَعْ بِيُوتٌ كَثِيرَةٌ لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أَمْ قُشْعَمٌ^(١)
قال بعض العلماء : قرية النمل .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال في لسانه حُبْسَةٌ : إذا كان في لسانه ثِقَلٌ يَمْنَعُهُ مِنَ الْبَيَانِ .
فإذا كان الثَّقَلُ الذي في لسانه من قِبَلِ الْعُجْمَةِ^(٢) قِيلَ : في لسانه
حُكْلَةٌ . والحُكْلُ من الحيوان كَلَّةٌ ما لم يكن له صوتٌ يُسْتَبَّانُ باختلاف
مخارجِهِ ، عند حَرْجِهِ ، وضَجْرِهِ ، وطلبِهِ ما يَغْذُوهُ ، أو عند هَيَاجِهِ إذا أراد
السُّفَادَ ، أو عند وعيدٍ لِقَتَالٍ ، وغير ذلك من أمرِهِ .

(رأى الهند في سبب اختلاف كلام الناس)

وتزعم الهند أن سبب ما له كثير كلام الناس واختلفت صور
ألفاظهم^(٣) ، ومخارج كلامهم ، ومقادير أصواتهم في اللين والشدة ،

(١) يقول : شد على عدوه وحده فقتله ، ولم تفزع بيوت كثيرة ، أراد أنه لم يستعين
عليه بأحد . س : « يفزع » ه : « يقرع » ، وهذه الأخيرة محرفة .
وأم قشعم : الحرب ، أو المنية ، أو الضبع ، أو العنكبوت ، أو الذلة . ويكل فسر
قول زهير .

(٢) في الأصل : « العجمة » .

(٣) بعد هذه في كل من ط ، ه : « واتسعت على قدر اتساع معرفتهم » . وهو =

وفي المدّ والقطع - كثرة^(١) حاجاتهم . وليكثر^(٢) حاجاتهم كثرت
خواطرتهم وتصاريف ألفاظهم ، واتسعت على قدر اتساع معرفتهم .
قالوا : فحوائج السنانير لاتعدو خمسة أوجه : منها صياحها إذا ضربت ،
ولذلك صورة . وصياحها إذا دعت أخواتها وآلافها^(٣) ، ولذلك صورة^(٤) .
وصياحها إذا دعت أولادها للطعم ، ولذلك صورة . وصياحها إذا جاعت ،
ولذلك صورة^(٥) . فلما قلت وجوه المعرفة ووجوه الحاجات ، قلت وجوه
مخارج الأصوات . وأصواتها تلك فيما بينها هو كلامها .

وقالوا : ثم من الأشياء ما يكون صوتها خفياً فلا يفهم عنها إلا ما كان
من شكلها . ومنها^(٦) ما يفهم صاحبها بضروب الحركات والإشارات
والشئائل . وحاجاتها ظاهرة جليلة ، وقليلة العدد يسيرة . ومعها من المعرفة
ما لا يقصر عن ذلك المقدار ، ولا يجوزه . ٨

[و] راضة الإبل ، والرعاة ، ورؤاض الدواب في المروج ، والسواس ،
وأصحاب القنص بالكلاب والفهود ، يعرفون باختلاف الأصوات والهيئات
والتشوف ، واستحالة البصر ، والاضطراب ، ضرورياً من هذه الأصناف ،
ما لا يعرف مثله من هو أعقل منهم^(٧) ، إذا لم يكن له من معاينة أصناف

= تكرار لعبارة متتالي بعد سطرين - وإثباتها هنا يفسد الكلام . فالوجه حذفها
كل في س .

- (١) ط ، هـ : « كثرت » ، ووجهه ما أثبت من س .
- (٢) ط ، هـ : « وليكثر » ، صوابه ما كتبت من س .
- (٣) الآلاف بمد الهمزة في أوله : جمع إلف بالكسر وهو الألف . ط :
« آلفيات » صوابه في س ، هـ .
- (٤) ط : « وجه » . وسياق القول يقتضي ما أثبت من س ، هـ .
- (٥) ذكر الجاحظ ، كما رأيت ، أربعة أوجه ، لائحة . فهو سهو منه .
- (٦) في الأصل : « ومنه » .
- (٧) في الأصل : « منه » .

الحيوان ما لهم^(١) . فالحُكْلُ من الحيوان [من^(٢)] هذا الشكل . وقد ذكرناه مرّة. قال رؤبة^(٣) :

لَوْ أَنَّنِي عُمِّرْتُ عُمَرَ الْحِجْلِ أَوْ أَنَّنِي أُوتِيتُ عِلْمَ الْحُكْلِ
عِلْمَ سُلَيْمَانَ كَلَامَ النَّمْلِ

(تأويل بيت للعُماني)

وقال أبو العباس محمد بن ذؤيب الفُقَيْمِيُّ وهو الذي يقال له العُماني^(٤) في بعض قصائده في عبد الملك بن صالح . والعُمانيُّ ممن يُعَدُّ ممن جمَعَ الرَّجَزَ والقصيدَ ، كعُمَرَ بنِ الْجَلِجِ^(٥) ، وجريّر بن الحَطَفِي ، وأبي النّجم وغيرهم . قال العُمانيُّ :

وَيَعْلَمُ قَوْلَ الْحُكْلِ لَوْ أَنَّ ذَرَّةً تَسَاوَدُ أُخْرَى لَمْ يَفْتَهُ سِوَادُهَا^(٦)
يقول : الذَّرَّةُ الذي لا يُسْمَعُ^(٧) لمناجاته صوت ، لو كان بينها سِوَادُ^(٨)
لفهمه . والسَّوَادُ هو السَّرَارُ^(٩) . [قال النّبيُّ صلى الله عليه وسلم لابن مسعود :

(١) في الأصل : « لغيرهم » .

(٢) ليست بالأصل .

(٣) انظر ما سبق من التنبيه في ص ٨ .

(٤) سبقَت ترجمته في (٢ : ١٦٦)

(٥) في الأصل : « كعمرو » وصوابه ما أثبت ، وقد سبقَت ترجمته في (١ : ٣٤٩) .

و « لجأ » هو والد عمر ، وأصل اللجأ المعقل ، والملاذ . فهو اسم مصروف ، وليس

بما أتى على وزن الفعل ، وانفرد صاحب القاموس بقوله إنه جَدُّ عمر ، وأن والده

يسمى الأشعث .

(٦) ط : « تساود أخرى » وصوابه في س ، ه والبيان (١ : ٤٠ ، ٣٢٥) .

(٧) ط ، ه : « لم يسمع » . والأوجه ما أثبت من س .

(٨) ط : « سواء » صوابه في س ، ه .

(٩) ط ، ه : « السواد » والماء لا يفسر بالماء ! صوابه في س . والسرار ،

بالكسر : التعادّث سرّاً .

« أَذْنُكَ حَتَّى أَسَاوِدَكَ » أَيْ تَسْمَعُ سِوَادِي . وَقَالَتْ ابْنَةُ الْخُسِّ : « قَرَّبَ الْوَسَادِ »
وَطَوَّلَ السَّوَادَ (١) .

قال أبو كبير الهذلي :

ساودت عنها الطالبيين فلم أنم حتى نظرت إلى السماء الأعزل (٢)
وقال النمر بن ثولب :

ولقد شهدت إذا القداح توحّدت وشهدت عند الأيل موقد ناريها (٣)
عن ذات أولية أساود ربها وكان لون الملح تحت شفاريها (٤)
وقد فسرنا شأن الحكل (٥) :

وقال التيمي الشاعر (٦) المتكلم - وأنشد لنفسه وهو يهجو ناساً من بني
تغلب معروفين - :

عُجْمٌ وَحُكْلٌ لَا تَبِينُ ، وَدِينُهَا عِبَادَةُ أَعْلَاجٍ عَلَيْهَا الْبِرَانِسُ (٧)

(١) قالت بهذا حين سئلت : « ما حلك على أن زنيت بعبدك ؟ » . انظر البيان
(١ : ٣٢٤) ، والحيوان (١ : ١٦٩) ، والصناعتين ٣٢٠ .

(٢) ط ، ه : « ساورت » ، صوابه في س . والسماء الأعزل : منزلة من منازل
القمر ، وهو نجم يظهر مع الفجر .

(٣) القداح هنا قداح الميسر . توحّدت : أي أخذ كل رجل قدحا ولم يقدر على غيرهم ؛
لشدة الزمان وغلاء اللحم .

(٤) عن ذات أولية : أي من أجل ناقة ذات أولية ، رعت ولياً بعد ولي من المطر
فسنت . أساود ربها : يقول : أساره وأناجيّه لأختدعه عنها فيسمح بها ليجرى
عليها الميسر . وكان لون الملح فوق شفاريها : أي أن الشفاري التي تذبج بها وتقطع
يعلق بها شحم هذه الناقة السمينة فيحكي ذلك لون الملح . ط : « أساور » صوابه
في س ، ه ، والميسر والقداح ص ١١٨ والمعاني الكبير ١١٦٠ .

(٥) انظر ص ٢٣ وكذا ص ٢١ .

(٦) ذكره الصولي في الأوراق ٧٦ باسم « التيمي بن محمد » .

(٧) الأعلاج : جمع عِلْج ، بالكسر ، وهو الرجل من كفار المعجم . والبرانس :

جمع برنس ، وهو القلنسوة الطويلة ، وكان النساء يلبسونها في صدر الإسلام .
والبرنس أيضاً : كل ثوب رأسه منه ملتزق به ، دراعة كان أو مطراً أوجبة .
وفي حديث عمر : « سقط البرنس عن رأسي » هو من هذا . والرواية في البيان

(١ : ٤٠) : « ولكن حكلا لا تبين » .

فَفَصَلَ بَيْنَ الْحُكْلِ وَالْعُجْمِ ، فَجَعَلَ الْعُجْمَ ^(١) مِثْلَ ذَوَاتِ الْحَافِرِ
وَالظُّلْفِ وَالْخَفِّ ، وَجَعَلَ الْحُكْلَ كَالدَّرِّ وَالنَّمْلِ وَالْخَنَافِسِ ، وَالْأَشْكَالِ
الَّتِي لَيْسَتْ تَصْبِيحُ مِنْ أَفْوَاهِهَا . فَقَالَ لِي يَوْمَئِذٍ حَفْصُ الْفَرْدُ ^(٢) : [أَشْهَدُ]
أَنَّ الَّذِي يَقَالُ فِيهِ حَقٌّ ^(٣) ، كَانَ وَاللَّهِ نَصْرَانِيًّا ، ثُمَّ صَارَ يَنْخَبِرُ عَنِ
النَّصَارَى كَمَا يَنْخَبِرُ عَنِ الْأَعْرَابِ !

(بَيْنَ الْأَصْمَعِيِّ وَالْمَفْضَلِ)

٩ . [وَ] قَالَ الْأَصْمَعِيُّ لِلْمَفْضَلِ ، لَمَّا أَنْشَدَ الْمَفْضَلُ جَعْفَرَ بْنَ سُلَيْمَانَ ^(٤)
قَوْلَ أَوْسٍ بْنِ حَجْرٍ :

وَذَاتِ هَدَمٍ عَارٍ نَوَاشِرُهَا تَصْمِتُ بِالمَاءِ تَوَلِبًا جَدِعا ^(٥)

- (١) ط ، هـ : « ذوات العجم » وكلمة « ذوات » مقحمة .
(٢) من الحبرة ، وكان من أهل مصر ، قدم البصرة فسمع بأبي الهذيل واجتمع معه
وناظره ، فقطعه أبو الهذيل . وله عدة تصانيف سردها ابن النديم في الفهرست
٢٥٥ مصر ١٨٠ ليبسك .
(٣) ط ، هـ : « حتى » ، وهو على الصواب في س .
(٤) كذا أيضاً في التنبيهات على أغاليط الرواة في نسختنا الخطية . وفي اللسان أنه سليمان
ابن علي الهاشمي .
(٥) الهدم ، بالكسر : الثوب الخلق المرقع . هـ ، س : « عدم » والعدم ، بالضم
الفقر وفقدان المال ، ولم أجد هذه الرواية فيما عندي . والنواشر : عصب الذراع
من داخل وخارج . وعريت نواشره : فقدت ما يكسوها من لحم ، وهو علامة
المجاعة . تصمت بالماء تولباً : أي تسكت ولدها الذي يبكي من الجوع بشيء من
الماء . وأصل التولب : ولد الحمار ؛ لكن أوساً أساء الاستعارة لجعله الطفل تولباً
انظر العمدة (٢ : ٢٠٤) . وهذا البيت قد وهم فيه قدامة فظن أن سوء
الاستعارة هذا يسمى معازلة وقال : لا أعرف المعازلة إلا فاحش الاستعارة .
وانظر الرد عليه في كل من الصناعتين ١٥٥ وسر الفصاحة ١٥١ . والبيت من
قصيده جيدة يرتى بها فضالة بن كلدة مطلعها :

أَيْتَمَا النَّفْسُ أَجْمَلُ جِزْعًا إِنَّ الَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا
وَقَبِلَ الْبَيْتَ :

لِيَبْكِكَ الشَّرْبُ وَالْمَدَامَةُ وَالْاِفْتِيَانُ طَرَا وَطَامَعَ طَمَعَا

وانظر ما قيل في مجالس العلماء للزجاجي وحواشيه ص ١٤ والمقاييس (جردع) .

فجعل الدَّالَ معجمةً ، وفتحها ، وصحَّف ، وذهب إلى الأجداع^(١) .
 قال الأصمعيّ : إنما هي : « تَوَلَّباً جَدِعا » الدَّالُ مكسورة . وفي الجَدِيعِ
 يَقُولُ أبو زيد :
 ثُمَّ اسْتَقَاهَا فَلَمْ يَقْطَعْ نِظَامُهَا عَنْ التَّضْبِيبِ لَا عَيْلٌ وَلَا جَدِيعٌ^(٢)
 وَإِنَّمَا ذَلِكَ كَقَوْلِ ابْنِ حَبْنَاءِ الْأَشْجَعِيِّ^(٣) :
 وَأَرْسَلَ مُهْمَلًا جَدِعاً وَخَفًّا وَلَا جَدِيعُ النَّبَاتِ وَلَا جَدِيبٌ^(٤)
 فَنَفَخَ الْمُفَضَّلُ ، وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ ، وَتَكَلَّمَ وَهُوَ يَصِيحُ . فَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ :
 لَوْ نَفَخْتَ بِالشُّبُورِ لَمْ يَنْفَعَكَ ! تَكَلَّمَ بِكَلَامِ النَّمْلِ وَأَصِيبٌ^(٥) !

- (١) الأجداع : جمع جلع بالتحريك ، وهو من الحافر ما كان في الثالثة .
 (٢) التضبيب : السن وكثرة اللحم . هو فقط : « التضبيب » . والجَدِيعُ ، ككتف : فعل بمعنى مفعول ، ولا يعرف مثله . وهو السيىء الغذاء .
 (٣) ابن حبناء ، يطلق على (خمسة من الشعراء) ثلاثة منهم إخوة ، وحبناء ، اسم أمهم كما في القاموس ومعجم المرزباني ٣٦٩ والمؤتلف والمختلف ١٠٥ ، أو هو لقب لأبيهم لقب به لحن أصابه . والحن : داء في البطن يعظم منه ويرم . الأغاني (١١ : ١٥٦) .
 وأعرف هؤلاء الإخوة الثلاثة هو المغيرة بن حبناء ، وكان بينه وبين أخيه صخر مناقضات شعرية روى بعضها أبو الفرج (١١ : ١٦٢ - ١٦٣) . وثالث هذين الأخوين هو يزيد بن حبناء وكان من الخوارج ، وكان أخوه المغيرة من رجال المهلب ابن أبي صفرة . ويعرف بهذا الاسم أيضاً أخوان آخران ، أحدهما بلعاء بن قيس الكنانى وأخوه جثامة . وأمهما الحبنة بنت رائلة . وقد تقدمت ترجمة بلعاء في (٣ : ٦٠) . جاء في ط : « حبناء » صوابه في هـ ، س . على أنى استبعد صحة العبارة هنا إذ ليس أحد من هؤلاء الشعراء الخمسة من تصح له نسبة « الأشجعي » . والمعروف بهذه النسبة من الشعراء هو جبهاء (ويقال أيضاً جبيها بالتصغير) وهو شاعر بدوي من مخاليف الحجاز ينتهى نسبه إلى بكر بن أشجع . نشأ وتوفي في أيام بني أمية ، وهو من القليلين ، وله حديث مع الفرزدق في الأغاني . (١٦ : ١٤١) .
 (٤) المراد بالحن هنا الإبل .
 (٥) تجد هذه القصة مع بسط وتفصيل ، في اللسان (جدع) .

والشُّبُور : شيء مثل البُوق ، والكلمة بالفارسية^(١) . وهو شيء يكون لليهود ، إذا أراد رأسُ الجالوت^(٢) أن يحرمَ كلامَ رجلٍ منهم نَفَخُوا عليه بالشُّبور .

(تحريم الكلام لدى اليهود والنصارى)

وليسَ تحريمُ الكلام من الحدود القائمة في كتبهم ، ولكن الجاثليق^(٣) ورأسَ الجالوت ، لا يمكنُهما في دار الإسلام حبسٌ ولا ضربٌ ، فليس عندهما إلا أن يغرَّما المال ، ويُحرَّما الكلام . . على أن الجاثليق كثيراً ما يتغافل عن الرجل العظيم القدر ، الذي له من السلطان ناحية . وكان طيمانو^(٤) رئيس الجاثليق ، قد همَّ بتحريم كلام عَوْن العبادي^(٥) ، عندما بلغه من اتِّخاذ السَّرائي^(٦) ، فتوعَّده وحلف : لنَّ فعل لِيُسَلِّمَنَّ ا وكما ترك الأشقيـل^(٧) وميخايل^(٨) وتوفيل^(٩) ،

(١) الصحيح أنها مأخوذة من العبرية . انظر الاستدراكات .

(٢) انظر لتفسير هذه الكلمة تذييل هذا الجزء .

(٣) الجاثليق ، بفتح الشاء : رئيس من رؤساء النصارى يكون تحت يده المطران ، ثم الأسقف ، ثم القسيس ، ثم الشماس .

(٤) كذا . ولعله : « طيمانوس » كما أفادنيه حضرة المحقق القدير الأب أنستاس .

(٥) العبادي : نسبة إلى العباد ، بكسر العين ، وهم قبائل شتى اجتمعوا على النصرانية بالحيرة .

(٦) السرائي : جمع سرية ، وهي الأمة المملوكة التي بوئت بيتا . ونظام التسري ، أى اتِّخاذ السرائي ، نظام إسلامي يقصد به تكثير نسل المسلمين . والتسري محظور على النصارى . انظر رسائل الجاحظ بهامشة الكامل (٢ : ١٧٦) .

(٧) كذا في س ، هـ . وفي ط : « الأشقيـل » .

(٨) س : « متخايل » .

(٩) وجه الصواب فيه : « ثيوفيل » أو « تيوفيل » .

سَمَلَ عَيْنٍ مَنُويل^(١) - وفي حكمهم أن من أعان المسلمين على الروم يقتل ؛
وإن كان ذا رأى سَمَلُوا عَيْنِيهِ ولم يقتلوه - فتركوا سُنَّتَهُمْ فيه .
وقد ذكرنا شأنهم في غير ذلك ، في كتابنا على النَّصَّارى^(٢) . فإن
أردته فاطلبه هنالك .

(تأويل بيت لابن أبي ربيعة)

وقال عُمر بن أبي ربيعة :
لَوْ دَبَّ ذُرٌّ فَوْقَ ضَاحِي جِلْدِهَا لَأَبَانَ مِنْ آثَارِهنَّ حُدُورُ^(٣)
والحذر : الورم والأثر^(٤) يكون عن الضرب .

(١) سمل عينه : فقأها . وبديل هذه العبارة في ط : « وسموعين ومنويل » وفي هـ :
« سمل عين ومنويل » ، وصوابه في س .
(٢) في الأصل : « النصري » ، وهو تحريف . وكتابة الجاحظ عن النصاري وثيقة
تاريخية هامة ، تظهرنا على حقائق غريبة ، وتبين لنا مدى اتصال النصاري
بالمسلمين في عصره . وقبل عصره . وتجد فقرأ منها بهامشة الكامل (٢ :
١٤٨ - ١٩٨) .
(٣) ضاحى جلدها : أى جلدها الضاحى المشرق . وأبان هنا فعل لازم بمعنى بان وظهر .
و « حذور » فاعل أبان ، ومنه في السكتاب : « حمّ والسكتاب الميين » أى
البين الظاهر ، في أحد وجهي تأويله . وفي ط ، وكذا اللسان (مادة حذر)
والمختصر (٢ : ٨٠) « حذورا » بالنصب ، وهو خطأ ضوابه في هـ ، س ؛
إذ أن البيت من قصيدة مضمومة الروى ، كما في ديوان عمر ص ١٢ ، مطلعها :
لمن الديزر كأنهن سطور تسدى معالمها الصبا وتغير
وقبل البيت :

تلك التى سبت الفؤاد فأصبحت والقلب رهن عندها مأسور

(٤) في الأصل : « والحذر والورم الأثر » ، وصوابه ما أثبت .

(التسمية بالنمل)

وقد يسمّى بنملة ونَمِيلَة ، ويكتنون بها . وتسمّوا بذُرٌّ ، واكتنوا بأبي ذرٍّ . ويقال : سيفٌ في مَتْنِه ذرٌّ ، وَهُوَ ذُرِّيُّ السَّيْفِ (١) .

(شعر في صفة السيف)

وقال ابن ضبّة (٢) :

وقد أغلُدو مع الفتيانِ بالمنجردِ التُّرُّ (٣)
وذى البركةِ كالنَّابو تِ والمحزَمِ كالقَرِّ (٤)

(١) في الأصل : « ذر السيف » وأصلحته معتداً على لسان العرب ، وفيه : « وذرى السيف : فرندة وماؤه ، يشبهان في الصفاء بمدب النمل والذر . قال عبد الله ابن سبرة :

كل ينوء بماضى الحد ذى ثطب جلى الصياقل عن ذريه الطبعما

(٢) ذكره الجاحظ في البيان (٣ : ٧٦) مع الشعراء العرجان . وهو القائل : وكنت أمشي على رجلين معتدلاً فصرت أمشي على أخرى من الشجر

(٣) المنجرد من الخيل : القصير الشعر ، وذلك من علامات العتق والكرم . ط ، هـ : « بالمنجر » س : « بالمنجرد » ، وصوابه ما أثبت كما في اللسان (تر) . والتر من الخيل : المعتدل الأعضاء ، الخفيف ، الدري . ط ، هـ : « والبتر » وأثبت الصواب من س واللسان . وقد روى ابن الشجرى هذا البيت في أماليه (١ : ٨٢) :

وقد أغلُدو إلى الهيجا . بالختنك التُّر

روى الكلمة الأخيرة بالهاء المثلثة قال : « يقال سحاب ثر ، للكثير الماء . واستعاروه للفرس الكثير الجرى » .

(٤) البركة ، بالكسر : الصدر . والتابوت : الصندوق يحرز فيه المتاع ، وهي كلمة عبرية الأصل . والمحزم ، كجلس : موضع الخزام . والقر ، بالفتح : الهودج :

معى قاضبة كالمح حـ فى متنيه كالذر^(١)
١٠ وقد أعتسر الضربة ة تشنى شتن الشتر^(٢)

وقال الآخر :

تَكَادُ الرِّيحُ تَرْمِيهَا صَرَارًا وَتَرْجَفُ إِنْ يُلْتَمَّهَا خِمَارُ^(٣)
وَنَحَسَبُ كُلَّ شَيْءٍ قِيلَ حَقًّا وَيُرْعَبُ قَلْبُهَا الذَّرُّ الصَّغَارُ

وقال أوس بن حجر ، فى صفة السيف :

كَأَنَّ مَدَبَ النَّمْلِ يَتَّبِعُ الرَّبَا وَمَدْرَجَ ذَرِّ خَافَ بَرْدًا فَأَسْهَلَ^(٤)
على صفحته بعد حين جلالة كفى بالذى أبلى وأنعت منصلاً^(٥)

(١) القاضبة ، أراد به السيف القاضب ، فالتاء فيه للمبالغة ، كراوية . ولم أر هذه اللفظ لهذا المعنى فى كتاب . وجعله كالمح فى بياضه . والعرب يشبهون الشيء الأبيض بالملح كما سبق تشبيه الشحم به فى ص ٢٤ س ٧ . وجاء هذا البيت مخروما فى اللسان (مادة رر) . ويمكن تصحيحه وإكماله بما هنا .

(٢) أعتسر الضربة ، أصله من اعتسر الرجل الكلام : إذا اقتضبه قبل أن يزوره ويهينه . يقول : يفاجئ عدوه بالضربة السريعة . ط ، س : « أعتسر » صوابه فى هـ . والشر ، بالفتح : الجرح . وفى الأصل : « الشبر » ولا وجه له وأما « شتن » فهى فى ط : « شتن » والكلمتان غير واضحتين .

(٣) س : « تلثمها » ، والوجه ما أثبت من ط ، هـ .

(٤) الربا : جمع ربوة ، وهو المكان المرتفع . وفى الأصل : « الربا » ولا وجه له وصوابه فى ديوان أوس وعيون الأخبار (٢ : ١٨٧) ومعاهد التنصيص (١ : ٤٨) والشعراء ١٥٧ . وأسهل : صار فى السهل من الأرض .

(٥) ط : « على صفحة من » ، والوجه « صفحته » مع حذف « من » كما فى س ، هـ والديوان . ورواية الديوان : « على صفحته من متون جلالة » .

(انتقام عقيل بن علفة مما خطب إحدى بناته)

قال : وخطب إلى عقيل بن علفة بعض بناته رجلاً من الحرقة^(١) من جُهينة ، فأخذه فشده قِاطاً ، ودهن أسنه برَبٍّ وقمطه^(٢) وقربه من قرية النمل ، فأكل النمل حُشوة بطنه^(٣) .

(شعر فيه ذكر النمل)

وقال ذو الرمة :

وَقَرِيَّةٌ لَّاجِنٌ وَلَا أَنْسِيَّةٌ مَدَاخِلَةٌ أَبْوَابُهَا بُنِيَتْ شُرَرًا^(٤)
نَزَلْنَا بِهَا مَا نَبْتَغِي عِنْدَهَا الْقِرَى وَلَكِنَّهَا كَانَتْ لِمَنْزِلِنَا قَدْرًا^(٥)

وقال أبو العتاهية :

أَخْبِثْ بَدَارِ هَمُّهَا أَشِيبُ جَثْلُ الْفُرُوعِ كَثِيرُهُ شَعْبُهُ^(٦)
إِنَّ اسْتِيهَانَتَهَا بِمَنْ صَرَعَتْ لِبِقَادِرٍ مَا تَعَاوَى بِهِ رُتْبُهُ^(٧)

(١) كذا على الصواب في ط ، هـ وهى قبيلة . وفي س : « الحديقة » بحرف . وفي الأغاني (١١ : ٨٢) أنه من بنى سلامان بن سعد .

(٢) قطه : جمع بين يديه ورجليه . والرب بضم الراء ، هو الدبس ، أو هو ثفل السمن والزيت . وفي الأغاني : « ودهن أسنه بشحم » .

(٣) القصة في الأغاني برواية تختلف كثيراً عن هذه .

(٤) أراد بالقرية قرية النمل . مداخلة : مخالفة في بعضها بعضاً . شُرَرًا : عل غير استقامة فهي معوجة .

(٥) رواية الديوان ١٧٧ : « لا نبتغي عندها » .

(٦) أشب : كثير ، من قولهم شجر أشب : ملتف . جثْل : كثير الورق . ط ، هـ : « جبل » صوابه في س .

(٧) في الأصل : « أزارا سياستها بمن صرعت » وهو تحريف صوابه من ديوان =

وإذا استوت للنمل أجنحة حتى يطير فقد دنا عطبه^(١)
وقال البعيث :

ومولى كبيت النمل لاخير عنده لمولاه إلا سعيه بنميم.

(بعض ما قيل في النمل)

قال : وقد سمعت بعض الأعراب^(٢) يقول : إنه لنمام نمل . على
قولهم : « كذب على نمل »^(٣) إذا أرادوا أن يخبروا أنه نمام . وقال
حميد بن ثور ، في تهوين^(٤) قوة الدر :

منعمة ، لو يُصْبِحُ الدر سارياً على جلدِها بضت مدارجُه دما^(٥)
وقال الله عز وجل : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ .

قال : وقيل لعائشة - رضى الله تعالى عنها ، وقد تصدقت بحبة
عنب - : أتصدقين^(٦) بحبة عنب ؟ ! قالت : إن فيها لمثاقيل ذر^(٧)

= أبي العتاهية ص ٣٥ وثمار القلوب ٣٤٦ . « لبقدر » هي في الأصل : « فبقدر »

وأثبت ما في الديوان والثمار ومروج الذهب (٣ : ٣٩٢) . و « تعلقو » هي في ط :

« نقلوا » ، وتصحيحه من س ، هـ والثمار والمروج . وبلغها في الديوان : « تسو » .

(١) في الديوان : « وإن استوت » وانظر الكلام على البيت عند الدميرى .

(٢) س : « قال : وسمعت أعرابيا » .

(٣) النمل ككتف والنامل والمنمل - كحسن - والمنمل - كخير - والنمال ، كل
أولئك بمعنى النمام .

(٤) س : « توهين » والتوهين : التقليل . والتوهين : الإضعاف . وهما متقاربان .

(٥) مدارج الدر : موضع دروجه . بضت : خرج منها الدم .

(٦) تصديق بمعنى تتصدقين ، حذفنا إحدى التاءين تخفيفاً . ط فقط :
« أتصدقين » .

(٧) مثاقيل : جمع مثقال ، بمعنى مقدار . س : « مثاقيل ذرة » صوابه في ط ، هـ .
وعائشة رضى الله عنها ، تنظر إلى الآية السابقة .

(لغز في النمل)

ومما قيل في الشعر من اللُّغز (١) :

فما ذو جناحٍ له حافرٌ وليس يضرُّ ولا ينفعُ

يعني النمل . فزعم أن للنمل حافراً ، وإنما يحفر جُحره ، وليس ١١
يحفره بفمه (٢) .

(التعذيب بالنمل)

وعذب عمرو بن هبيرة (٣) سعيد بن عمرو الحرشي (٤) بأنواع العذاب
فقال له : إن أردت ألا يُفْلِحَ أبداً فمرهم أن ينفخوا في دُبُرِهِ النمل .
ففعّلوا فلم يفلح بعدها .

(١) البيت الآتي في محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٥) .

(٢) وإنما يحفره بقوائمه الست . انظر اللميرى .

(٣) في الأصل : « عمرو بن هبيرة » ، وصوابه ما أثبت . وعمر هذا ، أمير من الدعاة
الشجعان ، ولي الجزيرة في خلافة عمر بن عبد العزيز ، ثم ولاء يزيد بن عبد الملك
إمارة العراق وخراسان ، ثم عزله هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ فلم يعرف له خبر
بعد ذلك ، وكان قائد أسطول المسلمين في غزوة القسطنطينية سنة سبع وتسعين .
انظر التنبيه والإشراف ١٤١ . وكان عمر يكنى أبا المثني ، وفيه يقول الفرزدق
ليزيد (المعارف ١٧٩) :

أوليت العراق ورافديه فزاريا أحد يد التميميص

تفتق بالعراق أبو المثني وعلم قومه أكل الخبيص

(٤) سعيد بن عمرو الحرشي ، أحد قواد العرب ، وهو الذي قتل شوذبا الخارجي وقتل
بمن معه ، وولاه ابن هبيرة خراسان سنة ١٠٣ ، ثم بلغه أنه يكتب الخليفة
مباشرة ولا يعترف بإمارته فعزله وعاقبه . والحرشي ، بفتح الحاء والراء ، نسبة إلى
الحريش بن كعب بن ربيعة . وفي الأصل : « بن عمر » وصوابه من البيان (١ :
٣٨٩) وكتاب الوزراء (٦١) . و « الحرشي » هي في الأصل : « الحرشي »
بالجيم ، وصوابه في البيان والطبري (٨ : ١٧٥) ، وقد أورد الطبري القصة .

(ما يدّخر قوته من الحيوان)

قالوا : وأجناسٌ من الحيوان تدّخرُ ، وتُشَبِّهُ في ذلك بالإنسان ذى العقل والرؤية^(١) وصاحب النظر في العواقب ، والتفكير في الأمور : مثلُ الذرِّ ، والنمل ، والفأر ، والجُرَذان ، والعنكبوت ، والنحل . إلا أن النحل لا يدّخر من الطعام إلا جنساً واحداً ، وهو العسل .

(أكل الذرِّ للنمل)

وزعم اليعقوبى^(٢) أنك لو أدخلتَ نملةً في جُحر ذرٍّ لأكلتها ، حتى تأتيَ على عامَّةٍ . وذكر أنه جرَّب ذلك .

(أكل الضُّباع للنمل)

وقال صاحب المنطق : إنَّ الضُّباع تأكل النمل أكلاً ذريعاً ؛ وذلك أنَّ الضُّباع تأتي قريةَ النمل في وقتِ اجتماعِ النمل ، فتلحس ذلك النملَ بلسانها ، بشهوةٍ شديدةٍ ، وإرادةٍ قويّةٍ .

(أكل النمل للأرضنة)

قالوا : وربما أفسدت الأرضنة على أهل القرى منازلهم ، وأكلت كلَّ شيءٍ لهم . ولا تزالُ كذلك حتى ينشو^(٣) في تلك القرى النمل ،

(١) الرؤية : النظر والتفكير . ط ، هـ : « الرؤية » صوابه من س .

(٢) يروى عنه الجاحظ في البيان ، وكنيته أبو عثمان .

(٣) كذا في س . وفي هـ : « ولا يزال » . وفي ط « ولا يزالوا » وهذه الأخيرة محرفة . و « ينشو » هي « ينشؤ » سهل همزها ، وهي بمعنى ينشأ ، فهذا =

فيسلط الله ذلك النمل على تلك الأرضة ، حتى تأتي على آخرها . وعلى أن النمل بعد ذلك سيكون له أذى ، إلا أنه دون الأرضة تعدّياً . وما أكثر ما يذهب النمل أيضاً من تلك القرى ، حتى تتم لأهلها السلامة من النوعين جميعاً .

وزعم بعضهم أن تلك الأرضة بأعيانها تستحيل نملًا ، وليس فناؤها لأكل النمل لها ، ولكن الأرضة نفسها تستحيل نملًا . فعلى قدر ما يستحيل منها يرى النقص^(١) في عددها ومضرّتها على الأيام .

(مثل في النمل)

قال : وبالنمل يضرب المثل ؛ يقال : « جاءوا مثل النمل » . والزنج نوعان ، أحدهما يفخر بالعدد ، وهم يسمّون النمل ، والآخر يفخر بالصبر وعظم الأبدان ، وهم يسمّون الكلاب . وأحدهما يكبو والآخر ينبو . فالكلاب تكبو ، والنمل تنبو^(٢) .

(أجنحة النمل)

قال : ومن أسباب هلاك النمل نبات الأجنحة له . وقد قال الشاعر^(٣) :

= الفعل يقال من باب منع ومن باب كرم ، كما في القاموس . ط ، س : « ينشبوا » ولا تصح إلا بتشكلف . وأثبت مافي ه .

(١) س : « النقصان » .

(٢) انظر البيان (٣ : ٥١) . وليس « تكبو » و « تنبو » لفظين عربيين ، بل هما من ألفاظ الزنج فيما يظهر ، فقول الجاحظ : « فالكلاب تكبو » لعل معناه تسمى « تكبو » بالزنجية . وتجدر اضطرابا في رسم هاتين الكلمتين ، فرة بدئنا بالياء ، ومرة بدئنا بالتاء وعمى أن يهديننا إلى صوابهما أحد الصوماليين .

(٣) هو أبو العتاهية كما سبق ص ٣٢ .

وإذا استوت للنمل أجنحة حتى يطير فقد دنا عطفه^(١)
وإذا صار النمل كذلك أخصبت العصافير ؛ لأنها تصطادها في حال
طيرانها .

(وسيلة لقتل النمل)

[قالوا^(٢)] : وتقتل بأن يصب في أفواه بيونها القطران والكبريت
الأصفر ، ويدس في أفواهها^(٣) الشعر . وقد جربنا ذلك فوجدناه
باطلا . انتهى .

باب

١٢

جملة القول في القرد والخنزير

وفي تأويل المسخ ، وكيف كان ، وكيف يمسخ الناس على خلقتهما^(٤)
دون كل شيء ، وما فيهما من العبرة والمحنة ؛ وفي خصالهما المذمومة ، وما فيهما
من الأمور الحمودة ؛ وما الفصل^(٥) الذي بينهما في النقص ، وفي الفضل ،
وفي الذم وفي الحمد .

(١) س ، هـ : « دنا أجله » وهو خطأ . انظر ص ٣٢ .

(٢) بمثل هذه الزيادة يستقيم الكلام ، وينسجم أوله مع آخره .

(٣) أى أفواه بيوتها .

(٤) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من س .

(٥) في الأصل : « الفضل » بالضاد المعجمة ، ووجهه ما أثبت .

(ما ذكر في القرآن من الحيوان)

وقد ذكر الله عز وجل في القرآن العنكبوت ، والذر والنمل ،
والكلب ، والحمار ، والنحل ، والهدأة ، والغراب ، والذئب^(١) ، والفيل
والخيل ، والبغال ، والحمير ، والبقر ، والبعوض ، والمغز ، والضأن ،
والبقرة ، والنعجة ، والحوث ، والنون^(٢) . فذكر منها أجناساً فجعلها مثلاً
في الدلة والضعف ، وفي الوهن ، وفي البداء ، والجهل .

(هوان شأن القرد والخنزير)

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ
فَمَا فَوْقَهَا ﴾ ، فقالها كما ترى وحقرها ، وضرب بها المثل . وهو مع ذلك جل
وعلا ، لم يمسح أحداً من حشو أعدائه وعظائمهم بعوضة .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ
تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ
الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ . إنما قرع
الطالب في هذا الموضع^(٣) بإنكاره وضعفه ، إذ عجز ضعفه عن ضعف

(١) س : « اللب » صوابه في ط ، هـ . وليس في القرآن الكريم ذكر لللب ،
وإنما هو « الذئب » ورد في قصة يوسف .

(٢) النون : الحوت العظيم ، وقد سمى يونس عليه السلام : ذا النون في قوله تعالى :
« وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً » لأن النون كان قد التقمه في اليم ، انظر مفردات
الراغب . والجاحظ لم يستوعب ماورد في القرآن من الحيوان ، وإلا فقد أغفل
ذكر الإبل ، والنعبان ، والجراد ، والحية ، والسلوى ، والضفادع ، والغنم ،
والفراش ، والقمل .

(٣) ط فقط : « الموضوع » .

مطلوب لا شيء أضعف منه ، وهو الذباب . ثم مع ذلك لم نجد له جلّ وعلا .
ذكر أنه مسح أحداً ذباباً .

وقال : ﴿ وَإِنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبِيتُ الْعَنْكَبُوتِ ﴾ ، فدلّ بوهن بيته
على وهن خلقه ، فكان هذا القول دليلاً على التّصغير والتّقليل . وإنما لم
يقول : إنّي مسختُ أحداً من أعدائي عنكبوتاً .

وقال تعالى : ﴿ فَثَلَّهِ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ
تَتَرَكَّهُ يَلْهَثْ ﴾ ، فكان في ذلك دليل على ذمّ طباعه ، والإخبار عن تسرّعه
وبذائه . وعن جهله في تدبيره ، وترّكه وأخذه . ولم يقل إنّي مسختُ أحداً
من أعدائي كلباً .

وذكر الذّرة فقال : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ ، فكان ذلك دليلاً على أنه من الغايات في الصّغر
والقِلّة ، وفي خِفّة الوزن وقلة الرجحان . ولم يذكر أنه مسح أحداً من
أعدائه ذرة .

وذكر الحمار فقال : ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ ، فجعله مثلاً
في الجهل والغفلة ، وفي قِلّة المعرفة وغِلْظ الطبيعة . ولم يقل إنّي مسختُ
أحداً من أعدائي حماراً .

وكذلك جميع ما خلق وذكر من أصناف الحيوان بالذمّ والحمد . فأما
غير ذلك ممّا ذكر من أصناف الحيوان ^(١) ، فإنه لم يذكره ^(٢) بدم ولا
نقص ، بل قد ذكر أكثرهن ^(٣) بالأمور المحمودة ، حتّى صار إلى ذكر

(١) الكلام من مهمل : « بالدم والحمد » ساقط من س .

(٢) س : « يذكر » .

(٣) س : « أكثرها » .

القرود فقال : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ ﴾ فلم يكن لهما في قلوب
الناس حال . و [لو] ^(١) لم يكن جعل لهما في صدور ^(٢) العامة والخاصة من
القُبْح والتشويه ، ونذالة النفس ، ما لم يجعله لشيء غيرهما من الحيوان ، لما
خصهما الله تعالى بذلك .

وقد علمنا أن العقرب أشدُّ عداوةً وأذىً ، وأفسدُ ، وأن الأفعى والثعبان
وعامة الأحناس ^(٣) ، أبغضُ إليهم وأقتلُ لهم ، وأن الأسدَّ أشدُّ صولةً ، وأنهم
عن دفعهم له أعجز ، وبغضهم له على حسب قوته عليهم ، وعجزهم عنه ،
وعلى حسب سوء أثره فيهم . ولم تره تعالى مسخَّ أحداً من أعدائه على صورة
شيء من هذه الأصناف : ولو كان الاستئذال والاستثقال والاستسقاط أراد ،
لكان المسخ على صورة بناتِ وردان أولى وأحقَّ ^(٤) . ولو كان التَّحقيرُ
والتَّصغيرُ أراد ، لكانت الصُّوابة والجرجسة ^(٥) أولى بذلك . ولو كان إلى
الاستصغار ذهبَ لكان الذرُّ والقمل والذُّبابُ أولى بذلك . والدليل على قولنا
قوله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ . طَلْعُهَا
كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ ، وليس أن الناس رأوا شيطانا قطُّ على صورة ،
ولكن لما كان الله [تعالى] قد جعل ^(٦) في طباع جميع الأمم استقباحَ
جميع صور الشياطين ، واستسماجه وكرهته ، وأجرى على السنة جميعهم
ضربَ المثل في ذلك - رجع بالإيحاش والتنفير ، وبالإخافة

(١) ليست بالأصل .

(٢) س : « قلوب » .

(٣) الأحناس : الحيات ، جمع حنش بالتحريك . وفي الأصل : « الأجناس » محرف .

(٤) « على صورة » ساقط من س . و « أراد ، لكان » هي في س : « إذا
كان » ، محرف .

(٥) الجرجس ، بكسر الجيمين : البعوض الصغار . في الأصل : « المرجسة »
صوابه ما أثبت .

(٦) في الأصل : « جعل لها » وكلمة : « لها » مفتحة .

والتفريع^(١) ، إلى ما قد جعله الله في طباع الأولين والآخريين وعند جميع الأمم على خلاف طبائع جميع الأمم^(٢) .
وهذا التأويل أشبه من قول من زعم من المفسرين ، أن زعوس الشياطين نبات ينبت باليمن^(٣) .

وقال الله عز وجل لنبيه : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيهَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ، أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ، فَمِنْ أَضْطَرٍّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . فذكر أنه رجس ، وذكر الخنزير ، وهو أحد المسوخ^(٤) ، ولم يذكر في هذه الآية التي أحصى فيها أصناف الحرام ، وأباح ما وراء ذلك - القرَد .

وصار بعضهم إلى تحريمه من جهة الحديث . وهو عند كثير منهم يحتمل المعارضة .

(مساوى الخنزير)

فلولا أنَّ في الخنزير معنى متقدماً^(٥) سوى المسخ ، وسوى ما فيه من قبح المنظر وسماجة التمثيل ، وقبح الصوت ، وأكل العذرة ، مع الخلاف الشديد

(١) في الأصل : « والتفريع » .

(٢) الخلاف بمعنى الاختلاف .

(٣) من ذكر هذا التأويل ، فخر الدين الرازي في تفسير سورة الصافات ، ولكنه مع ذلك استظهر تأويل الجاحظ ، وهو الذي مال إليه أكثر المفسرين . وبما أولوا به الآية أيضاً أن تكون « الشياطين » ضرباً من ضروب الحيات .

(٤) المسوخ : جمع مسخ ، ط : « المسوخ » . والأوجه ما أثبت من س ، هـ .

(٥) ط ، هـ : « متقدماً » تصحيحه من س .

واللواط المفرط^(١) والأخلاق السمجة ، ما ليس في القرد الذي هو شريكه
في المسخ - كما ذكره دونه .

١٤

(علة النص على تحريم الخنزير في القرآن ، دون القرد)

وقد زعم ناسٌ أنَّ العربَ لم تَكُنْ تأكلُ القُرودَ . وكان من تنصَّر^(٢)
من كبار القبائل وملوكها يأكلُ الخنزيرَ ، فأظهر لذلك تحريمه ؛ إذ كان
هناك عالمٌ من الناس ، وكثير من الأشراف والوضعاء ، والملوك والسُّوقَة ،
يأكلونه أشدَّ الأكل ، ويرغبون في لحمه أشدَّ الرغبة . قالوا : ولأنَّ لحم
القرد ينهَى عن نفسه . ويكنى الطبائع في^(٣) الزجر عنه غنثه^(٤) . ولحم
الخنزير ممَّا يُستطابُ ويتواصف ، وسبيلُ لحم القرد كسبيل لحم الكلب
يل هو شرٌّ منه وأخبث . وقد قال الشاعر^(٥) للأسدي الذي ليم يأكل لحم
الكلب^(٦) :

يا فقعى لم أكلته إله لو خافك الله عليه حرمه
فما أكلت لحمه ولا دمه

وليس يريد بقوله : « لو خافك الله عليه » أنَّ الله يخافه على شيء
أو يخافه^(٧) من شيء . ولكنه لما كان الكلبُ عنده مما لا يأكله أحد

(١) ط ، هـ « واللواط المفرط » : وإنما هو « اللواط المفرط » كما في س .

(٢) ط : « تنصّر » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٣) هذه الكلمة ماقطة من س .

(٤) الغنث بالتحريك : ثقل الطعام على النفس ، وفي الأصل : « غنثه » .

(٥) الشاعر هو سالم بن دارة كما سبق في (١ : ٢٦٧ ، ٢ : ١٥٩) .

(٦) أى لامة الناس بأكله لحم الكلب ، وفي الأصل : « لم يأكل لحم الكلب »
وهو عكس المراد .

(٧) ط ، هـ : « يخاف » في الموضعين . وأثبت ما في س .

وَلَا يُخَافُ عَلَى أَكْلِهِ إِلَّا الْمَضْطَرُ ، جعل بدل قوله : أَمِنَ الْكَلْبُ عَلَى أَكْلِ لَحْمِهِ ، أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي لَمْ يَخَفْ ذَلِكَ فِيحَرَّمَهُ . وهذا مما لا تقف الأعرابُ عليه ، وَلَا تَتَّبِعُ الْوَهْمُ مُوَاضِعَهُ ؛ لِأَنَّ هَذَا بَابٌ ^(١) يَدْخُلُ فِي بَابِ الدِّينِ ، فَمَا يُعْرَفُ بِالنَّظَرِ .

(ما قيل في جودة لحوم الكلاب)

وقد يأكل أجراء ^(٢) الكلاب نامسٌ ، ويستطيبنها فيما يزعمون . ويقولون : إنَّ جرو الكلب أسمنُ شيءٍ صغيراً ، فإذا شبَّ استحال لحمه ، كأنَّه يشبه بفرخ الحمام ما دام فرخاً وناهضاً ، إلى أن يستحكم ويشتدَّ .

(ذكر من يأكل السنائير)

وما أكثر من يأكل السنائير . والذين يأكلونها صنفان من الناس : أحدهما الفتى المغرور ، الذي يقال له أنت مسحور ، ويقال له : من أكل سنوراً أسودَ بهيما لم يعمل فيه السُّحر ، فيأكله لذلك . فإذا أكله لهذه العلَّة ، وقد غسل ذلك وعصره ، أذهب الماء زهُومته ، ولم يكن ذلك المخدوعُ بمستقذِرٍ ما استطابه . ولعلَّه أيضاً أن يكون عليه ضربٌ من الطعام ^(٣) فوق الذي هو فيه ، فإذا أكله على هذا الشرط ، ودبر هذا التدبير ، ولم ينكره ، عاوده . فإذا عاوده صار ذلك ضراوة له .

(١) ط : « في باب » ، والوجه حذف « في » كما في س ، ه .

(٢) أجراء ، بفتح الهمزة وسكون الجيم : جمع جرو ، وهو هنا ولد الكلب .

(٣) س : « من حيث الطعام » ! .

والصَّنْف الآخر أصحاب الحمام ، فما أكثر ما ينصبُّون المصائدَ^(١) للسنانير ،
التي يُلقَّون منها في حمامهم^(٢) . وربما صادف غيظُ أحدهم وحنقه وغيظه
عليه ، أن [يكون] السُّنُور مُفْرِطَ السُّبْم ، فيدعُ قتله ويدبِّحه . فإذا فعل
ذلك مرَّةً أو مرتين ، صار ضراوةً عليها . وقد يتقرَّز^(٣) الرَّجُلُ من أكل
الضَّبِّ والوَرَل والأرنب ، فما هو إلا أن يأكله مرَّةً لبعض التَّجربة ، أو لبعض
الحاجة ، حتى^(٤) صار ذلك سبباً إلى أكلها ، حتى يصير بهم الحال^(٥) إلى ١٥
أن يصيروا أرغبَ فيها من أهلها .

(طيب لحم الجراد)

وهاهنا قومٌ لا يأكلون الجرَادَ الأعْرَابِيَّ السمين ، ونحن لانعرف طعاماً
أطيبَ منه . والأعراب إنما^(٦) يأكلون الحياتِ على شبيهِ بهذا الترتيب
ولهذه العوارض .:

(أكل الأفاعي والحيات)

وزعم بعضُ الأطباء والفلاسفة ، أن الحياتِ والأفاعي تؤكل نيئةً^(٧)
ومطبوخة ، ومشوية ، وأنها^(٨) تغذو غذاءً حسناً .

(١) كذا بالأصل . والوجه : « المصايد » بلا همزة ، مثل معايش .

(٢) أى يصيبهم الشر من السنانير .

(٣) ط ، هـ : « يتقرَّز » وهذا الفعل لا يحتاج إلى « من » ، فيقال « تقدر الشيء » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٥) س : « تصير بهم الحال » ، والحال تذكر وتؤنث .

(٦) ساقطة من س .

(٧) ط ، هـ : « نية » ، وهى صحيحة أيضاً . انظر الاستدراكات .

(٨) ط ، هـ : « فإنها » .

(رؤية وأكله الجرذان)

وزعم أبو زيد ، أنه دخل على رؤية ، وعنده جرذانٌ قد شَوَّاهُنَّ ، فإذا هو يأكلهنَّ ، فأنكر ذلك عليه ، فقال رؤية : هُنَّ خَيْرٌ من اليرابيع والضُّباب وأطْيَبُ ؛ لأنها عندكم تأكلُ الحَبْزَ والتمرَ وأشباهَ ذلك . وكفاك بأكل الجرذان !

ولولا هَوْلُ الحَيَّاتِ^(١) في الصُّدُور من جهة السُّموم ، لكانت من جهة التقذُّر^(٢) أسهلَ أمراً من الجرذان .

(أكل الذِّبَّان والزناير)

وناسٌ من السُّفَّالَةِ^(٣) يأكلون الذِّبَّان . وأهلُ خُرَّاسَانَ يُعَجَّبُونَ باتِّخَاذَ البَزِّ ماوردٍ^(٤) من فِرَاحِ الزَّناير ، ويعافون أذنانَ الجرادِ الأعْرَابِيِّ السمين . وليسَ بين رِيحِ الجَرَادِ إذا كانت مشوِّيةً وبينَ رِيحِ العقاربِ مشوِّيةً فرق . والطَّعْمُ تبعٌ للرَّائِحَةِ^(٥) : خبيثُها لخبيثِها ، وطيبُها لطيبِها . وقد زعم ناسٌ ، ممن يأكلون العقاربَ مشوِّيةً ونِيئَةً ، أنها كالجرادِ^(٦) السَّمان .

(١) ط : « أن الحيات » وتصحيحه من س ، ه .

(٢) س : « التقزز » .

(٣) السفالة ، بالضم : من بلاد الزنج في شرقي إفريقية . وفي الأصل : « الصقالبة » . وهو تحريف ، صوابه مما سبق في (٣ : ٣٢٣ س ٧) .

(٤) انظر ما أسلفت من شرح هذه الكلمة في (٢ : ٢٤٩ التنبيه الرابع) .

(٥) س : « الرائحة » .

(٦) في الأصل : « كالفرّاخ » ، وصوابه ما أثبت ، كما سيأتي واختماً في (٥ : ٣٥٦) حيث يقول الجاحظ « وريح العقارب إذا شويت مثل ريح الجراد . وما زلت أظن أن الطعم أبداً يتبع الرائحة ، حتى حقق ذلك عند بعض من يأكلها مشوية ونية أنه ليس بينهما وبين الجراد الأعرابي السمين فرق » .

وكان الفضل بن يحيى يوجه خدمته في طلب فراخ الزنابير ليأكلها .
وفراخها ضرب من الذبّان .

(أكل لحوم البراذين)

فأما لحوم البراذين فقد كثر علينا وفيينا ، حتى أنسنا به . وزعم بعضهم
أنه لم يأكل أطيب من رأس برذون وسرته . فأما السرّة والمعرقة^(١) فإنهم
يزاحمون بها الجداء والدجاج : ويقدمون الأسرام المحشوة .

(أكل السراطين ونحوها)

ومن أصحابنا من يأكل السراطين أكلاً ذريعاً . فأما الرق^(٢) والكوسج^(٣)
فهو من أعجب طعام البحرّيين . وأهل البحر يأكلون البلبل^(٤) وهو اللحم
الذى في جوف الأصداف .

والأعرابي إذا وجد أسوداً سالخاً^(٥) ، رأى فيه مالا يرى صاحب
الكسمير في كسميره^(٦) .

(١) المعرقة ، كمرحلة : موضع العرف من العرس .

(٢) الرق : سلحفاة المياه .

(٣) الكوسج : جنس من الأسماك الغضروفية كبير يخشى شره ، وهو في الماء شر
من الأسد في البر ، يقطع الحيوان في الماء بأسنانه ، كما يقطع السيف الماضي .
ويسمى بالقرش في سواحل البحر الأحمر . وكلب البحر Dogfish نوع صغير
منه . وذكر الأب أنستاس في مجلة المشرق أن القرش معرب : Karcharias
اليونانية . انظر معجم المعلوم ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(٤) ط : « اللبل » ، وأثبت ما في س ، هـ .

(٥) الأسود السالخ : ضرب من الحيات .

(٦) كذا بالأصل ، وانظر ما سيأتى في حواشي (٦ : ٨٤) .

(أكل ديدان الجبن)

وخبَّرني كم شئت^(١) من الناس ، أنه رأى أصحابَ الجبنِ الرطبِ^(٢) بالأهوازِ وقراها ، يأخذون^(٣) القطعةَ الضخمةَ من الجبنِ الرطبِ^(٤) ، وفيها ككواء الزنابير^(٥) ، وقد تولدَ فيها الديدان ، فينفضها وسطَ راحته ، ثمَّ يقمَحُها^(٦) في فيه ، كما يقمَحُ السويقَ والسكرَ ، أو ما هو أطيبُ منه .

(ذكر بعض أنواع العذاب)

وقد خبر الله تعالى عن أصحاب النِّقم ، وما أنزل الله من العذاب ، وما أخذ من الشكل والمقابلات ، فقال : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا ﴾ ، وقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ

(١) وردت هذه العبارة أيضاً في ص ١٤٠ من هذا الجزء . كما ورد مثلها في ص ٢٤ : « وقد خبرنا من لا يحصى من الناس » . واستعمال « كم » فاعلاً ، هو لغة رديئة سكاها ابن عصفور ، وخرج عليها هو قوله تعالى : « أو لم يهد لهم كم أهلكنا » . انظر معنى اللبيب .

(٢) في الأصل : « الجبن والرطب » ، وأثبت الصواب موافقاً ما سبق في (٣ : ٣٢٣ س ٩) . والمراد به ذلك النوع المعتقد من الجبن ، الذي يسميه عامة مصر : « المش » بكسر الميم . وجاء في القاموس : « والأرنة بالضم : الجبن الرطب » . وهناك الجبن اليايس كانوا يملحونه ويجففونه . انظر تذكرة داود .

(٣) س : « يأخذ أحدهم » .

(٤) ط ، هـ : « والرطب » ، والصواب من س . وانظر التنبيه الثاني من هذه الصفحة .

(٥) الكواء ، بالكسر : جمع كوة بالفتح ، وهي الحرق في الحائط ، أو الثقب في البيت .

(٦) قمح السويق ونحوه ، من باب سميح : استفه .

بِأَصْحَابِ الْفِيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ . وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا ١٦
أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ﴿١٧﴾
وليس من هذه الأصنافِ شيءٌ أبلغُ في المثلثة والشنعة ، مِّنْ (١)
جَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَوْسَ وَالْخَنَازِيرَ .

(ما يقبل الأدب من الحيوان)

فالخنزير يكون أهلياً ووحشياً ، كالحمير (٢) والسنانير مما يعايش الناس .
وكلها لا تقبل الآداب . وإنَّ الفُهودَ وهي وحشيةٌ تقبل كلها ، كما تقبلُ
البوازي ، والشواهين ، والصقورة (٣) ، والزُّرق ، واليُؤيؤ ، والعُقَاب ، وعَنَاقُ
الأرض (٤) ، وجميعُ الجوارحِ الوحشيات . ثمَّ يفضلها الفهدُ بخصلةٍ غريبة
وذلك أنَّ كبارها ومسانها أقبلُ للآدابِ ، وإنَّ تقادمتُ في الوحش (٥) ،
مِنْ أولادها الصغار ، وإن كانت تقبل الآداب ؛ لأنَّ الصغيرَ إذْ أُدبَ

(١) في الأصل : « من أن » .

(٢) ويجمع الحمار أيضاً على أحمر ، وحر - بضمين وبضمة - وحمور ، وحمرات ،
ومحموراء . جاء في ط : « كالحماير » وهو تحريف ، صوابه ما أثبت من
ه ، س .

(٣) الصقر يجمع على أصقر وصقور وصقورة ، وصقار وصقارة بكسر صاديهما ،
وصقور بالضم . ط ، ه : « والصقور » . وأثبت ما في س . والجاحظ يميل
إلى هذا الجمع كما سبق في (٣ : ١٨٢ ، ٥٣٩) .

(٤) عناق الأرض ، بفتح العين : دويبة أصغر من الفهد حسن الصورة ، لونه أحمر ،
وفي أعلى كل من أذنيه شعرات سود ، يصيد كل شيء حتى الطير ، ويسمى أيضاً
التفة ، وهو بالفارسية سياه كوش ، وبالإنجليزية : Caracal . وفي الأصل :
« عناق الأرض » بالتاء . صوابه ما أثبت .

(٥) في مباحج الفكر ، نسختي الخطية : « التوحش » والعبارة تتجه بكل منهما .

فبلغ ، خرج خبأ مؤاكلاً^(١) ، والمسنّ الوحش^(٢) يخلص لك كله ، حتى يصير أصيداً وأنفع . وصغار سباع الطير وكبارها على خلاف ذلك ، وإن كان الجميع يقبل الأدب . والخنزير^(٣) وإن كان أهلياً فإنه لا يقبل الأدب على حال ، حتى كأنه . وإن كان بهيمة . في طباع ذئب .

وذلك أن أعرابياً أخذ جرّو ذئب وكان النقطة التقاطا ، فقال : أخذته وهو لا يعرف أبويه ولا عملهما ، وهو غرّ لم يصد شيئاً ، فهو إذا ربّيناه وألفناه ، أنفع لنا من الكلب . فلما شبّ عدا على شاة له فقتلها وأكل لحمها ، فقال الأعرابي :

أَكَلْتُ شُوَيْهَتِي وَرَبَيْتَ فِينَا فَنَ أَدْرَاكَ أَنَّ أَبَاكَ ذَيْبٌ^(٢)
فالذئب وجرو الذئب إذا كانا سبعين وحشيّين [كانا^(٣)] ثم من أشدّ الوحش توحّشا ، وألزمها للقفار ، وأبعدّها من العمران .
والذئب أغدر من الخنزير والخنوص^(٤) ، وهما بهيمتان .

(١) الحب ، بالفتح ويكسر : الخداع الخبيث . ط : « حبيبا » ، ه : « جينا » ، صوابه في س . وانظر ما سيأتي في (٦ : ٤٧١) .

(٢) س : « فن أنباك » ومثل هذه الرواية في (٦ : ٢٤ ، ٧ : ١٨٧ ، ٢٥٣) حيث تعاد القصة . وانظر محاضرات الراغب (١ : ١٢٢) ومثل هذه القصة عن عجوز أعرابية عند الدميري . والشعر فيه :

بقرت شويهي وفجعت قلبي وأنت لثاتنا ولد ربيب
غذيت بلدها وربيت فينا فن أنباك أن أباك ذيب
إذا كان الطباع طباع سوء فلا أدب يفيد ولا أديب

(٣) مثل هذه الزيادة ضروري ليستقيم الكلام .

(٤) الخنوص ، كمنور : ولد الخنزير .

(ضرر الخنزير)

وأما ضرره وإفساده ، فما ظنك بشيء يُتَمَنَّى له الأسد ؟ ! وذلك أن الخنازير^(١) إذا كانت بقرب ضياع قوم هلكت تلك الضياع ، وفسدت تلك الغلات . وربما طلب الخنزير^(٢) بعض العروق المدفونة في الأرض فيخرب مائة جريب^(٣) ، ونابه ليس يغلبه معول . فإذا اشتد عليهم البلاء تمنوا أن يصير في جنبهم^(٤) أسد . ولربما صار في ضياعهم الأسد فلا يهيجونه ، ولا يؤذونه ، ولو ذهب إنسان ليحفر له زبية^(٥) منعه أشد المنع ، إذ كان ربما حمى جانبهم من الخنازير فقط . فما ظنك بإفسادها ، وما ظنك بهيمة يُتَمَنَّى أن يكون بدلها^(٦) أسد ؟ ! ثم مع ذلك إذا اجتمعوا للخنازير بالسلاح ، وبالألات والأدوات التي تقتل بها ، فربما قتل الرجل منهم ، أو عقرة العقر الذي لا يندمل ، لأنه لا يضرب بنابه شيئاً إلا قطعته ، كائناً ما كان . فلو قتلوا في كل يوم منها مائة وقتلت في كل يوم إنساناً واحداً ، لما كان في ذلك عوض .

(١) ط ، هـ : « الخنزير » بالإفراد . والوجه الجمع كما أثبت من س .

(٢) ط ، هـ : « الخنازير » بالجمع . والوجه الإفراد كما أثبت من س .

(٣) الجريب ، يقال في الأرض كما هنا ، ومقداره عشرة آلاف ذراع ، أو ثلاثة آلاف وستائة ذراع ، يختلف ذلك باختلاف البلدان . وأما جريب الطعام ، فهو أربعة أقدرة .

(٤) الجنبة ، بالفتح : الناحية . س ، هـ : « جنبهم » وليست مرادة فيما أرى . وأثبت المراد من ط .

(٥) الزبية ، بالضم : حفرة يصاد بها الأسد .

(٦) س : « مكانها » .

والخنزير تطلب العذرة ، وليست كالجلالة^(١) ؛ لأنها تطلب أحرها وأرطبها وأنتنها ، وأقربها عهداً بالخروج . فهي في القرى تعرف أوقات الصبح والفجر ، وقبل^(٢) ذلك وبعده ؛ لبُروز^(٣) الناس للغائط . فيعرف من كان في بيته نائماً في الأسحار ومع الصبح ، أنه قد أسحر^(٤) وأصبح ، بأصواتها ومرورها ، ووقع أرجلها في^(٥) تلك الغيطان ، وتلك المتبرّزات . ولذلك ضربوا المثل ببيكور الخنزير ، كما ضربوا المثل بحذر الغراب وروغان الثعلب .

على أن الثعلب ليس بأزوغ من الخنزير ، ولا أكدّ للفارس ، ولا أشدّ إتعاباً لصاحبه .

(بعض أسباب المسخ)

فأما قبح وجهه فلو أن القبح والإفلاس ، والغدر والكذب ، تجسّدت ثم تصوّرت^(٦) لما زادت على قبح الخنزير . وكل ذلك بعض الأسباب التي مسخ لها الإنسان خنزيراً .

وأن القرد لسميح الوجه ، قبيح كل شيء^(٧) . وكفاك به أنه للمثل المضروب - ولكنه في وجه آخر مليح . فليح^(٨) يعترض على قبحه

-
- (١) الجلالة من الحيوان : التي تأكل الجلة والعذرة .
 (٢) الوار ليست بالأصل ، وأثبتها من مباهج الفكر ، وفيها أيضاً : « قبيل » مكان : « قبل » .
 (٣) كذا في ط ، هـ ومباهج الفكر . وفي س : « لخروج » .
 (٤) أسحر ، بالسين : صار في السحر ، والسحر : الوقت قبيل الصبح . ط ، هـ : « أسحر » بالصاد ، ولا تليق هنا . وأثبت الصواب من س ومباهج الفكر .
 (٥) في الأصل : « إلى » ، وصوابه في مباهج الفكر .
 (٦) كذا في ثمار القلوب ٣٢١ نقلاً عن الجاحظ . ط ، هـ : « تجسم وتصور » س : « تحشد ثم تصور » ، وصوابهما ما أثبت . وانظر سائر القول .
 (٧) في ثمار القلوب : « قبيح في كل شيء » .
 (٨) الملح ، بالكسر ، بمعنى الملاحه ، يقال : ملح ملحاً وملاحه .

فِيمازجُهُ وَيُصْلِحُ مِنْهُ . وَالْخِزِيرُ أَقْبَحُ مِنْهُ ؛ لِأَنَّهُ ضَرَبُ مُصَمَّتٍ بِهِمْ ،
فَصَارَ اسْمُجَ بَعِيدٍ .

(وَثَبَ الذِّكُورَةُ عَلَى الذِّكُورَةِ)

وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ ، مِمَّنْ طَالَ ثَوَاؤُهُ فِي أَرْضِ الْجَزِيرَةِ ، وَكَانَ
صَاحِبَ أَخْبَارٍ وَتَجَرِبَةٍ ، وَكَانَ كَلَفًا بِحَبِّ التَّبِينِ^(١) ، مُعْتَرِضًا لِلْأُمُورِ ، يَحِبُّ
أَنْ يُفَضِّلَ إِلَى حَقَائِقِهَا ، وَتَثْبِيتِ أَعْيَانِهَا بِعِلَالِهَا ، وَتَمْيِيزِ^(٢) أَجْنَاسِهَا ، وَتَعْرِفِ
مَقَادِيرِ قَوَاهَا ، وَتَصَرِّفِ أَعْمَالِهَا ، وَتَنْقُلُ خَالَاتِهَا ؛ وَكَانَ يَعْرِفُ لِلْعِلْمِ قَدْرَهُ ،
وَاللِّبْيَانِ فَضْلَهُ .

قَالَ : رَجِمَا رَأَيْتَ الْخِزِيرَ الذِّكْرَ وَقَدْ أَلْجَأَهُ أَكْثَرُ مِنْ عِشْرِينَ خِزِيرًا
إِلَى مَضِيقٍ ، وَإِلَى زَاوِيَةٍ ، فَيَنْزُونَ عَلَيْهِ وَاحِدًا وَاحِدًا^(٣) ، حَتَّى يَبْلُغَ آخِرُهُمْ .
وَخَبَّرَنِي هَذَا الرَّجُلُ وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ النَّظَرِ وَأَصْحَابِ الْفِكْرِ ، أَنَّهُمْ رَأَوْا
مِثْلَ ذَلِكَ مِنْ^(٤) الْحَمِيرِ . وَذَكَرُوا أَنَّ ذَلِكَ إِمَّا تَأْنِيثٌ فِي طَبْعِهِ ، وَإِمَّا أَنَّ
يَكُونُ لَهُ فِي أَعْيُنِهَا مِنَ الْإِسْتِحْسَانِ شَيْءٌ بِالَّذِي يَعْتَرِي عَيُونَ بَعْضِ الرِّجَالِ
فِي الْغُلْمَانِ ، وَالْأَحْدَاثِ الشَّبَابِ .

وَقَدْ يَكُونُ هَذَا بَيْنَ الْغَرَانِقِ وَالسَّكَرَاكِيِّ . وَالتَّسَافُدُ بَيْنَ الذِّكْرِ
وَالْأُنْثَى . وَالتَّسَافُدُ وَالْمُسْفُودُ إِذَا كَانَا مِنْ جَمِيعِ الذِّكُورَةِ ، كَثِيرٌ فِي جَمِيعِ أَصْنَافِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « التَّبِينِ » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ يَتَكَرَّرُ كَثِيرًا . وَإِنَّمَا هُوَ « التَّبِينِ » بِمَعْنَى
التَّفْهِيمِ وَالْإِكْتِنَاءِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَتَمْيِيزِ » .

(٣) بِدَلِهِ فِي مَبَاهِجِ الْفِكْرِ ، وَكَذَا نِهَايَةُ الْأَرْبِ (٩ : ٣٠٠) : « ثُمَّ يَنْزُو عَلَيْهِ
الْأُمَثِلُ فَالْأُمَثِلُ » .

(٤) س : « فِي » .

الحيوان ، إلا أنه في جميع الخنازير والحمير أفشى . وأما^(١) تسافد الحمام الذكور والأنثى للذكر^(٢) ، فأكثر من أن يكون فيه تنازع .

(معارف في الخنزير)

وباب آخر مما ذكر صاحب المنطق ، فزعم أن من الخنازير ماله ظلف واحد^(٣) ، وليس لشيء من ذوات الأنياب في نابه من القوة والدرب ما للخنزير الذكر ، وللجمل ، والفهد ، والكلب .

قال : والإنسان يلقي أسنانه^(٤) ، وكذلك الحافر والخف .

قال : والخنزير لا يلقي أسنانه البتة .

(من لم يشغ)

ويقال : إن عبد الصمد بن علي^(٥) لم يشغ قط^(٦) ، وأنه دخل قبره بأسنان الصبأ .

١٨

(١) ط ، هـ : « فأما » .

(٢) كذا في س . وفي ط ، هـ : « الذكر للأنثى والأنثى للذكر » .

(٣) يعني ظلفا غير مشقوق كأنه الحافر . وجاء في (٧ : ٢٤٠) : « وفي الخنازير ما ليس ظلفه بمنشق » .

(٤) كذا على الصواب في س . وفي ط ، هـ : « والإنسان لا يلقي أسنانه » .

(٥) هو عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، ويكنى أبا محمد ، ولى الجزيرة لأبي جعفر المنصور ، وكان أقعد بني هاشم في عصره . المعارف ١٦٣ .

(٦) يقال ثغر ، بالبناء للمجهول ، وأثغر ، بالبناء للفاعل : سقطت أسنانه . وانظر العقد (٦ : ٢٣١) .

(أسنان الذئب والحية والضبع)

وزعم بعضهم أن أسنان الذئب مخلوقة في الفك ، ممطولة^(١) في نفس العظم . وذلك مما توصف به أسنان الحية . قال الشاعر :
مُطْلَنَ فِي اللَّحْيَيْنِ مَطْلًا إِلَى الرَّأْسِ وَأَشْدَاقِ رَحِيْبَاتِ^(٢)
وَالشَّاعِرُ يَمْدَحُ الشَّيْءَ فَيَشْدُدُّ أَمْرَهُ ، وَيَقْوَى شَأْنُهُ ، وَرَبَّمَا زَادَ فِيهِ ،
وَلَعَلَّ الَّذِي قَالَ فِي الذَّئْبِ مَا قَالَ ، هَذَا أَرَادَ .
وَلَا يَشْكُونُ أَنَّ الضَّبْعَ كَذَلِكَ .

(مرق لحم الحيوان)

قال : وليس يجمد^(٣) مرق لحم الحيوان السمين ، مثل الخنزير والغرس ،
وأما ما كان كثير الثرب^(٤) فرقته تجمد^(٥) ، مثل مرق لحم المعزى .

(١) المثل : أصله السبك والطبع . ط ، هـ : « ممطولة » وصوابها من س وما سبق في (٢ : ٢١٤ س ٢) .

(٢) سبق البيت في (٢ : ٢١٤) ، وسيعاد في هذا الجزء ص ١٨٠ ، ٢٨٢ .

(٣) يجمد ، بالجميم : أى يصير جامداً ، والمراد يجمد ما يكون فوقه من الإهالة ، أى الدم . وسيأتى مثل هذا المعنى بصورة أخرى في ص ٩٤ . وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط ، س « يجمل » وفي هـ : « يجمد » . وكتب في هامشة س : « خ يجمد خ تجمد » وكل أولئك محرف .

(٤) الثرب : شحم رقيق يفتى الكرش والأمعاء .

(٥) في الأصل : « تحمل » . وانظر التنبيه الثالث من هذه الصفحة .

(طباع الخنزير)

قال : والخنزير الذكر يقاتل في زمن الهيج ، فلا يدعُ خنزيراً إلا قتلَه ، ويدنو من الشجرة ويدلك جلدَه ، ثمَّ يذهب إلى الطين والحماة فيتلطخ به ، فإذا تساقط عاد فيه .

قال : وذكره الخنازير تطرد الذكور عن الإناث ، وربما قتل أحدهما صاحبه وربما هلكا جميعا ، وكذلك الثيران والكباشُ والثيروس في أقطيعها ، وهي قبل ذلك الزمان ^(١) متسالة .

(ما يعرض لبعض الحيوان عند الهيج)

والجمل في تلك الحالة ^(٢) لا يدعُ جملًا ولا إنساناً يدنو من هجمته ^(٣) .
والجمل خاصةً يكره قربَ الفرس ، ويقاتله أبداً .

ومثل هذا يعرض للذئبة والذئب . والأسد ليس ذلك من صفاتها ؛ لأنَّ بعضها لا يأوى إلى بعض ، بل ينفر دكلاً واحداً بلبؤته . وإذا كان للذئبة الأنثى جِراء ^(٤) مائة أخلاقها وصعبت ، وكذلك إناث الخيل والفيل : يسوء خلقها في ذلك الزمان ، والفيالون يحمونها التزو ؛ لأنها إذا نزت جهلت جهلاً شديداً ، واعتراها هيج لا يُقام له . وإذا كان ذلك الزمان أجادوا عيقله ، وأرسلوه في الفيلة الوحشية . فأما الخنزير والكلب فإنهما لا يجهلان على الناس ؛ لمكان الألفة .

تمت

(١) أي زمان الهيج .

(٢) ط ، هـ : « الحالات » .

(٣) الهجمة ، بالفتح : جماعة الإبل من الأربعين إلى المائة .

(٤) جراء : جمع جرو ، وهو ولدها . س : « جرى » ، مصغر جرو .

قال : وزعم بعضُ النَّاسِ أَنَّ إناثَ الخيلِ تمتلئُ ریحاً في زمانٍ هيئتها ،
فلا يباعدون الذُّكُورَ عنها ، وإذا اعتراها ذلك ركضت ركضاً شديداً ، ثمَّ
لا تأخذ غرباً ولا شرقاً ، بل تأخذ في الشَّمالِ والجنوبِ .

ويعرض مثل هذا العَرَضِ لإناث الخنازير . فإذا^(١) كان زمنُ هَبَاجِ
الخنَازير ، تطأطئُ رءوسها ، وتحرك أذنانها تحريكاً متتابعاً ، وتتغيرُ أصواتها
إذا طلبت السَّفاد . وإذا طلبت الخنزيرة السَّفادَ بالت بولاً متتابعاً .

(تناسل الخنازير)

قال : وإناث الخنازير تحمل أربعة أشهر . وأكثرُ ما تحمل عشرون
خِنوصاً^(٢) . وإذا وضعت أجراً كثيرة لم تقوَ على رِضاعها وتربيتها .
قال : وإناث الخنازير تحمل من نزوة واحدة ، وربما كان من أكثر .
وإذا طلبت الذَّكَرَ لم تنزع حتى تطاوع وتسامح ، وترخي أذنانها . فإذا فعلت
ذلك^(٣) تسكتُ بنزوة واحدة .

ويُعلَفُ الدُّكُرُ الشَّعِيرَ في أوان النَّزْوِ ، ويصلح للأُنثى .

(مدد الحمل للحيوان)

والخنزيرة تضع في أربعة أشهر ، والشاة في خمسة ، والمرأة والبقرة
في تسعة أشهر ، والحافر كله في سنة .

(١) س : « وإذا » .

(٢) الخنوص ، كمنور : ولد الخنزير .

(٣) س : « فعند ذلك » .

(خصائص الخنزير)

قال : ومتى قلعت العين الواحدة من الخنزير هلك . وكثير من الخنازير تبقى خمسة عشر عاما . والخنزير ينزو إذا تم له ثمانية أشهر ، والأنثى تريد الذكر إذا تمت لها ستة أشهر . وفي بعض البلدان ينزو إذا تم له أربعة أشهر ، والخنزيرة إذا تمت لها ستة أشهر ، ولكن أولادهما لا تبيض كما يريدون . وأجود الأنزوان يكون ذلك منه وهو ابن عشرة أشهر إلى ثلاث سنين . وإذا كانت الخنزيرة ^(١) بكرا ولدت جراء ضعافا ، وكذلك [البكر] من كل شيء .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ ثم ذكر [غير ^(٢)] الطيبات فقال : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ وَمَا أَهْلٌ لِيْغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ، وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ، ذَلِكَمْ فِسْقٌ ^(٣) ﴾ .

(١) ط : « الخنزيرة » بالضم .

(٢) ليست بالأصل : وبها يصح الكلام .

(٣) الدم : أى الدم المسفوح ، وكان أهل الجاهلية يصبونه فى الأمعاء ويشوونها . وانظر ص ٩٦ . وما أهل به لغير الله : أى مرفع الصوت لغير الله ، كقولهم : باسم اللات والعزى عند ذبحه . والموقوذة : المضروبة بنحو خشب ، أو حجر ، حتى تموت . والمتردية : التى تردت من علو أو فى بئر فانت . والنطيحة : التى نطحتها غيرها فانت . وما أكل السبع : أى ما أكل منه سباع الحيوان الصائد . والنصب : واحد الأنصاب ، وهى أحجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويتقربون بذلك . والاستقسام بالأزلام : ما كانوا يفعلونه من التماسر بالأقداح على الجزور .

ثُمَّ قَالَ : ﴿ هَلْ أَنْبَشُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَ وَالْحَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ^(١) أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ .

(استطراد لغوى)

وقوله تعالى : ﴿ طَيِّبَاتٍ ﴾ تحمل وجوهاً كثيرة ، يقولون : هذا ماء طيب ، يريدون العذوبة . وإذا قالوا للبرِّ والشَّعِيرِ والأرز طيب ، فإنما يريدون أنه وسط ، وأنه فوق البدون . ويقولون : فم طيب الريح ، وكذلك البرِّ ، يريدون أنه سليم من النتن ، ليس أن هناك ريحاً طيبة ولا ريحاً منتنة . ويقولون : حلال طيب ، وهذا لا يحل [لك ^(٢)] ، ولا يطيب لك ، وقد طاب لك : أى حل لك ، كقوله : ﴿ فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنَى وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ .

(١) عطف على : « من لعنه الله » أى « ومن عبد الطاغوت » . وقرئ : « عابد الطاغوت » ، و « عبد الطاغوت » نعت كفظن ويقظ ، و « عبدة الطاغوت » ، و « عبد الطاغوت » جمع كخدم . والطاغوت منصوبة فى قراءة حفص ، مجرورة فى القراءات الأربعة التى سدرتها . والمراد به الكهنة ، أو من أطاعوه فى معصية الله .

(٢) الزيادة من هـ ، س .

(٣) س : « أنكحوا » ، وهو وجه جائز فى الاستشهاد حيث يصح ترك الواو والفاء ونحوهما ، فى أول الاستشهاد ، وقد سبق مثله فى (٣ : ١٥) ، وسيأتى نظيره فى ٢٧٦ . وقد كتب إلى حضرة المحدث الكبير الأستاذ أحمد محمد شاكر ، أن الشافعى جرى على هذا النحو فى ثلاثة مواضع من « الرسالة » وهى : رقم ٦٤٣ قول الشافعى : « لقول الله : يحل لهم الطيبات » والتلاوة « ويحل » . ورقم ٩٧٤ قول الشافعى : « وقال : قاتلوا المشركين كافة » والتلاوة : « وقاتلوا » . ورقم ٩٧٥ قوله : « وقال : اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » والتلاوة : « فاقتلوا » .

قال طُوَيْسُ المَغْنِيُّ لبعض^(١) ولد عثمان بن عفان^(٢) : لقد شهدت
زفاف أمك المباركة إلى أبيك الطيب . يريد الطهارة . ولو قال : شهدت
زفاف أمك الطيبة إلى أبيك المبارك ، لم يحسن ذلك ؛ لأن قولك طيب إنما
يدل على قدر ما اتصل به من الكلام . وقد قال الشاعر^(٣) :

والطيبون معاقذ الأزر^(٤)

وقد يخلو الرجلُ بالمرأة فيقول : وجدتُها طيبة . يريد طيبة الكوم^(٥)
بالتذينة نفس الوطاء . وإذا قالوا : فلان طيب الخلق ، فإنما يريدون الظرفَ
والملح^(٦) .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَحَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَحْرٍ مَبْجُوجٍ
طَيْبَةً ﴾ ، يريد ريحاً ليست بالضعيفة ولا القوية .

(١) طويس هذا ، هو الذي يقال فيه : « أشأم من طويس » وذلك أنه — كما يقولون —
ولد يوم قبض الرسول ، وطمع يوم وفاة أبي بكر ، وخن يوم مقتل عمر ، وزوج
يوم مصرع عثمان ، وولد له ولد يوم قتل علي . وهو أول من تغنى بالمدينة غناء
يدخل في الإيقاع . وعمر حتى مات في ولاية الوليد بن عبد الملك .

(٢) هو سعيد بن عثمان بن عفان ، وكان سأل طويساً : أينما أسن ، أنا أر أنت
يا طويس ؟ فأجابه طويس بالجواب الآتي . انظر البيان (١ : ٢٦٣) . وأول
الجواب في البيان : « بأبي أنت وأمي ، لقد . . . » إلخ .

(٣) هو الحرنق بنت هفان ، من مريثة لها ترقى بها زوجها بشر بن عمرو بن مرثد
الضبي ، وابنها علقمة ، وأخويه حسان وشرحبيل ، ومن قتل منهم من قومهم .
الخرزاة (٢ : ٣٠٦ بولاق) .

(٤) صدر البيت :

* النازلين بكل معترك *

والأزر : جمع إزار ، وسكن الزاي لشر . وهو ما ستر النصف الأسفل من
الإنسان : والمعنى أنهم أعفاء . ط : « الأرز » ، صوابه في س ، هو .

(٥) الكوم ، بالفتح ، بمعنى الوطاء .

(٦) الملح ، بالكسر ، بمعنى الخلاصة .

ويقال : لا يحلُّ مال امرئٍ مسلمٍ إلا عن طيبِ نفسٍ منه . وقال الله ٢٠ عزَّ وجلَّ : ﴿ فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴾ وقال : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ ، وذلك إذ (١) كانت طيبة الهواء والفواكه ، خصيبة .

وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ثم قال : ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّغُونَ بِمَا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ .

وفي هذا دليلٌ على أن التأويلَ في امرأة نوحٍ وامرأة لوط ، عليهما السلام ، على غير ما ذهب إليه كثيرٌ من أصحاب التفسير : وذلك أنهم حين سمعوا قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا ﴾ فدلَّ ذلك على أنه لم يعنِ الخيانة في الفرج .

وقد يقع اسمُ الخيانة على ضروب : أولها المالُ ، ثم يشتقُّ من الخيانة في المال الغشُّ في النصيحة والمشاورة . وليس لأحدٍ أن يوجه الخبرَ إذا نزل في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وحرَّم الرُّسُلُ ، على أسمع الوجوه ، إذا كان للخبر مذهبٌ في السَّلامة ، أو في القُصُور على أدنى العيوب (٢) . وقد علمنا أن الخيانة لا تتخطى إلى الفرج حتَّى (٣) تبدى بالمسال . وقد

(١) في الأصل : « إذا » .

(٢) القصور ، بمعنى الانتهاء . وفي الأصل : « المقصود » ، وليس لها وجه .

(٣) ط ، هـ : « قد » .

يستقيم أن يكونا من المنافقين فيكون ذلك منهما خيانة عظيمة . ولا تكون
نساؤهم زواني ، فيلزمهم أسماء قبيحة . وقال الله عز وجل : ﴿ إِذَا دَخَلْتُمْ
بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ ﴾ وقال :
﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ وقال : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ
أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ
زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ وقال : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ
خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ و : ﴿ مَثَلُ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ وقال :
﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمُنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ
مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ فقلوه : طَيِّب ، يقع في مواضع كثيرة ، وقد فصلنا بعض
ذلك (١) في هذا الباب .

ثم رجع بنا القول إلى موضعنا من ذكر الخنزير

ثم قال : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيهَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا
أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا
أَهْلٌ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ فمن اضطر غير بياغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم .
٢١ ألا تراه قد ذكر أصناف ما حرم ولم يذكرها بأكثر من التحريم ، فلما
ذكر الخنزير قال : ﴿ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ﴾ ؟ ! فجعل الخنزير وإن كان غير ميتة
أو ذكر الذابح عليه اسم الله ، أنه رِجْسٌ (١) . ولا نعلم لهذا الوجه إلا الذي
خصه الله به من ذكر المسخ ، فأراد تعظيم شأن العقاب ونزول الغضب ، وكان
ذلك القول ليس مما يضر الخنزير ، وفيه الزجر عن محارمه ، والتخويف

(١) ط ، هـ : « بعضها » .

(٢) ط : « رجسا » موضع : « أنه رجس » .

من مواضع عذابه . و [إن قيل ^(١)] : ينبغي أن يكون مسخ صورة القرد ،
فهلّا ذكره في التحريم مع أصناف ما حرّم ، ثم خصّه أيضاً أنّه من بينها
رجس ، وهو يريد مذهبه وصفته ؟ قلنا : إنّ العرب لم تكن تأكل القروء ،
ولا تلتبس صيدها للأكل . وكلّ من تنصّر من ملوك الرّوم والحبيشة
والصّين ، وكلّ من تمجّس من ملك أو سوقة ، فإنّهم كانوا يرون اللحم
الخنزير ^(٢) فضيلة ، وأنّ لحومها ممّا تقوم إليه النفوس ، وتنازع إليه
الشّهوات . وكان في طباع الناس من التكره للحوم القردة ، والتقدّر ^(٣)
منها ما يغني عن ذكرها . فذكر الخنزير إذ كان بينهما هذا الفرق ، ولو
ذكر ذلك وألحق القرد بالخنزير لموضع التحريم ، لكان ذلك إنما كان على
وجه التوكيد لما جعله الله تعالى في طبائعهم من التكره والتقدّر ، ولا ^(٤)
غير ذلك .

وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ
الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شَحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ
مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ^(٥) ﴾ .

(١) زيادة يقتضيها الكلام . وجواب الاعتراض في السطر الثالث .

(٢) ط ، هـ : « لحم الخنزير » وصوابه في س .

(٣) خير منه : « التقزز » .

(٤) س : « لا » بحذف الواو .

(٥) الذين هادوا : اليهود . والمراد بالظفر المخلب والخافر أيضاً . والمراد بالشحوم
شحوم الثروب وشحوم الكلى . حملت ظهورهما : أي ما علق بظهورهما من الشحم .
والحوايا : الأمعاء ، واحدها حاوية . والشحم الذي اختلط بالعظم هو شحم الألية .
لاتصاله بالعصم . ط بعد : « . . . عليهم شحومهما » : كلمة « الآية » . وجاءت
« مرودة في س ، هـ إلى « وإنا لصادقون » .

(وجوه التحريم)

وقد أنبأك^(١) كما ترى عن التحريم أنه يكون من وجوه : فمنها ما يكون كالسكذب والظلم والغشيم^(٢) والغدر ؛ وهذه أمور لا تحل على وجه من الوجوه . ومنها ما يحرم في العقل من ذبح الإنسان الطفل . وجعل في العقول التبيين^(٣) بأن خالق الحيوان أو المالك له ، والقادر على تعويضه ، يقبح^(٤) ذلك في السماع على السنة رسله .

وهذا مما يحرم بعينه وبذاته ، لأنه^(٥) حرم لعله قد يجوز دفعها . والظلم نفسه هو الحرام ، ولم يحرم لعله غير نفسه .
وباب آخر ، هو ما جاء من طريق التعبد ، وما يعرف بالجملة ، ويعرف بالتفسير .

ومنه ما يكون عقاباً ، ويكون مع أنه عقاب امتحاناً واختباراً ، كنعو ما ذكر من قوله : ﴿ ذَلِكْ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ ﴾ وكنحو أصحاب البقرة الذين قيل لهم : اذبحوا بقرة ؛ فإنني أريد أن أضرب بها القليل ثم أحييها جميعاً . ولو اعترضوا من جميع البقر بقرة فذبحوها ، كانوا غير مخالفين ؛ فلما ذهبوا مذهب التلکؤ والتعلل^(٦) ، ثم التعرض ، والتعنت^(٧) في طريق التعنت ، صار ذلك سبب تغليظ الفرض^(٨) .

(١) كذا على الصواب في س ، هـ . وفي ط : « أنبأناك » .

(٢) الغشم : الظلم .

(٣) في الأصل : « التبيين » وانظر التنبيه ١ ص ٥١ .

(٤) س ، هـ : « أن يقبح » وكلمة « أن » مقحمة .

(٥) في الأصل : « وأنه » ، والوجه ما أثبت .

(٦) التلکؤ : الإبطاء والاعتلال . ط ، س : « التلکی » هـ : « التلظى »

صوابه ما أثبت . والتعلل : بمعنى التماس العلل . ط : « التعليل » ؛ صوابه ما أثبت من س ، هـ .

(٧) كذا . ولعلها : « التعلل » .

(٨) وذلك أنهم سألوا موسى أسئلة ثلاثة ، فكلما سألوا سؤالاً زاد عليهم التكليف = .

وقد قال الله عز وجل : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ ، وقال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ . ومثله : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا ﴾ ، يجوز أن يكون إنما يريدون صرف العذاب ، ويجوز أن يكون إنما يريدون تخفيف الفرائض . وقد يجوز أن يكون (١) على قول من قال : لا أستطيع النظر إلى فلان ، على معنى الاستئصال (٢) .

وباب آخر من التحريم ، وهو قوله : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلُ التَّوْرَةُ ﴾ (٣) .

(شعر في التحذير)

وقال مروان بن محمد (٤) :

يَمْشِي رَوِيْدًا يُرِيدُ خِتْلَكُمْ (٥) كَمَشَى خَنْزِيرَةً إِلَى عَذْرَةٍ (٦)

= انظر الآيات ٦٧ - ٧١ من سورة البقرة . ولو أنهم أطاعوا الأمر يابى بدء لما عرض لهم هذا التشديد .

(١) في الأصل : « يجوز إذا » وانظر ما سبق .

(٢) في الأصل : « الاستقبال » .

(٣) إسرائيل هو يعقوب عليه السلام . وكان حرم على نفسه بعض الطعام ، كلحوم الإبل والباها .

(٤) هو أبو الشمقم الذي سبقت ترجمته في (١ : ٢٢٥) .

(٥) كذا في ط . وفي س ، هـ : « خلعتكم » ، وصوابه « خلقتكم » كما سبق في (١ : ٢٣٩) .

(٦) ط : « غيرة » ، وتصحيحه من س ، هـ .

وقال آخر (١) :

نِعْمَ جَارُ الْخَزِيرَةِ الْمَرْضِيعُ الْغَرُّ ثَى إِذَا مَا غَدَا ، أَبُو كَلْثُومٍ (٢)
طَاوِيًا قَدْ أَصَابَ عِنْدَ صَدِيقٍ مِنْ ثَرِيدٍ مُلَبَّدٍ مَادُومٍ (٣)
ثُمَّ أَنْحَى بِجَعْرِهِ حَاجِبَ الشَّيْءِ سِرٌّ فَأَلْقَى كَالْمِغْلَفِ الْمَهْدُومِ
(جَرِيرٌ وَالْحَضْرَمِيُّ)

وقال أبو الحسن (٤) : وفد جريرٌ على هشامٍ ، فقال الحضرمي : أَيُّكُمْ
يَشْتُمُهُ ؟ فقالوا : مَا أَحَدٌ يَقْدِمُ عَلَيْهِ ! قال : فَأَنَا أَشْتُمُهُ وَيَرْضَى وَيَضْحَكُ !
قال : فقام إِلَيْهِ فقال : أَنْتَ جَرِيرٌ ؟ قال : نَعَمْ . قال : فَلَا قَرَبَ اللَّهِ دَارَكَ
وَلَا حَيًّا مَزَارَكَ ! يَا كَلْبُ ! فَجَعَلَ جَرِيرٌ يَنْتَفَخُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : رَضِيتَ فِي
شَرَفِكَ وَفَضْلِكَ وَعَفَاكَ أَنْ تَهَاجِيَ الْقَرْدَ الْعَاجِزَ (٥) ؟ ! يَعْنِي الْفَرَزْدَقُ . فَضَحَكَ .
فَحَدَّثَ صَدِيقٌ لِي أبا الصَّلْعِ السُّنْدِيِّ (٦) بِهَذَا الْحَدِيثِ ، قَالَ : فَشِعْرِي
أَعْجَبٌ مِنْ هَذَا ؛ لِأَنِّي شَتَمْتُ الْبُخْلَاءَ ، فَشَتَمْتُ نَفْسِي بِأَشَدِّ مِمَّا شَتَمْتَهُمْ .
فَقَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ قَوْلِي :

لَا تَرَى بَيْتَ هَجَاءٍ أَبْدَأُ يُسْمَعُ مِثِّي
الْهَجَا أَرْفَعُ يَمِّنْ قَدْرُهُ يَصْفَرُ عَنِّي (٧)

- (١) هو الحكم بن عبادل ، كما سبق في (١ : ٢٣٦) .
(٢) الْغَرُّ ، بِالنِّينِ : جَمْعُ غَرَّانٍ ، وَهُوَ الْجَائِعُ . هـ : « الْغَرُّ » صَوَابُهُ فِي ط ،
س وَالْبَيَان (٣ : ٣١١) .
(٣) فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ : « مِنْ ثَرِيدٍ مُلَبَّدٍ » . وَالْمَادُومُ : الْمَخْلُوطُ بِالْأَدَمِ بِالضَّمِّ ، وَهُوَ
مَا يَخْلُطُ بِهِ الْخَبْزُ .
(٤) هُوَ أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ الْأَنْخِبَارِيُّ الرَّائِيَّة .
(٥) ط : « الْفَاجِرُ الْعَاجِزُ » وَأَثْبَتَ مَا فِي س ، هـ .
(٦) ذَكَرَهُ ابْنُ النَّدِيمِ فِي الشُّعْرَاءِ الْمُقْلِينَ ١٦٤ لَيْسَك ٢٣٣ مِصْرَ ، وَذَكَرَهُ الْمَرْزُبَانِيُّ فِي الْمَعْجَمِ
٣١١ بِاسْمِ « أَبُو الصَّلْعِ » فِي حَرْفِ الضَّادِ الْمَعْجَمَةِ . هـ : « الْهَنْدِيُّ » .
(٧) س : « يَنْقُصُ عَنِّي » .

(طريفة)

قال أبو الحسن : كان واحدٌ يسخرُ بالنَّاسِ ، ويدَّعى أنَّه يرقى من
الضُّرس إذا ضربَ على صاحبه . فكان إذا أتاه مَنْ يشتكى ضرسه قال له
إذا رقاہ : إِيَّاكَ أَنْ تَذْكُرَ إذا صِرْتَ إلى فراشك القِرْدَ ؛ فَإِنَّكَ إِنْ ذَكَرْتَهُ
بَطَلَتِ الرُّقِيَّةُ ! فكان — إذا أَوَى إلى فراشه — أَوَّلَ شَيْءٍ يَخْطُرُ عَلَى بَالِهِ
ذِكْرُ الْقِرْدِ ، وَيَبِيتُ عَلَى حَالِهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَجَعِ ، فَيَخْدُو إِلَى الذِّى رَقَاه ٢٣
فَيَقُولُ لَهُ : كَيْفَ كُنْتَ الْبَارِحَةَ ؟ فَيَقُولُ : بَيْتٌ وَجِعًا ! فَيَقُولُ : لَعَلَّكَ
ذَكَرْتَ الْقِرْدَ ! فَيَقُولُ : نَعَمْ ! فَيَقُولُ : مِنْ ثَمَّ لَمْ تَنْتَفِعْ بِالرُّقِيَّةِ !

(شعر لبعض ظرفاء الكوفيين)

وقال بعضُ ظُرفاء الكوفيين :
فَإِنْ يَشْرَبُ أَبُو فَرْوُخَ أَشْرَبُ وَإِنْ كَانَتْ مَعْتَقَةً عُقَّارًا (١)
وَإِنْ يَأْكُلُ أَبُو فَرْوُخَ أَكْلُ وَإِنْ كَانَتْ خَنَانِيصًا صِغَارًا (٢)

(١) انظر للكلام على صرف «فروخ» اللسان (فرخ) حيث أنشد البيت الثانى برواية أخرى .
والعقار ، بالضم : الخمر ؛ لمعاقرتها ، أى ملازمتها الدن ، أو لعقرها شاربها
عن المشى .

(٢) الخنانيص : جمع خنوص ، كسنور ، وهو ولد الخنزير . والبيتان فى عيون الأخبار
(٣ : ١٦) . والثانى منهما فى اللسان (فرخ) .

(قرد يزيد بن معاوية)

وقال يزيد بن معاوية^(١) :

فَمَنْ مَبْلَغُ الْقِرْدِ الَّذِي سَبَقَتْ بِهِ جِيَادُ أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَتَانُ
تَعَلَّقَ أبا قَيْسٍ بِهَا إِنْ أَطَعَنِي فَلَيْسَ عَلَيْهَا إِنْ هَلَسَتْ ضَمَانُ^(٢)

(جزع بشار من شعر حماد)

وزعم الجرداني أن بشاراً الأعمى ، لم يجزع من هجاء قط كجزعه من
بيت حماد عجرد ، حيث يقول :

وَيَا أَقْبَحَ مِنْ قِرْدٍ إِذَا مَا عَمِيَ الْقِرْدُ

(١) س : « أبو يزيد بن معاوية » ، وصوابه ما أثبت من ط ، هـ وأمالى الزجاجي ٤٦
والمخصص (١٣ : ١٧٧) . ونهاية الأرب (٩ : ٣٣٧) وفي مروج الذهب (٣ :
٧٧) أن القائل بعض شعراء الشام ، وكذا في مباحج الفكر ١٢٢ . وللبيتين قصة طريفة
فقد ذكروا أن يزيد بن معاوية كان له قرد يلعب به ، فلامه الناس على اتخاذه ، فأمر
به فشد على أتان وحشية ، ثم أطلقت ، وأمر أن تطلبه الخيل ، فركض الخيل ، وتنادت
الفرسان في طلبه فنجوا ولم يدرك . وأنشد يزيد البيهقي الآتين (برواية أخرى) :
تَمْسُكُ أبا قَيْسٍ عَلَى أَرْحَبِيَّةٍ فَلَيْسَ عَلَيْنَا إِنْ هَلَسَتْ ضَمَانُ
فقلت من الشخص الذي سبقته به جياذ أمير المؤمنين أتان
قلت : ومعنى اللعب بالقرد هو السياق به . ويتضح ذلك من النص الآتي
عن نهاية الأرب : « وفي القرد من قبول التأديب والتعليم مالاخفاء به عن أحد ؛
حتى إنه درب قرد ليزيد بن معاوية على ركوب الحمير والمسابقة عليها » .
(٢) أبو قيس : كنية القرد ، كما في المخصص . بها : أي بالأتان .

(شعر في الهجاء)

وقال بُشَيْرُ بْنُ أَبِي جَذِيمَةَ الْعَبْسِيُّ^(١) :

أَتَخْطِرُ لِلْأَشْرَافِ حَذِيمُ كَبْرَةً وهل يَسْتَعِدُّ الْقِرْدُ لِلْخَطَرَانِ^(٢)
أَبِي قِصْرُ الْأَذْنَابِ أَنْ يَخْطِرُوا بِهَا وَلَوْ لَمْ قُرُودٍ وَمَسَطَ كُلُّ مَكَانٍ
لَقَدْ سَمِنَتْ قِرْدَانُكُمْ آلَ حَذِيمٍ وَأَحْسَابُكُمْ فِي الْحَيِّ غَيْرُ سِمَانٍ^(٣)

الْأَصْمَعِيُّ^(٤) عَنْ أَبِي الْأَشْهَبِ^(٥) عَنْ أَبِي السَّلِيلِ قَالَ : مَا أَبَالِي أَخْزِيرًا
رَأَيْتُ يُجَرُّ بِرَجْلِهِ^(٦) ، أَوْ مِثْلُ^(٧) عَيْدٍ يَنَادِي : يَا لَقَلَانِ !

(١) هو بشير ، بهيئة التصغير ، ابن أبي جزيمة بن الحكم بن مروان بن زنباع بن جزيمة العبسي ، ذكره الأملد في المؤلف والمختلف ٦١ . وروى له أبو تمام الأبيات الآتية في حماسته (٢ : ١٨٢) . وفي الأصل : « بشر بن الهندي » ، وهو تحريف غير صالح .

(٢) تخطر : من خطر البعير : ضرب بدنه يمينا وشمالا . والكبرة ، بالكسر : العظمة ، أو التجبر . يقول لقييل حذيم : أتحدثون أنفسكم بمباراة الأشراف ؟ ! وجعلهم قُرودا لحسنتهم . والقرد لا ذنب له يخطر به . ورواية الخامسة : « أخطر للأشراف يا قرد حذيم .

(٣) سئل أبو الندى عن معنى هذا البيت فقال : كنى بالقردان هنا عن القمل . أى سميت أجسامكم وعظمت ، ودقت أحسابكم ولؤمت . وأصل القردان ، بالكسر : جمع قراد بالضم ، وهو دويبة تلزم الإبل ومعاطنها . ورواه أبو تمام : « قعدانكم » جمع قعود ، وهو الذكر الشاب من الإبل . جعل قعدانهم مميئة لأنهم يؤثرونها بالبن على الضيف والجار ، فأحسابهم غير سمان . وقد رد أبو محمد الأعرابي رواية أبي تمام ، التبريزي (٤ : ٩) .

(٤) ط : « وقال الأصمعي » ، صوابه ما أثبت من س ، هـ .

(٥) س : « ابن الأشهب » .

(٦) س : « برجله » .

(٧) س : « قتيل » .

(استطراد لغوى)

الأصمعيُّ عن أبي ظبيان^(١) قال : الخُوز^(٢) هم البُناة^(٣) الذين بنوا الصرح^(٤) واسمهم مشتقٌّ من الخنزير . ذهب إلى اسمه بالفارسية [خوك^(٥)] ، فجعلت العرب خوك^(٦) خوزاً^(٧) . إلى هذا ذهب .

(تناسل المسخ)

و [قد] قال النَّاسُ في المِسْخِ بأقاويلَ مختلفة : فمنهم من زعم أنَّ المِسْخَ لا يتناسل ولا يبقى إلَّا بقدر ما يكون موعظةً وعبرةً ، فقطعوا على ذلك^(٨) الشهادة . ومنهم من زعم أنَّه يبقى ويتناسل ، حتى جعل الضُّبُّ والجُرِّيُّ^(٩) ، والأرانب ، والكلاب وغير ذلك ، من أولاد تلك الأمم التي مُسِخت في هذه الصُّور . وكذلك قولهم في الحيات . وقالوا في الوزغ : إن أباه^(١٠) ، لما صنع في نار إبراهيم وبیت المقدس ماصنع^(١١) ، أسَمَّه الله وأبرصه ، فقيل : « سام أبرص » . فهذا الذي

-
- (١) لم أذكر له على تعريف .
 (٢) هذه الكلمة ساقطة من س . وبدلها في ط : « الخزر » صوابه ما أثبت من هـ ومن معجم البلدان . والخوز بالضم : أهل خوزستان .
 (٣) البناة ، بالضم : جمع بان . وبدله في المعجم : « الفعلة » . ط ، هـ : « البنات » محرفة .
 (٤) الصرح ، بالفتح : بناء عظيم قرب بابل ، يقال إنه قصر يختصر . عن المعجم .
 (٥) في الأصل ، وهو هنا س : « هزر » وتصحيحه من معجمي استينجاس وريتشاردسن ، والمعارف لابن قتيبة ص ٢٧٠ . وانظر معجم البلدان (خوز) .
 (٦) في الأصل : « خزر » وصوابه ما أثبت . انظر التنبيه السابق .
 (٧) في الأصل : « خنزيرا » . والوجه ما كتبت .
 (٨) ط ، هـ : « تلك » . والشهادة معمول قطعوا .
 (٩) الجرى : ضرب من السمك . زعم أصحاب الخرافة أنه كان أمة من الأمم مسخها الله انظر الحيوان (١ : ٢٩٧ س ٥) .
 (١٠) س ، هـ : « أباهم » . وقد يستعمل ضمير العاقلين لغيرهم . وقد علقه الثعالبي في سر العربية فصلاً لذلك ، عنوانه : (فصل في إجراء غير بني آدم مجراهم في الإخبار عنه) .
 (١١) في سنن ابن ماجه ، عن عائشة رضى الله عنها ، أنه كان في بيتها رُمح موضوع ، فقيل =

نرى^(١) هو من ولده ؛ حتى صار في قتله الأجر العظيم ، ليس على أن الذي يقتله كالذي يقتل الأسد والذئب ، إذا خافها على المسلمين .

وقالوا في سهيل^(٢) ، وفي الزهرة^(٣) ، وفي هاروت وماروت^(٤) ، وفي قيرى وعيرى أبوى ذى القرنين^(٥) ، وجُرهم^(٦) ، ما قالوا .

= لها : ما تصنعين بهذا ؟ فقالت : أقتل به الوزغ فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما ألقى في النار لم يكن في الأرض دابة إلا أطفأت عنه ، غير الوزغ فإنه كان ينفخ عليه النار ، فأمر صلى الله عليه وسلم بقتله . وكذا رواه الإمام أحمد في مسنده . وكذا روى أنه لما أحرق بيت المقدس كانت الأوزاغ تنفخه . الدميرى .

(١) س : « يرى » .

(٢) سهيل ، ذاك النجم . زعموا أنه كان عشاراً باليمن . الحيوان (١ : ٢٩٧) وتأويل مختلف الحديث ١٠ . وما يشبه هذه الخرافة مازعموا أن ذئباً دخل الجنة لأنه أكل عشاراً .

(٣) الزهرة : ذاك الكوكب . زعموا أنها كانت بغيا عرجت إلى السماء باسم الله الأعظم فسخها الله شهاباً . تأويل مختلف الحديث ١٠ .

(٤) زعم العوام ، متبعين حكاية اليهود ، أنهما ملكان مثلاً بشرين ، وركب فيهما الشهوة ، فتمرضيا لامرأة يقال لها الزهرة ، فحملتهما على المعاصي والشرك ، ثم صعدت إلى السماء بما تعلمت منهما من السحر — انظر التنبيه السابق وتفسير البيضاوى — وقال الجاحظ في شأنهما : « وكان الملك من الملائكة إذا عصى ربه في السماء ، أهبطه إلى الأرض في صورة رجل وفي طبيعته ، كما صنع بهاروت وماروت ، حين كان من شأنهما وشأن الزهرة — وهى أناهيد — ما كان » . انظر الحيوان (١ : ١٨٧ س ٤) . والمذهب القرائى فيها أنهما ملكان أنزلا لتعليم السحر ، ابتلاء من الله للناس ، وتمييزاً بين السحر والمعجزة ، وكانا يقولان لمن يعلمانه : « إنما نحن فتنة فلا تكفر » ، أى نحن نعلم للعلم لا للعمل ؛ فلم السحر لا بأس به ، وأما العمل به فمحظور ممنوع .

(٥) وكذا جاء بالبلاء الموحدة في فقه اللغة بدون اختلاف في النسخ ، وثمار القلوب ٢٢٦ وكذا في الجزء الأول من نسخة كوبريل . راجع هذه الطبعة (١ : ١٨٨) . وفي رسائل الجاحظ ٩٧ ساسى : « قيرى وعيرى » بالمشناة التحتية . وفي ط : « قزى وعيرى » و هـ : « قزى وعزى » و س (قيرى — مهيلة — وعيرى) أما أولها فزعموا أنها أم ذى القرنين ، وأنها كانت آدمية ، وأما الآخر فهو أبو ذى القرنين ، وكان من الملائكة فيما زعموا . انظر الحيوان (١ : ١٨٨) وثمار القلوب . جاء في الأصل بعنه : « وفي أبوى » . وكلمة : « فى » مقحمة كما ظهر لك . وجاء في ط ، هـ : « ذوى القرنين » تحريف صوابه في س .

(٦) جرهم هذا هو ابن يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام ، فيما يرى نساب =

(القول في المسخ)

٢٤ فأما القول في نفس المسخ فإن الناس اختلفوا في ذلك : فأما الدهريّة فهم في ذلك صنفان : فمنهم من جحد المسخ وأقرّ بالخسف ^(١) والريّح والطوفان ، وجعل الخسف كالزلازل ، وزعم أنّه يقرب من القذف بما كان من البرد الكبير ^(٢) ؛ فأما الحجارة فإنّها لا تجيء من جهة السماء . وقال : لست أجوز إلّا ما اجتمعت عليه الأئمة أنّه قد يحدث في العالم . فأنكر المسخ البتّة .

(أثر البيئة)

وقال الصنف الآخر : لا ننكر أن يفسد الهواء في ناحية من النواحي فيفسد ماؤهم ^(٣) وتفسد تربتهم ، فيعمل ذلك في طباعهم ^(٤) على الأيام ،

= العرب . قالوا : ولما ترك إبراهيم ولده إسماعيل وأمه بمكة ، جاءت رفقة من جرهم فنزلوا شعاب مكة ، فنشأ إسماعيل مع أولادهم وتعلم الرمي ونطق بلسانهم ثم خطب إليهم فزوجوه امرأة منهم ، قال ابن إسحاق : هي بنت مضاخ بن عمرو الجرهمي . والزعم الذي أشار إليه الجاحظ هو قولهم : إن بعض الملائكة عصي الله فأهبط إلى الأرض في صورة رجل تزوج أم جرهم فولدت له جرهما . انظر الحيوان (١) : ١٨٧ س ٧) . والعرب يسمون ما تولد بين الملك والادى — في زعمهم — . « العلبان » بالعين . فقه اللغة ٨٢ الحلبي .

(١) يقال خسف الله به الأرض : جعلها تسوخ به . قال تعالى في شأن قارون : « فخسفنا به وبداره الأرض » .

(٢) أي أنه يجوز عنده أن تقذف السماء على الناس برداً كبيراً . فأما سقوط الحجارة من السماء للتعذيب فهو ينكره . والانتقام بمطر الحجارة جاء في القرآن الكريم على أنه عقاب لقوم لوط : « فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود » . هود ٨٢ . « فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل » . الحجر ٧٤ . « لنرسل عليهم حجارة من طين » . الذريات ٣٣ . في الأصل : « أنه يقرب من القذف » ، وصوابه ما أثبت .

(٣) ط ، هـ : « ماؤهم » ، صوابه في س .

(٤) س : « طبائعهم » .

كما عمل ذلك في طباع الزنج ، وطباع الصقالبة^(١) ، وطباع بلاد ياجوج ومأجوج^(٢) . وقد رأينا العرب وكانوا أعراباً حين نزلوا خراسان ، كيف انسلخوا من جميع تلك المعاني ، وترى طباع بلاد الترك كيف تطبع الإبل والدواب وجميع ماشيتهم : من سبع وبهيمة ، على طبائعهم . وترى جراد البقول والرياحين وديدانها خضراً ، وتراها^(٣) في غير الخضرة على غير ذلك . وترى القملة في رأس الشاب الأسود الشعر سوداء ، وتراها في رأس الشيخ الأبيض الشعر بيضاء ، وتراها في رأس الأشمط شمطاء ، وفي لون الجملي الأوراق^(٤) . فإذا كانت في رأس الخضيب بالحمرة تراها حمراء . فإن نصل خضابه صار فيها شكلة من بين بيض وحمر .

وقد نرى حرة بني سليم^(٥) ، وما اشتملت عليه من إنسان وسبع ، وبهيمة وطيئر ، وحشرة فتراها كلها سوداء .

-
- (١) الصقالبة : جنس يسكن بين بلاد بلغار وقسطنطينية . معجم البلدان . وقد بين خصائصهم المسعودي في التنبيه والإشراف ٢٢ .
- (٢) جنس من الآسيويين ، بنى من أجلهم سد الصين الذي بناه الإسكندر ، وبين المسعودي طباعهم بأنهم في عداد البهائم .
- (٣) ط ، هـ : « أو تراها » س : « وتراها » .
- (٤) الشمط محرقة : بياض الرأس يخالط سواده ، ويستعمل أيضاً في غير الرأس . وكلمة « شمطاء » والواو بعدها ليستا في س ، هـ . وفي التنبيه والإشراف ص ٢٧ حيث تجد مثل هذا الكلام : « شهباء » . والشبهة نحو الشمط . والأوراق من الإبل : ما في لونه بياض إلى سواد . وانظر رسائل الجاحظ (٢ : ٢١٩ - ٢٢٠) .
- (٥) الشكلة ، بالضم : اختلاط البياض بالحمرة . وفي الأصل : « شكله » محرف .
- (٦) الحرة ، بالفتح : أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار . وسليم ، هو بهيئة التصغير — ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان ، وهذه الحرة في عالية نجد . وانظر الكلام بتفصيل فيما اشتملت عليه هذه الحرة ، في رسائل الجاحظ ٢٨ ساسي وثمار القلوب ٩٦ .

وقد خبرتنا من لا يُحصى من الناس أنهم قد أدركوا رجالاً من نبط بيسان^(١) ، ولهم أذنابٌ إلا تكن كأذناب التماسيح والأسد والبقر والحيل وإلا كأذناب السلاحف والجُرذان ، فقد كان لهم عُجُوبٌ^(٢) طِوالٌ كالأذناب .

وربما رأينا الملاح النبطي في بعض الجعفریات^(٣) على وجهه شبه القِرْد . وربما رأينا الرَّجلَ من المغرب فلا نجد بينه وبين المسخ ، إلا القليل .

وقد يجوز أن يصادف ذلك الهواء الفاسد ، والماء الخبيث ، والتربة الرديئة ، ناساً في صفة هؤلاء المغريين^(٤) والأنباط ، ويكونون جهّالاً ، فلا^(٥) يرتحلون ، ضنّانة^(٦) بمساكنهم وأوطانهم ، ولا ينتقلون . فإذا طال ذلك عليهم زاد في تلك الشعور ، وفي تلك الأذناب ، وفي تلك الألوان الشُّقر ، وفي تلك الصُّور المناسبة للقروء .

قالوا : ولم نعرف ، ولم يثبت عندنا بالخبر الذي لا يعارض ، أن الموضع الذي قلب صور قوم إلى صور الخنازير ، هو الموضع الذي نقل صور قوم إلى صور القروء . وقد يجوز أن تكون هذه الصور انقلبت في مهبّ الريح الشمالى ، والأخرى

(١) بيسان ، هذه قرية من قرى الموصل . وانظر الخبر في معجم ما استعجم ١٢٨٣ في رسم (بيسان) بالميم .

(٢) العجوب : جمع عجب ، بالفتح ، وهو أصل اللذنب .

(٣) كذا . والمعروف « الجعفر » . وهو النهر الصغير ، أو الكبير ، أو الملائن ، أو فوق الجدول .

(٤) ط ، هـ : « المشوهين » . وأثبت ما في س .

(٥) ب : « ولا » .

(٦) الضنّانة بالفتح : مصدر ضن يضمن ، بالفتح والكسر : يخل .

في مهبّ الجنوب^(١) . ويجوز أن يكون ذلك كان في دهرٍ واحد ؛ ويجوز ٢٥
أن يكون بينهما دهرٌ ودهور .

قالوا : فلسنا ننكر المسخ إن كان على هذا الترتيب ؛ لأنه إن كان على
مجرى الطبائع ، وماتدور به الأدوار ، فليس ذلك بناقضٍ لقولنا ، ولا مثبتٍ
لقولكم .

قال أبو إسحاق^(٢) : الذي قلتم ليس بمُحالٍ ، ولا يُنكر أن يحدث
في العالم برهاناتٌ ، وذلك المسخ كان على مجرى ما أعطوا من سائر الأعاجيب ،
والدلائل والآيات . ونحن إنما عرفنا ذلك من قبلهم . ولولا ذلك لكان الذي
قلتم غير ممتنع . ولو كان ذلك المسخ في هذا الموضع على ما ذكرتم ،
ثمّ خبر بذلك نبيٌّ ، أو دعا به نبيٌّ ، لكان ذلك أعظم الحجة .

فأما أبو بكر الأصم^(٣) ، وهشام بن الحكم^(٤) ، فإنهما [كانا^(٥)]
يقولان بالقلب ، ويقولان : إنه إذا جاز أن يقلب الله خردةً من غير أن
يزيد فيها جسماً وطولاً^(٦) [أو عرضاً^(٧)] جاز أن يقلب ابن آدم قرداً من غير
أن ينقص من جسمه طولاً أو عرضاً^(٨) .

(١) انظر لتوضيح هذا الكلام ما سبق في (٣ : ١٧٢ - ١٧٣) . وانظر أيضاً
الإمتاع والمؤانسة (١ : ١٦٩) .

(٢) هو النظام .

(٣) اسمه عبد الرحمن بن كيسان ، كان من أئمة المعتزلة ؛ ذكره عبد الجبار الهمداني في
طبقات المعتزلة وقال : كان من أفصح الناس وأورعهم وأفقههم ، وله تفسير
عجيب . قال ابن حجر : وهو من طبقة أبي الهذيل العلاف وأقدم منه . لسان الميزان
(٣ : ٤٢٧) .

(٤) سبقت ترجمته في (٣ : ١١) .

(٥) هـ : « فكانا » .

(٦) س : « طولاً » بحذف الواو .

(٧) الزيادة من س ، هـ .

(٨) كذا في ط . وفي س : « منه طولاً جسماً أو عرضاً » هـ : « من جسم طولاً أو عرضاً » .

وأما أبو إسحاق فقد كان - لولا ما صحَّ عنده من قول الأنبياء وإجماع المسلمين على أنه ^(١) قد كان ، وأذنه قد كان حُجَّةً وبرهاناً في وقته - لسكان لا ينكر مذهبهم في هذا الموضع .

وقوله هذا قولُ جميع من قال بالطَّبائع ولم يذهب مذهب جهم ^(٢) ، وحفص الفرد ^(٣) .

وقال ابن العنسي ^(٤) يذكر القرد :

فَهَلَّا غَدَاةَ الرَّمْلِ يَا قِرْدَ حَذِيمٍ تَوَامِرُهَا فِي نَفْسِهَا تَسْتَشِيرُهَا

(القول في تحريم الخنزير)

قال : وسأل سائلون ^(٥) في تحريم الخنزير عن مسألة ؛ فمنهم من أراد الطَّعن ، ومنهم من أراد الاستفهام ، ومنهم من أحب أن يعرف ذلك من جهة الفتيا ؛ إذ ^(٦) كان قوله خلاف قولنا .

قالوا : إِنَّمَا قَالَ اللَّهُ : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ ﴾ فذكر اللحم دون الشحم ، ودون الرأس ، ودون المخ ، ودون العصب ،

(١) أي القلب والمسخ .

(٢) هو جهم بن صفوان السمرقندي ، رأس الجهمية . وكان يتولى القضاء في عسكر الحارث بن شريح ، الخارج على أمراء خراسان ؛ فقبض عليه نصر بن سيار فقتله .

(٣) الفرد ، بفتح الفاء ، لقب له . وفي الأصل : « القردى » ، وفي لسان الميزان ٢ : ٣٣٠ وكذا الفرق بين الفرق ٢٠٢ : « القرد » وصوابه ما أثبت من القاموس وفهرست ابن النديم في غير ما موضع . قال ابن النديم : « من الحيرة ومن أكابرهم . . . وكان من أهل مصر ثم قدم البصرة ، فسمع بأبي الهذيل واجتمع معه فناظره ، فقطعه أبو الهذيل » .

(٤) كذا في س . وفي ط ، هـ : « ابن العيسى » بالياء بعد العين .

(٥) في الأصل : « سائل » والوجه الجمع ، كما يتطلب التفريع الآتي .

(٦) في الأصل : « إذا » .

ودون سائر أجزائه ؛ ولم يذكره كما ذكر الميتة بأسرها ، وكذلك ^(١) الدَّم ؛ لأنَّ القول وقع على جملتهما ، فاشتمل على جميع خصائصهما بلفظ واحد ، وهو العموم . وليس ذلك في الخنزير ؛ لأنَّه ذكر اللحم من بين جميع أجزائه وليس بين ذكر اللحم والعظم فرق ، ولا بين اللحم والشحم فرق . وقد كان ينبغي في قياسكم هذا لو قال : حرَّمت عليكم الميتة والدَّم وشحم الخنزير ، أن تحرِّموا الشحم ، وإنَّما ذكر ^(٢) اللحم ، فلم تحرِّموا الشحم ؛ وما بالكم تحرِّمون الشحم عند ذكر غير الشحم ! فهلاً حرَّمت اللحم بالكتاب ، وحرَّمت ما سواه بالخبر الذي لا يدفع ! ؟ فإن بقيت خصلة أو خصلتان ممَّا لم تُصيِّبوا ذكره في كتابٍ منزَّل ، وفي أثرٍ لا يدفع ، ٢٦ رددتموه إلى جهة العقل .

قلنا : إنَّ للناس عاداتٍ ، وكلاماً ^(٣) يعرف كلُّ شيء بموضعه ، وإنَّما ذلك على قدر استعمالهم له وانتفاعهم به .

وقد يقول الرجل لو كيله . اشترى بهذا الدينار لحماً ، أو بهذه الدراهم ، فيأتيه باللحم فيه الشحم والعظم ، والعرق والعصب والغضروف ، والفؤاد والطحال ، والرئة ، وبعض أسقاط الشاة وحشو البطن . والرأس لحم ، والسَّمك أيضاً لحم . وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَيْتَا تَكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ . فإن كان الرَّسول ذهب إلى المستعمل من ذلك ، وترك بعض ما يقع عليه اسم لحم فقد أخذ بما عليه صاحبه . فإذا قال حرمت عليكم لحماً فكأنه قال : لحم الشاة والبقرة

(١) في الأصل : « فكذلك » .

(٢) س : « حرم » .

(٣) ط : « وكل ما » هـ : « وكلاماً ما » ، وأثبت الصواب من س .

والجزور . ولو أن رجلاً قال : أكلت لحماً - وإنما أكل رأساً أو كبداً أو سمكاً - لم يكن كاذباً . وللناس أن يضعوا كلامهم حيث أحبوا ، إذا كان لهم مجازٌ؛ إلا في المعاملات .

فإن قلت : فما تقول في الجلد ؟ فليس للخنزير جلد ، كما أنه ليس للإنسان جلدٌ إلا بقطع ما ظهر لك منه بما تحته ، وإنما الجلد ما يُسلخُ ويُدَحَسُ^(١) فيتبرأ مما كان به ملتزقاً^(٢) ولم يكن ملتحمًا ، كفرق ما بين جلد الحوصلة والعرقين^(٣) .

فإن سألت عن الشعر ، وعن جلد المنخنيقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع^(٤) ، فإني أزعم أن جلده لا يدبغ ولا ينتفع به إلا الأساكفة ، والقول في ذلك أنه كله محرّم . وإنما ذلك كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرُهُ ﴾ ، وكقوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ .

والعربُ تقول للرجل الصانع نجاراً ، وإن كان لا يعمل بالمشقَب والمنشار ونحوه ولا يضرب بالمضلع ونحو ذلك . وتسميه خبازاً إذا كان يطبخ ويعجن . وتسمى العير لطيمة^(٥) ، وإن لم يكن فيها ما يحمل العطر إلا واحد . وتقول : هذه ظعنُ فلانٍ ؛ للهوادج إذا كانت فيها امرأة واحدة ؛ ويقال : هؤلاء بنو فلان ؛ وإن كانت نساؤهم أكثر من الرجال .

(١) دحس الرجل الشاة : أدخل يده بين جلدها وصفاتها للسلخ .

(٢) هـ : « ملتصقا » ، وهماسيان .

(٣) هـ : « والعرفين » ، محرف .

(٤) سبق تفسير هذه الكلمات في ص ٥٦ .

(٥) العير ، بالـكسر : القافلة . أو الإبل تحمل الميرة ، لا واحد لها من لفظها :

والطيمة : العير تحمل المسك والعطر .

فلما كان اللحم هو العمود الذى إليه يُقصد ، وصار فى أعظم الأجزاء
 قدراً ، دخل سائر تلك الأجزاء فى اسمه . ولو كان الشحم معتزلاً من اللحم
 ومفرداً فى جميع الشحام ، كشحوم الكلى^(١) والثروب ، لم يجز ذلك .
 وإذا تكلمت على المفردات لم يكن المخ لحماً ، ولا الدماغ ، ولا العظم ،
 ولا الشحم ، ولا الغضروف ، ولا الكروش ، ولا ما أشبه ذلك . فلما قال :
 ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ ﴾ ، وكانت هذه الأشياء
 المشبهة باللحم تدخل فى باب العموم فى اسم اللحم ، كان القول واقعاً ٢٧
 على الجميع .

وقال الشاعر :

مَنْ يَأْتِنَا صُبْحاً يُرِيدُ غَدَاءَنَا فَالْهَامُ مُنْضَجَةٌ لَدَى الشَّحَامِ^(٢)
 لَحْمٌ نَضِيجٌ لَا يُعْنَى طَابِخًا يُؤْتَى بِهِ مِنْ قَبْلِ كُلِّ طَعَامٍ^(٣)

(مسألة الهدهد)

وإذ قد ذكرنا بعض الكلام ، والمسائل فى بعض الكلام ، فسندكر
 شأن الهدهد والمسألة فى ذلك . قال الله عز وجل : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ
 لَا أَرَى الْهَدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ . لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ
 أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ^(٤) ﴾ ، ثم قال : ﴿ فَسَكَتَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾
 يعنى الهدهد . فقال سليمان المتوعد له بالذبح عقوبة له - والعقوبة لا تكون

(١) فى الأصل : « الكلا » وصواب كتابتها بالياء ، وهى جمع كلىة ، بالضم .

(٢) الغداء ، بفتح الغين بعدها دال مهملة : طعام الغدوة ، بالضم ، وهى أول النهار .

والهام : الردوس ، واحدها هامة . والشحام : مطعم الشحم .

(٣) لا يعنى ، بالنون ، من العناء . وفى هـ ، س : « لا يعنى » بالياء .

(٤) فى الأصل : « أولا يأتينى » .

إلا على المعصية لبشرى آذى لم تكن عقوبته الذبح ، فدل ذلك على أن المعصية إنما كانت له ، ولا تكون المعصية لله إلا ممن يعرف الله ، أو ممن كان يمكنه أن يعرف الله تعالى فترك ما يجب عليه من المعرفة - وفي قوله لسليمان : ﴿ أَحْطَتْ بِمَا لَمْ تَحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ . إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ . ثم قال بعد أن عرف فصل (١) ما بين الملوك والسوقة ، وما بين النساء والرجال ، وعرف عظيم (٢) عرشها ، وكثرة ما أوتيت (٣) في ملكها ، قال : ﴿ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ ، فعرف (٤) السجود للشمس وأنكر المعاصي . ثم قال : ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ (٥) ، ويتعجب من سجودهم لغير الله . ثم علم أن الله يعلم غيب السموات والأرض ، ويعلم السر والعلانية . ثم قال : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ، وهذا يدل على أنه أعلم من ناس كثير من المميزين المستدلين الناظرين .

قال سليمان : ﴿ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ثم قال : ﴿ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ . قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ . إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ

(١) في الأصل : « فضل » بالضاد المعجمة ، وإنما هو بالصاد المهملة ، بمعنى الفرق .

(٢) في ط : « عظيم » . والوجه ما أثبت من ه ، س .

(٣) س : « أعطيت » .

(٤) أي الهدم .

(٥) قرأ حفص وعلى والكسائي بالتاء الفوقية على الخطاب ، والباقون بالتحية على الغيب غيث النفع ٢٤٥ وابن القاصح ٣٠١ .

وَلِئِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَى وَاتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿١﴾ فَلَمَّا
جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتُمِيدُونَنِي ^(١) بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ
بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٢﴾ وَذَلِكَ أَنَّهَا قَالَتْ : ﴿٣﴾ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً
أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ . وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ
بِهَدْيَةٍ فَنَاطِرَةٌ بِمِ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٤﴾ ، [ثُمَّ ^(٢)] قَالَ سُلَيْمَانُ لِلْهَدَّادِ :
﴿٥﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً
وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٦﴾] وَ قَالَ : ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ أَيْكُمْ يَأْتِيَنِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ
أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ . قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ
مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ . قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ
أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ
هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَلَا يُضَاعِفْ لِيُشْكِرْ
لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٨﴾ . فطعن في جميع ذلك طاعنون ،
فقال بعضهم : قد ثبت أن الهدد يحتمل العقاب والعتاب ، والتكليف
والثواب ، والولاية ^(٣) ، ودخول الجنة بالطاعة ، ودخول النار بالمعصية ،
لأن المعرفة تُوجب الأمر والنهي ، والأمر والنهي يوجبان الطاعة
والمعصية ، والطاعة والمعصية يوجبان الولاية والعداوة ، فينبغي للهداد أن
يكون فيها العدو والولي ، والكافر والمسلم ، والزنديق والدهري ^(٤) . وإذا

(١) قرأ نافع والبصري بإثبات ياء بعد النون الثانية وصلا لا وقفا ، والمكي وحزة بإثباتها
وصلا ووقفا ؛ إلا أن حمزة يلغم النون الأولى في الثانية . والباقون بحذفها وصلا
ووقفا . غيث النفع ٢٤٥ .

(٢) الزيادة من س ، ه .

(٣) الولاية ، بالفتح وتكسر : مقابل العداوة .

(٤) الدهري ، بفتح الدال : الذي يقول بقدوم الدهر ، ولا يؤمن بالبعث . وهناك الدهري =

كان حُكْمُ الجنس حُكْمًا واحدًا لزم^(١) الجميع ذلك . وإن كان الهدهد لا يبلغ عند جميع الناس في المعرفة مبلغ الذرة ، والنملة ، والقملة ، والفيل ، والقرد ، والخنزير ، والحمام — وجميع هذه الأمم — تُقدِّمها عليه في المعرفة — فينبغي أن تكون هذه الأصناف المتقدمة عليه ، في عقول هذه الأمة والأنبياء . وقد رأينا العلماء يتعجبون من خرافات العرب والأعراب في الجاهلية ومن قولهم في الديك والغراب^(٢) ، ويتعجبون من الرواية في طوق الحمام ؛ فإن الحمام كان رائد نوح على نبينا وعليه السلام^(٣) .

وهذا القول الذي تؤمنون به في الهدهد ، من هذا النوع^(٤) .

قلنا : إن الله تعالى لم يقل : وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى هِدْهَدًا من عرض الهداهد^(٥) ، فلم يوقع قوله على الهداهد بجملة ، ولا على واحد منها غير مقصود إليه ، ولم يذهب إلى الجنس عامة ، وَلَكِنَّهُ قَالَ : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدَّهْدَ ﴾ فأدخل في الاسم الألف واللام . فجعله معرفة فدلَّ بذلك القصد على أنه ذلك الهدهد بعينه . وكذلك غراب^(٦) نوح ، [وكذلك] حمار عذير ، وكذلك ذئب أهبان بن أوس^(٧) ؛ فقد كان لله فيه وفيها تدبير ، وليجعل ذلك آيةً لأنبيائه ، وبرهاناً لرسله .

= بضم الدال ، وهر الرجل المسن منسوب إلى الدهر أيضاً ، فخالفوا بينهما ، رفعا للالتباس . شرح الشافية ٨٩ . وفي القاموس : « الدهرى ويضم : القائل ببقاء الدهر » .

(١) ط : « ألزم » .

(٢) انظر ص ٣١٨ من الجزء الثاني ، و ص ٤١٠ من الجزء الثالث .

(٣) انظر ص ٣٢١ من الجزء الثاني .

(٤) س : « الشكل » .

(٥) من عرض الطير : بضم العين ، أى من عامة الطير .

(٦) ط ، هـ : « وكان كغراب نوح » . وانظر لغراب نوح ص ٣٢١ من الجزء الثاني .

(٧) انظر ما أسلفت من الكلام في (٣ : ٥١٣) .

ولا يستطيع أعقلُ الناس أن يعملَ عملَ أجرا الناس ، كما لا يستطيع
أجراً الناس أن يعملَ أعمالَ أعقلِ الناس . فبأعمال المجانين والعُقلاء عرفنا
مقدارهما من صحة أذهانهما وفسادها (١) ، وباختلاف أعمال الأطفال والكهول
عرفنا مقدارهما في الضعف (٢) والقوة ، وفي الجهل والمعرفة . وبمثل ذلك
فصلنا (٣) بين الجماد والحيوان ، والعالم وأعلم منه ، والجاهل وأجهل منه (٤) .
ولو كان عند السباع والبهائم ما عند الحكماء والأدباء ، والوزراء والخلفاء ٢٩
والأمم (٥) والأنبياء ، لأثمرت تلك العقول ، باضطرار ، إثمار تلك العقول .
وهذا باب لا يخطئ فيه إلا المانيّة (٦) وأصحاب الجهالات فقط . فأمّا عوام

(١) في الأصل : « وفسادهما » . والضمير عائد إلى الأذهان . وفي س : « عرفنا
ماغاب من صحة أذهانهم » .

(٢) ط ، هـ : « في الضعيف » ووجهه ما أثبت من س .

(٣) فصلنا ، بالصاد المهملة ، بمعنى ميزنا . وفي الأصل : « فصلنا » بالصاد
المعجمة ، محرف .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٥) الأمم : جمع أمة بالضم ، والأمة : الإمام ، ومنه قول الله : « إن إبراهيم كان أمة »
في تفسير أبي عبيدة . س : « والأمة » ، وهذه محرفة عن « الأئمة » .

(٦) المانيّة : أتباع ماني ، متبني زعم أنه الفارقليط الذي بشر به عيسى عليه السلام
واستخرج مذهبه من المجوسية والنصرانية ، وكان يقول : إن مبدأ العالم من كونين
أحدهما نور والآخر ظلمة ، وأنهما في صراع مستمر لا ينتهي إلا بانتهاء الدنيا . وفرض
على أتباعه صلوات معينة وصوما رسمه لهم . وقتل ماني في مملكة بهرام بن سابور ،
وأتباعه يزعمون أنه ارتفع إلى جنان النور . وكان ملوك الفرس يطاردون أتباعه ،
فلما انتثر أمر الفرس وقوى أمر العرب ، وجدوا لديهم سعة صدر ، فنزحوا إليهم في
أيام بني أمية ؛ فإن خالد بن عبد الله القسري كان يعني بهم ، وكان يرمي بالزندقة .
حتى كانت أيام المقتدر فانهم جلوا إلى خراسان . انظر ابن النديم ٤٥٦ - ٤٧٤ .
وقد جعل ابن النديم النسبة إليه (مناني) وهي نسبة شاذة ، و (مانوي) وهي نسبة
جائزة . ومثل الأولى في الشذوذ : « حرناني » نسبة إلى مدينة حران . و « مناني »
نسبة إلى عاني من اليهود . وانظر مفاتيح العلوم ٢٥ .

الأمم ، فضلاً عن خواصهم ، فهم يعلمون من ذلك مثل ما نعلم . وإِنَّمَا يُتَفَضَّلُ بالبيان والحفظ ، وينسق المحفوظ^(١) . فَأَمَّا المعرفة فنحن فيها سواء . ولم نعرف العقل وعدمه ونقصانه ، وإفادته ، وأقدار معارف الحيوان إلاَّ بما يظهر منها^(٢) . وبذلك الأدلة عرفنا فرق ما بين الحي والميت ، وبين الجماد والحيوان .

فإن قال الخصم : ما نعرف كلام الذئب ، ولا معرفة الغراب ، ولا علم الهدد . قلنا : نحن ناسٌ نؤمن بأن عيسى عليه السلام خلق من غير ذكرٍ وإِنَّمَا خُلِقَ مِنْ أُنْثَى ؛ وَأَنَّ آدَمَ وَحَوَّاءَ خُلِقَا مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَأَنَّ عِيسَى تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ ، وَأَنَّ يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا نَطَقَ بِالْحِكْمَةِ فِي الصَّبَا ، وَأَنَّ عَقِيباً الْقَحَّ ، وَأَنَّ عَاقِراً وَلَدَتْ^(٣) ؛ وبأشياء كثيرة خرجت خارجة من نسق العادة^(٤) . فالسبب الذي به عرفنا أنه قد كان لذلك الهدد مقدار من المعرفة ، دون ما نوهتم وفوق ما مع الهدد . ومتى سألتونا عن الحجة فالسبيل واحدة . ونحن نقرُّ بأنَّ مَنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ مِنَ الْمَجَانِينِ وَالْأَطْفَالِ يَدْخُلُونَ عَقْلَاءَ كَامِلِينَ ، مِنْ غَيْرِ تَجَارِبٍ وَتَمَرِينٍ وَتَرْتِيبٍ . فمَسْأَلَتُكُمْ عَمَّا أَهَمَّ الْهَدْدَ ، هِيَ الْمَسْأَلَةُ عَمَّا أَهَمَّ الطِّفْلَ فِي الْجَنَّةِ .

(١) كذا في هـ . وفي ط ، س : « المحفوظة » .

(٢) أى من المعرفة . وفي الأصل : « وأقدار معارف أسباب الحيوان وما يظهر منها » .

(٣) إشارة إلى زكرياء عليه السلام وزوجه ، فإنه كان كبيراً حين ولد له يحيى ، وكانت امرأته عاقراً : « قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأى عاقرة » . وإلى إبراهيم عليه السلام وزوجه أيضاً : « قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا » .

(٤) كذا في س . وفي ط : « وبأشياء كثيرة خارجة عن نسق العادة » و هـ : « وبأشياء كثيرة خارجة من . . الخ » .

فإن قال قائل : فإن [كان^(١)] ذلك القول كله ، الذي كان من الهدهد ، إنما كان على الإلهام والتشخير ، ولم يكن ذلك عن معرفة منه ، فلم قال ﴿لَا عَذَابَ لَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا ذَبْحَهُ﴾ ؟ قلنا : فإنه قد يتوعد الرجلُ ابنه - وهو بعد لم يحجر عليه الأحكام - بالضرب الوجيع ، إن هو لم يأت السوق أو يحفظ سورة كذا وكذا ؛ فلا يعنفه أحدٌ على ذلك الوعيد . ويكذب فيضربه على الكذب . ويضرب صبيًا فيضربه لأنه ضربه . وهو في ذلك قد حسن خطه ، وجاد حسابه ، وشدا من النحو [والعروض^(٢)] والفرائض^(٣) شدوا حسنا ، ونفع أهله ، وتعلم أعمالاً ، وتكلم بكلام ، [و^(٤)] أجاب في الفتيا بكلام فوق معاني الهدهد في اللطافة والغموض . وهو في ذلك لم يكمل لاحتمال الفرض^(٥) والولاية والعداوة .

فإن قال : فهل يجوز لأحد أن يقول لابنه : إن أنت لم تأت السوق ذبحتك ؛ وهو جاد ؟ قلنا : لا يجوز ذلك . وإنما جاز ذلك في الهدهد لأن سليمان - ومن هو دون سليمان من جميع العالم - له أن يذبح الهدهد والحمام والدب ، والعناق^(٦) والجدي . والذبح سبيل من سبيل مناياهم . فلو ذبحه سليمان لم يكن في ذلك إلا بقدر التقديم والتأخير ، وإلا بقدر صرف^(٧) ٣٠ ما بين أن يموت حتف أنفه ، أو يموت بالذبح . ولعل صرف ما بينهما

(١) ليست بالأصل . وبها يستقيم الكلام .

(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من هـ . وفي ط : « العرائض » ، صوابه في س .

(٤) ليست بالأصل . وهي ضرورية .

(٥) ط : « الغرض » ، صوابه في س ، هـ .

(٦) العناق ، كسحاب : الأثني من ولد المعز .

(٧) الصرف : الزيادة . ط ، هـ : « ضرب » ، صوابه في س .

لا يكون إلا بمقدار ألم عشرين درّة^(١) . ولعلّ نتف جناحه ينفى بذلك الضرب . وإذا قلنا ذلك فقد أعطينا ذلك الهدهد بعينه حقّ ما دلّت عليه الآية ، ولم نجز ذلك في جميع الهداهد ، ولم نكن^(٢) كمن ينكر قدرة الله على أن يركّب^(٣) عصفورًا من العصافير ضربًا من التراكيب يكون أدهى من قيس بن زهير^(٤) . ولو كان الله تعالى قد فعل ذلك بالعصافير لظهرت كذلك دلائل .

على أنّا لو تأولنا الذبح على مثال تأويل قولنا في ذبح إبراهيم وإسماعيل^(٥) عليهما السلام - وإنما كان ذلك ذبحاً في المعنى لغيره^(٦) - أو على معنى قول

(١) أي عشرين ضربة بالدرة . والدرة ، بالكسر : السوط ، ويغلب استعمالها في سياط السلاطين . وكلمة « إلا » ساقطة من س .

(٢) في الأصل : « ولم يجز ذلك في جميع الهداهد ولم يكن » .

(٣) ط ، هـ : « تركب » ، ولا تصح إلا بتقديم « على » على كلمة : « قدرة » وصوابها من س .

(٤) الدهاء : جودة الرأي وكمال العقل . وقيس بن زهير هو سيد عبس ، وكان له ضلع كبيرة في حرب داحس والغبراء ، وهو صاحب داحس . ذكروا من دهائه أنه مر ببلاد غطفان ، فرأى ثروة وعديداً ، فكره ذلك ، فقال له الربيع بن زياد العبسي : إنه يسوءك ما يصر الناس ! فقال : يا ابن أخي ، إنك لا تدري . إن مع الثروة والنعمة التحامد والتباضع والتخاذل ، وإن مع القلة التعاضد والتنازر والتناصر . وكان يقول : « أربعة لا يطاقون : عهد ملك ، ونذل شيع ، وأمة ورثت ، وقبيحة تزوجت » . انظر أمثال الميداني (١ : ٢٥٠) . ولحرب داحس والغبراء ، الأغاني (٧ : ١٤٣ ، ١٦ : ٢٣) والعقد (٣ : ٣١٣) والكمال لابن الأثير (١ : ٣٤٣) والميداني (١ : ٣٥٩ ، ٢ : ٥١) . هـ : « آدمي » وهو تحريف .

(٥) س : « إسحاق » . وقد اختلف المؤرخون المسلمون ، وكذلك أصحاب التفاسير في الذبيح منهما ، والأعرف عندهم أنه « إسماعيل » بأدلة سردها البيضاوي في تفسيره . انظر سورة الصافات ، وليس في القرآن الكريم نص على أحد منهما . وفي سفر التكوين ، الأصحاح الثاني والعشرين ، ما ينص صراحة على أن الذبيح إسحاق . وإلى هذا الرأي مال معظم الصحابة . انظر المعارف ١٧ وآكام المرجان ٢٠٩ وابن سلام ١٥٨ .

(٦) وهو الكبش ، فإن إسماعيل ، أو إسحاق ، لم يذبح ، وإنما هم أبوه بذبحه ، ووقع الذبح فعلاً على الكبش . س : « ذبحاً في العين » ، صوابه في ط ، هـ .

القاتل : أمّا أنا فقد ذبحته وضربت عنقه ، ولكن السيف خانني . أو على قولهم : المِسْك الذَّبِيح^(١) ، أو على قولهم : فجئت وقد ذَبَحَنِي العطش - لكان ذلك مجازاً .

ولو أنّ صَبِيّاً من صبياننا سئل ، قبل أن يبلغَ فرضَ البلوغِ بساعة ، [وكان^(٢)] رأى مَلِكَةً سَبِيّاً^(٣) في جميع حالاتها ، لما كان بعيداً ولا ممتنعاً أن يقولَ : رأيتُ امرأةً مَلِكَةً ، ورأيتها تسجّدُ للشمس من دون الله ، ورأيتها تُطِيعُ الشَّيْطَانَ وتَعْصِي الرَّحْمَنَ . ولا سيما إن كان من صبيان الخلفاء والوزراء ، أو من صبيان الأعراب .
والدليل على أنّ ذلك الهدهد كان مسخراً وميسراً ، مُضِيّه إلى اليمن ، ورجوعه من ساعته .

ولم يكن من الطّير القواطع فرجع إلى وكره . والدليل على ذلك أنّ سليمان عليه السلام لم يقل : نعم قد رأيت كلّ ما ذكرت ، وأنت لم تعلم حين مضيت بطالاً هارباً من العمل ، أتُكْذِبُ أم تنجح ، أو ترى أعجوبة أو لا تراها . ولكنّه توعّده على ظاهر الرّأى ، ونافره القول ؛ ليُظهر الآيّة والأعجوبة .

(طعن الدهرية في ملك سليمان)

ثمّ طعن في ملك سليمان ومَلِكَةِ سَبِيّاً^(٤) ناس من الدهريّة، وقالوا^(٥) : زعمتم أنّ سليمان سأل ربه [فقال] : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مَلِكًا لَا يَنْبَغِي لِأَجَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾

(١) أي الذي شقت فآرته . وفارة المسك : نافجته ، أي وعأوه .

(٢) ليست بالأصل ، وبها يصلح الكلام .

(٣) ليست في ص . وبدلها في هـ : « سَبِيّاً » ، محرفة عما أثبت من ط .

(٤) في الأصل : « وقال » .

وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَاهُ ذَلِكَ ، فَلَسَّكَ عَلَى الْجِنِّ فَضْلًا عَنِ الْإِنْسِ ، وَعَلَّمَهُ
 مَنْطِقَ الطَّيْرِ ، وَسَخَّرَ لَهُ الرِّيحَ ، فَكَانَتْ الْجِنُّ لَهُ خَوَلًا ، وَالرِّيَّاحُ لَهُ مَسْخَرَةٌ
 ثُمَّ زَعَمْتُمْ - وَهُوَ إِمَّا بِالشَّامِ وَإِمَّا بِسَوَادِ الْعِرَاقِ - أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ بِالْيَمَنِ مَلِكَةً
 هَذِهِ صِفَتُهَا . وَمَلُوكُنَا الْيَوْمَ دُونَ سُلَيْمَانَ فِي الْقُدْرَةِ ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِمْ صَاحِبُ
 الْخَزَرِ ، وَلَا صَاحِبُ الرُّومِ ، وَلَا صَاحِبُ التُّرْكِ ، وَلَا صَاحِبُ الثُّبُوتِ . وَكَيْفَ
 يَجْهَلُ سُلَيْمَانُ مَوْضِعَ هَذِهِ الْمَلِكَةِ ، مَعَ قُرْبِ دَارِهَا وَاتِّصَالِ بِلَادِهَا ! وَلَيْسَ
 دُونَهَا بِحَارٍّ وَلَا أَوْعَارٌ ، وَالطَّرِيقُ نَهْجٌ لِلْخَفِّ وَالْحَافِرِ وَالْقَدَمِ (١) . فَكَيْفَ
 ٣٦ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ طَوْعٌ يَمِينُهُ . وَلَوْ كَانَ ، حِينَ خَبَرَهُ الْمُهَذُّ بِمَكَانِهَا ، أَضْرَبَ
 عَنْهَا صَفْحًا ، لَسَكَانَ لِقَائِهِ أَنْ يَقُولَ : مَا أَنَا الْمُهَذُّ إِلَّا بِأَمْرِ يَعْرِفُهُ . فَهَذَا
 وَمَا أَشْبَهَهُ دَلِيلٌ عَلَى فُسَادِ أَخْبَارِكُمْ .

قُلْنَا : إِنَّ الدُّنْيَا إِذَا خَلَّاهَا اللَّهُ وَتَدَبَّرَ أَهْلُهَا ، وَمَجَارَى أُمُورِهَا وَعَادَاتُهَا
 كَانَ لِعَمْرَى كَمَا تَقُولُونَ . وَنَحْنُ نَزْعُمُ أَنَّ يَعْقُوبَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ
 كَانَ أَنْبَاهُ أَهْلِي زَمَانِهِ ؛ لِأَنَّهُ نَبِيٌّ ابْنُ نَبِيٍّ . وَكَانَ يُوسُفُ وَزِيرُ مَلِكِ مِصْرَ مِنَ
 النَّبَاهَةِ بِالْمَوْضِعِ الَّذِي لَا يَدْفَعُ (٢) ، وَلَهُ الْبُرْدُ (٣) ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ جَوَابُ الْأَخْبَارِ ،
 ثُمَّ لَمْ يَعْرِفْ يَعْقُوبُ مَكَانَ يُوسُفَ ، وَلَا يُوسُفُ مَكَانَ يَعْقُوبَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ
 - دَهْرًا مِنَ الدُّهُورِ ؛ مَعَ النَّبَاهَةِ ، وَالْقُدْرَةِ ، وَاتِّصَالِ الدَّارِ .
 وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ فِي التِّيهِ (٤) ، فَقَدْ

(١) طريق نهج : واضح . والخف : أى الإبل . ط ، هـ : « الخف » صوابه في س .

(٢) النباهة : الشهرة . ط ، هـ : « ومن » والوجه حذف الوار ، والنص في س « والملك النباهة في الموضع الذي لا يدفع » . وليس بشيء .

(٣) البرد : جمع بريد .

(٤) التيه ، هو الموضع الذي ضل فيه موسى عليه السلام وقومه . قال ياقوت : « وهى أرض بين أيلة ومصر وبحر القلزم جبال والسراة من أرض الشام » .

كانوا أمةً من الأمم يَتَكَسَّعُونَ^(١) أربعين عاماً ، في مقدارِ فراسخٍ يسيرةٍ ولا يهتدون إلى المخرج . وما كانت بلادُ التَّيَّةِ إلا من ملاعبهم ومُنْتَزَهااتهم^(٢) . ولا يعدم مثلُ [ذلك^(٣)] العسكِرِ^(٤) الأدلاء والجمالين^(٥) ، والمكاريين^(٦) ، والفيُوجَ^(٧) ، والرُّسُلَ ، والتَّجَارَ : ولكنَّ اللهَ صَرَفَ أوهامهم ، ورفع ذلك الفصلَ^(٨) من صدورهم .

وكذلك القول في الشَّيَاطِين الذين يسترِقون السَّمْعَ في كلِّ ليلة ، فَتَقُولُ^(٩) : إنَّهم لو كان كلما أراد مُريدٌ^(١٠) منهم أن يصعدَ ذَكَرَ أَنَّهُ قد رُجِمَ صاحبه^(١١) ، وأَنَّهُ كذلك منذ كان لم يصل معه أحدٌ إلى استراقِ السَّمْعِ^(١٢) ، كان محالاً أن يرومَ ذلك أحدٌ منهم مع الذِّكْر والعِيَان .

(١) تكسع : ذهب في ضلاله . ومثله تسكع بتقديم السين . ط ، هـ : « يكسون » والوجه ما أثبت من س .

(٢) كذا بتقديم النون في الأصل .

(٣) الزيادة من س ، هـ .

(٤) كان بنو إسرائيل قد خرجوا ليلكوا الأرض المقدسة بالقتال . انظر تفسير سورة المائدة للآيات ٢٠ - ٢٦ وسفر العدد ، الأصحاح ٣٢ ، ٣٣ .

(٥) الجمالين ، بالجم . وفي (٦ : ٢٦٨) : « الحمارين » .

(٦) المكاريين : جمع مكار . والمكاري : من يكثرى الناس منه دابته ، أى يستأجرونها .

(٧) الفيوج ، بالضم وفي آخره جيم : جمع فُيج بالفتح ، وهو رسول السلطان المسرع في مشيه ، يحمل الأخبار من بلد إلى بلد ، معرب من « بيك » بالفارسية . ط ، س : « الفيوج » ، صوابه في هـ .

(٨) الفصل هنا بمعنى التمييز . ط ، هـ : « القصد » وأثبت ما في س .

(٩) ط ، هـ : « فتقول » بالتاء ، صوابه في س .

(١٠) إن قرئت بالضم ، كانت من أراد بمعنى شاء . وإن قرئت بالفتح كانت من التمرد .

(١١) ط ، هـ : « قد رجم أو رجم صاحبه » ، والوجه ما أثبت من س .

(١٢) س : « سمع » .

ومثل ذلك [أنا] قد علمنا أن إبليس لا يزال عاصياً إلى يوم البعث .
ولو كان إبليس في حال المعصية ذاكراً لإخبار الله تعالى ^(١) أنه لا يزال عاصياً
وهو يعلم أن خبره صدق ، كان محالاً أن تدعوه نفسه إلى الإيمان ، ويطمع
في ذلك ، مع تصديقه بأنه لا يختار الإيمان أبداً .

ومن المحال أن يجمع بين وجود ^(١) الاستطاعة وعدم الدواعي
وجواز الفعل .

ولو أن رجلاً علم يقيناً أنه لا يخرج من بيته يومه ذلك ، كان محالاً أن
تدعوه نفسه إلى الخروج ، مع علمه بأنه لا يفعل . ولكن إبليس لما كان
مصرف القلب عن ذكر ذلك الخبر ^(٣) ، دخل في حدّ المستطيعين .

ومثل ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لمّا بشره الله بالظفر وتمام
الأمر ^(٤) بشر أصحابه بالنصر ، ونزول الملائكة . ولو كانوا لذلك ذاكرين
في كل حال ، لم يكن عليهم من المحاربة مؤونة . وإذا لم يتكلفوا المؤونة ^(٥)
لم يؤجروا . ولكن الله تعالى بنظره إليهم رفع ^(٦) ذلك في كثير من الحالات

(١) كذا في س . وفي ط : « ذكر إخبار الله تعالى » وفي هـ : « ذاكراً لأخبار
الله تعالى » . وما في هـ محرف .

(٢) في الأصل : « وجوب » بالباء .

(٣) أي عن ذكر ذلك الخبر .

(٤) الكلام من أول الفقرة إلى هنا ساقط من س . والجاحظ يشير بكلامه هذا إلى
ما كان في وقعة أحد ، مما تشير إليه الآيات ١٢٢ - ١٢٦ من سورة
آل عمران .

(٥) س ، هـ : « المؤن » .

(٦) س : « دفع » بالبدال .

عن أوهامهم ؛ ليحتملوا^(١) مشقة القتال ، وهم لا يعلمون : أيغلبون أم يُغلبون أو يقتلون أم يقتلون .

ومثل ذلك ما رفع من أوهام العرب ، وصرف نفوسهم عن المعارضة ٣٢ للقرآن ، بعد أن تحدّاهم الرسولُ بنظمه . ولذلك لم نجد أحداً طمع فيه . ولو طمع فيه لتكلفه ، ولو تكلف بعضهم ذلك فجاء بأمر^(٢) فيه أدنى شبهة لعظمت القضية^(٣) على الأعراب وأشباه الأعراب ، والنساء وأشباه النساء ، ولألقى ذلك للمسلمين عملاً ، ولطلبوا المحاكمة والتراخي ببعض العرب ، ولكثر القيل والقال .

فقد رأيت أصحابَ مُسَيْلِمَةَ^(٤) ، وأصحاب ابن النواحة^(٥) إنما تعلّقوا بما ألف لهم مُسَيْلِمَةُ من ذلك الكلام ، الذي يعلم كلُّ من سمعه أنه إنما عدا على القرآن فسلبه ، وأخذ بعضه ، وتعاطى أن يقارنه . فكان لله ذلك التدبير ، الذي لا يبلغه العباد ولو اجتمعوا له .

فإن كان الدهرُ يرى من أصحاب العبادات والرسل ، ما يريد من

(١) س : « ليحتملوا » .

(٢) هذه ساقطة من س .

(٣) في الأصل : « القصة » .

(٤) هو أبو ثمامة ، مسيلمة بن حبيب الحنفي من أهل اليمامة ، ادعى النبوة بمكة قبل الهجرة ، وصنع أسجعا ، عارض فيها بزعمه القرآن ، منها قوله : « والشمس وضحاها . في ضوئها ومجلاها . والليل إذا عداها . يطلبها لينشأها . فأدركها حتى أتاهها : وأطفأ نورها ومحاها » ، وقوله : « يا ضفدع نقي نقي لا كم تنقين . لا الماء تكدرين . ولا الشرب تمنعين » . وكان قد قوى أمره في اليمامة ، وظهر جدا بعد وفاة الرسول ، فأرسل أبو بكر خالد بن الوليد في جيش لمقارعته ، فكان له النصر على بني حنيفة في يوم اليمامة ، وقتل مسيلمة وكثير من أتباعه ، واستشهد من المسلمين ألف ومائتا رجل .

(٥) في الأصل : « بني النواحة » . وانظر الاستدراكات .

الدَّهْرِيُّ الصَّرْفِ ، الذى لا يُقَرُّ إلا بما أوجده العيان ، وما يجرى بجرى العيان - فقد ظلم .

وقد علم الدهرى [أننا نعتقد ^(١)] أن لنا رباً يخلق الأجسام اختراعاً وأنه حتى لا حياة ، وعالم لا يعلم ^(٢) ، وأنه شئ لا ينقسم ، وليس بذى طول ولا عرض ولا عمق ، وأن الأنبياء تحيى ^(٣) الموتى . وهذا كله عند الدهرى مستنكر ، وإنما كان يكون له علينا سبيل ^(٤) لو لم يكن الذى ذكرنا جائزاً فى القياس ، واحتجنا إلى تثبيت الربوبية وتصديق الرسالة ، فإذا كان ذلك جائزاً ، وكان كونه غير مستنكر ، ولا محال ، ولا ظلم ، ولا عيب ، فلم يبق له إلا أن يسألنا عن الأصل الذى دعا إلى التوحيد ، وإلى تثبيت الرسل .

وفى كتابنا المنزل الذى يدلنا على أنه صدق ، نظمته البديع الذى لا يقدر على مثله العباد ، مع ما سوى ذلك من الدلائل التى جاء بها من جاء به .

وفيه مسطور أن سليمان بن داودَ غبرَ حيناً - وهو ميت - معتمداً على عصاه ، فى الموضع الذى لا يُحجَّب عنه إنسى ولا جى ، والشياطين منهم المكذودُ بالعمل الشديد ^(٥) ، ومنهم المحبوس والمستعبد ، وكانوا كما قال

(١) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إلى مثلها .

(٢) هذا مذهب المعتزلة ؛ إذ ينفون عن الله عز وجل صفاته الأزلية ، فيقولون : ليس لله علم ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر ولا أى صفة أزلية .

(٣) ط ، هـ : « تحيى » صوابه فى س .

(٤) بدله فى س : « وإنما كان يكون له علة » .

(٥) المكثود : المرهق المتعب . ط ، هـ : « بالغل الشديد » ، والأوجه ما أثبت من س .

الله تعالى : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُونَ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ (١) وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾ وقال : ﴿ وَالشَّيَاطِينِ كُلِّ بَنَاءٍ وَغَوَّاصٍ . وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ وَأَنَّهُ غَبَرَ كَذَلِكَ حِينًا وَهُوَ تُجَاهَهُ أَعْيُنُهُمْ (٢) ، فَلَهُمْ عَرْقُوا سَجِيَّةً وَجُوهُ الْمَوْتَى ، وَلَا هُوَ إِذْ كَانَ مَيِّتًا سَقَطَ سُقُوطَ الْمَوْتَى . وَثَبَتَ قَائِمًا مَعْتَمِدًا (٣) عَلَى عَصَاهُ ، وَعَصَاهُ ثَابِتَةٌ قَائِمَةٌ فِي يَدِهِ ، وَهُوَ قَابِضٌ عَلَيْهَا . وَلَيْسَتْ هَذِهِ الصِّفَةُ صِفَةً مَوْتَانًا .

وقال : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةٌ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ . وَنَحْنُ دُونَ الشَّيَاطِينِ وَالْجِنِّ فِي صِدْقِ الْحَسَنِ ، ٣٣ وَنُفُوذِ الْبَصَرِ ، وَلَوْ كُنَّا مِنْ بَعْضِ الْمَوْتَى بِهَذَا الْمَسْكَانِ ، لَمَا خَفِيَ عَلَيْنَا أَمْرُهُ وَكَانَ أَدْنَى ذَلِكَ أَنْ نَنْظُرَ وَنَرْتَابَ . وَمَتَى ارْتَابَ قَوْمٌ وَظَنُّوا وَمَاجُوا (٤) وَتَكَلَّمُوا وَشَاوَرُوا ، لَقِنُوا وَثَبُّتُوا (٥) . وَلَا سِيَّامًا إِذَا كَانُوا فِي الْعَذَابِ وَرَأَوْا تَبَاشِيرَ الْفَرَجِ .

(١) الجوابي : جمع جائية ، وهو الحوض الجامع . وإثبات الياء في آخر الكلمة وصلا ووقفا قراءة ابن كثير وبجاءه ، وإثباتها وصلا فقط قراءة ورش وعاصم . وحذفها وصلا ووقفا قراءة الباقيين . وهذه القراءة الأخيرة هي ما في س ، هـ . وما أثبت من ط هو القراءة الأولى .

(٢) تجاه ، يصح ضبطها بالضم والكسر والفتح . عن القاموس .

(٣) ط : « معتمد » ، وهو خطأ ظاهر .

(٤) هـ : « وناجوا » ، أى ناجى بعضهم بعضا .

(٥) لقنوا : عرفوا وفهموا . في الأصل : « ولقنوا » وإنما هو جواب الشرط . و « ثبتوا » أى سكنت قلوبهم بقوة البرهان والدلالة . وفي الكتاب : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك » .

ولولا الصَّرفَةُ^(١) التي يُلقِيها الله تعالى على قلبٍ مَنْ أَحَبَّ ، و [لولا^(٢)]
 أَنَّ اللهَ يَقْدِرُ على أَنْ يَشْغَلَ الأَوْهَامَ كيف شاء ، ويذَكِّرُ بما يشاء ، وَيُنَسِّيَ
 ما يشاء ، لما اجتمع أهلُ داره وقصره ، وسُورِهِ ورَبَضِهِ^(٣) ، وخاصَّتُهُ ، ومن
 يَخْدُمُهُ من الجنِّ والإنسِ والشَّيَاطِينِ ، على الإطباقِ بأنَّه حَيٌّ . كذلك
 كان عندهم . فحدث ما حَدَثَ من موته ، فلمَّا لم يشعروا به كانوا على ما لم
 يزالوا عليه . فعَلِمْنَا أَنَّ الجنَّ والشَّيَاطِينِ كانت تُوهِمُ الأغبياءَ والعَوَامَّ ،
 والحشَوَةَ^(٤) والسَّفْلَةَ ، أَنَّ عندهما شيئاً من عِلْمِ الغيبِ — والشَّيَاطِينِ لا تعلم
 ذلك — فأراد الله أَنْ يَكْشِفَ من أَمْرِهِم للجُحَّالِ ما كان كَشَفَهُ للعلماءِ . فهذا
 وأشباهه من الأمور نحنُ إلى الإقرار به مضطرونَّ^(٥) بالحججِ الاضطراريةِ
 فليس لخصومنا حيلةٌ إلَّا أَنْ يَواقِفُونَا^(٦) ، وينظروا في العلةِ التي اضطرتنا
 إلى هذا القول ؛ فإن كانت صحيحةً فالصَّحِيحُ لا يُوجِبُ إلَّا الصحيح . وإن
 كانت سقيمةً عَلِمْنَا أنَّما أُتِينَا من تأويلنا^(٧) .

وأما قوله : ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ﴾ فَإِنَّ التَّعْذِيبَ يكون بالحبس ، كما قال الله

(١) الصرفة ، بالفتح : أن يصرف الله عبده عن أمر . ط : « المعرفة » س :
 « الصدقة » صوابهما في هـ .

(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) الربض ، بالتحريك : سور المدينة .

(٤) الحشوة ، بالضم والكسر : أصله الدغل في الأرض . أراد به الدون من الناس .

(٥) س : « مضطرين » .

(٦) يواقفونا ، بتقديم القاف ، من المواقفة ، وهي أن يقف المرء مع غيره في خصومة
 ومجادلة . وفي الأصل : « يواقفونا » بتقديم الفاء ، وليس بشيء .

(٧) أُتِينَا : أي قهرنا وغلبنا . وفي الأصل : « أُوتِينَا » ولا يصح بها الكلام .

ط ، هـ : « أن ما » والوجه ما أثبت من س . وفي س أيضاً « علم »
 مكان « علمنا » و « أقاويلنا » موضع « تأويلنا » .

عَزَّوَجَلَّ : ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ .
ولمَّا كَانُوا مُحْضِينَ^(١) .

وقد يقول العاشق لمعشوقته : يا معذبتى ! وقد عذبتنى^(٢) !
ومن العذاب ما يكون طويلاً ، ومنه ما يكون قصيراً الوقت . ولو خسف الله
تعالى بقوم في أقل من عشر ساعة^(٣) لجاز لقائل أن يقول : كان ذلك يوم
أحل الله عذابه ونقمته ببلاد كذا وكذا .

(قوة الخنزير وشدة احتماله)

وقال أبو ناصرة : الخنزير ربما قتل الأسد ، وما أكثر ما يلحق
بصاحب^(٤) السيف والرمح ، فيضربه بنابه ، فيقطع كل ما لقيه من جسده :
من عظم وعصب ، حتى يقتله . وربما احتال أن ينسطح^(٥) على وجهه على
الأرض ، فلا يغنى ذلك عنه شيئاً .

وليس لشيء من الحيوان كاحتمال بدنه لوقوع السهام ، ونفوذها فيه .

(بعض طباع الخنزير)

وهو مع ذلك أزوع من ثعلب ، إذا أراده الفارس . وإذا^(٦) عدا أطمع
في نفسه كل شيء ، وإذا طولب أعيا الخيل العتاق . والخنزير مع ذلك أنسل

(١) الخيس ، هو من قولهم : إبل مخيسة : لا تمرح . ط : « محبوسين » وهي
صحيحة بمعنى « مخيسين » . س ، هـ : « محبين » ، تحريف ما أثبت .

(٢) ط ، هـ : « عذبتنى » . وانظر الاستدراكات .

(٣) ط ، س : « ساعات » ، والوجه فيه ما أثبت من هـ .

(٤) س : « صاحب » .

(٥) كذا على الصواب في س . وفي ط ، هـ : « ينسطح » .

(٦) س : « فإذا » .

الخلق ؛ لأنَّ الخنزيرة تَضَعُ عِشْرِينَ خِنْوَصاً ، وهو مع كَثْرَةِ إنْسَالِهِ - مِنْ
أَقْوَى الفَحُولِ عَلَى السَّفَادِ ، وَمَعَ الْقُوَّةِ عَلَى السَّفَادِ هُوَ أَطْوَلُهَا مُكْتَأً فِي سَفَادِهِ ،
فَهُوَ بِذَلِكَ أَجْمَعُ لِلْفَحُولَةِ (١) .

وإذا كَانَ الكَلْبُ والذَّنْبُ موصوفَيْنِ بِشِدَّةِ القَلْبِ ؛ لَطُولِ الخَطْمِ (٢) ،
فَالخِنْزِيرُ أَوْلَى بِذَلِكَ . ٣٤

وَالْقِيلُ نَابٌ عَجِيبٌ ، وَلَكِنَّهُ لَقَصْرُ عُنْقِهِ لَا يَبْلُغُ النَّابُ مَبْلَغاً (٣) ،
وَلَا تَمَّا يَسْتَعِينُ بِخُرْطُومِهِ ، وَخُرْطُومُهُ هُوَ أَنْفُهُ ، وَالْخَطْمُ غَيْرُ الْخُرْطُومِ .

(مَا قِيلَ فِي طَيْبِ لَحْمِهِ وَإِهَالَتِهِ)

قال أبو ناصرة : وَلَهُ طَيْبٌ ، وَهُوَ طَيْبُ لَحْمِهِ وَلَحْمُ أَوْلَادِهِ (٤) . وَإِذَا
أَرَادُوا وَصْفَ اخْتِلَاطِ (٥) وَدَكِ الْكَرْكِيِّ (٦) فِي مَرَقِ طَيْبِخٍ ، قَالُوا : كَانَ
إِهَالَتُهُ إِهَالَةَ خِنْزِيرٍ (٧) ؛ لِأَنَّهُ لَا يَسْرِعُ إِلَيْهَا (٨) الْجَمُودُ . وَسُرْعَةُ جَمُودِ إِهَالَةِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « أَجْمَعُ الْفَحُولَةُ » وَلَا تَصِحُّ . وَفِي ط ، هـ زِيَادَةٌ : « هَذَا » فِي
آخِرِ الْجُمْلَةِ وَلَا وَجْهَ لَهَا كَمَا فِي س .

(٢) سَبَقَ مِثْلُ هَذَا الْكَلَامِ فِي (٢ : ٢١٣ س ١) .

(٣) ط : « لَقَصْرُ عُنْقِهِ لَا يَبْلُغُ الْبَابَ يَقْصُرُ عَنْهُ وَلَا يَبْلُغُ » الْخ . وَأَثْبَتَ صَوَابَهُ مِنْ
س ، هـ .

(٤) بَدَلَ هَذِهِ الْعِبَارَةِ فِي هـ : « وَلَهُ طَيْبُ لَحْمِهِ » فَقَطْ . وَجُمْلَةُ « وَلَهُ طَيْبٌ » سَاقِطَةٌ
مِنْ س .

(٥) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي هـ . وَفِي ط ، س : « اخْتِلَافٌ » .

(٦) الْكَرْكِيُّ ، بِالضَّمِّ : طَائِرٌ كَبِيرٌ أَغْبَرُ اللَّوْنِ أَبْتَرُ الذَّنْبِ طَوِيلُ الْعُنُقِ وَالرَّجْلَيْنِ :
Grane . قَالَ الدِّمِيرِيُّ : « وَالْمَلُوكُ مَصْرُ وَأَمْرَأَتُهَا فِي صَيْدِهِ تَقَالُ لَا يَدْرِكُ حَدَّهُ ،
وإِنْفَاقُ مَالٍ لَا يَسْتَطَاعُ حَصْرُهُ وَعَدَهُ » . ط : « الْكَرْكِيُّ » ، صَوَابُهُ فِي
س ، هـ .

(٧) الْإِهَالَةُ ، بِالْكَسْرِ : الشَّحْمُ . وَالْوَدَكُ : الدِّهْنُ . هـ : « أَهَالَهُ إِهَالًا
خِنْزِيرٍ » ، مُحَرَفٌ .

(٨) س : « إِلَيْهِ » مُحَرَفٌ .

الماعز في الشتاء عيب . والاضآن في ذلك بعض الفضيلة على الماعز ؛ ولا يلحق بالخنزير .

(قبول عظم الخنزير للاتحام بعظم الإنسان)

وإذا نقص من الإنسان عظم واحتيج إلى صِلته في بعض الأمراض لم يلتجئ به إلا عظم الخنزير .

(صوت الخنزير)

وإذا ضرب فصاح لم يكن السامع يفصل بين صوته وبين صوت صبي مضروب^(١) .

(طيب لحمه)

وفي إطباق جميع الأمم على شهوة أكله واستطابة لحمه ، دليل على أن له في ذلك ما ليس لغيره .

(زعم المجوس في المنخقة ونحوها)

والمجوس يزعم أن المنخقة والموقوذة والمتردية^(٢) ، وكل ما اعتبط ولم يمت حتف أنفه^(٣) ، فهو أطيب لحماً وأحلى ؛ لأن دمه فيه ، والدم حلو

(١) وقد تهيأ لابن آوى مثل هذا الصوت كما سيأتي في (٥ : ٢٨٨) .

(٢) س : « المنخقة والموقوذة والمتردي » . وانظر ما سبق ص ٥٦ .

(٣) اعتبط ، بالبناء للمفعول : مات من غير علة . ويقال مات حتف أنفه : أي بلا ضرب ولا قتل . ط ، هـ : « وكلما اعتبط » الخ ، وصواب كتابته ما أثبت . وبلغا في س : « إذا اعتبط » الخ .

دَسِمَ . وإنما عافَه مَنْ عافَه من طريق العادة والديانة ، لا من طريق الاستقذار
والزُّهْدِ الذي يَكُونُ في أصل الطبيعة .

(اختلاف ميل الناس إلى الطعام)

وقد عافَ قومُ الجُرِّيِّ والضُّبابِ^(١) على مثل ذلك ، وشَغِفَ بِهِ
آخرون .

وقد كانت العربُ في الجاهليَّةِ^(٢) تأكل دمَ الفصْدِ^(٣) ، وتفضِّلُ
طعمه ، وتُخْبِرُ عَمَّا يورثُ من القوَّةِ .

قال : وأىُّ شَيْءٍ أَحْسَنُ من الدَّمِ ، وهل اللَّحْمُ إلا دَمٌ استحالَ كما
يستحيل اللَّحْمُ شحماً ؟ ! ولكنَّ الناسَ إذا ذكروا معناه ، ومن أين يخرج
وكيف يخرج ، كانَ ذَلِكَ كاسِراً لَهُمْ ، ومانعاً من شهوتِهِ .

(بعض ما يغير نظر الإنسان إلى الأشياء)

وكيف حال النَّارِ في حسنِها^(٤) ، فَإِنَّهُ ليس في الأرضَ جسمٌ لم يصبغ
أحسنَ مِنْهُ^(٥) . وَلَوْلا معرفتُهُمْ بِقتْلِها وإحراقِها وإتلافِها ، والألمَ والحرقَةَ
المولدين^(٦) عنها ، لتضاعفَ ذَلِكَ الحُسْنُ^(٧) عِنْدَهُمْ . وإِنَّهُمْ لَيَرَوْنَهَا

(١) الجري ، بالجيم المكسورة بعدها راء مشددة مكسورة : ضرب من السمك سبق
الكلام عليه في (١ : ٢٣٤) . والضباب ، بالكسر : جمع ضب .

(٢) ط : « فجاهلية » ، صوابه في س ، هـ .

(٣) وذلك بأن يضعوا الدم ، بعد فصده في الأمعاء ويشوونها . انظر ص ٥٦ .

(٤) س : « جنسها » ، وأراه تحريفاً .

(٥) كذا في ط ، هـ . وفي . هـ : « لم يصنع أحسن منه » .

(٦) ط : « المولودين » صوابه في س ، هـ .

(٧) س : « الحسن » ، محرف .

في الشتاء بغير العيون التي يرونها بها في الصيف . ليس ذلك إلا بقدر ما حدث من الاستغناء عنها .

وكذلك جلاء السيف ، فإن الإنسان يستحسن قد السيف وخرطه ، وطبعه وبريقه . وإذا ذكر صنيعه والذي هبى له ، بدا له في أكثر ذلك ^(١) ، وتبدل في عينه ، وشغله ذلك عن تأمل محاسنه .

ولولا علم الناس بعبادة الحيات ^(٢) لهم ، وأنها وحشية لا تأنس ولا تقبل أدباً ، ولا ترعى حق تربية ، ثم رأوا شيئاً من هذه الحيات ^(٣) البيض ، المنقشة الظهور - كما بيئتها ونوموها إلا في المهد ، مع صبيانهم .

(رد على من طعن في تحريم الخنزير)

فيقال لصاحب هذه المقالة ^(٤) : تحريم الأغذية إنما يكون من طريق العبادة والمحنة ، وليس أن جوهر شيء من المأكول ^(٥) يوجب ذلك . ٣٥ وإنما قلنا : إنما وجدنا الله تعالى قد مسح عبادة من عباده في صور الخنزير [دون بقية ^(٦) الأجناس ، فعلمنا أنه لم يفعل ذلك إلا للأمور اجتمعت في الخنزير ^(٦)] . فكان المسخ على صورته أبلغ من التنكيل . لم نقل إلا هذا

(١) بدا له : أي نشأ له رأى آخر .

(٢) ط : « الحياة » ، وإنما هو جمع حية كما في س ، هـ .

(٣) هذا البحث الآتي متعلق بما سبق في ص ٧٤ - ٧٧ ساسي وليس له ارتباط بما مر قريباً .

(٤) إلى هذه الكلمة ينتهي المجلد الأول من النسخة الخطية المرموز إليها برمز « س » وتبتدى المعارضة بعدها من أول المجلد الثاني منها .

(٥) هـ : « جميع » .

(٦) الزيادة من س ، هـ .

(طباع القرد)

والقرد يَضْحَكُ وَيَطْرَبُ ، وَيَقْعَى وَيَحْكِي ، ويتناولُ الطَّعامَ بيديه ويضعه في فيه ، وله أصابعُ وأظفار ، وينقى ^(١) الجوز ، ويأنس الأنسَ الشديد ، وَيَلْقَنُ بالتلقين الكثير ، وإذا سقط في الماء غرق ولم يسبح ؛ كالإنسان قبل أن يتعلم السباحة . فلم تجد الناسُ للذي اعتري القرد من ذلك - دون جميع الحيوان علةً - إلا هذه المعاني التي ذكرتها ^(٢) ، من مناسبة الإنسان من قبلها .

ويحكي عنه من شدة الزواج ، والغيرة على الأزواج ، ما لا يحكى مثله إلا عن الإنسان ؛ لأن الخنزيرَ يَغَارُ ، وكذلك الجملُ والفرسُ ، إلا أنها لا تزوج . والجملُ يَغَارُ ويحمي عانته الدهر كله ^(٣) ، ويضربُ فيها كضربه لو أصابَ أتاناً من غيرها . وأجناس الحمام تزوج ولا تغار .

واجتمع في القرد الزواج والغيرة ، وهما خصلتان كريمتان ، واجتماعهما من مفاخر الإنسان على سائر الحيوان . ونحن لم نرَ وجهَ شيءٍ غير الإنسان أشبهَ صورةً وشبهاً ، على ما فيه من الاختلاف ، ولا أشبهَ فماً ووجهاً بالإنسان ، من القرد . ورُبَّما ^(٤) رأينا وجهَ بعضِ الحمر ^(٥) إذا كان ذا خطمٍ ، فلا نجدُ بينه وبين القرد إلا اليسيرَ .

(١) أصله من قولهم : نقي العظم نقياً : استخرج نقيه . والنقى بالكسر : مخ العظام وشحمها . فالمعنى يستخرج لب الجوز .

(٢) س : « ذكرناها » .

(٣) العانة : جماعة الحمر الوحشية .

(٤) ط : « وبما » ، تصحيحه من س ، هـ .

(٥) لعل المراد بالحمر هنا الروس . وجاء في التنبيه والإشراف ١٢٢ : « والروم تسميهم روسيا . معنى ذلك : الحمر » . في الأصل : « بعض وجه الحمر » .

(أمثال في القرد)

وتقول ^(١) الناس : « أكيس من قشّة ^(٢) » ، و « أملك من ربّاح ^(٣) »
ولم يقل أحد : أكيس من خنزير ، وأملك من خنوص . وهو قول العامة :
« القرد قبيحٌ ولسكنه مريح » .

(كفّ القرد وأصابعه)

وقال الناس في الضبّ : إنه مسخٌ . وقالوا : انظر إلى كفّه وأصابعه .
فكفّ القرد وأصابعه ^(٤) أشبه وأصنع : فقدّمت القرد على الخنزير من
هذا الوجه .

(علة تحريم لحم الخنزير)

وأما القول في لحمه ، فإننا لم نزعم أنّ الخنزير هو ذلك الإنسان الذي
مسخ ، ولا هو من نسله ، ولم ندع لحمه من جهة الاستقذار لشهوته في العذرة ،
ونحن نجد الشُّبُوط والجُرَى ^(٥) ، والدجاج ، والجراد ، يشاركنه في ذلك ،
ولكن للخصال التي عدّناها من أسباب العبادات . وكيف صار أحقّ بأنّ تمسخ
الأعداء ^(٦) على صورته في خلقته .

(١) س : « ويقول » .

(٢) القشّة ، بالكسر : القردة ، أو ولدها الأنثى .

(٣) الرباح ، كرمان : القرد الذكر .

(٤) ط : « فكيف والقرد أصابعه » ، وهو — لاجرم — تحريف .

(٥) الشُّبُوط والجُرَى : ضربان من ضروب السمك . وانظر مثل هذا الكلام

في (١ : ٢٣٥) .

(٦) أي أعداء الله .

(حديث عبيد الكلابي)

قال : وقلت مرّة لعبيد الكلابي - وأظهر من حبّ الإبل والشّغف بها ما دعاني إلى أن قلت له - : أيّنها وبينكم قرابة ^(١) ؟ قال : نعم ، لها فينا خُولة . إني والله ما أعنى البَخاتي ، ولكنّي أعنى العَراب ، التي هي أعرب ! قلت له : مَسَخَكَ اللهُ تعالى بغيراً ! قال : اللهُ لا يمسُخُ الإنسانَ على صورةٍ كريمٍ ، وإنما يمسُخُه على صورةٍ لثيمٍ ، مثل الخنزير ثم القرد ^(٢) .
فهذا قولُ أعرابيٍّ جِلْفٍ ^(٣) تكلم على فطرته .

(قول في آية)

وقد تكلم المخالفون في قوله تعالى : ﴿ وَأَسَاءَ لَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ ^(٤) .
وقد طعنَ ناسٌ في تأويل هذه الآية ، بغير علمٍ ولا بيانٍ ، فقالوا : وكيف يكون ذلك وليس بين أن نجى ^(٥) في كلّ هلال فرق ، ولا بينها إذا جاءت في رأس الهلال فرق ، ولا بينها إذا جاءت في رأس السّنة فرق .

(١) س : « أيّنكم وبينها قرابة » .

(٢) ط ، هـ : « الخنزير والقرد » .

(٣) الجلف ، بالكسر : الرجل الجاني .

(٤) هذه القرية هي أيلة ، أو مدين ، أو طبرية : وكلّ منها حاضرة البحر ، أي قريبة منه .

« يعدون في السبت » : يتجاوزون حدود الله بالصوم يوم السبت . « يوم سبتهم » أي يوم تعظيمهم أمر السبت ، سبت اليهود : عظمت سبتها . « شرعا » : ظاهرة على وجه الماء .

(٥) كذا الصواب في س . وفي ط ، هـ : « نجى » .

(هجرة السمك)

وهذا بحرُ البصرة والأُبلة ، يأتيهم ثلاثة أشهر معلومة معروفة [من السنة] السمكُ الأسبور^(١) ، فيعرفون وقتَ مجيئه وينتظرونه ، ويعرفون وقتَ انقطاعه ومجيئ غيره ، فلا يمكث بهم الحال إلا قليلاً حتى يُقبل السمك من ذلك البحر ، في ذلك الأوان ، فلا يزالون في صيد ثلاثة أشهر معلومة من السنة ، وذلك في كل سنة مرتين لكل جنس . ومعلوم عندهم أنه يكون في أحد الزمانين أسمن ، وهو الجواف^(٢) ، ثم يأتيهم الأسبور^(٣) ، على حساب مجيء الأسبور^(٤) والجواف . فأما الأسبور فهو يقطع إليهم من بلاد الزنج . وذلك معروف عند البحرين . وأن الأسبور في الوقت الذي يقطع إلى دجلة البصرة لا يوجد في الزنج ، وفي الوقت الذي يوجد في الزنج لا يوجد في دجلة^(٥) . وربما اصطادوا منها شيئاً في الطريق في وقت قطعها المعروف^(٦) ، وفي وقت رجوعها . ومع ذلك أصناف من

(١) سبق الكلام عليه في (٣ : ٢٥٩) . وفي الأصل : « الأسبور » بحرف .

(٢) في الأصل : « الجراف » . وانظر ما أسلفت من التحقيق في (٣ : ٢٥٩) .

(٣) في الأصل : « الأسبول » . وهو تحريف . انظر له (٣ : ٢٥٩) .

(٤) ط ، هـ : « الأسبول » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) س : « الدجلة » ، وإدخال « أل » على « دجلة » خطأ ، فإن المعرفة لا تعرف .

وانظر لأشباه هذا الوهم درة الغواص ٢٥ .

(٦) يقال قطع الطائر والسمك : إذا انتقل من بلد إلى بلد .

السّمك كالإرْبِيان^(١) ، والرَّقَّ^(٢) ، والكَوْسَج^(٣) ، والبرد^(٤) ،
والبرَسْتُوج^(٥) . وكلُّ ذلك معروفُ الزّمانِ ، متوقَّعُ المخرَجِ .
وفي السّمكِ أوابدٌ وقواطعٌ ، وفيها سيّارةٌ لا تقيم . وذلك الشبّه يُصابُ .
ولذلك صاروا يتكلمونَ بخمسةِ السّنةِ^(٦) ، يهذونها^(٧) ، سوى ما تعلّقوا به
من غيرها .

ثمَّ القواطع من اللطير قد تأتينا إلى العراقِ منهم^(٨) في ذلك الإبانِ
جماعاتٌ كثيرةٌ ، تقطعُ إلينا ثمَّ تعودُ في وقتها .

(١) الأربيان ، بالكسر : ضرب من السمك ، يعرف في مصر باسم « الجنبرى » ،
كما في معجم المملوك . وقد سبق للجاحظ كلام فيه ، انظر (١ : ٢٩٧ ص ٦)
وفي الأصل : « الأرسان » ، محرف عما أثبت .

(٢) الرق : السلحفاة المائية .

(٣) الكوسج : سمك بحري كبير عظيم الضرر تخافه دواب البحر ، ويعرف باسم
« القرش » أيضا في سواحل البحر الأحمر .

(٤) كذا . ولعله : « البز » أو « البزون » ، وهو نوع من السمك معروف بالعراق .

(٥) البرستوج : سمك قدمت تحقيقا فيه بالجزء الثالث ص ٢٥٩ - ٢٦٠ ، وهو من
السمك الذي يقطع إلى البصرة كما في (٣ : ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٣) . وهذه
الكلمة مضطربة في الأصل : فهي في ط : « الكرونوج » و س :
« الكونوج » و هـ : « الكرموج » وهي تحريفات عجيبة لما أثبت .

(٦) لعله إشارة إلى الأصناف الخمسة المتقدمة .

(٧) هذا الحديث يهذه : مرده . وفي الأصل : « يهذونها » بالبدال المهملة ،
ولا وجه له .

(٨) جعل لغير العاقل ضمير العاقل ، وهو جائز . في القرآن : « يأبها النمل ادخلوا
مساكنكم » ، « والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه » ، « لا الشمس
ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق للنهار وكل في فلك يسبحون » ، « إني
رأيت أحد عشر كوكبا والقمر والشمس رأيتهم لى ساجدين » .

(رد على المعارض)

قُلْنَا لَهُؤُلَاءِ الْقَوْمُ : لَقَدْ أَصَبْتُمْ فِي بَعْضِ مَا وَصَفْتُمْ ، وَأَخْطَأْتُمْ فِي بَعْضٍ .
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ
 لَا تَأْتِيهِمْ ﴾ ، وَيَوْمُ السَّبْتِ يَدُورُ مَعَ الْأَسَابِيغِ ، وَالْأَسَابِيغُ تَدُورُ مَعَ شَهْرِ
 الْقَمَرِ ^(١) . وَهَذَا لَا يَكُونُ مَعَ اسْتَوَاءٍ مِنَ الزَّمَانِ . وَقَدْ يَكُونُ السَّبْتُ فِي الشِّتَاءِ
 وَالصَّيْفِ وَالْخَرِيفِ ، وَفِي مَا بَيْنَ ذَلِكَ . وَلَيْسَ هَذَا مِنْ بَابِ أَزْمَانِ قَوَاطِعِ
 السَّمَكِ ^(٢) وَهَيْجِ الْحَيَوَانِ وَطَلَبِ السَّفَادِ ، وَأَزْمَانِ الْفَلَاحَةِ ، وَأَوْقَاتِ
 الْجَزْرِ وَالْمَدِّ ؛ وَفِي سَبِيلِ الْأَنْوَاءِ ، وَالشَّجَرِ كَيْفَ يَنْفَضُّ ^(٣) الْوَرَقُ وَالْثَمَارُ ؛
 وَالْحَيَاتِ كَيْفَ تَسْلُخُ ^(٤) ، وَالْأَيَّامُ كَيْفَ تَلْقَى قُرُونَهَا ^(٥) وَالطَّيْرِ كَيْفَ
 تَنْطِقُ وَمَتَى تَسْكُتُ .

وَلَوْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ : إِنِّي نَبِيٌّ [و ^(٦)] قُلْنَا لَهُ : وَمَا آيَتُكَ ؟ وَمَا عَلَامَتُكَ ؟ ٣٧
 فَقَالَ : إِذَا كَانَ فِي آخِرِ تَشْرِينِ الْآخِرِ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ الْأَشْبُورُ ^(٧) ، مِنْ جِهَةِ
 الْبَحْرِ — ضَحِكُوا مِنْهُ وَسَخِرُوا بِهِ . وَلَوْ قَالَ : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ
 أَوْ يَوْمُ الْأَحَدِ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ الْأَشْبُورُ ^(٧) ، حَتَّى لَا يَزَالَ يُصْنَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ

(١) ط : « القمرية » ، صوابه في س ، هـ .

(٢) س : « وليس هذا مرتين كأزمان قواطع السمك » .

(٣) ينفض ، بالفاء : يسقط الورق أو الثمر . ط ، هـ : « ينقض » ، صوابه في س .

وقد سبق مثله في (٣ : ٢٣٢ س ١٤) .

(٤) يقال سلخت الحية تسلخ من باب نصر ومنع ، وانسلخت تتسلخ : إذا انشرت من

جلدها . جاء في س : « تتسلخ » وكلمة « الحيات » مساقطة من س

وموضعها في ط ، هـ بعد كلمة « تسلخ » ، وقد رددتها إلى موضعها الطبيعي الملائم .

(٥) الأيل يتصل قرنه في كل سنة كما سبق في (٣ : ٢٣٢ س ١٣ ، ١٤) .

(٦) ليست بالأصل ، والكلام في حاجة إليها .

(٧) في الأصل : « الأشبور » . وانظر التنبيه الأول من الصفحة ١٠١ .

جمعة - عَلِمْنَا اضْطِرَاراً إِذَا عَايَنَّا الَّذِي ذَكَرَ عَلَى نَسَقِهِ أَنَّهُ صَادِقٌ ، وَأَنَّهُ
لَمْ يَعْلَمْ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ قَبْلِ خَالِقِ ذَلِكَ ^(١) . تعالى الله عن ذلك .

وقد أَقَرَرْنَا بِعَجِيبِ مَا نَرَى مِنْ مَطَالِعِ النُّجُومِ ، وَمِنْ تَنَاهَى الْمَدِّ وَالْجُزْرِ
عَلَى قَدَرِ امْتِلَاءِ الْقَمَرِ وَنُقْصَانِهِ ، وَزِيَادَتِهِ وَمَحَاقِهِ ^(٢) ، وَاسْتِسْرَارِهِ ^(٣) . وَكُلُّ
شَيْءٍ يَأْتِي عَلَى هَذَا النَّسَقِ مِنَ الْمَجَارِي ، فَإِنَّمَا الْآيَةُ فِيهِ لِلَّهِ وَحْدَهُ
عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ .

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ لِأَهْلِ شَرِيعَةٍ ^(٤) وَلَأَهْلِ مُرْسَى ، مِنْ أَصْحَابِ بَحْرِ أَوْ نَهْرٍ
أَوْ وَادٍ ، أَوْ عَيْنٍ ، أَوْ جَدُولٍ : تَأْتِيَكُمُ الْحَيَاتَانِ فِي كُلِّ سَبْتٍ . أَوْ قَالَ :
فِي كُلِّ رَمَضَانَ . وَرَمَضَانُ مَتَحَوِّلُ الْأَزْمَانِ فِي الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ، وَالرَّبِيعِ
وَالْحَرِيفِ . وَالسَّبْتُ يَتَجَوَّلُ فِي جَمِيعِ الْأَزْمَانِ . فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَتْ تِلْكَ
الْأَعْجُوبَةُ ^(٥) فِيهِ دَالَّةٌ عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَعَلَى صِدْقِ صَاحِبِ الْخَبَرِ ،
وَأَنَّهُ رَسُولُ ذَلِكَ الْمُسَخَّرِ لِذَلِكَ الصَّنْفِ . وَكَانَ ^(٦) ذَلِكَ الْمَجْبِيُّ خَارِجاً مِنْ
النَّسَقِ الْقَائِمِ ، وَالْعَادَةِ الْمَعْرُوفَةِ . وَهَذَا الْفَرْقُ بِذَلِكَ بَيِّنٌ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ .

(١) بدله في ط ، هـ : « السمك » .

(٢) الخاق ، مشاة : آخر الشهر ، أو ثلاث ليالٍ من آخره ، أو أن يستسر القمر
فلا يرى غلوة ولا عشية .

(٣) استسرار القمر : أن يختفي ، وذلك ليلة ثمان وعشرين ، وإذا كان الشهر ثلاثين فسراره
ليلة تسع وعشرين . في ط ، هـ : « إسراره » س : « استراره » ، والوجه ما أثبت .
انظر اللسان (سرر ٢١) . وبعد هذه الكلمة في ط : « واستدارته » .

(٤) الشريعة ، هنا مورد الماء .

(٥) س : « فإن كان ذلك كانت أعجوبة » .

(٦) ط ، هـ : « فكان » .

(شنة الخنزير والقرد)

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ . وفي الموضع الذي ذكر أنه مسح ناساً خنازير قد ذكر القُرود^(١) . ولم يذكر أنه مسح قوماً خنازير ، ولم يمسح منهم قروداً^(٢) . وإذا كان الأمر كذلك فالمسح على صورة القردة^(٣) أشنع ؛ إذ كان المسح على صورتها^(٤) أعظم^(٥) ، وكان العقابُ به أكبر . وإن الوقت الذي قد ذكر أنه قد مسح ناساً قروداً فقد كان مسح ناساً خنازير . فلم يدع ذكر الخنازير وذكر القُرود^(٦) إلا والقُرود في هذا الباب أوجع وأشنع وأعظم في العقوبة ، وأدل على شدة السخطة^(٧) . هذا قول بعضهم .

-
- (١) س : « قرودا » ، وفي ط ، ه زيادة واو قبل « قد » ، وهو تحريف .
 (٢) أي أنه عند ذكره مسح قوم خنازير قرنه أيضاً بالمسح بالقُرود ، وذلك قوله تعالى في الآية الستين من سورة المائدة : « قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه ، وجعل منهم القردة والخنازير » . وفي الأصل : « ولم يذكر أنه مسح قوما قرودا ولم يمسح منهم خنازير » . وأصلحته بما ترى .
 (٣) في الأصل : « القرد » بالإفراد . ووجه الجمع كما سترى .
 (٤) في الأصل : « على صورتها » ، وإنما الضمير مائد إلى جماعة القردة .
 (٥) في الأصل : « أعم » ، ولا وجه له . وانظر ما سيأتي .
 (٦) أي وحدها ؛ إذا قال في سورة البقرة ، الآية الخامسة والستين : « ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت قتلناهم كونوا قردة خاسئين » ، ولم يذكر الخنزير . وقال في سورة الأعراف ١١٦ : « فلما عتوا عن ما نهوا عنه قتلناهم كونوا قردة خاسئين » ولم يذكر الخنزير .

(٧) السخطة ، بالفتح : الكراهة ، يقال سخطه سخطاً ، بالضم ، والتحريك ، وبضمين ، وسخطة . وفي حديث هرقل : « فهل يرجع أحد منهم سخطة لدينه »

(استطراد لغوى)

قال : ويقال لموضع الأنف من السَّبَاع الخَطْم ، والخرطوم — وقد يقال ذلك للخزير — والفِنْطِيسَةُ^(١) ، والجمع الفناطيس . وقال الأعرابي : « كَأَنَّ فَنَاطِيسَهَا كِرَاكِرُ الْإِبِلِ »^(٢) .

(خصائص بعض البلدان)

وقال صاحب المنطق : لا يكون خِزِيرٌ ولا أَيْلٌ بحريًا . وذكر أن خَنَازِيرَ بعض البُلْدَانِ يكون لها ظلفٌ واحد ، ولا يكون بأرضٍ نهاونْدَ حِمَارٌ ؛ لشدَّةِ برْدِ الموضع ، ولأنَّ الحِمَارَ صَرْدٌ .

وقال : فى أرضٍ كذا وكذا لا يكون بها شىءٌ من الخُلْدِ^(٣) ، وإن نقله إنسانٌ إليها لم يحضر ، ولم يتَّخذ بها بيتًا . وفى الجزيرة التى تسمى صِقْلِيَّةً^(٤) لا يَكُونُ بها صنفٌ من النمل ، الذى يسمى أقرشان^(٥) . ٣٨

(١) الفِنْطِيسَةُ ، بالكسر : خطم الخنزير . وفى اللسان : « وروى عن الأصمعي : إنه لمنيع الفِنْطِيسَةُ والفَرْطِيسَةُ والأَرْنَبَةُ ، أى هو منيع الحوزة هى الأنف . أبو سعيد : فِنْطِيسَتُهُ وفَرْطِيسَتُهُ : أنفه » ، فهى قد تستعمل لغير الخنزير .

(٢) كذا على الصواب فى ط . وفى هـ : « فَنَاطِيسَهَا » ، وفى س : « فَنَاطِيسُهُ » . والكراكر : جمع كركرة ، بالكسر ، وهى صدر كل ذى خف .

(٣) الخلد ، بالضم : ضرب من الفأر .

(٤) صقلىة ، بكسرات ولام مشددة : تلك الجزيرة الأوربية الإيطالية . س ، هـ : « أصقلىة » ولعلها لغة فى تعريبها .

(٥) س : « أقرشان » بالفاء .

(قول أهل الكتابين في المسخ)

وأهل الكتابين^(١) يُنكرون أن يكونَ الله تعالى مسخَ النَّاسِ قروداً
وخنزير ، وإنما مسخ امرأة لوط حَجَرًا^(٢) . كذلك يقولون .

القول في الحيات

اللهمَّ جُنِّبْنَا التَّكْلَفَ ، وَأَعِزَّنَا مِنَ الْخَطَلِ ، وَاحْمِنَا مِنَ الْعُجْبِ بِمَا
يَكُونُ مِنَّا ، وَالثِّقَةِ بِمَا عِنْدَنَا ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُحْسِنِينَ .

(احتيال الحيات للصيد)

حدثنا أبو جعفر المَكْفُوفُ النَّحْوِيُّ الْعَنْبَرِيُّ ، وَأَخُوهُ رُوحُ الْكَاتِبِ
وَرَجَالٌ مِنْ بَنِي الْعَنْبَرِ ، أَنَّ عِنْدَهُمْ فِي رَمَالِ بَلْعَنْبَرٍ حَيَّةٌ تَصِيدُ الْعَصَافِيرَ
وَصِيغَارَ الطَّيْرِ بِأَعْجَبِ صَيْدٍ . زَعَمُوا أَنَّهَا إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ وَاشْتَدَّ الْحَرُّ فِي رَمَالِ
بَلْعَنْبَرٍ ، وَامْتَنَعَتِ الْأَرْضُ عَلَى الْخَافِي وَالْمُنْتَعِلِ ، وَرَمِضَ الْجَنْدَبُ^(٣) ،

(١) التوراة والإنجيل .

(٢) الذي في سفر التكوين من التوراة ، الأصحاح ١٩ : ٢٤ — ٢٦ : « فأمر الرب
على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من عند الرب من السماء ، وقلب تلك المدن ، وكل
الدائرة ، وجميع سكان المدن ونبات الأرض ، ونظرت امرأته من وراءه فصارت
عمود ملح » .

(٣) الجندب ، وزان برقع ودرهم ، وبضم الجيم وبفتح الدال : ضرب من الجراد صغير :
Grasshopper . ورمض : آله الرمض وأحرقه ، وهو بالتحريك شدة وقع
الشمس على الرمل ونحوه .

غمست هذه الحية ذنبها في الرمل ، ثم انتصبت كأنها رمحٌ مركزٌ ،
أو عودٌ ثابت^(١) ، فيجىء الطائر الصغير أو الجرادة ، فإذا رأى عوداً قائماً
وكره الوقوع على الرمل لشدة حره ، وقع على رأس الحية ، على أنها عود .
فإذا وقع على رأسها قبضت عليه . فإن كان جرادة أو جُعلاً أو بعض
ملا يُشبعها مثله ، ابتلعت^(٢)ه وبقيت على انتصابها . وإن كان الواقع على
رأسها طائراً يُشبعها مثله أكلته وانصرفت . وأن ذلك دأبها ما منع الرمل
جانبيه^(٣) في الصيف والقيظ ، في انتصاب النهار والهاجرة . وذلك أن
الطائر لا يشك أن الحية عودٌ ، وأنه سيقوم له مقام الجذل للحرباء^(٤) ،
إلى أن يسكن الحر وهج الرمل .

وفي هذا الحديث من العجب أن تكون هذه الحية تهتدي لمثل هذه
الحيلة . وفيه جهل الطائر بفرق ما بين الحيوان والعود . وفيه قلة اكتراث
الحية بالرمل الذي عاد كالجمر^(٥) ، وصلاح أن يكون ملة وموضعا للخبرة^(٦) ،
ثم [أن^(٧)] يشتمل ذلك الرمل على ثلث الحية ساعات من النهار ، والرمل
على هذه الصفة . فهذه أعجوبة من أعاجيب مافى الحيات .

(١) في نهاية الأرب (١٠ : ١٣٩) : « نابت » بالنون .

(٢) س : « أكلته » .

(٣) س : « جانبا » ، محرف .

(٤) الجذل ، بالكسر ويفتح : ما عظم من أصول الشجر ، وما على مثال شماريخ النخل
من العيدان . والحرباء : بالكسر : دويبة من العطاء بطيئة الحركة تتلون ألوانا :
Chameleon . وهي إذا احتتمت بجذل شجرة لم يميزها الراى ؛ لأنها تتلون
سريماً بلون الجذل ، فيحسبها تتواءم فيها لا أنها شيء غريب عنه ، فتحفظ
نفسها بذلك .

(٥) عاد هنا ، بمعنى صار .

(٦) الملة ، بالفتح : الرماد الحار . والخبرة : بالضم : عجين يوضع في الملة حتى ينصح .

(٧) ليست بالأصل .

(رضاع الحية وإعجابها باللبن)

وزعم لى رجالٌ من الصُّقالبِ ، خصيانٌ وفحول ، أنَّ الحيةَ فى بلادهم تأتى البقرة^(١) [المحفلة^(٢)] فتنطوى على فخذيها^(٣) ورُكبتها إلى عراقيها ، ثم تُشخص صدرها نحو أخلافِ ضرعِها ، حتى تلتقم الحلف ؛ فلا تستطيع البقرة [مع قوتها^(٤)] أن تترمرم^(٥) . فلا تزالُ تمصُّ اللبن ، وكلما مصّت استرخت . فإذا كادت تتلفُ أرسلتها .

وزعموا أن تلك البقرة إما أن تموت^(٦) ، وإما أن يصيبها فى ضرعها فسادٌ شديدٌ تغسرُ مداواته^(٧) .

والحية تُعجبُ باللبن . وإذا وجدت الأفاعى^(٨) الإناء غير مخمّر^(٩)

(١) ط : « البقر » ، وأثبت ما فى س ، ه ونهاية الأرب (١٢٩ : ٩) .

(٢) الزيادة من نهاية الأرب . والمحفلة ، بفتح الفاء المشددة : الناقة أو البقرة أو الشاة لا يحلبها صاحبها أياما حتى يجتمع لبنها فى ضرعها ، فإذا احتلبها المشتري وجدها غزيرة اللبن فزاد فى ثمنها . وفى الحديث : « من اشترى شاة محفلة فلم يرضها ردها ورد معها صاعا من تمر » . وبدلها فى س ، ه : « المحفلة » تحريف ما أسلفت .

(٣) ط : « فخلى البقرة » .

(٤) الزيادة من نهاية الأرب .

(٥) ترمرم : تتحرك .

(٦) بدلها فى نهاية الأرب : « تتلف » .

(٧) س ونهاية الأرب : « يعسر دواؤه » .

(٨) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٩) خمر الإناء : غطاه .

٣٩ كَرَعَتْ فِيهِ ^(١) ، وَرَبَّمَا مَجَّتْ فِيهِ مَا صَارَ فِي جَوْفِهَا ، فَيَصِيبُ شَارِبَ ذَلِكَ اللَّبَنِ أَذَى وَمَكْرُوهٌ كَثِيرٌ .

وَيُقَالُ إِنَّ اللَّبْنَ مُحْتَضِرٌ ^(٢) . وَقَدْ ذَهَبَ نَاسٌ إِلَى الْعَمَّارِ ، عَلَى قَوْلِهِمْ إِنَّ الثَّوْبَ الْمُعْصِفَرَ مُحْتَضِرٌ ^(٣) . فَظَنَّ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْمَعْنَى فِي اللَّبَنِ إِنَّمَا رَجَعَ إِلَى الْحَيَاتِ .

(مَا تَعَجَّبَ بِهِ الْحَيَاتِ)

وَالْحَيَّةُ تَعْجَبُ بِالْأَفْحَاحِ ^(٤) وَالْبِطِّيخِ ^(٥) ، وَبِالْحَرْفِ ^(٦) ، وَالْخُرْدِلِ الْمُرْخُوفِ ^(٧) ، وَتَكْرَهُ رِيحَ السَّدَابِ ^(٨) وَالشَّيْخِ ، كَمَا تَكْرَهُ الْوَزْغَ رِيحَ الزَّعْفَرَانِ .

(١) كَرَعَ فِي الْمَاءِ أَوْ فِي الْإِنَاءِ ، كَنَعَ وَسَمِعَ ، كَرَعَا وَكَرَوْعًا : تَنَاوَلَهُ بِفِيهِ مِنْ مَوْضِعِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشْرَبَ بِكَفِيهِ وَلَا بِإِنَاءٍ .

(٢) مُحْتَضِرٌ ، بِالضَّادِ الْمُعْجَمَةِ الْمَفْتُوحَةِ : تَحْضُرُهُ الْجَنُّ فَيَمَّا يَزْعُمُونَ ؛ قَالُوا : وَلِذَلِكَ يَسْرِعُ إِلَيْهِ الْفَسَادُ . وَفِي الْأَصْلِ : « مُحْتَضِرٌ » بِالْمُهْمَلَةِ . وَلَيْسَ صَوَابًا .

(٣) ط : « مُحْتَضِرٌ » س : « مُحْتَضِرٌ » . وَصَوَابُهُ مَا أَثْبَتَ مِنْ هـ . وَانْظُرِ التَّنْبِيهَ السَّابِقَ .

(٤) الْفَحَّاحُ بِالضَّمِّ وَتَشْدِيدِ الْفَاءِ : نَبْتٌ عَرِيفُ الْوَرَقِ ؛ وَلَهُ ثَمَرٌ فِي حَجْمِ الْتَفَّاحِ إِلَّا أَنَّهُ أَصْفَرُ شَدِيدِ الْعَفْوَصَةِ وَالْقَبْضِ ، فَإِذَا نَضِجَ مَالَ إِلَى حَلَاوَةٍ مَا . وَيُسَمَّى بِالشَّامِ تَفَّاحُ الْجَنِّ . وَأَصْلُهُ يَتَكُونُ كَصُورَةِ الْإِنْسَانِ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ ، وَلِذَلِكَ يُسَمَّى بِالسَّرِيَانَةِ : « يَبْرُوحَا » أَيْ يَنْقُصُهُ الرُّوحُ : وَيُسَمَّى بِالْفَارَسِيَّةِ : « هَزَارُ كَشَاي » أَيْ يَحُلُّ أَلْفَ عَقْدَةٍ .

(٥) لَا يَزَالُ هَذَا الزَّعْمُ بَاقِيًا فِي مِصْرَ ، وَالْعَامَّةُ عِنْدَنَا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْفَظُوا الْبِطِّيخَ الْمَشْقُوقَ مِنْ أَذَى الْحَيَاتِ وَالْهُوَامِ ، غَيَّبُوا نَصْلَ السَّكِينِ فِي جَوْفِهِ ، فَيَعْصِمُهُ ذَلِكَ مِنْ شَرِّ الْهُوَامِ فَيَمَّا يَرُونَ .

(٦) الْحَرْفُ ، بِالضَّمِّ : هُوَ الْمَعْرُوفُ بِحَبِّ الرِّشَادِ .

(٧) الْمُرْخُوفُ ، بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ : الَّذِي وَضَعَ عَلَيْهِ الْمَاءَ فَاسْتَرَخَى . وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ مُحَرَّفَةٌ فِي أَصْلِهَا ، فَهِيَ فِي ط ، هـ : « الْمُرْخُوفُ » وَفِي س : « الْمُرْخُوفُ » بِالْخَاءِ الْمُهْمَلَةِ .

(٨) هـ : « السَّدَابُ » بِالْمُهْمَلَةِ ، تَصْغِيفٌ . وَانْظُرِ لِلْعَقْدِ (٦ : ٢٤٣) .

(قوة بدن الحية)

وليس في الأرض شيءٌ جسمه مثلُ جسم الحيةِ ، إلا والحيةُ أقوى بدنًا منه أضعافا . ومن قوتها أنها إذا أدخلت رأسها في جُحرِها ، أو في صدعٍ إلى صدرها ، لم يستطع أقوى الناس وهو قابضٌ على ذنبها بـكَلْتاً^(١) يديه أن يخرجها ؛ لشدةِ اعتمادها ، وتعاونِ أجزائها . وليست بذاتٍ^(٢) قوائم لها أظفارٌ أو مخالبٌ أو أظلاف^(٣) ، تُنْشِبُهَا في الأرض ، [و^(٤)] تثبت بها^(٥) ، وتعتمد عليها . وربما انقطعت في يدي^(٦) الجاذب لها ، مع أنها لدنةٌ ملساءٌ عِلْكةٌ^(٧) فيحتاج الرفيق^(٨) في أمرها عند ذلك ، أن يُرسلها من يديه بعضَ الإرسال ، ثم ينشطها^(٩) كالْمَحْتَطِفِ والمُحْتَلِسِ ، وربما انقطع ذنبها في يد الجاذب لها . فأما أذنانُ الأفاعي فإنها تنبت .

-
- (١) كذا على الصواب في س ؛ إذ أن كذا وكلتا إذ أضيفتا إلى اسم ظاهر ألزمتا الألف .
وفي ط ، ه : « بكلتى » ، وهو خطأ .
- (٢) في الأصل : « بذى » ، ووجهه ما أثبت .
- (٣) ط ، ه : « لها أظلاف » ، صوابه في س .
- (٤) الزيادة من س ، ه .
- (٥) س : « تثبت فيها » .
- (٦) ط : « يد » . وانظر السطر الرابع من هذه الصفحة .
- (٧) علكة ، كفرحة : من قولهم طعام هالك وعلك ، ككتف : متين المضافة . ط ، ه : « من أنها » ، وإذا عكس المراد ، إذ المعنى أن ملاستها تقتضى انزلاتها من يد الجاذب ، وكونها علكة يستلزم أن تكون متينة تعز على القطع .
- (٨) س : « فتحتاج إلى الرفق » ، وهى عبارة لاتساير باقى الكلام .
- (٩) نشط الشيء ، من باب نصر : اختلسه .

ومن عجيب ^(١) ما فيها من هذا الباب ، أن نابها يُقَطَّع بالسكاز ^(٢) ،
فينبت حتى يتم نباته في أقل من ثلاث ليال :

(نزع عين الخطاف)

والخطاف في هذا الباب خلاف الخنزير ، لأن الخطاف ^(٣) إذا قُلِّعت
إحدى عينيه رجعت . وعين البرذون يركبها البياض ، فيذهب في أيام
يسيرة .

(الاحتيال لناب الأفعى)

وناب الأفعى يحتال له بأن يدخل في فيها حُمَاض أترج ^(٤) ، ويطبق
لحيها ^(٥) الأعلى على الأسفل ، فلا تقتل بعصتها أياماً صالحة .
والمغناطيس الجاذب ^(٦) للحديد ، إذا حُكَّ عليه الثوم ^(٧) ،
لم يجذب الحديد .

(١) س : « أعجيب » .

(٢) السكاز ، بالزاي : هو المقص بالفارسية . ط : « بالسكار » صوابه في س ،
هو ومعاجم بالمر ، واستينجاس ، وريتشاردسن .

(٣) س : « الخنزير » صوابه في ط ، هـ . وسيأتي في ص ١٤٣ : « فإن
نازعا لو نزع عيون فراخ الخطاطيف وفراخ الحيات لعادت بصيرة » .

(٤) الأترج ، سبق الحديث عنه في (٣ : ٥٨١) . وحماضه : شحمه .

(٥) اللحى ، بالفتح : العظم الذى فيه الأسنان من داخل الفم . ط ، هـ : « لحيها »
بالتثنية ، صوابه الإفراد كما في س .

(٦) المغنطيس والمغناطيس ، بكسر الميم من كل منهما ، وكذا المغنيطس بفتح الميم وكسر
النون وفتح الطاء : حجر يجذب الحديد ، معرب . وفي الأصل أيضا : « الجاذبة »
صوابه ما أثبت .

(٧) الثوم ، بالضم ، ذاك النبت المعروف . س : « عليها » وهى على الصواب
في ط ، هـ . وجه مناسبة هذه الفقرة لما قبلها ، هو أن بعض المواد إذا اقترنت
بمادة أخرى فقدت بعض خواصها .

(خصائص الأفعى)

والأفعى لا تدور عينها في رأسها ، وهي تلد وتبيض ، وذلك أنها إذا
طرقت ببيضها ^(١) تحطم في جوفها ، فترى بفراخها أولاداً ، حتى كأنها من
الحيوان الذى يلد حيواناً مثله .

وفى الأفاعى من العجب أنها تذبح حتى يُفَرى منها كلُّ ودج ، فتبقى
كذلك أياماً لا تموت : وأمرت ^(٢) الحاوى فقبض على خرزة ^(٣) عنقها ،
فقلت له : اقبضها من الخرزة التى تليها قبضاً رقيقاً ^(٤) . فما فتح بيها بقدر
سم الإبرة حتى بردت ميته ^(٥) . وزعم أنه ^(٦) قد ذبح غيرها من الحيات
فعاشت على شبيه بذلك ، ثم إنه فصل تلك الخرزة على مثال ما صنع
بالأفعى ، فماتت بأسرع من الطرف .

(١) طرقت ببيضها ، بتشديد الراء : حان لها أن يخرج ببيضها . ط : « طرقت
بيضها » صوابه فى س ، ه .

(٢) ط ، ه : « فأمرت » بالفاء .

(٣) الخرزة ، بالتحريك : الفقرة من فقرات الظهر أو العنق .

(٤) س : « من الفقرة » والفقرة والخرزة ميان . ه : « فصلاً رقيقاً » محرف .

(٥) سم الإبرة : ثقبها . بردت : ماتت .

(٦) الضمير المستكن ، الحاوى الذى سبق ذكره .

(قوة بدن المسوح)

وكلُّ شَيْءٍ مَمْسُوحِ الْبَدَنِ ^(١) ، لَيْسَ بِذِي أَيْدٍ وَلَا أَرْجُلٍ ^(٢) ، فَإِنَّهُ
يَكُونُ شَدِيدَ الْبَدَنِ ، كَالسَّمَكَةِ ^(٣) وَالْحَيَّةِ .

(حديث في سم الأفعى)

وَزَعِمَ أَحْمَدُ بْنُ غَالِبٍ ^(٤) قَالَ : بَاعَنِي حَوَّاءُ ثَلَاثِينَ أَفْعَى بَدِينَارِينَ ،
وَأَهْدَى إِلَيَّ خَمْسًا اصْطَادَهَا مِنْ قُبَالَةِ الْقَلْبِ ^(٥) ، فِي تِلْكَ الصُّحَارَى عَلَى
شَاطِئِ دَجْلَةٍ . قَالَ : وَأَرَدْتُهَا لِلتَّرْيَاقِ . [قَالَ] : فَقَالَ لِي حِينَ جَاءَنِي بِهَا :
قُلْ لِي : مَنْ يِعَالِجُهَا ؟ [قَالَ] : فَقُلْتُ لَهُ : فَلَانَ الصَّيْدَلَانِيَّ . فَقَالَ : لَيْسَ
عَنْ هَذَا سَأَلْتُكَ ، قُلْ لِي : مَنْ يَذْبَحُهَا وَيَسْلُخُهَا ؟ قَالَ : قُلْتُ : هَذَا الصَّيْدَلَانِيُّ
بَعِينُهُ . قَالَ : أَخَافُ أَنْ يَكُونَ مَغْرُورًا مِنْ نَفْسِهِ ، إِنَّهُ وَاللَّهِ إِنْ أَخْطَأَ
مَوْضِعَ الْمَفْصِلِ مِنْ قَفَاهُ ^(٦) ، وَحَرَكَتَهُ أَسْرَعُ مِنَ الْبَرْقِ ، فَإِنْ كَانَ لَا يَحْسُنُ ^(٧)

(١) هذه الكلمة ساقطة من هـ . و « ممسوح » بالخاء المهملة ، وقد فسر به سياقي . وفي الأصل : « ممسوخ » بالخاء المعجمة ، وهو تصحيف .

(٢) ط : « رجل » والوجه الجمع كما في س ، هـ .

(٣) ط ، هـ : « كالسمك » .

(٤) س : « أحد بني غالب » . والصواب ما أثبت من ط ، هـ . ويؤيده اتفاق النسخ على إثبات « ابن غالب » في الصفحة ١١٦ .

(٥) موضع أو ماء ، لم أهتم بعد إلى ضبطه أو تعيينه .

(٦) ط : « قفاها » صوابه في س ، هـ .

(٧) س : « يحسن » .

ولا يدري كيف يتغفله ، فينقره نقرة^(١) لم يفلح بعدها أبداً . ولكني
سأتطوَّع لك بأن أعمل ذلك بين يديه . قال : فبعثت إليه . وكان رأسه
[إلى (٢)] الجونة^(٣) ، فيُغفل^(٤) الواحدة فيقبض على قفاها بأسرع من
الطرف^(٥) ، ثم يذبجها . فإذا ذبجها سال من أفواها لعاباً أبيض ، فيقول :
هذا هو السم الذي يقتل ! قال : فجالت يده جولة . وقطرت من ذلك اللعاب
قطرة على طرف قيصر الصيدلاني . قال : فتفشى^(٦) ذلك القاطر حياً
صار في قدر الدرهم العظيم . ثم إن الحواء امتحن ذلك الموضع فتهافت

(١) النقر ، بالقاف : أصله للغير ، واستعماله في الحيات غريب ، لم أر مثله إلا فيما ورد
في ص ١٠٩ ، وكذا في أثناء قصة رواها الجهشيارى (في كتاب الوزراء
والكتاب) بشأن حية مر بها رجل فقالت له : أدخلني في كك حتى أدفأ ثم أخرج .
فأدخلها فلما دفئت قال لها : اخرجي ! فقالت : إني ما دخلت في هذا المدخل قط
فخرجت حتى أنقر نقرة . وبعدها : « ووالله لئن دخل أسامة لينقرنك نقرة » . كل
أولئك بالقاف . انظر الجهشيارى ٥٦ س ١٤ ، ١٥ . والمعروف في الأفاغى :
نكر ينكر ، بالنون ثم الكاف بعدها زاي معجمة ، كما سيأتي في ص ٢٥٣ .
(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) الجونة ، بضم الجيم : سلية (تصغير سلة) مغطاة أدما (أى جلداً مدبوغاً) تكون
مع العطارين . ذاك أصلها . ط ، هـ : « الحونة » بالخاء ، صوابه في س .
(٤) يقال أغفلت الرجل : أصبته ووجدته غافلاً ، وعلى ذلك فسر بعضهم قوله عز وجل
« ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا » : اللسان . س ، هـ : « فيتغفل » . يقال
تغفله واستغفله : تحيئت غفلته . والرواية المثبتة من ط .

(٥) الطرف : مصدر طرف بصره : أطبق أحد جفنيه على الآخر . والطرف أيضاً : العين .
س : « في أسرع من الطرف » .

(٦) تفشى بالفاء : انتشر واتسع . وفي اللسان : « تفشى الخبر : إذا كتب على كاغذ
رقيق فتمشى فيه » . ط ، س : « فتفشى » بالعين بدل الفاء ، ووجهه
ما أثبت من هـ .

في يده ، وبقيت الأفاعى مُذْبَحَةٌ^(١) [تجول] في الطست ويكدم^(٢) بعضها بعضاً ، حتى أمسينا .

قال : وبكرت على أبي رجاء إلى باب الجسر ، أحدثه بالحديث ، فقال لي : وددت أني رأيت موضع القطرة من^(٣) قيص الصيدلاني ! قال : فوالله ما رمت^(٤) حتى مررت معي إلى الصيدلاني ، فأريتته موضعه .

وأصحابنا يزعمون أن لعاب الأفاعى لا يعمل في الدم . إلا أن أحمد ابن المثنى زعم أن من الأفاعى جنساً لا يضرُّ الفراريج من بين الأشياء ، ولا أدرى أي الخبرين أبعد : أخبر ابن غالب في تفسيح الثوب ، أو خبر ابن المثنى في سلامة الفروج على الأفعى ؟

(ما تضيء عينه من الحيوان)

وزعم محمد بن الجهم أن العيون التي تضيء بالليل كأنها مصابيح ، عيون الأسد والنمر ، والسنانير والأفاعى ، فيينا نحن عنده إذ دخل عليه بعض من يجلب الأفاعى من سجستان ، ويعمل الثرياقات ، ويبيعها أحياء ومقتولة^(٥) ، فقال له : حدثهم بالذي حدثتني به من عين الأفعى . قال : نعم ، كنت في منزلي نائماً في ظلمة . وقد كنت جمعت رعوس أفاع^(٦)

(١) ط : « مذبوحة » وأثبت ما في س ، ه .

(٢) يكدم : يعض . ط : « يكدم » بدون واو قباها .

(٣) س ، ه : « في » .

(٤) مارمت ، بكسر اللام من « رمت » : أي ما برحت .

(٥) في الأصل : « معمولة » .

(٦) في الأصل : « أفاعى » بإثبات الياء . والوجه حذفها .

كنّ عندي ، لأرمى بها ، وأغفلت تحت السرير رأساً واحداً ، ففتحت عيني
تجاه السرير في الظلمة فرأيت ضياءً إلا أنه ضئيلٌ ضعيفٌ رقيق ، فقامت :
عينٌ غولٍ أو بعض أولاد السّعالى ، وذهبت نفسى فى ألوانٍ من المعانى ،
فقامت فقدّخت ناراً ، وأخذت المصباح معى ، ومضيت نحو السرير فلم أجِدْ
تحتَه إلا رأسَ أفعى^(١) ، فأطفأت السّراج ونمت^(٢) وفتحت عيني ، فإذا
ذلك الضوء على حاله ، فنهضت فصنعت كصنيعى الأوّل ، حتى فعلت ذلك
مراراً . قال : فقلت آخر مرّة : ما أرى^(٣) شيئاً إلا رأسَ أفعى ، فلو نحيته ا
فنهيته وأطفأت السّراج ، ثم رجعت إلى منامى ، ففتحت عيني فلم أرَ الضوء ،
فعلمت أنه من عين الأفعى ، ثم سألت عن ذلك ، فإذا الأمرُ حقٌّ ، وإذا هو
مشهورٌ فى أهل هذه الصّناعة .

(قوة بدن الحية وعلة ذلك)

قال : وربما قبضَ الرَّجلُ الشَّدِيدُ الأَمْرَ والقُوّةُ القَبْضَةُ على قفا الحية
فتلفٌ عليه فتصرّعه . وفى صُعودِها وفى سعيها خلفَ الرَّجلِ الشَّدِيدِ
الْخَضِرُ ، أو عند هربها حتى تفوت وتسبق ، وليست بذاتِ قوائِمٍ ، وإنما

(١) الأفعى مؤنثة ، وقد استعملت اسماً ووصفاً . فن جعلها وصفاً لم يصرف كما
لا يصرف أحر ، ومن جعلها اسماً صرف ، كما صرف أرنبا وأنكلا . المخصص
(١٦ : ١٠٦) . هذا قول الفارسي . وقاله غيره : « الأفعى تقع على الذكر والمؤنث » .
المخصص (١٦ : ١٠٥) .

(٢) س : « ونمتا » ، ونام هنا بمعنى رقد .

(٣) ط ، ه : « لا أرى » .

تنسابُ على بطنها . وفي تدافعِ أجزائها وتعاونها ، وفي حرَكةِ الكلِّ^(١) من ذاتِ نفسها ، دليلٌ على إفراطِ قُوَّةِ بدنِها .

ومن ذلك أنها لا تمضغ ، وإنما تبتلع ، فرَّبما كان في البَضْعَةِ أو في الشيء الذي ابتلعته عَظْمٌ ، فتأني جذمَ شجرةٍ ، أو حَجَرًا شاخصا^(٢) فتنطوى عليه انطواءً شديداً فيتحطم^(٣) ذلك العَظْمُ حتَّى يصير رُفَاتًا .

ثمَّ يُقَطَّعُ ذنبُها فينبت . ثمَّ تعيشُ في الماء ، إن صارت في الماء ، بعد أن كانت برِّيَّةً ، وتعيشُ في البرِّ بعد أن طال مُكثُها في الماء وصارت مائيَّةً .

قال : وإنما أتنها هذه القُوَّةُ ، واشتدَّت فقرُ ظهرِها هذه الشَّدَّةُ ؛ لكثرةِ أضلاعِها ، وذلك أن لها من الأضلاع عددَ أيَّامِ الشهر . وهي مع ذلك أطولُ الحيوانِ عمراً .

(موت الحية)

ويزعمون أن الحية لا تموتُ حتفَ أنفها ، وإنما تموتُ بعَرَضٍ يعرِضُ لها . ومع ذلك فإنه ليس في الحيوان شيءٌ هو أصبرُ على جوعٍ من حيةٍ ، لأنها إن كانت شابةً فدَخَلَتْ في حائط صخر ، فتتبعوا موضعَ مدخلِها بوتيدٍ أو بحجر^(٤) ، ثمَّ هدموا هذا الحائط ، وجدوها هناك منطوية

(١) أى كل أجزائها . ط ، هـ : « حركتها الكل » صوابه في س . والواو التي قبل « في » ساقطة من ط .

(٢) شاخصا : مرتفعا . س : « حجر شاخص » صوابه في ط ، هـ .

(٣) س : « فيحطم » .

(٤) س : « حجر » .

وهي حَيَّةٌ . فالشَّابَّةُ تُذكر بالصَّبْر عند هذه العِلَّة (١) . فَإِنْ هَرِمَتْ صَغُرَتْ
فِي بدنِهَا ، وَأَقْنَعَهَا النَّسِيمُ ، وَلَمْ تَشْتَهِ الطَّعْمُ . وقد قَالَ الشَّاعِرُ : - وهوَ
جَاهِلِيٌّ (٢) - :

فَابْعَثْ لَهُ مِنْ بَعْضِ أَعْرَاضِ اللَّحْمِ (٣) لُمَيْمَةً مِنْ حَنْشٍ أَعْمَى أَصْمٌ
قَدْ عَاشَ حَتَّى هُوَ لَا يَمْشِي بِدَمٍ فَكُلَّمَا أَقْصَدَ مِنْهُ الْجُوعُ شَمٌ (٤)
وهذا (٥) القولُ لهذا المعنى . وفي هذا الوجه يَقُولُ الشَّاعِرُ (٦) :

دَاهِيَةٌ قَدْ صَغُرَتْ مِنْ (٧) السَّكْبَرِ صِلٌ صِفًا مَا يَنْطَوِي مِنَ الْقِصَرِ (٨)

(١) أى تذكر بالصبر على الجوع . والعبارة ساقطة من هـ . وفي ط ، س :
« تذكر الضمر » . وصوابه ما أثبت .

(٢) مثله في ص ٢٨٣ . وبعض هذا الرجز سيأتي في (٦ : ١٢٩ ، ٤٠٢) .

(٣) اللحم ، بالتحريك : ما يلم بالإنسان من شدة ، ومثله « أمة » بالفتح . وقد صغرها
فيما سيأتي .

(٤) أى شم الهواء ، يطعمه بدل الطعام ، كما سبق . ط ، هـ : « سم » بالمهمل ،
صوابه في س وفي ص ٢٨٣ . وأقصده : أصابة إصابته محققة .

(٥) س : « فهذا » .

(٦) هو خلف الأحمر كما سيأتي في ص ٢٨٥ - ٢٨٦ ، أو هو النابتة كما في ديوان المعاني
(٢ : ١٤٥) وأصل نهاية الأرب (١٠ : ١٤٥) وحامسة ابن الشجري
٢٧٣ - ٢٧٤ . وفي مجموعة المعاني ، لمؤلف مجهول ١٩٥ : « وقال النابتة ، ونسبت
إلى خلف الأحمر » .

(٧) ضبطت : « داهية » بالنصب في المخصص (٨ : ١٠٩) . وروى صاحب المخصص
أيضاً « حارية » بالنصب كذلك .

(٨) الصفا : الحجر الصلب الضخم لا ينبت شيئاً . ط : « صفا » صوابه في س ، هـ .
يقول : قد قصر حتى ما يمكن انطوائه . في نهاية الأرب : « لا تنطوي » ، وفي
ديوان المعاني : « لا ينطوي » ، وفي حامسة ابن الشجري : « ما ينطوي » ،
وهذه مصحفة .

طويلة الإطراق من غير خَفَر^(١) كأنما قد ذهبت بها الفكر^(٢)

جاء بها الطوفان أيام زخر^(٣)

(صَبَرُهَا عَلَى فَقْدِ الطَّعْمِ)

ومن أعاجيبها أنها وإن كانت مَوْصُوفَةً بِالشَّرِّ والنَّهْمِ ، وَسُرْعَةِ

٤٢ الابتلاع ، فلها في الصَّبْرِ في أَيَّامِ الشَّتَاءِ ما ليس للزَّهِيدِ^(٤) . ثُمَّ هِيَ بَعْدُ

[مِمَّا^(٥)] يصير بها الحالُ إلى أن تستغنيَ عن الطَّعْمِ^(٦) .

(النَّهْمُ وَالتَّعَابِينُ)

ثُمَّ قَدْ يَزْعُمُونَ أَنَّ مَعَصَرَ دَوِيبَةٍ يُقَالُ لَهَا النَّهْمُ^(٧) يَتَّخِذُهَا النَّاطُورُ^(٨)

إِذَا اشْتَدَّ خَوْفُهُ مِنَ التَّعَابِينِ ، لِأَنَّ هَذِهِ الدَّابَّةَ تَنْقَبِضُ وَتَنْضَمُّ ،

(١) الإطراق ، بالقاف : إرخاء العينين والنظر بهما إلى الأرض . ط ، هـ : « الأطراف » بالفاء . ومثله في ديوان المغانى ، ونهاية الأرب . وهو تصحيف لوجه له ، والصواب المشيت من س وحماة ابن الشجرى . والحفر : شدة الحياء ، وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط : « تفر » وفي س ، هـ : « نفر » وفي أصل نهاية الأرب « حفر » ، وصوابها في ديوان المغانى وحماة ابن الشجرى . والرواية في ص ٢٨٦ : « حسر » . وقد أنث « طويلة » لأن الصل بمعنى الحية ، وهي مؤنثة .

(٢) كذا في ط ، هـ . ورواية س : « كطرق قد ذهبت به الفكر » .

(٣) زخر ، بالزاي المعجمة : كثر ماؤه وعظمت أمواجه . هـ : « زخر » محرف .

(٤) في التهذيب : « رجل زهيد وامرأة زهيدة » وهما القليل الطعم . والطعم ، بالضم : الطعام .

(٥) من س ، هـ .

(٦) ط : « الطم » صوابه في س ، هـ .

(٧) النهْمُ ، بالكسر : حيوان أكدر اللون أحر العينين قصير القوائم طويل الجسم والذنب ، ولا يزال معروفًا في مصر ، يراه الفلاحون في بعض المزارع ، ويستأنسه بعض التجار في حوائيتهم . والعامة يضربون بعينه المثل ، فيقولون : « عينه كعين النمن ، وفلان ممس » ، يعنون بالأول أنه حديد البصر سريعه ، وبالثاني أنه ألمى حاذق لاتفوته الفرصة .

(٨) الناطور : حافظ النخل والشجر ، قيل إنه دخيل . وقال الأصمعي : هو الناطور =

وتتَضَاعَلُ^(١) وتستدقّ ، حتّى كأنّها قَدِيدَةٌ^(٢) أو قطعةُ حبل ، فإذا عَضَّها
الشَّعْبَانِ وانطوى عليها زَفَرَتْ ، وأخذتْ بِنَفْسِها وزَخَرَتْ^(٣) جوفها فانتفخ .
فتفعل ذلك وقد انطوى عليها ، فتقطعه قِطْعاً من شِدَّةِ الزُّخْرَةِ^(٤) .
وهذا من أعجب الأحاديث .

(القوائِل من الحيات)

والشَّعَابِينَ إحدى القوائِل . ويزعمون أنها ثلاثة أجناسٍ لا ينجعُ فيها
رَقِيَّةٌ ولا حِيلَةٌ ، كالشَّعْبَانِ ، والأفعى ، والهنديَّة^(٥) . ويقال : إنَّ ما سِوَاهَا
فإنما يقتلُ مع ما يُمِدُّها من الفرع ؛ فقد يفعل الفرع وحده ؛ فكيف إذا
قَارَنَ سُمُّهَا^(٦) ؟ ! [وَسُمُّهَا]^(٧) إن لم يقتلْ أَمْرَضَ .

= والنبط يجعلون الظاء طاء ، ألا تراهم يقولون « برطلة » وإنما هو ابن الظل .
قلت : ذلك معناها التفصيل الاشتقاقى ، وكلمة « بر » بمعنى الابن بالنبطية ، فهو يريد
أن النبط ألفوا الكلمة من لفظهم ومن كلام العرب . ومعنى الكلمة : المظلة الضيقة .
انظر المعرب ص ١٤٧ ثم ص ٢٩ .

(١) تتضاعل : تنقبض وينضم بعضها إلى بعض . وهذه الكلمة ماقطة من س ، وعجرفة
في ط ، هـ برسم « تنصال » .
(٢) قديدة : مصغر القدة بالكسر ، وهى واحدة القدة ، كما فى القاموس . والقدة : سيور
تقد من جلد فطير غير مدبوغ ، فتشد بها الأقتاب والحامل ، كما فى اللسان .
ط ، هـ : « فريدة » صوابه فى س . وانظر أواخر مفاخرة الجوارى والغلمان
من رسائل الجاحظ .

(٣) زخر الشيء : ملأه ، كما فى القاموس . س : « زخرت » ، وكتبت النقطة العليا
بالمداد الأحمر ، والسفل بالأسود ، ولم أستطع توجييه : « زجرت » بالجيم .

(٤) هـ : « الزجرة » وانظر التنبيه السابق . س : « الزحزة » مصحفة .

(٥) فى العبارة نقص وتشويه . وانظر ما نقل الدميرى عن الجاحظ (١ : ٤١١) .

(٦) ط ، هـ : « قارنه » .

(٧) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إليها .

(ما يفعل الفزع في المسموم)

ويزعمون أنَّ رجلاً قال^(١) تحتَ شجرةٍ ، فتدلَّت عليه حيَّةٌ منها
فعضَّت رأسه ، فانتبه محمراً الوجه ، فحكَّ رأسه ، وتلفَّت^(٢) ، فلم يرَ شيئاً ،
فوضع رأسه ينام ، وأقام مدَّةً طويلةً لا يرى بأساً ، فقال له^(٣) بَعْضُ مَنْ
كان رأى تدلِّيها عليه ثمَّ تقلَّصها عنه وهروبها منه^(٤) : هل علمتَ مِنْ أَىِّ
شئٍ كان انتباهك تحتَ الشَّجرة ؟ قال : لا والله ، ما علمت . قال : بلى ،
فإنَّ الحيَّةَ القُلانيَّةَ نزلت عليك حتَّى عضَّت رأسك ، فلما جلست [فزعا]
تقلَّصت عنك وتراجعت . ففزع فزعةً وصَرَخَ صرخةً كانت فيها نفْسُهُ .
وكانهم توهَّموا أنَّه لما فزع واضطربَ ، وقد كان ذلك السَّمُّ مغموراً
ممنوعاً فزال ما نِعه ، وأوغله ذلك الفزعُ ، حينَ^(٥) تفتَّحت منافسُهُ ، إلى
موضع الصَّميم والدِّماغِ وعمقِ البدنِ ، فأنحلَّ موضعُ العقْد الذي انعقدت
عليه أجزاؤه وأخلَّطه .

وأنشد الأصمعيُّ :

نَكِيْثَةٌ تَنْهَشُهُ بِمَنْبَذٍ^(٦)

(١) قال ، هنا ، بمعنى نام في القائلة ، وهي نصف النهار .

(٢) ط ، هـ : « ويلتفت » ، وأثبت ما في س والدميري .

(٣) بدل هذه العبارة في س : « فلما كان ذلك قال » .

(٤) « وهروبها منه » ساقط من س . وفي ط ، هـ : « من كان رأى حاله » الخ .

(٥) في الأصل : « حتَّى » .

(٦) ط ، هـ : « ونكشة » .

وَأُنْشِدَ لِأَبِي دُوَادٍ الْإِيَادِيَّ :

فَأَنَانِي تَقْجِيمُ كَعْبٍ لِيَ الْمَذْ طَقَّ إِنَّ النَّسْكِثَةَ الْإِفْحَامَ^(١)

(أثر الفزع في فعل السم)

قال : فالفزعُ إما أن يكون يُوصِلُ السمَّ إلى المقاتِلِ ، وإمّا أن يكون معيناً له ، كتعاون الرَّجُلَيْنِ على نزع وتِد . فهم^(٢) لا يجزمون على أن الحية من القواطل البتّة^(٣) ، إلّا أن تقتلَ إذا عضَّت النائمَ والمغشى عليه ، والطفلَ الغريرَ ، والمجنونَ الذي لا يَعْقِلُ ، وحتى تَجَرَّبَ عليه الأدوية .

(الترياق وانقلاب الأفعى)

وكنْتُ يوماً عند أبي عبد الله أحمد بن أبي دُوَادٍ ، وكان عنده سلْمُويه^(٤) وابن ماسويه ، وبختيشوع بن جبريل ، فقال : هل ينفع التُّرياق من نهشة

(١) التقجيم : أن يجعله يقحم أي يدخل في الأمر فجأة بلا روية . في الأصل : « تقجيم » صوابه في الشعراء ١٨٩ . وكعب ، هو كعب بن مامة ، الرجل الجواد ، وكان قد بلغ أبا دُوَادٍ شيء عنه . الشعراء ١٨٩ . وفي الأصل : « إلى المنطق » تصحيحه من الشعراء . والنكيسة : الحطة الصعبة ، ط ، هـ : « النكيسة » صوابه في س والشعراء . والإفحام بمعنى التقجيم ، ط ، هـ : « الإفحام » تصحيحه من س والشعراء ، وقد روى ابن قتيبة أربعة عشر بيتاً من هذه القصيدة .

(٢) بدل هذه الكلمة والتي قبلها في ط : « وتراهم » ، تحريف صوابه في س ، هـ .

(٣) يقال : جزم على الأمر ، بفتح الزاي تخففة ، أو مشددة : أي سكت . س : « لا يجزمون أن الحية » الخ ، ومؤدى العبارتين واحد عند التأمل .

(٤) في الأصل : « وكان أخذ داود عنده سلْمُويه » ، والكلمة الغاية والثالثة يفسدان الكلام .

أفعى ؟ فقال بعضهم : إذا عَضَّتِ الأفعى فأدرِ كَتَّ قبل أن تنقلب ^(١) نفع
 ٤٣ الترياق ، وإن لم تُدْرِكْ لم ينفع ؛ لأنهم إن قَلَّوا مِنَ التَّرياقِ قَتَلَهُ السُّمُّ ،
 وإن كثُرُوا مِنْهُ قَتَلَهُ الفاضلُ عن مقدار الحاجة .

قلت : فإن ابنَ العَجُوزِ ^(٢) خَبَّرَنِي بِأَنَّهَا ^(٣) ليست تنقلب لِجِسمِ السُّمِّ
 وإفراغِهِ ، ولكنَّ الأفعى في نابِها عَصَلٌ ^(٤) ، وإذا عَضَّتْ استفرغت إدخالَ
 النَّابِ كُلَّهُ ، وهو أَحْبَبُ أَعْصَلٍ ^(٥) ، فيه مشابهة من الشَّصِّ ^(٦) ، فإذا انقلبتْ
 كان أسهلَ لنزعه وسلِّه . فأما لصبِّ السُّمِّ وإفراغه فلا . قال : والله لعَلَّه
 ما قلت ! [قلتُ] : ما أَسْرَعَ ما شككتَ ! !

ثم قلت له : فكأنما ^(٧) وضعوا الترياق واجتلبوا الأفاعى وضنوا ^(٨)
 وعزموا على أنه لا ينفع إلا بِدْرِكِ الأفعى قبل أن تنقلب ! وكيف صار التَّرياقُ
 بعد الانقلاب لا يكون إلا في إحدى منزلتين : إما أن يقتل بكثرته ، وإما
 ألا ينفع بقلته ! فكأنَّ الترياقَ ليس نفعه إلا [في ^(٩)] المنزلِ الوسطى
 التي لا تكون فاضلة ولا ناقصة ! ولكني أقولُ لك : كيف يكون نفعه إذا
 كان الترياقُ جيِّداً قوياً ، وعُوجِلَ فسُقِيَ المقدَّارُ الأوسط ، قبل أن يَبْلُغَ
 الصَّيِّمَ ، ويغوصَ في العمقِ ^(١٠) . وعلى هذا وضع ، وهم كانوا أحزم

(١) س : « تقلب » .

(٢) في ص ٤١٩ : « ابن أبي العجوز » . وهو أحد الحوَّاثين .

(٣) س : « بأن الأفعى » .

(٤) العَصَلُ ، بالصاد المهملة والتحريرك : الاعوجاج . س ، هـ : « عضل » مصحف .

(٥) س : « أعضل » ، بالصاد المهملة كما في هـ ، ط .

(٦) هذه العبارة ليست في هـ ، وفي ط ، س : « النقص » . ووجه ما أثبت .

(٧) في الأصل : « فإنما » .

(٨) كذا .

(٩) ليست بالأصل .

(١٠) أى عمق البدن ، كما مر في ١٢٢ س ١١ . وفي الأصل : « العميق » .

وَأَخَذَقَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّفُوا شَيْئاً ، ومقداره من التَّفْعِ لا يُوصَلُ إلى معرفته .

ويقول بعضُ الخُذَّاقِ : إِنَّ سَقَى التَّرْيَاقِ بَعْدَ النِّهَشِ بِسَاعَةٍ أَوْ سَاعَتَيْنِ مَوْتُ الْمَهْوشِ .

ثم قلتُ له : وما عَلَّمَك ؟ وبأى سببٍ أيقنتَ^(١) أنها تَمِجُ من جوفِ نابِها شيئاً ؟ ! ولعله ليس هنالك إلا مَخَالِطَةُ جَوْهَرٍ ذَلِكَ النَّابِ لِدَمِ الْإِنْسَانِ ! أَوَلَسْنَا قَدْ نَجِدُ مِنَ الْإِنْسَانِ مَنْ يَعْصُ صَاحِبَهُ فَيَقْتُلُهُ ، وَيَكُونُ مَعْرُوفاً بِذَلِكَ ؟ ! وقد تَقَرَّرُونَ أَنَّ الْهِنْدِيَّةَ وَالْثُعْبَانَ يَقْتُلَانِ ، إِمَّا بِمَخَالِطَةِ^(٢) الرِّيقِ وَالدَّمِ ، وَإِمَّا بِمَخَالِطَةِ السِّنِّ وَالدَّمِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَدَّعُوا أَنَّ أَسْنَانَهُمَا مَجْوْفَةٌ^(٣) . وقد أَجْمَعَ جَمِيعُ أَصْحَابِ الثُّجَارِبِ أَنَّ الْحَيَّةَ تَضْرِبُ بِقَضَبَةٍ^(٤) فَتَكُونُ أَشَدَّ عَلَيْهَا مِنَ الْعَصَا . وقد يَضْرِبُ الرَّجُلُ عَلَى جَسَدِهِ بِقَضْبَانِ اللَّوْزِ وَقَضْبَانِ الرُّمَّانِ ، وَقَضْبَانِ اللَّوْزِ أَعْلَكَ^(٥) وَأَلْدَنَ ، وَلَكِنَّهَا أَسْلَمُ^(٦) ، وَقَضْبَانِ الرُّمَّانِ أَخْفُ وَأَسْخَفُ وَلَكِنَّهَا أَعْطَبُ .

وقد يَطَأُ الْإِنْسَانُ عَلَى عَظْمٍ حَيَّةٍ أَوْ إِبْرَةٍ عَقْرَبٍ ، وَهُمَا مَبْتَثَانِ ، فَيَلْقَى الْجَهْدَ . وقد يُخْرِجُ السَّكِّينُ مِنَ الْكَبِيرِ وَهُوَ مُحْمِي ، فَيُغْمَسُ فِي اللَّبَنِ

(١) كذا في س . وفي ط ، هـ : « علمت » .

(٢) ط ، هـ : « لمخالطة » .

(٣) س : « جوف » : جمع جوفاء .

(٤) س : « بمصية » : تصغير عصا ، صوابه في ط ، هـ .

(٥) أعلك بمعنى أشد وأبتن . ويقال : طعام عالك وعلك — كيكف : متين المضغة .

وألدن . من اللدونة ، وهي اللين . واللدن : اللين .

(٦) ط ، س : « اسم » صوابهما في هـ .

فَتِي خَالِطَ الدَّمِ قَامَ مَقَامَ السَّمِّ ، من غير أن يكون مَبِجٌ في الدَّمِ رَطوبَةٌ غليظةٌ أو رقيقةٌ .

وبعض الحجارَةِ يُسَكِّوِي بها - وهو رِخْوٌ - الأورَامُ حتى يَفَرِّقَهَا وَيُخَمِّصُهَا ^(١) من غير أن يكونَ نَفَذَ إِلَيْهَا شَيْءٌ مِنْهُ ، وليس إِلَّا المَلَاقَاةُ .
قلت : ^(٢) ولعلَّ قَوِيَّ قد انفصلت من أنيابِ الأفاعي إلى دماءِ النَّاسِ .
وقد رَوَوْا أَنَّهُ قِيلَ لَجَالِينُوسَ : إِنَّ هَاهُنَا رَجُلًا يَرِيقُ الْعُقَارِبَ فْتَمُوتُ ، أو
تَنْحَلُّ فلا تعمل ، فرآه يريقها ويتفل عليها ، فدعا به بِحَضْرَةِ جَمَاعَةٍ وهو على
الرَّيْقِ ، ودعا بَعْدَاءَهُ فَتَغَدَّى مَعَهُ ، ثُمَّ دَعَى لَهُ بِالْعُقَارِبِ فَتَفَلَّ عَلَيْهَا ، فلم
يَجِدْ لِعَابَهُ يَصْنَعُ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ رِيقًا . وَهُوَ حَدِيثٌ يَدُورُ بَيْنَ أَهْلِ
الطَّبِّ ، وَأَنْتَ طَبِيبٌ . فلم أَرَهُ في يومه ذلك قال شَيْئًا إِلَّا مِنْ طَرِيقِ
الْحَزَرِ وَالْحَدَسِ ، والبلاغات .

(السُّمُومُ)

وسُمُومُ الْحَيَّاتِ ذَوَاتِ الْأَنْيَابِ ، وَالْعُقَارِبِ ذَوَاتِ الْإِبْرِ ، إِنَّمَا تَعْمَلُ
فِي الدَّمِ بِالْإِجْمَادِ وَالْإِذَابَةِ . وكذا سُمُومُ ذَوَاتِ الشَّعْرِ وَالْقُرُونِ وَالْجُلْمِ ،
إِنَّمَا تَعْمَلُ فِي الْعَصَبِ ، ومنها ما يعمل في الدَّمِ .

(١) ط : « حتى يفرقها » س : « حتى يفرقها » صوابه في ه . ويخمسها :
يجعلها تنحصر أي تنقبض وتتضاءل وتسكن . ه : « يخمسها » بالخاء المعجمة ،
وهي صحيحة بمعنى الأولى .

(٢) في الأصل : « فإن قلت » . وصوابه حذف « فإن » . وقراءة الفعل بضمير
المتكلم ، وهو الجاحظ . وانظر انتصار الجاحظ للقول بالقوى الفاصلة من بعض
الاشياء ، في الجزء الثاني من الحيوان ص ١٣٥ - ١٤٠ .

(شرب المسموم للابن)

وحدثني بعض أصحابنا قال : كنتُ إمّا برماي^(١) وإمّا بباري^(٢) وهما بلاد حياتٍ وأفاعٍ^(٣) ، ونحن في عرسٍ ، إذ أدخلوا الحيدرَ العروسَ^(٤) فأبطئوا عليه شيئاً ، فأغنى وتلوتُ على ذراعه أفعى^(٥) ، فذهبَ ينفذها وحجّمتُ على ذراعه - وقد يقال ذلك إذا كانت العضة في صورةٍ شرطِ الحجام - فصَرَخَ وجاءوا يتعادون^(٦) فوجدوها فقتلوها ، وسقوه في تلك الليلةِ ابنَ أربعينَ عزراً ، كلّمّا استقرّ في جفهِه فقبّ من ذلك اللبنِ قائمٍ فيخرجُ منه كأمثالِ طلعٍ^(٧) الفُحالِ الأبيض^(٨) ، فيه طرائق من دسمٍ تعلوه خضرةٌ ، حتى استوفى ذلك اللبنُ كله . قال : فعندها قال شيخٌ من أهل القرية : إن كنتم أخرَجْتُم ذلك السمَّ فقد أخرَجْتُم نَفْسَهُ معه ! قال : فغبراً أيّاماً بأسوأِ حالٍ ثمّ مات . قال : وكنتُ أعجَبُ من سرعةِ استحالةِ اللبنِ وجموده .

(١) هـ : « برماي » .

(٢) س : « بباري » .

(٣) في الأصل : « أفاعي » بإثبات الياء ، وصوابه ما أثبت .

(٤) العروس ، يقال للرجل والمرأة ، والمراد هنا : الرجل .

(٥) انظر ما كتبت عن هذا اللفظ في ص ١١٧ .

(٦) يتعادون : يتبارون في العدو .

(٧) هذه الكلمة ليست في الأصل ، وهي ضرورية . والطلع : نور النخل مادام

في الكافور ، أي الغلاف .

(٨) للفحال ، كرمان : الذكر من النخل . والأبيض صفة للطلع لا للفحال .

(١) اكتفاء الحيات والضباب بالنسيم)

قلتُ : والحيات البرية إذا هرمت تنسّم النسيم فاكتفت به ^(١) ،
وكذلك الضباب إذا هرمت .
قال : ولا يكون ذلك للمائية من حيات الغياض ^(٢) وشطوط
الأنهار ، ومناقع ^(٣) المياه .

(الحيات المائية)

قال : والحيات المائية ، إمّا أن تكون بريّة أو جبليّة ، فاكتسحتها
السُّيول واحتملتها في كثير من أصناف الحشرات والدّوابّ والسُّباع ،
فتوالدت تلك الحيات وتلاقحت هناك . وإمّا أن تكون كانت أمهاتها
وآبائوها في حيات الماء . وكيف دارت الأمور فإنّ الحيات في أصل الطبع
مائية . وهي تعيش في النّدى ، وفي الماء ، وفي البرّ وفي البحر ، وفي الصّخر
والرّمْل . ومن طباعها أن ترقّ وتلطف على شكلين : أحدهما لطول العمر ،
والآخر للبُعد من الرّيف . وعلى حسب ذلك تعظم في المياه والغياض :

(١) س : « واكتفت بذلك » .

(٢) الغياض : جمع غيضة بالفتح ، وهي مجتمع الصخر في مفيض ماء . هـ : « الغيات »
محزف .

(٣) مناقع ، بالقاف : جمع منقع بالفتح ، وهو الموضع يستنقع فيه الماء . ط :
« مناقع » ، صوابه في س ، هـ .

(ما أشبه الحيات من السمك)

قال : وكلُّ شيء في الماء مما يعيش السمك ، مما أشبه الحيات كاللارماهى^(١) والأنكليس^(٢) فإنها^(٣) كلها على ضربين : فأحدهما من أولاد الحيات ، انقلبت بما عرض لها من طباع البلد والماء . والآخر من نسل سمك وحيات تلاقحت^(٤) ؛ إذ^(٥) كان [طِبَاعُ^(٦)] السمك قريباً من ٤٥ طباع تلك الحيات . والحيات في الأصل مائية ، وكلها كانت حيات .

(١) اللارماهى : ضرب من السمك الشبيه بالحيات ، وليس بحيات . واللفظ فارسي وضبطت راؤه بالكسر في معجم Palmer . ط ، هـ : « كالماء ماهى » صوابه في س .

(٢) الأنكليس : ضرب من حيات الماء . وقد جعل الجاحظ هذا وما قبله نوعين . وقد وجدت الديرى يقول إنها نوع واحد . انظر رسمى (الأنكليس ، والجري) فيه . وقال داود في التذكرة : « مارماهى هو حيات الماء المعروف عندنا بالأنكليس ، سمك شبيه بالحيات » . ولفظه يوناني معرب كما في معجم المملوك ١١ . وضبطه صاحب القاموس ، وكذا الديرى ، بفتح الهزة واللام وبكسرهما ، ويقال فيه أيضا « أنقليس » بالقاف .

(٣) في الأصل : « وإنها » .

(٤) ط ، هـ : « وتلاقحت » والصواب حذف الواو كما في س .

(٥) س : « إذا » ، صوابه ما أثبت من ط ، هـ .

(٦) ليست بالأصل . وبها يلتزم الكلام .

(قرابة بعض النبات لبعض)

وقد زعم أهل البصرة أن مُشَان^(١) الكوفة قريب^(٢) من بُرْنَى^(٣) البصرة ، قلبته البلدة .

ويزعم أهل الحجاز أن نخل النارجيل^(٤) هو نخل المقل^(٥) ، ولكنّه انقلب لطباع البلدة . وأشبه ذلك كثير .

ويزعمون أن الفيلة مائيّة الطّباع بالجاموسيّة والخنزيرية التي فيها .

(١) المشان كغراب وكتاب : نوع من أطيب الرطب ، واللفظ معرب « موشان » الفارسية معناه أم الجرذان ، وقد ترجم الفرس هذا اللفظ العربي إلى لغتهم . وكلمة « موش » معناها الفأر بالفارسية . والألف والنون علامة الجمع عندهم . وأم جرذان : نوع من التمر كبار ، قيل إن نخله يجتمع تحته الفأر ، وروى صاحب اللسان عن أبي حنيفة أن أم جرذان آخر نخلة بالحجاز إدراكا ، قال الساجع : « إذا طلعت الخراثان ، أكلت أم جرذان » . وروى عنه — أى عن أبي حنيفة — صاحب الخصص أنها نخلة تحبها الجرذان فتصعدّها فتأكل منها .

(٢) في الأصل : « قريبا » .

(٣) البرنى ، بالضم وبالفتح : ضرب من التمر ، جاء في الخصص (١١ : ١٣٣) : « وأم جرذان بالمدينة مثل البرنى بالبصرة ، تلتقط أبدا حتى لا يبقى عليها شيء » وهو معرب من « برنيك » الفارسية ، « بر » بمعنى حمل ، و « نيك » بمعنى جيد ، فعناه الحمل الجيد . وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط ، هـ : « مسان » وفي س : « قرنيا » والوجه فيه ما ذكرت ، انظر التنبيه الأول من هذه الصفحة .

(٤) النارجيل : الجوز الهندي ، تعريب « ناركيل » . وضبط بفتح الراء ضبط قلم في القاموس واللسان . ط : « النارجيل » ، صوابه في س ، هـ .

(٥) المقل ، بالضم : حمل شجرة الدوم .

(الذئب والنسيم)

قال : والذئبُ أيضاً ، وإن كان عندهم ^(١) مما لا يجزى بالنسيم ^(٢) ، فإنه من الحيوان الذى يفتح فاه للنسيم ؛ ليرد جوفه من اللهب ^(٣) الذى يعترى السباع ؛ ولأن ذلك بمدّ قوته ، ويقطع عنه برودته ^(٤) ولطافته الرقيق . فإن كان ذا سُر ^(٥) [إذا عدا ^(٦)] احتشى ريحاً .

(اختلاف صبر الذئب والأسد على الطعام)

وربما جاع الأسد ففعل فعلَ الذئب ، فالأسد والذئب يختلفان فى الجوع والصبر ؛ لأن الأسد شديد النهم ، رغبٌ حريص شره ؛ وهو مع ذلك يحتمل أن يبقى أياماً لا يأكل شيئاً . والذئب وإن كان أقفر ^(٧) منزلاً ، وأقل خصباً ، وأكثر كدًا ^(٨) وإخفاقاً ، فلا بد له من شيء يلقيه فى جوفه ، فإذا لم يجد شيئاً استعار النسيم .

(١) ط ، س : « عنده » صوابه فى هـ .

(٢) فى الأصل : « الهرم منها لا يجزى بالنسيم » ، وكلية « الهرم » مقحمة . وكلية « منها » بحرفه عما أثبت .

(٣) س : « الهب » .

(٤) س : « برده » .

(٥) السمر ، بالضم : الجوع والحر . وفى الأصل : « سحر » . ولا وجه له .

(٦) الزيادة من س ، هـ .

(٧) كذا على الصواب فى ط ، هـ ومباهج الفكر والديري وثمار القلوب ٣١٠ وفى س : « أقعد » ولا وجه له .

(٨) كذا فى الأصل ومباهج الفكر والديري . والكد : الشدة فى العمل ، والإلحاح فى محاولة الشيء . وربما كانت هذه الكلمة : « إكداء » ، والإكداء بمعنى الإخفاق .

(حيلة بعض الجائعين)

والنَّاسُ إِذَا جَاعُوا وَاشْتَدَّ جَوْعُهُمْ شَدُّوا عَلَى بَطُونِهِمُ الْعِمَامُ . فَإِنْ اسْتَقْلَوْا ، وَإِلَّا شَدُّوا الْحَجَرَ ^(١) .

(شعر في الذئب)

وَأَنشَدَ ^(٢) :

كَسِيدِ الْغَضَى الْعَادِي أَضْلَ جِرَاءَهُ ^(٣)

عَلَى شَرَفٍ مُسْتَقْبِلِ الرِّيحِ يَلْحَبُ ^(٤)

كَأَنَّهُ يَجْمَعُ اسْتِدْخَالَ الرِّيحِ وَالنَّسِيمَ ، فَلَعَلَّهُ أَنْ يَجِدَ رِيحَ جِرَائِهِ :

وَقَالَ الرَّاجِزُ ^(٥) :

يَسْتَخْبِرُ ^(٦) الرِّيحَ إِذَا لَمْ يَسْمَعْ بِمِثْلِ مِقْرَاعِ الصَّفَا الْمَوْقِعِ ^(٧)

(١) روى ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ٣١٨ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما دعا على مضر بقوله : « اللهم اشد وطأتك على مضر . . . » الخ - قال الجذب رسول الله وأصحابه حتى شدد هو وشدد المسلمون على بطونهم الحجارة من الجوع . ط : « الحجز » صوابه في س ، ه .

(٢) ط ، : « وأنشدوا » ،

(٣) السيد : الذئب ، والغضى : الخمر بالتحريك ، وهو ما وارك من شجر وغيره ، وذئب الغضى أخنث الذئب . العادي : بالذال : الذي يعدو . أضل جرائه : فقد أولاده ، والجراء : بالكسر : جمع جرو . ط ، ه : « أصل » ، ط ، ه ، س : « جراءة » ، وذانك تصحيفان .

(٤) الشرف : ما علا من الأرض ، وإنما يستقبل الريح ليتشم ريح أولاده . يلحب : يصرع .

(٥) هو أبو الرد بن العكلى ، كما أسلفت في الجزء الأول ص ٣٤ نقلا عن البيان .

(٦) ط : « يستخبر » صوابه في س ، ه والبيان (١ : ٨٢) . وفي اللسان : (مخر ، قرع)

« يستمخر » وقال : « استمخرها : قابلهما بأنفه ليكون أروح لنفسه » .

(٧) المقرع : الفأس يكسر بها الصخر . الموقع : المحدد . وقع الحديد : حدها .

(شَمّ الظَّليم)

والظَّليم يكون على بيضه فيشَمُّ ريح القانص من أكثر من غَلَوَةٍ ،
ويبْعُدُ عَنْ رِثَالِهِ (١) فيشَمُّ ريحها من مكان بعيد .
وأنشدني يحيى بن نَجِيم (٢) بن زَمْعَةَ قال :
أشَمُّ من هَيَّيْ وأَهْدَى من جَمَل (٣)
وأنشدني عَمْرُو بن كِرْكِرَة (٤) :
مَا زَالَ يَشْتَمُّ اشْتِمَامَ الْهَيَّيْ
قال وَإِنَّمَا جعله ذئبَ غَضَى لأنهم يقولون : ذئبُ الْحَمْرِ (٥) أَخْبَث .
ويقولون : شَيْطَانُ الْحِمَاةِ (٦) . يريدون الْحَيَّةَ .

(بعض ضروب الحيات)

وكلُّ حَيَّةٍ خفيفةُ الجسمِ فهي شَيْطَان (٧) . والشَّقَالُ لا تنشط من
أرضٍ إلى أرضٍ ، وتثقلُ عَمَّا تَبْلُغُهُ المستطيلاتُ الخفاف . وقال طَرْفَةُ :
تَلَاعِبُ مَشْنَى خَضْرَمِيٍّ كَأَنَّهُ تَعَمُّجُ شَيْطَانٍ بَدَى خِرْوَعٍ قَفَرٍ (٨)

-
- (١) الرِّثَالُ : جمع رَأْل ، وهو فرخ النعام .
(٢) في الأصل : « الحيم » باللام ، وهو تحريف . وقد سبقت ترجمة يحيى بن نَجِيم في (٢ : ٣٥١) .
(٣) الهَيَّيْ ، بالفتح : ذكر النعام . وأَهْدَى : من الهداية .
(٤) سبقت ترجمته في (٣ : ٥٢٥) . ط : « عمر » صوابه في س ، هـ .
(٥) الْحَمْرُ ، بالتحريك : ما وارك من شجر وغيره .
(٦) الْحِمَاةُ ، بالفتح : واحدة الحِمَاط ، وهو شجر التين الجبلي ، والحيات تألفه .
(٧) قال الجاحظ في (١ : ١٥٣) : « ويسمون الحية إذا كانت داهية منها شيطاناً » .
(٨) ط : « خضرمي » ، صوابه في س ، هـ . تعمج : تلو . ط ، هـ : « تقمع » صوابه في س . وقد سبق البيت في (١ : ١٥٣) وسيعاد في (٦ : ١٩٢) .

الكرمانى عن أنس - ولا أدري من أنس هذا - فى صفة ناقة :

شَناحِيَّةٌ فيها شَناحٌ كأنَّها

حَبَابٌ بكفِّ الشَّؤْمِ من أسطع حَشَرٍ^(١)

والحَبَابُ : الحِيَّةُ الذَّكَرُ .

(بعض المضاف إلى النبات من الحيوان)

وكما يقولون : ذئب الحمر ، يقولون : أرنب الخلَّة^(٢) ، وتيس الرِّبْلِ^(٣)

٤٦ وضِبُّ السَّحَا^(٤) . والسَّحَا^(٤) بقلةٌ تحسُنُ حاله^(٥) مَنْ أَكلها .

وكذلك يقولون : « ما هو إِلَّا قُنْفُذٌ بُرْقَةٌ^(٦) » لأنه يكون أخبثَ له :

وذلك كله على قدر طبائع البلدان والأغذية العاملة فى طبائع الحيوان .

(١) الشناحية : الطويلة الجسيمة . والشار : الزمام . ط : « الشاء » صوابه فى س ، هـ والجزء الأول ص ١٥٣ . والأسطع : العنق الطويل . والحشر : المستوى .

(٢) الخلَّة ، بالضم : شجرة شاكَّة ، وفى ثمار القلوب ٣٣٠ : « الخلَّة » بالخاء المهملة وهى بالكسر : شجرة شاكَّة أيضا .

(٣) المراد بالتيس هنا : الذكر من الظباء أو الوعول . والرِّبْلِ بالفتح : ضروب من الشجر إذا برد الزمان عليها وأدبر الصيف تفتطرت بورق أخضر من غير مطر . وفى الأصل : « الرِّبْلِ » ، وهو تحريف صوابه فى (٦ : ١٢٣) ، وجاء فى شعر امرئ القيس :

وراح كتييس الرِّبْلِ ينفض رأسه أذاة به من صسائك متحلب

(٤) السحَا ، بالفتح : جمع سحاة ، وهى شجرة شاكَّة . س : « السحاة » وهى بالكسر نبت شائك يرعاه النحل ، عسله غاية .

(٥) س : « حالة » .

(٦) البرقة ، بالضم : غلظ من الأرض فيه حجارة ورمل وطين مختلطة .

(بعض طبائع البلدان)

ألا ترى أنَّهم يزعمون أنَّ مَنْ دَخَلَ أَرْضَ تَبَّتَ^(١) لم يزل ضاحكاً مسروراً ، من غير عَجَبٍ^(٢) حتَّى يخرجَ منها .

ومن أقام بالموصل حولاً ثم تفقّد قوّته وجد فيها فضلاً . ومن أقام بالأهواز حولاً فتفقّد عقله^(٣) ذو فِرَاسَةٍ وجد النقصان فيه بيّناً . كما يقال في حُمَى خَيْبَر^(٤) ، وطِحال البحرين^(٥) ، ودمايل الجزيرة^(٦) ، [وجرب الزنج^(٧)] . وقال الشَّماخ^(٨) .

- (١) تبّت ، بضم التاء وتشديد الباء المفتوحة : ذلك الإقليم الصينى .
- (٢) العجب : ما يتعجب منه . وتجد مثل هذا الكلام في معجم البلدان وثمار القلوب ٣١٠ وعيون الأخبار ١ : ٢١٩ ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٦٤ . قال ياقوت في نعت أهلها : « والنيسم فيهم عام حتّى إنه ليظهر في وجوههم بهائمهم » ! .
- (٣) ط ، هـ : « قوته » ، صوابه في س وعيون الأخبار ومحاضرات الراغب . قال ياقوت : « ومن أقام بها سنة نقص عقله » .
- (٤) خيبر ، هى الولاية التى كانت عندها الغزوة المشهورة ، وكانت ذات سبعة حصون ولذلك تسمى « خيابر » أيضاً ، كما ورد في شعر لابن قيس الرقيات . ومعنى « خيبر » الحصن باللغة العبرية كما في معجم البلدان . ويقال لها أيضاً « خيبرى » كما ورد في الأمثال : « به الوردى . وحى خيبرى » . أمثال الميدانى (١ : ٩٥) وفي العقد (٤ : ٣٠١) ما يفهم منه أن يهود خيبر كانوا يتبعون نظاماً صحياً كفل لهم قلة التعرض لحماها : « سئل يهود خيبر : بم صحتم على وياه خيبر ؟ قالوا : بأكل الثوم ، وشرب الخمر ، وسكون اليفاع ، وتجنب بطون الأودية ، والخروج من خيبر عند طلوع النجم وعند سقوطه » .
- (٥) قالوا : من سكن بالبحرين عظم طحاله ، وقال شاعرهم :
ومن يسكن البحرين يعظم طحاله ويغبط بما فى بطنه وهو جائع
- (٦) هذه الجزيرة هى المسماة « جزيرة أقور » ، وهى التى بين دجلة والفرات مجاورة الشام . تشتمل على ديار بكر وديار مصر ، ومن أمهات مدنها حران والرها والرقّة ورأس عين ونصيبين وسنجار والخابور ، وماردين وآمد وميافارقين والموصل . انظر معجم البلدان .
- (٧) هذه الزيادة من هـ . وفي ثمار القلوب ٤٣٥ : « طرب الزنج » حيث تحدث في ذلك حديثاً طويلاً . وكل منهما خاصة من خواص الزنج . وسيأتى في ١٣٩ في الكلام على بلاد الزنج : « ألا يزال جرباً ما أقام بها » .
- (٨) س : « شماخ » .

كَأَنَّ نَطَاةَ خَيْبَرَ زَوَّدَتْهُ بِكُورِ الْوَرْدِ رِيَّةَ الْقُلُوعِ (١)

وقال أوس بن حجر :

كَأَنَّ بِهِ إِذْ جِئْتُهُ (٢) خَيْبَرِيَّةً يَعُودُ عَلَيْهِ وَرْدُهَا وَقَلَاهَا (٣)

وقال آخر :

كَأَنَّ حَمِيَّ خَيْبَرَ تَمْلُهُ (٤)

وكذلك القول في وادي جحفة (٥) ، وفي مهيعة (٦) ، وفي أصول النخل

حيث كان .

وقال عبد الله بن همام السلولي في دماميل الجزيرة :

(١) نطاة ، بالنون المفتوحة : عين ماء بقرية من قرى خيبر . وفي الأصل : « قطة » صوابه في معجم البلدان حيث روى البيت ، وديوان الشماخ ٥٧ . زودته : أعطته زادا . بكور الورد : يعنى حمى تباكر بوردها جسمه . ريثة القلوع : بطيئة الانكشاف والبرد . في الأصل : « رنقه » مكان « ريته » ، صوابه في المعجم والديوان . وقبل البيت :

ألا تلك ابنة الأموى قالت أراك اليوم جسك كالرجيع

والرجيع : الحبل الذى نقض ثم قتل مرة ثانية .

(٢) في الأصل : « كان به أدحية » . وفي ديوان أوس ٢٤ : « أرخية » صوابهما ما أثبت من معجم البلدان (نطاة) وثمار القلوب ٤٣٦ . وعنى بالخيبرية الحمى .

(٣) الورد ، بكسر الواو : اسم من أسماء الحمى ، أو هو يوم ورودها . « قلاها » : كذا جاءت بالأصل : وفي المعجم والثمار : « ملاها » . والملا ، بالضم : حرارة الحمى ، أو التقلب من المرض . وما في الأصل هو الموافق ما في الديوان .

(٤) تملهُ : كأنها تغمسه في الملة ، وهى بالضم : الرماد الحار .

(٥) الجحفة بين مكة والمدينة . روى أنه لما قدم الرسول المدينة استوبأها ، وحمل أصحابه فقال : « اللهم حبيب إلينا المدينة كما حبيت إلينا مكة ، أر أشد ، وصححها ، وبارك لنا في صاعها ومدنها ، وانقل حماها إلى الجحفة » .

(٦) مهيعة : موضع قريب من الجحفة .

أَتِيَحَ لَهُ مِنْ شُرْطَةِ الْحَيِّ جَانِبٌ غَلِيظُ الْقُصَيْرِ لَحْمُهُ مُتَكَاوسٌ^(١)
تَرَاهُ إِذَا يَمْضِي يَحْكُ كَأَنَّمَا بِهِ مِنْ دَمَامِيلِ الْجَزِيرَةِ نَاحِسٌ^(٢)
فَحَدَّثَنِي أَبُو زُفَرَ الضَّرَارِيُّ^(٣) قَالَ : مَاتَ ضِرَارُ بْنُ عَمْرٍو وَهُوَ ابْنُ تِسْعِينَ
سَنَةً بِالْأَمَامِيلِ . قُلْتُ : وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا لَعَجَبٌ ! قَالَ : كَلَّا إِنَّمَا احْتَمَلَهَا
مِنَ الْجَزِيرَةِ .

وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي طَوَاعِينَ الشَّامِ . قَالَ أَحَدُ بَنِي الْمَغِيرَةِ^(٤) ، فِيمَنْ مَاتَ
مِنْهُمْ بِطَوَاعِينَ الشَّامِ ، وَمَنْ مَاتَ مِنْهُمْ بِطَعْنِ الرِّمَاحِ أَيَّامَ تِلْكَ الْمَغَازِي :
مَنْ يَنْزِلُ الشَّامَ وَيَعْرَسُ بِهِ^(٥) فَالشَّامُ إِنْ لَمْ يُفْنِهِ كَاذِبٌ
أَفْنَى بَنِي رَيْطَةَ فُرْسَانَهُمْ عِشْرِينَ لَمْ يُقْصَصْ لَهُمْ شَارِبٌ^(٦)
وَمِنْ بَنِي أَعْمَامِهِمْ مِثْلَهُمْ لِمِثْلِ هَذَا عَجَبٌ الْعَاجِبُ^(٧)
طَعْنٌ وَطَاعُونَ مِنْسَابَاهُمْ ذَلِكَ مَا خَطُّ لَنَا السَّكَاتِبُ

(١) شُرْطَةُ كُلِّ شَيْءٍ : خِيَارُهُ ، وَمِنْهُ شُرْطُ السُّلْطَانِ ، وَهِيَ خِيَارُ جُنْدِهِ . فِي الْأَصْلِ :
« سَوِطَةٌ » وَتَوَجِيهُهُ مِنْ مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ . وَالْجَانِبُ : الْقَصِيرُ . وَالْقَصِيرُ
بِضْمِ الْقَافِ وَفَتْحِ الصَّادِ مَعَ الْقَصْرِ : أَعْلَى الْأَضْلَاحِ . ط : « الْقَيْصَرِيُّ » س :
« الْقَصِيرُ » صَوَابُهُ فِي هُوَ وَمَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ، وَالرَّوَايَةُ فِيهِ : « عَرِيضُ الْقَصِيرِ » .
مُتَكَاوسٌ : مُتَرَكَبٌ مُتَرَكَمٌ . ط ، هـ : « مُتَفَاوِسٌ » س . « مُتَقَاوِسٌ »
تَصْحِيحُهُ مِنْ مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ .

(٢) الْحَكْكُ : مَشْيٌ فِيهَا شَبْهُ مَشْيِ الْمَرْأَةِ الْقَصِيرَةِ إِذَا تَحَرَّكَتْ وَهَزَّتْ مَنْكِبَيْهَا . وَرَوَايَةُ
الْمَعْجَمِ : « أَبَدَ إِذَا يَمْشِي يَحْكُ » . الْأَيْدِ : السَّيْنِ . يَحْكُ : يَتَبَخَّرُ وَيَنْتَالُ . ط :
« كَانَمَا » صَوَابُهُ فِي س ، هُوَ وَالْمَعْجَمُ .

(٣) ط : « الضَّرَارِيُّ » صَوَابُهُ فِي س ، هُوَ . وَبَدَلَهُ فِي ثَمَارِ الْقُلُوبِ ٤٣٨ : « أَبُو زُرْعَةٍ » فَقَطْ .

(٤) هُوَ الْمُهَاجِرُ بْنُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ الْمَخْزُومِي . الْإِصَابَةُ ٨٣٢٩ ..

(٥) عَرَسَ بِهِ ، كَفَرَحَ : لَزَمَهُ .

(٦) فُرْسَانَهُمْ ، بَدَلُ مَنْ بَنِي رَيْطَةَ . لَمْ يُقْصَصْ لَهُمْ شَارِبٌ : أَيْ لَانْهَمُ فِي
مُقْتِيلِ الشَّبَابِ . وَرَيْطَةُ هِيَ زَوْجُ الْمَغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ بْنِ مَخْزُومٍ . انْظُرِ الْاسْتِدْرَاكَاتِ .

(٧) الْعَاجِبُ : الْمُتَعَجَّبُ . وَفِي ثَمَارِ الْقُلُوبِ ٤٣٥ : « يَعْجَبُ الْعَاجِبُ » وَفِي س :
« عَجَبٌ عَاجِبٌ » ، وَهُوَ مِثْلُ مَنْ أَمْثَلَهُ الْمُبَالَغَةُ ، كَقَوْلِهِمْ يَوْمَ أَيُّومٍ ، وَلَيْلَ أَلِيلٍ ،
وَرَوْضُ أَرِيضٍ ، وَظِلُّ ظَلِيلٍ ، وَحَرَزُ حَرِيزٍ ، وَدَاءُ دَوَى .

(قدوم عبد الله بن الحسن على عمر بن عبد العزيز وهشام)

قال : ولما قَدِمَ عَبْدُ اللَّهِ بنَ الحَسَنِ بنَ الحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، عَلَى عُمَرَ بنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي حَوَائِجَ لَهُ ، فَلَمَّا رَأَى مَكَانَهُ بِالشَّامِ ، وَعَرَفَ سِنَّتَهُ وَسَمْتَهُ وَعَقْلَهُ ، وَلِسَانَهُ ، وَصَلَاتَهُ وَصِيَامَهُ ، فَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَلَّا يَرَاهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ طَوَاعِينَ الشَّامِ ؛ فَإِنَّكَ لَنْ تُغْنِمَ أَهْلَكَ أَكْثَرَ مِنْكَ ^(١) ، فَالْحَقْ بِهِمْ ؛ فَإِنَّ حَوَائِجَكَ سَتَسْبِقُكَ إِلَيْهِمْ ^(٢) . ثُمَّ قَدِمَ عَلَى هِشَامٍ ، فَفَكَرَهُ عَبْدُ اللَّهِ أَنْ يَدْخُلَ مَنْزِلًا لَهُ ^(٣) حَتَّى يَأْتِيَهُ فِي ثِيَابِ سَفَرِهِ ؛ خِشْيَةً سَوْءِ ظَنِّهِ ^(٤) . فَلَمَّا أَعْلَمَهُ الْحَاجِبُ مَكَانَهُ ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ وَعَايَنَهُ ، كَرِهَ أَنْ يَقِيمَ بِهَا طَرْفَةَ عَيْنٍ . قَالَ : اذْكُرْ حَوَائِجَكَ . قَالَ : أَحْطُ رَحْلِي وَأَضْعُ ثِيَابَ سَفَرِي ، وَأَتَذْكُرُ حَوَائِجِي . قَالَ : إِنَّكَ لَنْ تَجِدَنِي فِي حَالٍ خَيْرًا لَكَ مِنْ السَّاعَةِ ! يَرِيدُ أَنْ الْقُلُوبُ أَرْقُ مَا تَكُونُ إِذَا تَلَاقَتِ الْعَيُونُ عَنْ بَعْدِ عَهْدٍ . وَلَيْسَ ذَلِكَ أَرَادَ ^(٥) .

(١) فِي ثَمَارِ الْقُلُوبِ : « وَإِنَّكَ لَمْ يَغْنَمْ أَهْلَكَ خَيْرًا مِنْكَ » . وَسَبَقَ مِثْلَ هَذِهِ الرَّوَايَةِ فِي (٣ : ٤٧٢) .

(٢) ثَمَارِ الْقُلُوبِ : « فَإِنَّ حَوَائِجَكَ سَتَسْبِقُكَ » ، وَفِي الْحَيَوَانَ (٣ : ٤٧٢) : « فَإِنَّ حَوَائِجَهُمْ سَتَسْبِقُكَ » .

(٣) ط ، هـ : « مَنْزِلُهُ » .

(٤) أَيْ لَتَلَا يَظُنُّ بِهِ الْعَدَاءُ . وَفِي ط ، هـ : « شَرِطَتُهُ » ، وَمَا أَثْبَتَ مِنْ سِوَا وَجْهِ .

(٥) انْظُرْ لِتَوْضِيحِ هَذَا مَا سَبَقَ فِي (٣ : ٤٧٢) مِنْ (١٣ ، ١٤) .

(طحال البحرين)

والعامّة تنشد :

سَنُ يَسْكُنِ الْبَحْرَيْنِ يَعْظُمُ طِحَالُهُ وَيُغْبَطُ بِمَا فِي بَطْنِهِ وَهُوَ جَائِعٌ^(١)
ونظر دُكينُ الرَّاجِزُ ، إلى أبي العباس^(٢) مُحَمَّدِ بْنِ ذُوَيْبِ الْفُقَيْمِيِّ الرَّاجِزِ ،
وهو غُلَيْمٌ مَصْفَرٌّ مَطْحُولٌ^(٣) ، وهو يَمْتَحُ عَلَى بَكْرَةٍ^(٤) ويرنجز . فقال : من
هذا العُمَانِيُّ^(٥) ؟ فلزمته هذه النسبة .

(جرب الزنج)

وحدّثني يوسفُ الزَّنجِيُّ أَنَّهُ لَا بَدَّ لِسُكْلٍ مِّن قَدِيمٍ مِّن شِقِّ الْعِرَاقِ إِلَى بِلَادِ
الزُّنْجِ إِلَّا يَزَالُ جَرِبًا ، مَا أَقَامَ بِهَا . وَإِنْ أَكْثَرَ مِنْ شُرْبِ نَبِيدِهَا ، أَوْ شَرَابِ
النَّارَجِيلِ ، طَمَسَ الْحِمَارُ عَلَى عَقْلِهِ ، حَتَّى لَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَعْتُوهِ إِلَّا
الشَّيْءُ الْيَسِيرُ .

(١) انظر أمثال الميداني (١ : ٢٥٥) في قولهم : « اللّثب مغبوط بما في بطنه » . الشعر
والشعراء ٧٣١ .

(٢) ط ، س : « ابن العباس » صوابه في س ، وقد نقلت ترجمته في (٢ :
١٦٦) : وفي الأغاني (١٧ : ٨١) : « ويكنى أبا عبد الله » ، فهما كنيّتان له .
ومثل ذلك في العرب كثير . وفي المعارف ٢٥٩ فصل خاص بمن له كنيّتان أو ثلاث .

(٣) المطحول : الذي يشكو مرض طحاله .

(٤) البكرة ، بالفتح وتحرك : خشبة مستديرة في وسطها محز يستقي عليها .

(٥) العُماني نسبة إلى عمان ، بضم العين بعلها ميم مفتوحة مخففة ، وهي بلاد عربية في
جنوب خليج فارس . وضبطت بتشديد الميم في (خريطة) الممالك الإسلامية ، خطأ .
وكانت البحرين وعمان منفصلتين قبل الدولة العباسية . قال ياقوت : « قلما ولي
بنو العباس صيروا عمان والبحرين والهيامة عملا واحداً » . وبما يجدر ذكره أنه
أصل نسبة أبي العباس إلى البصرة ، أي هو بصري ، كما في الأخفش . وقد عقد
ابن قتيبة فصلاً لهذا النسب في المعارف ٢٥٧ - ٢٥٨ .

(طبيعة المصيبة)

ونخبرني كم شئت من الغزاة ، أن من أطال الصَّومَ بالمصيبة^(١) في أيام الصيف ، هاج به المزار . وأن كثيراً منهم قد جُثُوا عن^(٢) ذلك الاحتراق .

(طبيعة قصبة الأهواز)

فأما قصبة^(٣) الأهواز ، فإنها قلبت كل من نزلها من بني هاشم إلى كثير من طباعهم وشمائلهم^(٤) ، ولابد للهاشمي ، قبيح الوجه كان أو حسناً ، أو^(٥) دميماً كان أو بارعاً رائعا ، من أن يكون لوجهه وشمائله طبائعُ يبين بها من جميع قریش وجميع العرب . فلقد كادت البلدة أن تنقل ذلك فتبدله^(٦) ، ولقد تخيفته^(٧) وأدخلت الضيمَ عليه ، ويئنت أثرها فيه ، فما ظنك بصنيعها في سائر الأجناس^(٨) ؟ !

ولفساد عقولهم ، ولؤم طبع بلادهم ، لأتراهم مع تلك الأموال الكثيرة ،

(١) يقال مصيبة ، بالفتح والصاد المشددة المكسورة ، ومصيبة بالتخفيف ، والأول أصح ، وهي بين أنطاكية وبلاد الروم .

(٢) ط ، هـ : « من » .

(٣) ط ، هـ : « قضية » ، صوابه في س . وقصبة الأهواز ، أي أكبر مدنها . قال صاحب العين : « الأهواز : سبع كور بين البصرة وفارس » .

(٤) أي طبائع الأهوازيين وشمائلهم . وفي معجم البلدان : « فانقلبوا إلى طباع أهلها » .

(٥) الأفضل إسقاط هذا الحرف كما في ثمار القلوب ٤٣٧ .

(٦) هذه الكلمة وسابقتها ساقطتان من س .

(٧) تخيفته وتخوفته : تنقصته . ط : « تخفيه » صوابه في س ، هـ .

(٨) في ثمار القلوب ٤٣٥ نقلا عن الجاحظ : « ولقد تخفيه وتدخل الضنى عليه وتبين أثرها فيه » . الخ .

والضِّياع الفاشية ، يَحْبُون من البنين والبنات ما يحبه أوساطُ أهلِ الأمصار على الثروة واليسار ، وإن طال ذلك . والمال منبّهٌ كما تعلمون .

وقد يكتسبُ الرَّجُلُ ، من غيرهم ، المَوِيلُ^(١) اليسير ، فلا يرضى لولده حتّى يفرضَ له المؤدِّين^(٢) ، ولا يرضى لنسائه مثل الذى كان يرضاه قبل ذلك^(٣) . وليس فى الأرض صناعةٌ مذكورةٌ ، ولا أدبٌ شريفٌ ، ولا مذهبٌ محمودٌ ، لهم فى شىءٍ منه نصيبٌ وإن خَسَّ^(٤) . ولم أَرِهَا وَجَنَةً حمراءَ لصبيٍّ ولا صبيّةٍ ، ولا دماً ظاهراً ولا قريباً من ذلك . وهى قتالةٌ للغرباء .

وعلى أَنَّ حُمَاهَا خاصّةٌ ليست للغريب بأسرعَ منها إلى القريب . ٤٨
ووباؤها^(٥) وحُمَاهَا ، فى وقت انكشافِ الوباءِ ونزوعِ الحمى عن جميع البلدان .
وكلُّ محمومٍ فى الأرض فإنَّ حُمَاهُ لا تنزع عنه ، ولا تفارقه ، وفى بدنه منها بقيّةٌ ؛ فإذا نزعت عنه فقد أخذَ منها عند نفسه البراءة ؛ إلى أن يعود إلى الخلط ، وأن يجمعَ فى جوفه الفساد^(٦) . وليست كذلك الأهواز

(١) مويل : تصغير مال .

(٢) المؤدبون ، جمع مؤدب ، بكسر الدال . والجاحظ ومن نحا نحوه يجمل المؤدب فوق المعلم . قال فى رسالة المعلمين (هامشة الكامل ١ : ٢) : « لو استقصيت مدد النحويين والعروضيين والفرضيين والحساب والخطاطين ، لوجدت أكثرهم مؤدب كبار ومعلم صغار » س : « المؤدين » محرف .

(٣) كذا فى س . وفى ط ، هـ : « ولا يرضى لسانه بمثل الذى كان يرضاه قبل ذاك » ، وتصح مع إعادة الضمير إلى ولده ، أى هو يختار لولده الممتازين من المؤدين .

(٤) خَسَّ : قل . وفى الأصل وكذا فى معجم البلدان : « حسن » . وبعدها فى المعجم « أودق أوجل » ، ويقوت بدون ريب ينقل كلام بالجاحظ :

(٥) ط ، هـ : « ووباها » ،

(٦) بدله فى معجم البلدان : « إلا أن تعود لما يجتمع فى بطنه من الأخطا الرديئة » .

لأنها تعاود من نزعت عنه من غير حدث ، كما تعاود أصحاب الحدث ،
لأنهم ليسوا يؤتون من قبل النهم^(١) ، ومن قبل الخلط والإكثار ،
ولأنما يؤتون من عين البلدة .

وكذلك جمعت سوق الأهواز الأفاعي في جبلها الطاعن في منازلها ،
المطل عليها ، والجرات^(٢) في بيوتها ومقابرها ومنابرها . ولو كان في
العالم شيء هو شر من الأفاعي والجرارة ، لما قصرت قصبة الأهواز عن
توليده وتلقيحه . وبليتها^(٣) أنها من ورائها سباح^(٤) ومناقع مياه غليظة
وفيها أنهار تشققها مسایل كنفهم^(٥) ، ومياه أمطارهم ومتوضأتهم^(٦)
فإذا طلعت الشمس فطال مقامها ، وطالت مقابلتها لذلك الجبل ، قبل

(١) الأولى : « التخم » جمع تخمة . كما جاء في معجم البلدان .

(٢) الجرات : ضرب من العقارب .

(٣) كذا على الصواب في س . وفي ط : « تليته » وفي هـ : « تليتها » .

وفي معجم البلدان زيادة : « من » قبل : « بليتها » .

(٤) سباح ، بالكسر : جمع سبعة بالتحريك ، وهي الأرض تعلوها ملوحة ولا تسكاد
ثبت إلا بعض الشجر . هـ : « سباحة » س : « سباحة » محرفتان عما
أثبت من س .

(٥) كذا في س ومعجم البلدان . ونحوه في ثمار القلوب ٢٣٧ . وفي ط : « لسقيها
مسائل كنفهم » و هـ : « تسبقها مسائل كنفهم » ، والكلمة الأولى في ط لها
وجه وفي هـ محرفة . أما الكلمة الثانية : « مسائل » فهزها خطأ ، لأن ياء
مفردة مسيل ياء أصلية . ولم يرد الهمز إلا في كلمتين ، إحداهما : « مصائب »
وهذه لا يعترف بها الأصمعي ويقول : إنها من لغة أهل الأمصار ، والمعروف :
« مصيبات » . والثانية لم ترد إلا في بعض القراءات غير السبع ، من قول الله :
« وجعلنا لكم فيها معايش » . انظر المصباح . وقال السفاقي : « وشذ خارجة
فرواه عن نافع ، وهو ضعيف جداً ، بل جعله بعضهم لحناً . غيث النفع ١٣٠ .

(٦) كذا في معجم البلدان . وفي الأصل : « ومتوضأهم » بالإنفراد . وفي ثمار القلوب
« ميضأهم » .

بالصَّخْرِيَّة التي فِيهِه^(١) تلكَ الجَرَّارات . فإذا امتلأت يُبَسِّأ وحرارةً ،
وعادتُ جَمْرَةً واحدةً ، قدفت ما قبلت من ذلك عليهم .

وقد تُحَدِّثُ [تلك] السَّبَّاحُ^(٢) وتلكَ الأنهار^(٣) مُنْخَاراً فاسداً ، فإذا
التقى عليهم ما تُحَدِّثُ السَّبَّاحُ وما قدفه ذلك الجبلُ ، فسَدَ الهواء . وبفساد
الهواء يفسدُ^(٤) كلُّ شَيْءٍ يشتملُ عليه ذلك الهواء .

وحدَّثني إبراهيمُ بن عباسٍ بن محمدٍ بن منصورٍ ، عن مَشَيْخَةٍ^(٥) من
أهل الأهواز ، عن القوابل ، أنهنَّ رَبَّما قَبِلْنَ^(٦) الطِّفْلَ المولودَ ، فيجدنَّهُ
في تلكَ السَّاعَةِ محموماً . يعرفنَ ذلك ويتحدثنَ به .

(عيون الحيات والخطاطيف)

[قال^(٧)] : ويعْرِضُ لفراخِ الحَيَّاتِ مثلُ الذي يعْرِضُ لفِراخِ
الخطاطيفِ ؛ فإنَّ نازعاً لو نَزَعَ عيونَ فراخِ الخطاطيفِ ، وفراخِ الحَيَّاتِ ،
لعادتُ بصيرةً^(٨) .

(١) ط ، هـ : « بالصخرة » صوابه في س . ط : « فيها » صوابه في س ، هـ .

(٢) مضي تفسير هذه الكلمة في الصفحة السابقة .

(٣) س فقط : « الأمطار » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س ، هـ .

(٥) مشيخة ، كرحلة ، وأيضا بفتح الميم وكسر الشين : جمع شيخ . ط فقط :
« شيخه » وهي صحبة أيضاً ، وضبطها كعنية وسدرة .

(٦) قبلت القابلة الولد : تلقتَه عند خروجه .

(٧) الزيادة من س ، هـ .

(٨) ذاك زعم .

(مفارقة السلحفاة والرق والضفدع للماء)

وزعم^(١) أن السلحفاة والرق ، والضفدع ، مما لا بد له من التنفس ، ولا بد لها من مفارقة الماء ، وأنها تبيض وتكتسب الطعم وهي خارجة^(٢) من الماء ؛ وذلك للنسب الذى بينها وبين الضب^(٣) ، وإن كان هذا برياً وهذا بحرياً .

(شبه بعض الحيوان البرى بنظيره من البحرى)

ويزعمون أن ما^(٤) كان فى البر من الضب والورل والحرباء ، والحلكاء^(٥) ، وشحمة الأرض ، والوزغ والعطاء^(٦) مثل الذى فى البحر من السلحفاة والرق ، والتمساح ، والضفدع ؛ وأن تلك الأجناس البرية وإن اختلفت فى أمورها ، فإنها قد تشابه فى أمور ؛ وأن هذه الأجناس البحرية من تلك ، ككلب الماء من كلب الأرض .

(١) نرى الجاحظ أن يذكر صاحب الزعم ، أو سقط من الناسخين . وقد يكون الزاعم صاحب المنطق .

(٢) ط : « خراجة » ، تحريف ما فى س ، ه .

(٣) س : « وذاك النسب » الخ . ط ، ه : « التى » صوابها فى س .

(٤) ط : « أنما » صوابه فى س ، ه .

(٥) الحلكاء ، بالضم ، وبالفتح ، وبالتحريك : ضرب من العطاء . ط فقط : « الحلكى » ، وهى صحيحة فى ذاتها ، وضبطها بضم الحاء واللام ، وتشديد السكاف المفتوحة . ولكنى لا أحسب الجاحظ استعمل هذه اللفظة ، وإنما هو تحريف من الناسخ .

(٦) العطاء ، بالفتح : جمع عطاءة ، وهى دويبة كسام أبرص . س : « والقطة » ه : « والقطا » صوابه فى ط .

(صوم بعض الحيوان)

وقد زعم صاحبُ المنطق أنَّ الحَيَّةَ وسامٌ أبرص^(١) من العَظاءِ ،
والتَّمساح ، تسكنُ في أعشَّتِها^(٢) الأربعةَ الأشهرَ الشديدةَ البردِ^(٣) ، لا تطعم
شيئاً ؛ وأنَّ سائرَ الحَيَّاتِ تسكنُ بطنَ الأرضِ . فأما الأفاعى فإنَّها تسكنُ
في صُدوعِ الصَّخرِ .

وليسَ لشيءٍ من الحيوانِ من الصَّبرِ عن الطَّعمِ ما لهذه الأجناسِ . وإنَّ
الفيلَ ليناسبُها من وجهين : أحدهما من طولِ العمرِ ، فإنَّ منها ما قد عاش
أربعمئةَ سنةٍ . والوجه الآخر : أنَّ الفيلةَ مائيَّةٌ [وهذه الأجناسِ مائيَّةٌ^(٤)]
وإن كان بعضها لا يسكنُ الماءَ .

(داهية الغَبر)

قال : وسَمِعْتُ يُونُسَ بْنَ حَبِيبٍ^(٥) يقول : « داهية الغَبر^(٦) » . قال : وقيل

(١) ط : « تلك الحية » والوجه حذف الكلمة الأولى كما في س ، هـ . ط ، هـ :
« من سام أبرص » صوابه في س .

(٢) كذا ، وأصل العش للطائر . وانظر حواشي ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٣) ط : « أربعة أشهر شديدة البرد » . س : « الأربع الأشهر الشديدة البرد »
وأثبت ما في هـ لكن فيها « الأربعة أشهر » .

(٤) هذه الزيادة من هـ .

(٥) في الأصل : « حرب » ، والصواب ما أثبت . وقد تقدمت ترجمته في
(١ : ٣٢٩) .

(٦) الغبر بالتحريك وبنيين معجمة في أولها : الماء يغبر حيناً في المستنقع ، كما يفهم من
التعليل الآتي . وفي أمثال الميداني (١ : ٤٠) : « وسمعت أن الغبر عين نمار »

يعينه تألفه الحيات » . وفي معجم البلدان : « الغبر آخر محال سلعى بجانب جبل طيسى »
وبه نخل ، ومياه تجري أبداً » . ط : « الغبر » صوابه في س ، هـ .

ذلك لأنها ربما سكنت بقرب ماء ، إما غدير وإما عين ، فتحمي^(١)
ذلك الموضع . وربما غبر ذلك الماء في المنقع حيناً وقد حمته .
وقال السكذاب الحرمازي^(٢) :

يا ابن المعلّ نزلت إحدى الكبر^(٣) داهية الدهر وصماء الغبر^(٤)
قال : وسأل^(٥) الحكم بن مروان بن زنباع ، عن بني عبد الله
ابن غطفان ، قال : [أفعى^(٦)] إن أيقظتها لسعتك ، وإن تركتها
لم تضرك .

(نادرة تتعلق بالحيات)

وذكر عن سعيد بن صخر^(٧) قال : نهش رجل من أهل البادية كثير
المال ، فأشقى على الموت ، فأتاهم رجل فقال : أنا أرقيه ، فما تعطوني^(٨) ؟

(١) كذا على الصواب في س . وفي ط : : « فتحس » وفي هـ : « فتنحي »
محرفتان .

(٢) سبقت ترجمته في (٣ : ٤٨٤) .

(٣) كذا الرواية أيضاً في ثمار القلوب ٣٣٦ . والرواية في اللسان (غبر) وكذا
في أمثال الميداني : « أنت لها منذر من بين البشر » ، أي يأمذر . وفي اللسان أنه
يمدح بهذا الشعر بن المنذر الجارود .

(٤) ط : « العبر » بالعين المهملة ، صوابه في س ، هـ .

(٥) كذا . ولعلها : « وسئل » .

(٦) الزيادة من س ، هـ . وانظر ما سبق من الكلام على « أفعى » في ص ١١٧ .

(٧) سبقت ترجمته في (٢ : ٣٦٣) .

(٨) ط : « فان تعطوني » صوابه ، في س ، هـ . وقد حذف إحدى نوني :

« تعطوني » وهو جائز . وفي المعنى : « ونحو تأمروني يجوز فيه الفك والإدغام
والنطق بنون واحدة » .

فشارطوه عَلَى ثلاثين درهما^(١) ، فرقاه وسقاه أشياء ببعض الأخلاط ، فلمَّا أفاقَ قال : الرَّاقِ والمداوى : حتى ! قال الملدوغ : وما حقه ، قالوا : ثلاثون درهما . قال أعطيه من مالى ثلاثين درهما فى نَفَثَاتِ نَفَثَها ، وَحَمَضِ سَقَاه^(٢) ! لا تُعْطُوهُ شَيْئاً !

(حديث سكر الشطرنجى)

وحَدَّثَنِي بعضُ أَصْحَابِنَا عن سُكَّرِ الشُّطْرَنْجِيِّ ، وكان أَحْمَقَ القاصِّين^(٣) ، وأَحْذَقَهُمْ بلعب الشُّطْرَنْجِ ، وسألته عن خرق كان فى خَرَمَةٍ أنفه^(٤) فقلت له : ما كان هذا الخرق ؟ فذكر أَنَّهُ خرج إلى جَبَلٍ^(٥) يتكسَّب بالشُّطْرَنْجِ ، فقدم البلدةَ وليس معه إلَّا درهمٌ واحدٌ ، وليس يَدْرِى أينَجَحُ أم يُخْفِقُ ، وَيَجِدُ صاحِبَه الذى اعْتَمَدَه أم لا يجده^(٦) ؟ فورد على حَوَاءٍ وبين يديه جُورٌ عِظَامٌ^(٧) فيها حياتٌ جليلة .
والحيَّة إذا عَضَّتْ لم تكن غايَتُها النَّهشُ أو العَضُّ^(٨) ، وأن ترضى بالنَّهشِ ،

-
- (١) ط : « فارقوه عن ثلاثين درهما » ، تصحيحه من س ، ه .
(٢) الحمض ، بالفتح ، أصله كل نبت مالح أو حامض ، وجعله هنا للدواء الذى فيه حموضة .
ه : « وحرس سقى » والكلمة الأولى فى ه محرفة .
(٣) جمع قاص للقصص . س ، ه : « العالمين » .
(٤) الحرمة ، بالتحريك : موضع الحرم من الأنف . وفى الأصل : « الحزامة » ، وهى ككتابة : البرة تجعل فى الأنف . ولا وجه لها .
(٥) جبل ، بفتح الجيم وتشديد الباء المضمومة : بليدة بشاطئ دجلة . وفى الأصل : « الجبل » ولا تصح ؛ فإن الجبل اسم لبلاد كثيرة تمتد ما بين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان وفارس وبلاد الديلم . القاموس ومعجم البلدان .
(٦) ط : « ويجلو صاحبه الذى اعتمده أيجده أم لا » ، س : « ويجده أجبه » الخ صوابها فى ه .
(٧) جون ، بضم الجيم وفتح الواو : جمع جونة ، بالغم . وقد سبق تفسيرها فى ١١٥ .
(٨) ط : « والعض » .

ولكنها لا تعضُّ إلا للأكل والابتلاع . وربما كانت الحيات عظاماً جداً ولا سموم لها ، ولا تعقير^(١) بالعض ، كحيات الجولان^(٢) .

وفي البادية حية يقال لها الحفّاث^(٣) والحفّاث من الحيات تأكل الفأر وأشباهه الفأر ، ولها وعيدٌ مُنكرٌ ، ونفخٌ وإظهارٌ للصَّولة ؛ وليس وراء ذلك شيء^(٤) . والجاهل ربما مات من الفزع منها . وربما جمعت الحية السّمّ وشدة الجرح ، والعض والابتلاع ، وحطّم^(٥) العظم .

فوقف سُكّرٌ على الحوَاءِ وقد أخرج من جُونه أعظمَ حَيَّاتٍ في الأرض ، وادّعى نفوذَ الرُّقيةِ وجودةَ النُّرياقِ ، فقال له سُكّرٌ^(٦) : خذْ مِنِّي هذا الدرهمَ وارقي رُقيةً لاتضرُّني معها حيةٌ أبداً ! قال : فإنِّي أفعل . قال : فأرسل قبل ذلك حيةً ، حتّى ترقيني بعد أن تعضني ؛ فإن أفقتُ علمتُ أن رُقيتك صحيحة . قال : فإنِّي أفعل ، فاخترتُ أيتها شئت . فأشار إلى واحدةٍ ممّا تعضُّ للأكل دون السّمّ ، فقال : دغ هذه ؛ فإن هذه إن قبضت على لحمك لم تفارقك حتّى تقطعك^(٧) ! قال : فإنِّي لا أريد غيرها . وظنَّ أنه إنما زواها عنه لفضيلةٍ فيها . قال : أمّا إذ أبيت إلا هذه فاخترتُ موضعاً من جسّدك حتّى أرسلها عليه . فاخترت أنفه ، فناشده وخوّفه ، فأبى إلا ذلك

(١) تعقير : تجرح . وفي ط : « تنفر » ، تحريف ما في س ، ه .

(٢) الجولان ، بالفتح : جبل من نواحي دمشق . معجم البلدان .

(٣) الحفّاث ، بجاء مضمومة بعدها فاء مشددة مفتوحة . ط : « الحنّاث » س ، ه : « الحفّاث » ، صوابهما ما أثبت .

(٤) ط : « سيبا » ، صوابه في س ، ه .

(٥) محرقة في الأصل ، فهي في ط ، ه : « خطم » وفي س : « حكم » .

(٦) ط : « سكن » صوابه في س ، ه .

(٧) س : « لم تفارقه » فقط .

أَوْ يَرُدُّ عَلَيْهِ دِرْهَمَهُ . فَأَخَذَهَا الْحَوَآءُ وَطَوَاهَا عَلَى يَدِهِ ؛ كَيْ لَا يَدْعَهَا تَنَكُّزُ^(١)
فَتَقَطَعَ أَنْفَهُ مِنْ أَصْلِهِ . ثُمَّ أَرْسَاهَا عَلَيْهِ . فَلَمَّا أَنْشَبَتْ أَحَدَ نَابِيئِهَا فِي شِقِّ
أَنْفِهِ صَرَخَ عَلَيْهِ صَرْخَةً جَمَعَتْ عَلَيْهِ أَهْلَ تِلْكَ الْبَلَدَةِ ، ثُمَّ غَشِيَ عَلَيْهِ ،
فَأَخَذَ الْحَوَآءُ فَوَضَعَ فِي السَّجْنِ ، وَقَتَلُوا تِلْكَ الْحَيَّاتَ ، وَتَرَكُوهُ حَتَّى أَفَاقَ
كَأَنَّهُ أَجْنُ الْخَلْقِ ، فَتَطَوَّعُوا بِحَمْلِهِ فَحَمَلُوهُ مَعَ الْمَكَارِي^(٢) ، وَرَدُّوهُ إِلَى
الْبَصْرَةِ ، وَبَقِيَ أَثَرُنَا فِيهَا فِي أَنْفِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ .

(مَا يَغْتَصِبُ بَيْتَ غَيْرِهِ مِنَ الْحَيَوَانِ)

قَالَ : وَأَشْيَاءُ مِنَ الْحَشَرَاتِ لَا تَتَّخِذُ لِنَفْسِهَا وَلَا لِبَيْضِهَا وَلَا أَوْلَادِهَا^(٣)
بَيْتًا ، بَلْ تَظْلِمُ كُلُّ ذِي جُحْرٍ جُحْرَهُ ، فَتُخْرِجُهُ مِنْهُ ، أَوْ تَأْكُلُهُ إِنْ^(٤)
ثَبَّتَ لَهَا .

وَالْعَرَبُ يَقُولُ لِلْمُسَيِّءِ : « أَظْلَمُ مِنْ حَيَّةٍ » ؛ لِأَنَّ الْحَيَّةَ لَا تَتَّخِذُ لِنَفْسِهَا
بَيْتًا . وَكُلُّ بَيْتٍ قَصِدَتْ نَحْوَهُ هَرَبَ أَهْلِهِ مِنْهُ ، وَأَخْلَوْهُ لَهَا .

(عداوة الورل للحيات)

وَالْوَرَلُ يَقْوَى^(٥) عَلَى الْحَيَّاتِ وَيَأْكُلُهَا أَكْلًا ذَرِيعًا . وَكُلُّ شِدَّةٍ يَلْقَاهَا

(١) تَنَكُّزٌ ، آخِرُهُ زَايٌ ، كَمَا فِي س . وَفِي ط ، هـ : « تَنَكَّرَ » مُحَرَّفَةٌ . وَانْظُرْ ٢ : ١٣٨ .

(٢) الْمَكَارِي : مَنْ يَكْرِى النَّاسَ دَابَّةً . وَالْمَكَارَاءُ : الْأَجْرَةُ . ن س : « مَكَارِي »
صَوَابُهُ : « مَكَارٍ » بِحَذْفِ الْيَاءِ .

(٣) س : « رَلِيْبُضُهَا وَأَوْلَادُهَا » .

(٤) ط : « إِذْ » .

(٥) ط : « يَقُولُ » صَوَابُهُ فِي س ، هـ .

ذو جُحْر منها فهي تلقى مثل ذلك من الورل . والورلُ اللَّطْفُ جَرماً من الضَّبِّ .

وزعم أَنَّهُمْ يقولون : « أَظْلَمُ مِنْ وَرَلٍ » كما يقولون : « أَظْلَمُ مِنْ حَيَّةٍ » ، وكما يقولون : « أَظْلَمُ مِنْ ذَنْبٍ » ويقولون : « مَنْ اسْتَرْعَى الذَّنْبَ ظَلَمَ ^(١) » .

(الورل والضَّب)

وبرائن الورل أقوى من براثن الضَّبِّ . والضَّبَّابُ تحفر جِحْرَتَهَا في الكُدَى ^(٢) . والورل لا يحفرُ لنفسه بل يُخْرِجُ ^(٣) الضَّبَّ من بيته . فتزعم الأعرابُ أَنَّهُ إِنَّمَا صار ^(٤) لا يحفر [لنفسه إبقاءً على براثنه . ويمنع الحَيَّةَ أن تحفر بيتها] أن ^(٥) أسنانها أَكَلَتْ من أسنان الفأر [ومن التي تحفر بالأنف والأيدى ؛ كالنمل والذَّرُّ وما أشبه ذلك] . والحَيَّةُ ^(٦) لا ترى أن تعاني ذلك ، وَحَفَرُ غيرها ومعاناته يكفيها .

(١) استرعا : جملة راعيا . وظلم : أى ظلم النعم ، أو ظلم الذنوب حيث كلفه ما ليس في طبعه . وأصل المثل في الميداني (٢ : ٢٣٠) .

(٢) جحرة ، كعنية : جمع جحر . وفي الأصل : « أجحرتها » ، وليس قياساً ولا مسموعاً . والصواب ما أثبت . والكُدَى : جمع كدنة ، بالفم : وهي الأرض الصلبة . وكتبت في الأصل بالالف خطأ ؛ إذ أصلها الياء .

(٣) ط ، هـ : « تخرج » ، صوابه في س .

(٤) ط : « أنها إنما صارت » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٥) ط ، هـ : « لأن » ، صوابه في س .

(٦) ط ، هـ : « فهي » .

(شعر في ظلم الحية)

وفي ضَرْبِ المثل بظلم الحية ، يقول مضر بن لقيط^(١) :

لَعَمْرُكَ إِنِّي لَوْ أُخَاصِمُ حَيَّةً إِلَى فَقْعَسٍ مَا أَنْصَفْتَنِي فَقْعَسٌ^(٢)

إِذَا قُلْتُ مَاتَ الدَّاءُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ سَعَى حَاطِبٌ مِنْهُمْ لِأَخَرٍ يَقْبِسُ^(٣)

فَمَا لَكُمْ طُلَسًا إِلَى كَأَنَّكُمْ

ذُنَابُ الْغَضَى وَالذُّنُبُ بِاللَّيْلِ أَطْلَسُ^(٤)

وجعله أطلس ؛ لأنه حين تشتد ظلمة الليل فهو أخفى له ، ويكون حينئذٍ أخفى له وأضرى .

وقال حريز بن نسيبة العدوي^(٥) ، لبني جعفر بن كلاب ، وضرب جور^{٥١}

الحية والذئب في الحكم مثلاً ، فقال :

(١) سبقت ترجمته في (٣ : ٤٥٩) . وقد نسب البيهقي الشعر في حماسه ٢٨٠ إلى عامر بن لقيط الأسدي . وهذه النسبة الأخيرة أيضاً في محاضرات الراغب (١ : ١٧٤) . وفي البيان (٢ : ١٦٠) : « قال الأسدي » .

(٢) قال الجاحظ في البيان : « يقول : بلغ من ظلم قومنا لنا أننا لو خاصمنا الذئب والحيات وبها يضربون المثل في الظلم — لقضوا لها علينا » . وفقس ، هو ابن طريف ، أبو حى من قبيلة أسد .

(٣) الحاطب : الذي يجمع الحطب . في البيان : « أتى حاطب » .

(٤) طلسا : جمع أطلس ، وهو الذي في لونه غبرة إلى سواد . ط : « طلسي » صوابه في س ، هو والمراجع المتقدمة . وقد روى البيهقي أبياتا بعد هذا في حماسه .

(٥) هو حريز ، بجاء مهملة وزاي ، ابن عبدة ، أحد بني زيد بن نسيبة بن عدي بن أسامة ابن مالك بن بكر بن حبيب ، كما في المؤلف ٧٢ . وفي الأجدل : « جرير » مصحف . ونسبة ، بضم النون بعدها شين معجمة ، هو جده لا أبوه . س : « نسمة » محرفة .

كَأَنَّنِي حِينَ أَحْبُو جَعْفَرًا مِدَحِي أَسْقِيهِمْ طَرَقَ مَاءٍ غَيْرَ مَشْرُوبٍ (١)
 وَلَوْ أَخَاصِمُ أَفْعَى نَابُهَا لَثِقُ أَوِ الْأَسَاوِدَ مِنْ صُمِّ الْأَهَاضِيبِ (٢)
 لَكُنْتُمْ مَعَهَا إِلْبَاءً ، وَكَانَ لَهَا نَابٌ بِأَسْفَلِ سَاقٍ أَوْ بِعُرْقُوبٍ (٣)
 وَلَوْ أَخَاصِمُ ذَنْبًا فِي أَكِيلَتِهِ لَجَاءَنِي جَمْعُكُمْ يَسْعَى مَعَ الذَّيْبِ (٤)

(فم الأفعى)

قال : والحية واسعة الشَّحْوِ والضم ، لها خطم (٥) ، ولذلك ينفذ نابها .
 وكذلك كلُّ [ذى (٦)] فمٍ واسع الشَّحْوِ ؛ كفم الأسد . فإذا اجتمع له سعة
 الشَّحْوِ وطول اللِّحْيَيْنِ ، وكان ذا خطمٍ وخرطومٍ فهو أشدُّ له كالخنزير ،
 والذئب والكلب . ولو كان لرأس الحية عَظْمٌ كان أشدَّ لعضتها (٧) ،
 ولكنه جلدٌ قد أطبق (٨) على عظمين رقيقين مستطيلين بفكِّها الأعلى
 والأسفل . ولذلك (٩) إذا أهوى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ أَوْ عَصَا ، رأيتها تلوَّى رأسها

(١) ماء طرَق ، بالفتح : بالت فيه الإبل وبعرت ، وقد طرقت . غير مشروب : غير صالح لذلك .

(٢) أفعى : سبق الكلام في تنوينها ص ١١٧ . لثق : مبتل بما ينطف من السم .

(٣) هم ألْب عليه ، بالفتح والكسر : مجتمعون عليه بالظلم والعداوة . ط ، هـ : « إلبا معها » وبذا يختل الوزن . والوجه ما أثبت من س . و « ناب » هى بالنون فى س . وفى ط ، هـ : « باب » ، ولهذه وجه .

(٤) الأكلة : شاة تنصب ليصاد بها الذئب ونحوه ، كالأكيل ، والأكولة بالضم .

(٥) ط ، هـ . « له خطم » صوابه فى س .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) عظم : المراد عظم شديد . هـ ، ط : « خطم » ولا تصح . وانظر ما سبق قريبا .

(٨) كذا فى س ، هـ . وفى ط : « انطبق » .

(٩) كذا على الصواب فى س . وفى ط ، هـ : « وكذلك » .

وتحتال في ذلك ، وتمنعه بكل حيلة ؛ لأنها تعلم وتحسُّ بِضَعْفِ ذلك الموضع منها ، وهو مَقْتَلٌ . وما أكثرَ ما يكون في أعناقها تخصيرٌ^(١) ولصدورها أغباب^(٢) ، وذلك في الأفاعي أعمُّ . وذلك الموضعُ المستبدقُ إنما هو شيءٌ كهيئة الخريطة ، وكهيئة فم الجراب ، مُنْضَمُّ الأثناء^(٣) ، مُثْنَى^(٤) الغضون . فإذا شئتَ أن تفتحَ انفتح لك فمٌ واسع .

ولذلك قال إبراهيم بن هاني : كان فتحُ فم الجرابِ يحتاجُ إلى ثلاثة أيدي^(٥) ، ولولا أن الحمالين قد جعلوا أفواههم بدل اليد الثالثة لقد كان ذلك ممتنعاً حتى يستعينوا^(٦) بيدِ إنسان .

وهذا مما يعدُّ في مُجَوِّن ابن هاني .

وكذلك حُلُوقُ الحَيَّاتِ وأعناقها وصدورها ، قد تراها فتراها في العين دقيقة ، ولا سيما إذا أفرطت في الطول .

(شراة الحية والأسد)

وهي تبتلعُ فراخ الحمام . والحيةُ أنهممُ وأشره من الأسد . والأسدُ يبلعُ البَضْعَةَ العظيمة من غير مضغٍ ؛ وذلك لما فيه من فضل الشره . وكذلك الحية . وهما واثقان بسهولة وسعة المخرج .

(١) تخصير : أى دقة في وسطها .
 (٢) جمع غيب ، وهو اللحم المتدل تحت الخنك .
 (٣) الأثناء : التفضينات . ط : « ضم » ، صوابه في س ، هـ . وفي ط : « الأثناء » وفي س ، هـ : « الأثناء » صوابهما ما أثبت .
 (٤) س ، هـ : « مثني » .
 (٥) س ، هـ : « أيدي » صوابه في ط .
 (٦) ط : « يستعين » صوابه في س ، هـ .

(تَنْيْنُ أَنْطَاكِية)

[و] مِمَّا عَظَّمَهَا وَزَادَ فِي فَرْعِ النَّاسِ مِنْهَا ، الَّذِي يَرُويهِ أَهْلُ الشَّامِ ،
وَأَهْلُ الْبَحْرَيْنِ ، وَأَهْلُ أَنْطَاكِية^(١) ؛ وَذَلِكَ أَنَّي رَأَيْتُ الثَّلَاثَ الْأَعْلَى مِنْ
مِنَارَةِ مَسْجِدِ أَنْطَاكِية أَظْهَرَ جِدَّةً مِنَ الثَّلَاثِينَ الْأَسْفَلِينَ ، فَقُلْتُ لَهُمْ : مَا بَالُ
هَذَا الثَّلَاثِ الْأَعْلَى أَجَدُّ وَأَطْرَى^(٢) ؟ قَالُوا : لِأَنَّ تَنْيْنَنَا^(٣) تَرَفَّعَ مِنْ بَحْرِنَا
هَذَا ، فَكَانَ ، لَا يَمُرُّ بِشَيْءٍ إِلَّا أَهْلَكَهُ ، فَمَرَّ عَلَى الْمَدِينَةِ فِي الْهَوَاءِ ، مُحَاذِيًا
لِرَأْسِ هَذِهِ الْمِنَارَةِ ، وَكَانَ أَعْلَى مِمَّا هِيَ عَلَيْهِ ، فَضْرَبَهُ بِذَنْبِهِ ضَرْبَةً ،
حَذَفَتْ^(٤) مِنْ الْجَمِيعِ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا^(٥) الْمَقْدَارِ ، فَأَعَادُوهُ بَعْدَ ذَلِكَ ،
وَلِلذَلِكَ اخْتِلَافٌ فِي الْمَنْظَرِ .

(١) أَنْطَاكِية ، بِالْفَتْحِ ثُمَّ السُّكُونِ ، وَالْيَاءُ مُخَفَّفَةٌ . قَالَ يَاقُوتُ : وَلَيْسَ فِي قَوْلِ زُهَيْرٍ :

عَلُونُ بِأَنْطَاكِيةَ فَوْقَ عَقْمَةٍ وَرَادَ الْخَوَاشِي لَوْنَهَا لَوْنٌ عِنْدَمَ

وَقَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

عَلُونُ بِأَنْطَاكِيةَ فَوْقَ عَقْمَةٍ كَجَرَّةٍ نَخْلٍ أَوْ كَجَنَّةٍ يَثْرِبُ

دَلِيلٌ عَلَى تَشْدِيدِ الْيَاءِ ؛ لِأَنَّهَا لِلنِّسْبَةِ . وَكَانَتِ الْعَرَبُ إِذَا أَعْجَبَهَا شَيْءٌ نَسَبَتْهُ إِلَى أَنْطَاكِيةَ .

(٢) أَطْرَى : مِنَ الطَّرَاوَةِ ، وَهِيَ الْغَضَاظَةُ وَالْحِدَاثَةُ . هـ ، س : « أَطْوَى »

صَوَابُهُ فِي س . وَالْكَلَامُ بَعْدَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ إِلَى : « هَذِهِ الْمِنَارَةُ » سَاقِطٌ

مِنْ س .

(٣) التَّيْنِ ، كَسَجِيلٍ : حَيَّةٌ عَظِيمَةٌ . ط : « تَسْبِيحُنَا » صَوَابُهُ فِي هـ .

(٤) ط : « خَرَقَتْ » صَوَابُهُ فِي س ، هـ .

(٥) ط : « هَذِهِ » صَوَابُهُ فِي س ، هـ .

(الخلاف في التَّنين)

ولم يزل أهلُ البِقَاعِ^(١) يتدافعون أمرَ التَّنينِ . ومن العجب أنك تكون
في مجلسٍ وفيه عشرون رجلاً ، فيجري ذكرُ التَّنينِ فينكرُهُ بعضهم .
وأصحاب التثبِتِ^(٢) يدَّعون العِيانَ . والموضع قريب ، ومن يعاينهُ كثير .
وهذا اختلافٌ شديد .

(قول الأعراب في الأصلة)

والأعرابُ تقول في الأصلة^(٣) قولاً عجيباً : تزعمُ أن الحَيَّةَ التي يقال
لها الأصلة لا تمرُّ بشيء إلا احترق . مع تهاويل كثيرة ، وأحاديث شنيعة .

(الأجدهاني)

وتزعم الفُرسُ أن الأجدِهاني^(٤) أعظم من البعير ، وأن لها سبعة
رءوس ، وربما لقيت ناساً فنبتلع من كلِّ جهةٍ فمٍ ورأسٍ إنساناً . وهو من
أحاديث الباعة والعجائز^(٥) .

(١) البقاع : موضع يقال له بقاع كلب ، قريب من دمشق ، وهي أرض واسعة بين بعلبك
وحص ودمشق . ياقوت .

(٢) ط ، هـ : « التثبِت » ، ووجهه ما في س .

(٣) الأصلة : حية كبيرة الرأس قصيرة الجسم . والغويون يختلفون في تعليلها ،
أي نعتها .

(٤) انظر الاستدراكات .

(٥) ط : « أو العجائز » وتصحيحه من س ، هـ .

(الحية ذات الرأسين)

وقد زعم صاحب المنطق أنه قد ظهرت حية لها رأسان . فسألت^(١) أعرابياً عن ذلك فزعم أن ذلك حق . فقلت له : فمن أى جهة الرأسين تسعى ؟ ومن أيهما تأكل وتعض ؟ فقال : فأما السعى فلا تسعى ، ولكنها تسعى إلى حاجتها بالقلب ، كما يتقلب الصبيان على الرمل . وأما الأكل فإنها تتعشى بضم وتنغدى بضم . وأما العض فإنها تعض برأسها معاً !! فإذا به أكذب البرية .

وهذه الأحاديث كلها ، مما يزيد في الرعب منها ، وفي تهويل أمرها^(٢) .

(فرائق الأسد)

ومثل شأن التنين مثل أمر فرائق الأسد^(٣) ؛ فإن ذكره يجرى في المجلس ، فيقول بعضهم : أنا رأيتُه وسمِعْتُه !

(١) ط ، هـ : « فسئلت » صوابه في س .

(٢) س : « والاستهالة لمنظرها » . والكلام من بعد هذه السكامة ، إلى

« لمنظرها » الآتية ، ساقط من س .

(٣) الفرائق ، بضم الفاء . وفي الأصل « غرائق » صوابه ما أثبت . ولفظه معرب

من « پَرَوَانَك » الفارسية . القاموس المحيط ، ومعجم استينجاس . وهو ضرب

من الوحش ، يتقدم الأسد ويرشده إلى فريسته .

(فرع الناس من الحية)

وربما زاد في الرعب منها والاستهالة لمنظرها قول جميع المحدثين : إن من أعظم ما خلق الله الحية والسرطان والسّمك .

(طول عمر الحية)

وتقول الأعراب : إن الحية أطولُ عمراً من النّسر ، وإن الناس لم يجدوا حية قطّ ماتت حتف أنفها ، وإنما تموت بالأمر يعرض لها^(١) .
وذلك لأمر : منها قولهم إن فيها شياطين ، وإن فيها من مسخ ، وإن إبليس إنما وسوس إلى آدم وإلى حواء من جوفها .

(زعم الفضل بن إسحاق)

وزعم لي الفضل بن إسحاق ، أنه كان لأبيه [بُحَّان^(٢)] ، وأن طول كل نخ تسعة عشر ذراعاً^(٣) .

(١) ط : « بالأمر الذي يعرض لها » .

(٢) موضع هذه الكلمة يياض في الأصل . وقد أثبتنا اعتماداً على سياق الكلام . والنخ ، بالضم : بساط طوله أكثر من عرضه ، فارسي معرب . اللسان ، والألفاظ الفارسية . وضبطه صاحب القاموس بالفتح .

(٣) ط : « وأن طول كليهما » ، وأثبت ما في س ، هـ . وفي س : « كليما » بدل « ذراعاً » وهو خطأ . وقد أتى الجاحظ بهذا الخبر شاهداً على المبالغة والتّهويل ، فيما يظهر . انظر ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

(ضروب الحيات)

ومن الحيَّات الجُرد والزعَر ، وذلك فيها من [الغالب ^(١)] .
ومنها ذواتُ شعر ، ومنها ذواتُ قرون . [وأرسطو يَنكِرُ ذلك ^(٢)]
وإنما يتخلق لها في كلِّ عام قشْرٌ وغِلاف ، فأما ^(٣) مقادير أجسامها فقط :

(انسلاخ جلد الإنسان)

وأما الجلودُ فإنَّ الأرمينيَّ زعم أنه كان عندهم رجلٌ ينقَشِر من جلده
وينسلخُ في كلِّ شهرٍ مرَّةً . قال : فيجمع ذلك فوجد فيه مِلءُ جراب
أو قال : أكثرُ .

(علة الفزع من الحية)

وأما الذي لا أشك في أنه قد زاد في أقدارها في النفوس ، وعظَّم
من أخطارها ، وهول من أمرها ، ونبَّه على ما فيها من الآيَةِ العجيبةِ
والبرهانِ النـيِّر ، والحجَّةِ الظاهرة ، [فَمَّا ^(٤)] في قلب العصا حَيَّةٌ ،

(١) موضع هذه الكلمة بياض في الأصل . وجاء في حياة الحيوان : « ومن أنواعها الأزعر ، وهو الغالب فيها » .

(٢) هذه الزيادة عن الديرى . ومكانها بياض بقدر نصف سطر في س . ولم يبيض لها في ط ، هـ .

(٣) بعد هذه الكلمة بياض نحو نصف سطر في س فقط .

(٤) ليست بالأصل ، وبها يتم الكلام .

وفي ابتلاعها ماهوّل به القوم وسحروا من أعين الناس ، وجاءوا به من الإفك قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ . حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ ۚ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ ﴾ (١) [فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ . قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ . فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۖ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَأَلْقُوا حِبَالَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ ۖ ﴾ (٢) .

فإن قلت : إنه إنما حوّل العصا ثعباناً لأنهم جاءوا بحبال وعصى فحوّلوها في أعين الناس كلها (٣) حيّات ، فلذلك قلب الله العصا حية (٤) على هذه المعارضة . ولو كانوا حين سحروا أعين الناس جعلوا حبالهم وعصيهم ذئباً في أعين الناس ونموراً ، لجعل الله عصا موسى ذئباً أو نمراً ، فلم يكن ذلك لخاصّة في بدن الحية .

قلنا : الدليل على باطل ما قلتم ، قول الله تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ . قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ . قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ . فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ وقال الله عزّ وجلّ (٥) : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ۖ ﴾ (٦)

(١) هذه التكررة ليست في س : هـ . وإسقاطها تحريف شنيع . وبدلها في ط كلمة : « إلى » . وهذه الآية وسابقتها ولاحتقاها ، هي الآيات ١٠٤ - ١٠٧ من سورة الأعراف .

(٢) هذا سهو من الجاحظ ، فإن هذه الآية من سورة أخرى هي سورة الشعراء ، وهي الآية الرابعة والأربعون .

(٣) ط ، هـ : « كأنها » وأثبت ما في س .

(٤) س ، « قلت إن العصا حية » وهو تحريف ما في ط ، هـ .

(٥) هذه التكررة وما قبلها ساقطتان من هـ .

(٦) هذه هي الآية السابعة من سورة النمل . وتمامها : « سَأَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَشِيرٍ أَوْ نَذِيرٍ أَوْ تَعَذُّرٍ لَكُمْ تَصْطَلُونَ » .

إلى قوله : ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ، يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدُنِيَ الْمُرْسَلُونَ﴾^(١) ﴿فَقَلْبِتْ﴾^(٢) العصا جانًّا ، وليس هناك حبالٌ ولا عِصَى . وقال الله^(٣) : ﴿قَالَ لَنْ اتَّخَذَتْ إِلَٰهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمُسْجُوتِينَ . قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ . قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾^(٤) ﴿فَقَلْبُ﴾^(٥) العصا حيَّةٌ كان في حالات شتى^(٦) . فكان هذا مما زاد في قدر الحية .

وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال في دعائه أن لا يميته الله لديغا . وتأويل ذلك : أنه صلى الله عليه وسلم ما استعاذ بالله من أن يموت لديغا^(٧) وأن تكون ميته بأكل هذا العدو ، إلا وهو من أعداء الله ، بل من أشدهم عداوة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ، « أشدُّ الناس عذاباً يوم القيامة من قتل نبيًّا أو قتله نبيٌّ » ، كأنه كان في المعلوم^(٨) أن النبي لا يقتل أحداً ،

(١) سها الجاحظ مرة أخرى فجعل عقب الآية هكذا : « يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين » ، فخلط بين هذه الآية وبين الآية ٣١ من سورة القصص : « وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين » . ومن العجب أن يمر على هذا السهو والذي قبله نحو أحد عشر قرناً فلا يتهياً أحد لإصلاحه ورده إلى نصابه . والحمد لله .

(٢) هـ : « فقلب » ولها وجه .

(٣) سقطت هذه الكلمة من س . وسقطت الكلمة الأولى في الآية من ط . وهما مثبتتان في هـ . والآيات هي ٢٩ - ٣٢ من سورة الشعراء .

(٤) س : « فقلبت » ، ولا تصح .

(٥) رسمت هذه الكلمة بالألف في ط . وهي بقية من بقايا الرسم الأول .

(٦) ط : « مستعاذ بالله أن يموت لديغا » ، وتصحيحه وإكماله من س ، هـ .

(٧) كذا في ط . وفي س ، هـ : « العلوم » وهي ركيكة .

ولا يَتَّفِقُ ذلك إلا في أَشْرَار^(١) الخلق . ويدلُّ على ذلك الذي اتَّفَقَ من قتل أبي بن خلف بيده^(٢) ، والنَّضْر بن الحارث^(٣) ، وعقبة بن أبي معيط^(٤) ، ومعاوية بن المغيرة بن أبي العاصي^(٥) - صبراً^(٦) .

(١) أَشْرَار : جمع شرير ، كشرير ، وهو ذو الشر . أو هو جمع شر ، مثل زند وأزناد . اللسان والقاموس . ط ، هـ : « شرار » ولم أجدها فيهما في مادة (شرر) ورأيتهما في شعر صخر أخى الخنساء (الخزائن ١ : ٣٩٣ سلفية) :
* والله لا أمنعها شرارها *

(٢) هو أبي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، كان أدرك الرسول في الشعب يوم أحد ، وهو يقول : أي محمد ! لا نجوت إن نجوت ! فقال القوم : يا رسول الله أيعطف عليه رجل منا ؟ فقال : دعوه : فلما دنا منه تناول رسول الله الحربة من الحارث بن الصمة ، وطعنه في عنقه طعنة تدادأ منها عن فرسه مراراً - أي تقلب فجعل يتدحرج . سيرة ابن هشام (يوم أحد) .

(٣) هو النضر بن الحارث بن كلدة ، أحد بني عبد الدار . أسر يوم بدر كافرأ فضرب الرسول عنقه صبراً . حماسة البحتري ٤٣٤ . أو قتله على وهو قافل مع الرسول من غزوة بدر إلى المدينة . السيرة ٥٠٨ . ورثته أخته قتيلة بأبيات ، هي من أروع آيات البيان العربي ، رواها ابن هشام في السيرة ٥٣٩ وأبو تمام في الحماسة (١ : ٤٠١) والبحتري في حماسه ٤٣٤ والجاحظ في البيان (٤ : ٤٤) . وقيل إن الرسول لما بلغه الشعر قال : « لو بلغني هذا قبل قتله لما نمت عليه ! » . فيقال إن قتيلة بنته ، كما في حماسة البحتري والإصابة ٨٨٤ من قسم للنساء .

(٤) عقبة بن أبي معيط - بهيئة التصغير - كان من أسر يوم بدر من المشركين ، قتل في أثناء قفول الرسول من غزوة بدر ، قتله عاصم بن أبي الأفلح الأنصاري . وكان عقبة قد احتج قبل قتله فقال : « أقتل من بين قريش صبراً ؟ » فقال عمر ابن الخطاب : « حن قلع ليس منها ! » يعرض بنسبه . الروض الأنف (٧٧ : ٢) .

(٥) هو معاوية بن المغيرة بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس ، وهو جد عبد الملك ابن مروان ، أبو أمه : عائشة بنت معاوية ، كان أسره الرسول بعد غزوة حراء الأسد ، عند رجوعه إلى المدينة ، فلجأ إلى عثمان بن عفان ، فاستأمن له الرسول فأمنه على أنه إن وجد بعد ثلاث قتل ، فأقام بعد ثلاث وتواري ، فبعث الرسول زيد بن حارثة وعمار بن ياسر إليه ، وقال : إنكما ستجدانه بموضع كذا وكذا . فوجداه فقتلاه . السيرة ٥٩١ . ط : « معاوية بن أبي المغيرة » ، صوابه في س ، هـ كما في السيرة .

(٦) قتله صبراً : حبسه ورماه حتى مات . صبره : نصبه وحبسه ليقتل . وما ينبغي =

وحدثت^(١) عن عبد الله بن أبي هند ، قال : حدثني صيفي بن أبي أيوب ، أنه سمع أبا بشير الأنصاري^(٢) يقول : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من هؤلاء السبع : كان يقول : اللهم إني أعوذ بك من الهدم^(٣) وأعوذ بك من التردى^(٤) ، وأعوذ بك من الغم والغرق^(٥) ، وأعوذ بك من الحرق والهرم^(٦) ، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت^(٧) وأعوذ بك من أن أموت في سبيلك مذبراً ، وأعوذ بك من أن أموت لديغاً » .

وطلمحة بن عمرو قال : حدثني عطاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم إني أعوذ بك من الأسد^(٨) [الأسود] ، وأعوذ بك من الهدم » .

= ذكره هنا ، أن الجاحظ قد صرح في كتاب العمانية ص ٤٦ بأن الرسول « لم يقتل بيده إلا رجلاً واحداً » . فهؤلاء الثلاثة قد أمر الرسول بقتلهم ، ولم يقتلهم بيده .

- (١) في الأصل : « حدث » . والوجه ما أثبت .
- (٢) أبو بشير الأنصاري ، ذكره ابن حجر في الإصابة ١٣٠ (قسم الكنى) . وقيل اسمه قيس بن عبيد بن الحرير بمهملتين مصغراً ، أورده ابن سعد فيمن شهد الخندق . وقيل مات سنة أربعين .
- (٣) في رواية أخرى : « اللهم إني أعوذ بك من الأهدمين » قيل في تفسيره : هو أن يهدم على الرجل بناء ، أو يقع في بئر ، حكاه الهروي في الغريبين . اللسان (هدم) .
- (٤) تردى : سقط في بئر أو نهر أو هوة .
- (٥) كذا في ه واللسان (غرق) ، والجامع الصغير ١٥٤١ رواية عن الناسي والحاكم . وفي ط ، س : « الفرق » بمعنى الخوف .
- (٦) الحرق ، بالتحريك : النار أو طها . والهرم ، بالتحريك : أقصى الكبر . ط ، س : « الهدم » صوابه في ه .
- (٧) تخبطه الشيطان : صرعه ولعب به .
- (٨) هذه الزيادة الضرورية من الدميري (رسم الأسود السالخ) . وفيه : روى أبو داود =

(استطراد لغوى)

قال : ويقال للحية : صَفَرَتْ تَصْفِرُ صغيراً ، والرجل يصفِر بالظير للتنفير ، وبالدوابَّ وبيعض الطير للتعليم . وتتخذ الصَّفَّارَةُ [يُصْفِرُ بِهَا ^(١)] للحمام وللظير في المزارع . قال أعشى همدان يهجو رجلاً :
وإذا جئنا للزَّرع يوم حَصَادِهِ قَطَعَ النَّهَارَ تَأَوُّهاً وَصَفِيرًا

(لسان الحية)

والحية مشقوقة اللسان سوداؤه . وزعم بعضهم أن لبعض الحيات لسانين وهذا عندي غلط ، وأظنُّ أنه لما رأى اقتراق طرف اللسان ^(٢) قضى بأن له لسانين .

(عجيبة الضب)

ويقال : إن ^(٣) للضَّبِّ أَيْرَيْن ، ويسمى أير الضَّبِّ نَزْكَاً ^(٤) .
قال الشاعر ^(٥) :

= والنسائي والحاكم وصححه ، عن عبد الله بن عمر قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر فأقبل الليل قال : يا أرض ، ربى وربك الله ، أعوذ بالله من شرك ، وشر ما فيك ، وشر ما خلق فيك ، وشر ما يدب عليك ! أعوذ بالله من أسد وأسود ، ومن الحية والعقرب ، ومن ساكن البلد ، ومن والد وما ولد ! » .
الأسود : نوع من الأفاعى شديد السواد ، يقال له أسود سالخ ؛ لأنه يسلم جلدته كل عام .

(١) الزيادة من ه فقط .

(٢) ط : « طرف اللسان » . وأثبت ما فى س ، ه .

(٣) ط : « بأن » .

(٤) النزك ، بكسر النون وتفتح . ط : « ترك » ه : « ترك » س : « نرك » صوابه ما أثبت وانظر الجزء السادس ص ٧٤ حيث صرح الجاحظ بضبطه .

(٥) هو أبو الحجاج . وقال ابن برى : « هو لحران فى القصة » وكان قد أهلى =

كَضَبُّ لَهُ نَزْكَانٍ كَانَا فَضِيلَةً عَلَى كُلِّ حَافٍ فِي الْأَنَامِ وَنَاعِلٌ^(١)
 قَالَ أَبُو خَلْفٍ النَّمِرِيُّ : سَتَلُ أَبُو حَيَّةَ النَّمِرِيُّ عَنْ أَيْرِ الضَّبِّ ،
 فزعم أن أَيْرَ الضَّبِّ كلسان الحية : الأصل واحدٌ ، والفرع اثنان .

(زعم بعض المفسرين في عقاب الحية)

وبعض أصحاب التفسير يزعم أن الله عاقب الحية حين أدخلت إبليس
 في جوفها ، حتى كَلَّمَ آدَمَ وَحَوَّاءَ وخدعهما على لسانها ، بعشر خصال :
 منها شقُّ اللسان^(٢) . قالوا : فلذلك ترى الحية إذا ضُرِبَتْ للقتل كيف
 تخرج لسانها لتُرى الضَّارِبَ عقوبةَ الله ، كأنها تُسترحم . وصاحب هذا
 التفسير لم يقل ذلك إلا لحية كانت عنده تتكلم ، ولولا ذلك لأنكر
 آدمُ كلامها ، وإن كان إبليس لا يمتثل إلا من جهة الحية ، ولا يمتثل
 بشيء غير ممّوه ولا مشبه .

= ضبابا لخالد بن عبد الله القسري . انظر اللسان (مادة نرك) حيث تجد أبيات
 الشاهد . وقال ابن السيد في الاقتضاب ٣٥٥ : « كان خالد ولاء بعض البوادي
 فلما جاء المهرجان أهدى كل عامل إليه ما جرت عادة العمال بإهدائه ، وأهدى إليه
 حمران قفصاً ملوفاً ضباباً وكتب إليه » . وأنشد الأبيات التي رواها الجاحظ أيضاً
 في الجزء السادس .

(١) الرواية : « سبجل له نركان » انظر الحيوان (٦ : ٧٣) واللسان (نرك) ،
 سبجل (والمخصص (٨ : ٩٧) وعيون الأخبار (٢ : ٩٨) وأدب الكاتب
 ١٥٤ ومعجم الأدباء (٩ : ١٦١) ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٣) .
 وفي ط « طركان » و هـ : « تركان » صوابه في س والمراجع . والناعل :
 من يلبس نعلا . س : « وفاعل » محرف .

(٢) انظر ماسياتي في ص ٢٠٠ .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال أرضٌ مَحْوَاةٌ وَمَحْيَاةٌ من الحَيَّات (١) كما يقال أرضٌ مَضْبِيَّةٌ وَضَبِيَّةٌ من الضَّبَاب (٢) ، وفئرة من الفَأَر (٣) .

(قولهم : هذا أجل من الحرش !)

وقال الأصمعيُّ في تفسير قولهم في المثل : « هذا أَجَلٌ مِنَ الْحَرْشِ » (٤) :
 إِنَّ الضَّبَّ قَالَ لابنه : إِذَا سَمِعْتَ صَوْتَ الْحَرْشِ فَلَا تَخْرُجَنَّ ! قَالَ : وَذَلِكَ
 أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْحَرْشَ تَحْرِيكُ (٥) الْيَدِ عِنْدَ جُحْرِ الضَّبِّ ؛ لِيُخْرَجَ إِذَا
 ظَنَّ أَنَّهُ حَيَّةٌ - قَالَ : وَسَمِعَ ابْنَهُ صَوْتَ الْحَفْرِ فَقَالَ : يَا أَبَاهُ هَذَا الْحَرْشُ ؟ قَالَ :
 يَا بَنِيَّ ، هَذَا أَجَلٌ مِنَ الْحَرْشِ ! فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا .

أسماء ما يأكل الحيات

بين الحيات وبين الخنازير عداوة ، والخنازير تأكلها أكلاً ذريعاً . ٥٥

(١) وذلك إذا كانت كثيرة الحيات .

(٢) أرض مضبة ، بفتح الميم والضاد وتشديد الباء . وفي ط ، س : « مضبة »
 و هـ : « مضبته » صوابهما ما أثبت . وضبية ، كفرجة ، وهو من شواذ
 المصنف . ط ، هـ : « ضبية » صوابه في س . والضباب ، بالكسر :
 جمع ضب .

(٣) في الأصل : « فائرة » تحريف . وانظر (٦ : ١٣٤) ، والسان (فأر) .

(٤) انظر هذا المثل وما قيل فيه ، عند المرتضى في أماليه (١ : ١٧٠) والميداني
 (١ : ١٧٠) والبغدادى في الخزائنة (٤ : ٥٩٤ - ٥٩٥ بولاق) .

(٥) هـ : « تحريد » بالدال . والتحرید : التعويج .

وسموم ذوات الأنياب من الحيات ، وذوات الإبر^(١) ، سريعة في الخنازير ،
وهي تهلك عند ذلك هلاكاً وشيكاً ؛ فلذلك لا ترضى بقتلها حتى تأكلها .
وتأكل الحيات العقبان ، والأياثل ، والأراوى^(٢) ، والأوعال ، والسنانير
والشاهمرك^(٣) ، والقنفذ . إلا أن القنفذ أكثر ما يقصد إلى الأفاعى ،
ولمّا يظهر بالليل . قال الراجز :

* قنفذ ليل دائم التجّاب^(٤) *

وهذا الراجز هو أبو محمد الفقعى .

(التشبيه بالقنفذ)

وكذلك يشبه النمام ، والمداخل ، والدسيس^(٥) ، بالقنفذ ؛ لخروجه
بالليل دون النهار ، ولاحتياله للأفاعى . قال عبدة بن الطبيب :
اعصوا الذى يلقى القنفذ بينكم من نصحاء وهو السام الأنقع^(٦)
يزجى عقاربته ليعث بينكم حرباً كما بعث العروق الأخدع^(٧)

(١) أى وسموم ذوات الإبر . وفى الأصل : « ومن ذوات الإبر » .

(٢) الأراوى : جمع أروية ، وهى أنثى الوصول .

(٣) سبق الكلام عليه فى (٣ : ٢٣٦) .

(٤) التجّاب : تفعال من جاب يحوب ، وأصله « التجواب » . ولم أجد من نبه عليه

إلا ما يفهم من عبارة صاحب اللسان : « وفلان جواب جأب : أى يحوب البلاد

ويكسب المال » . ط : « التجّاب » هـ : « التجارب » صوابه فى س .

(٥) الدسيس ؛ بسينين بينهما ياء : من تدسه ليأتيك بالأخبار . ط : « الدبىس »

صوابه فى س ، هـ .

(٦) س ، هـ : « أعصى » .

(٧) يزجى : يسوق ويدفع . ط : « يرخى » س ، هـ : « ترخى » صوابهما =

حَرَّانَ لَا يَشْفِي غَلِيلَ فَوَادِهِ عَسَلٌ بِمَاءٍ فِي الْإِنَاءِ مُشَعَّشٌ^(١)
لَا تَأْمَنُوا قَوْمًا يَشَبُّ صَبِيهِمْ بَيْنَ الْقَوَابِلِ بِالْعَدَاوَةِ يُنْشَعُ^(٢)

وهذا البيت الآخر يضم إلى [قول^(٣)] مجنون بني عامر :

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا
ويضم إليه قول ابن أود^(٤) : « الطينة تقبل^(٥) » الطباع ما كانت
لَيِّنَةً .

ثم قال عبدة بن الطيب ، في صلة الأبيات التي ذكر فيها القنفذ
والنميمة :

إِنَّ الَّذِينَ تَرَوْنَهُمْ خُلَانَكُمْ يَشْفِي صَدَاعَ رُءُوسِهِمْ أَنْ تُصْرَعُوا
قَوْمٌ إِذَا دَمَسَ الظَّلَامُ عَلَيْهِمْ جَذَعُوا قَنَافِدَ بِالنَّمِيمَةِ تَمَزَعُ^(٦)

= ما أثبت ، والرواية في حاشية البحري ٢٤٠ : « يهلى » . والأخدع : واحد
الأخدعين ، وهما عرقا الرقبة . س ، ه : « الفروق » صوابه في
ط والحجاسة .

(١) شمع العسل بالماء : مزجه به وخلطه .

(٢) القوابل : جمع قابلة ، وهي التي تتلقى الولد عند ظهوره . س ، ه :
« القرامل » وهي الإبل ذوات السنامين . وليس يتجه بها المعنى . ينشع بالعداوة :
كأنه يوجر بها ، أى توضع في فيه ليشر بها .

(٣) الزيادة من س ، ه .

(٤) كذا في ط ، ه . وفي س : « ابن أمر » .

(٥) في الأصل : « تقتل » ، ووجهه ما أثبت . وفي س زيادة وار ، قبل :
« الطينة » .

(٦) دمس : اختلطت ظلمته . الحجاسة : « فهم إذا دس » . وجذعوا : هر من =

وهذا الشعر من غُرر الأشعار . وهو مما يحفظ .

وقال الأودي^(١) :

كقنفذ القنِّ لا تخفى مَدَّ أَرْجُهُ خَبٌّ إذا نامَ عَنْهُ الناسَ لم ينم^(٢)

(عهد آل سجستان على العرب)

وفي عهد آل سجستان على العرب حين افتتحوها^(٣) : لا تقتلوا قُنْفُذًا

= جلع بين البعيرين : قرنهما في قرن ، أى جبل . ورواية الحماسة ، واللسان « مادة مزع » وديوان المعاني (٢ : ١٤٤) والأزمنة والأمكنة (١ : ٣٤٠ ، ٢ : ٣٠) : « حذجوا » . وهو من حذج البعير والناقة : شد عليهما الحذج ، بالسكسر ، وهو نحو المودج والمحفة . والمعنى أعدوا تلك القنفاذ . وتمزع ، من المزع ، وهو شدة السير . وفي اللسان : « ابن الأعرابي : القنفذ يقال لها : المزاع » بتشديد الزاي . س ، هـ : « تمزع » بالراء صوابه في ط ، والحماسة ، واللسان (مادة مزع) .

(١) اسمه صلاة بن عمرو . والأودي : نسبة إلى أود بن الصعب بن سعد العشيرة . كان من كبار الشعراء القدماء في الجاهلية ، وله شعر حكيم سائر . انظر الشعراء والأغاني (١١ : ٤١ - ٤٢) . والبيت في ديوان المعاني (٢ : ١٤٤) منسوب إلى أيمن بن خريم .

(٢) القن ، بالضم : موضع ، وفي ديوان المعاني : « الرمل » . والخب ، بالفتح ويكسر : الخداع . « عنه » هى في الأصل : « عند » محرفة . وفي ديوان المعاني : « ليل » .

(٣) كان ذلك سنة إحدى وثمانين ، حين أرسل الحجاج ، عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث في جيش كثيف حسن العدة ، وكان يسمى « جيش الطواويس » ، إلى سجستان لغزو رتبيل ، ملك زابلستان ، ففتح كثيراً من بلادهم .

وَلَا وَرَلًا وَلَا تَصِيدُوا^(١) ؛ لَأَنهَا بِلَادُ أَفَاعٍ^(٢) . وَأَكْثَرُ مَا يَجْتَلِبُ أَصْحَابُ
صِنْعَةِ التَّرْيَاقِ وَالْحَوَاعُونِ الْأَفَاعَى مِنْ سِجِسْتَانٍ . وَذَلِكَ كَسْبٌ لَهُمْ وَحِرْفَةٌ
وَمَتَجَرٌ . وَلَوْلَا كَثْرَةُ قَنَافِدِهَا لَمَا كَانَ لَهُمْ بِهَا قَرَارٌ .

(أَكْلُ الْقَنْفَذِ لِلْحَيَّةِ)

وَالْقَنْفَذُ لَا يَبَالِي أَىِّ مَوْضِعٍ قَبْضَ مِنَ الْأَفْعَى . وَذَلِكَ أَنَّهُ إِنْ قَبْضَ
عَلَى رَأْسِهَا أَوْ عَلَى قَدَاهَا فَهِيَ مَأْكُولَةٌ عَلَى أَسْهَلِ الْوُجُوهِ ، وَإِنْ قَبْضَ عَلَى
وَسْطِهَا أَوْ عَلَى ذَنْبِهَا ، جَذَبَ مَا قَبْضَ عَلَيْهِ ، فَاسْتَدَارَ وَتَجَمَّعَ ، وَمِنْحَهُ سَائِرُ
بَدَنِهِ ، فَتَنَحَّتْ فَاهَا لِتَقْبِضَ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ ، لَمْ تَصِلْ إِلَى جِلْدِهِ مَعَ شَوْكِهِ الثَّابِتِ ٥٦
فِيهِ . وَالْأَفْعَى تَهْرُبُ مِنْهُ ، وَطَلَبُهُ لَهَا وَجَرَاءَتُهُ عَلَيْهَا ، عَلَى حَسَبِ هَرَبِهَا مِنْهُ
وَضَعْفِهَا عَنْهُ .

(أُمَثَالُ فِي الْحَيَّةِ وَالْوَرَلِ وَالضَّبِّ)

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ : « أَضَلُّ مِنْ حَيَّةٍ » ، وَ « أَضَلُّ مِنْ وَرَلٍ » ، وَ « أَضَلُّ
مِنْ ضَبٍّ » - فَأَمَّا الْحَيَّةُ فَإِنَّهَا لَا تَتَّخِذُ لِنَفْسِهَا بَيْتًا ، وَالذَّكْرُ لَا يَقِيمُ فِي الْمَوْضِعِ ،
وَلِئِنْ يَقِيمُ عَلَى بَيْضِهَا بِقَدَرِ مَا تَخْرُجُ فَرَائِخُهَا وَتَقْوَى عَلَى الْكَسْبِ وَالتَّمَسُّكِ
الطَّعْمِ ، ثُمَّ تَصِيرُ الْأُنْثَى سَيَّارَةً ، فَتَنِي وَجَدَتْ جُحْرًا دَخَلَتْ وَائْتَقَتْ بِأَنَّ

(١) أَى وَلَا تَصِيدُوا شَيْئًا مِنْهَا . ط : « وَلَا وَرَلًا تَصِيدُونَهُ » س : « وَلَا وَرَلًا »
تَصِيدُونَهُ . وَصَوَابُهُ مَا أَثْبَتَ مِنْ هـ . وَعِنْدَ يَاقُوتَ : « أَلَا يَقْتُلُ فِي بِلَادِهِمْ
قَنْفَذًا وَلَا يَصْطَادُ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « أَفَاعَى » وَوَجْهُهُ مَا أَثْبَتَ . قَالَ يَاقُوتُ فِي سِجِسْتَانٍ : « فَا مِنْ
بَيْتٍ إِلَّا وَفِيهِ قَنْفَذٌ » .

السَّاكِنَ فِيهِ بَيْنَ أَمْرَيْنِ : إِمَّا أَقَامَ فَصَارَ طُعْمًا لَهَا ، وَإِمَّا هَرَبَ فَصَارَ الْبَيْتُ لَهَا مَا أَقَامَتْ فِيهِ سَاعَةً ، كَانَ ذَلِكَ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ .

(بيض الحيات)

وقد رأيتُ بَيْضَ الْحَيَّاتِ^(١) وكسرتها لِأَتَعَرَّفَ مَا فِيهَا ، فَإِذَا هُوَ بَيْضٌ مُسْتَطِيلٌ أَكْثَرُ اللَّوْنِ أَخْضَرَ ، وَفِي بَعْضِهِ نَمَشٌ وَلَمَعٌ^(٢) . فَأَمَّا^(٣) دَاخِلُهُ فَلَمْ أَرَقِيحًا قَطُّ ، وَلَا صَدِيدًا خَرَجَ مِنْ جُرْحٍ فَاسِدٍ ، إِلَّا وَالَّذِي فِي بَيْضِهَا أَسْمِجٌ مِنْهُ وَأَقْدَرُ . وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا كَثِيرَةُ الْبَيْضِ جِدًّا ، وَأَنَّ السَّلَامَةَ فِي بَيْضِهَا [عَلَى^(٤)] دُونَ ذَلِكَ ، وَأَنَّ بَيْضِهَا يَكُونُ مَنْضُدًّا فِي جَوْفِهَا طَوْلًا عَلَى غِرَارٍ^(٥) وَاحِدٍ ، وَعَلَى خَيْطٍ وَاحِدٍ .

(جسم الحية)

وهي طويلة البطن والأرحام . وعددُ أضلاعِها عددُ أيامِ الشهر . وكان ذلك بعضَ ما زادتُ في شِدَّةِ بدنِها^(٦) .

(١) ط : « الحياة » صوابه في س ، هـ .

(٢) النمش ، بالتحريك : نقط بيض وسود . وفي الأصل : « هش » وليس بشيء . وأثبت الصواب موافقا لما في الميرى (١ : ٢١٠) . واللع : جمع لمعة ، بالضم ، وهي كل لون خالف لونا .

(٣) ط ، هـ : « فإذا » صوابه في س .

(٤) الزيادة من س ، هـ .

(٥) على غرار : أى على قالب . ط ، هـ : « غرار » س : « عراد » صوابهما ما أثبت .

(٦) بعد هذا في كل من ط ، هـ عبارة دخيلة على الكتاب ، أثبتتها هنا إثباتا تاريخيا : « كنت بمجت بطن عقرب إذ كنت بمصر فوجدت فيه أكثر من سبعين عقارب صفار كل واحدة نحو أرزة . حرره أبو بكر السروكى » . وقد سلمت س من إثبات هذا التشويه الدخيل .

(أكثر الحيوان نسلا)

والخلق الكثير الذرء^(١) الدجاج . والضبُّ أكثرُ بيضاً من الدجاجة .
والخنزيرة تضعُ عشرين خنوصاً .

ويخرج من أجواف العقارب عقاربٌ صغارٌ ، كثيرة العدد جداً .
وعامة العقارب إذا حبَلتْ كان حَتْفُها في ولادها^(٢) ؛ لأنَّ أولادها إذا
استوى خلقُها أَكَلَتْ بطونَ الأمهاتِ حتى تنقبها^(٣) . وتكون الولادةُ
من ذلك الثقب ، فتخرجُ والأمهاتُ ميّتة .

وأكثرُ من ذلك كله ذرءُ السمك ؛ لأنَّ الإنسان لو زعمَ أنَّ بيضة^(٤)
واحدة من بعض الأسبور^(٥) عشرة آلاف بيضة ، لكان ذلك لعظم
ما تحمِلُ ، ولدِقَّة حَبِّه^(٦) وصِغره . ولكن يعترِها أمران : أحدهما الفساد ،
والآخر أنَّ الذكورة في أوانِ ولادة الإناث تتبعُ أذنابها ، فكلُّها زحرتُ
بشيء التقمته والتهمتة .

ثمَّ السمك بعد ذلك في الجملة إنما طبعها أن يأكل بعضها بعضاً .

(١) الذرء : النسل . ط ، س : « الذر » صوابه ما أثبت من ه .

(٢) الولاد ، بالكسر : الولادة . ط ، ه : « أولادها » صوابه في س .
وفي نهاية الأرب (١٠ : ١٤٧) نقلا عن الجاحظ : « ولادتها » .

(٣) كذا على الصواب في س . وفي ط : « تنقبها » و ه : « يشقها »
محرقتان . وفي نهاية الأرب : « تنقبها » .

(٤) البيضة هنا : اسم للمرة من باض يبيض .

(٥) الأسبور ، سبق الكلام عليه في (٣ : ٢٥٩) ، وفي الأصل : « الأسبور »
مصحف .

(٦) أي حب البيض . ط ، ه « جثته » تحريف ما أثبت من س .

(علة كثرة الأولاد)

ويزعمون أن الكثرة في الأولاد إنما تكون من العفن واللخن ،
وعلى قدر كثرة المائنة وقلتها . فذهبوا إلى أن أرحام الروميات
والنصرانيات أكثر لخنًا ورطوبة ؛ لأن غسل الفروج بالماء البارد
مراراً في اليوم ، مما يطيب الأرحام ، وينفي اللخن والعفن . ويزعمون أن
المرأة إذا كان فرجها نظيفاً ، وكانت معطرة قويّة المنّة قلّ حملها ، فإن
أفرطت في السمن عادت عاقراً . وسمن الرجال لا يكاد يعترهم ذلك .
وكذلك العاقر من إناث الإبل والبقر والغنم والنخل . إذا قويت النخلة
وكانت شابة ، وسمن جمارها ، صارت عاقراً لا تحمل ، فيحتالون عند ذلك
بإدخال الوهن عليها .

(اعتراض على التعليل السابق)

وقد طعن في ذلك ناسٌ فقالوا : إن في الضبّ على خلاف ما ذكرتم ؛
قد تبيض الأنثى سبعين بيضة فيها سبعون حسناً^(١) . ولولا أن الضبّ
يأكل ولده لانتفشّت الصحارى ضباباً . والضب لا يحفر إلا في كدبة^(٢)
وفي بلاد العرّاد^(٣) . وإذا هرمت تبلّغت بالنسيم . وهذا كله مما يستدلُّ

(١) الحمل ، بالكسر : ولد الضب .

(٢) الكدبة ، بالضم : الأرض الصلبة الغليظة .

(٣) العرّاد : حشيش طيب الرائحة . ط ، هـ : « العرّار » محرفة ، صوابه بالذال =

به على بُعْدِ طبعها من اللَّخْن والعفن ^(١) .

قيل لهم : قد يمكن أن يكون ذلك كذلك ^(٢) في جميع صفاتها إلا في أرحامها فقط .

(سفاد الحيات)

وليس للحيات سفادٌ معروف ينتهي إليه علم ، ويقف عليه عيان ، وليس عند الناس في ذلك إلا الذي يروون من ملاقات الحية [للحية ^(٣)] والتواء كلٍّ منهما على صاحبه ، حتى كأنهما زوج خيزرانٍ مقتول ، أو خلخالٍ مقتول . فأما أن يقفوا على عضوٍ يدخل أو فرج يدخل فيه فلا .

(ذكر الأيم والجرادة الذكر في الشعر)

والعرب تذكرُ الحياتِ بأسمائها وأجناسها . فإذا قالوا : أَيْم ، فإنما يريدون . الذَّكَرَ دونَ الأنثى . ويذكرونه عِنْدَ جودة الانسياب ،

= كما أثبت من س . وانظر « اللسان » (هرد) . ومن تكاذيب الأعراب قولهم على لسان الضب :

أصبح قلبي صردا لايشتهي أن يردا
إلا عرادا عردا أو صليانا بردا
* أو عنكثا ملتبدا *

(١) أي أن سكنى الضباب في الكوى وهي بعيدة عن الرطوبات ، وفي تلك البلاد التي تنبت الحشيش الطيب الرائحة من شأنه أن يبعد طبايعها من اللخن والعفن . وفي الأصل : « على بعض طبعها » الخ . وقد ظهر لك صوابه بما بينت .

(٢) كذا في ط . وفي س : « قد يكون أن كون ذلك » فقط . وفي هـ : « قد يكون أن يكون ذلك كذلك » .

(٣) هذه الزيادة الضرورية من س ، هـ .

وخِيفَةُ البدن ، كما تذكر الشعراء في صفة الخيل الجرادة الذَّكَرَ (١)
دُونَ الْأُنْثَى . فهم وإن ألحقوا الهاء فإنما يريدون الذَّكَرَ . قال بِشْرُ
ابن أبي خازم :

جَرَادَةٌ هَبْوَةٌ فِيهَا اصْفَرَارٌ (٢)

لأن الأنثى لا تكون صفراء ، وإنما الموصوفُ بالصُّفْرَةِ الذَّكَرُ (٣) ؛ لأنَّ
الأنثى تكون بين حالتين (٤) : إما أن تكون حُبْلَى بِبَيْضِهَا (٥) فهي مُثْقَلَةٌ
وإما أن تكون [قد (٦)] سرأت وقذفت بيضها (٧) ، فهي أضعفُ
ما تكون .

قال الشاعر :

أَتَدَهَبُ سَلْمَى فِي اللَّمَامِ وَلَا تُرَى وَفِي اللَّيْلِ أَيْمٌ حَيْثُ شَاءَ يَسِيبُ (٨)

(١) ط : « الجرادة الذكر » . وإثبات الواو يفسد المعنى . وإنما يمتنون الذكر
دون الأنثى ؛ لأن الجرادة الذكر أسرع من الأنثى ، وأخف ، كما في الموازنة
للأمدى ٧٥ .

(٢) الهبوة : الغبرة . وصدر هذا البيت كما في المفضليات ٣٤٣ والأساس (هرش) :
« مهازشة العنان كأن فيها »

وانظر الاستدراكات .

(٣) أى كون الشاعر ذكر الصفرة ، قرينة لأنه عنى الذكر . ومثل الشعر المتقدم قول علقمة
ابن هبيرة الأسدي (الموازنة ٧٥ والمختص ١٦ : ١١٥) ، أو قد بن مالك .
(معجم المرزبانى ٣٣٩) :

كأن جرادة صفراء طارت بألباب الفواضر أجمعينا

(٤) هذا تعليل من الجاحظ لاختيار الشعراء في كلامهم الجرادة الذكر ، دون الأنثى .
(٥) ط : « إن جلى بيضها » س ، ه : « إن جلى بيضها » ، وأصلحت الكلام
وأكلته بما ترى .

(٦) الزيادة من ه .

(٧) سرأت الجرادة والسمة ، من باب منع : باضت .

(٨) اللمام ، بالكسر : اللقاء اليسير .

(آثار الحيات والعطاء في الرمال)

. وإذا انسابت في الكُتبانِ والرملِ ، بينَ مواضعٍ مزاحِفِها ،
وعُرفت آثارُها .

وقال آخر (١) :

كَأَنَّ مَزَاحِفَ الْحَيَاتِ فِيهَا قُبَيْلَ الصُّبْحِ آثَارُ السَّيَاطِ (٢)
وكذلك يعرفون آثار العطاء . وأنشد ابن الأعرابي :

بِهَا ضَرْبُ أَذْنَابِ الْعَطَاءِ كَأَنَّهَا مَلَاعِبُ وَلَدَانٍ تَخْطُ وَتَمْصَعُ (٣)
وقال الآخر ، وهو يصف حيّات :

كَأَنَّ مَزَاحِفَهَا أَنْسَعُ جُرْزَنَ فُرَادَى وَمَشَاتِهَا (٤)
وقال ثمامة الكلبي :

كَأَنَّ مَزَاحِفَ الْهَزْلَى (٥) صَبَاحًا خُدُودُ رَصَائِعِ جُدِلَتْ تَوَامًا (٦)

٥٨

(١) هو المتنخل الهلالي ، ديوان الهلاليين ٢ : ٢٥ وجمهرة أشعار العرب ص ١٢٠ . وقبلة :

كَأَنَّ وَغَى الْخُمُوشِ أَمِيمٌ فِيهَا وَغَى رَكْبِ أَمِيمٍ أُولَى زِيَاطِ

(٢) رواية المخصص (١٦ : ١٠١) والمؤتلف ١٧٩ : « كَانَ مَزَاحِفَ الْحَيَاتِ فِيهَا » ، ونهاية الأرب (١٠ : ١٤٦) : « وَهَذَا مَكَانٌ : فِيهَا » .

(٣) تمصع : تهرع .

(٤) ط : « مَزَاحِفَهَا » . هـ : « مَزَاحِفَهَا » صوابه في س . والأنسع : جمع نسع بالكسر ، وهو سير يفسفر ويجعل زماما للبعير وغيره . وانظر رواية البيت في نهاية الأرب (١٠ : ١٤٦) ، ومثيله في أمالي القالي (٢ : ٢٣٧) .

(٥) الهزلى ، بالزاي : الحيات . ولا يعرف لها واحد . جاءت في الأصل بالذال في هذا السطر والسطرين بعده ، وهو تحريف .

(٦) الحدود هنا بمعنى : آثار الجرو والسحب . والرصائع ، بالصاد المهملة : جمع رصيعة =

والهزلى من الحيات . قال جرير أو غيره :
ومن ذات أصفاء شهب كأنها مزاحف هزلى بينها متباعدة^(١)
وقال بعض المحدثين ، وذكر حال البرامكة كيف كانت ، وإلى
أى شئ صارت :

وإذا نظرت إلى الثرى بعراصهم
قلت : الشجاع ثوى بها والأرقم^(٢)

وقال البعيث :
لقى حملته أمه وهى ضيفة فجاءت بيتن للضيافة أرثما^(٣)
مداين جوعات كأن عروقه مسارب حيات تسربن سمسما^(٤)

= وهى سير مضفور فى أسفل حمالة السيف . ط ، ه : « وضائع » س .
« صانع » كذا . وهما تحريف ما أثبت . جدلت : أحكم فتلها . ط :
« خذلت » ه : « خزلت » س : « خذلت » والوجه ما كتبت . توأما :
جمع توأم . والمراد : أزواج . وانظر (٦ : ٢٥٩) .

(١) ذات أصفاء : أى أرض ذات صخور ملساء . والأصفاء : جمع صفا . والصفاء :
جمع صفاة . ط ، ه : « إصفاء » صوابه فى س . وفى اللسان (صوى) : « أصواء »
مع تفصيل فى الشرح . والسهبوب : المستوية الواسعة . والبيتن : البعد ، إن جعل « بينها »
مبتدأ مرفوعا . ويصح أن تكون ظرفا منصوبا ، أى مزاحف متباعدة بينها . ط ، ه :
« بيتها » صوابه فى س .

(٢) الشجاع : الحية الذكر . والأرقم : حية فيها بياض وسواد ، وهى أخبث الحيات
وأطلبها للناس . ط : « الشجاع بها ثوى » .

(٣) القى ، بالفتح : الذى لا يدرى لمن هو ، وابن من هو . ط ، ه : « قى »
س : « لقد » ، وصواب الرواية ما أثبت من الجزء الأول ص ٢٥٨ والاقتضاب ٣٤٦
واللسان (ضيف ، رشم ، يتن ، لقي) . ضيفة : أراد أن أمه حملت به وقد
دعيت إلى ضيافة ، فجاء حريصاً على الدعوات محباً للضيافات . وكفى عن زنى
أمه . واليتن : الذى يخرج رجلاه عند الولادة قبل رأسه ، وكان يتشاهمون
به ، لخروجه مقلوبا . والأرشم : الذى يتشمم الطعام ويحرص عليه . ط :
« أرثما » ، س ، ه : « أرسم » محرقان عما أثبت من المراجع المتقدمة
وأدب الكاتب ١٢٧ .

(٤) مداين جوعات : أى هو يلتمس الجوع . وفى الأصل : « مدافع جرعات »

(روعة جلد الحية)

ولا ثوبَ ولا جناحَ ، ولا سِتْرَ عنكبوتٍ^(١) ، إلا وَقَشْرُ الحَيَّةِ
أَحْسَنُ منه وأَرْقُ ، وَأَخْفُ وَأَنْعَمُ ، وأعجبُ صنعةً وتركيباً . ولذلك وصفَ
كثيرٌ قيصَرَ ملكٍ ، فشَبَّهه بِسَلَخِ الحَيَّةِ ، حيث يقول :

إِذْ مَا أَفَادَ الْمَالَ أَوْدَى بِفَضْلِهِ حَقُوقُ ، فَكْرَهُ الْعَاذِلَاتِ يُوَافِقُهُ
يَجْرُرُ سِرْبَالاً عَلَيْهِ كَأَنَّهُ سَبِيٌّ لَهْزَلَى لَمْ تَقْطَعْ شَرَانِقَهُ^(٢)

والسَّبِيءُ : السَّلَخُ والجلد . قال الشاعر :

* وَقَدْ نَصَلَ الْأَظْفَارُ وَانْسَبَأَ الْجِلْدُ^(٣) *

= كَأَن عَرَوْقَهَا « ، وصوابه من الاقتضاب ٣٤٧ واللسان (سسم) ، ومعجم
البلدان (سسم) . جمل عروقه كأنها مسارب الحيات ، أى آثارها فى الرمال ، وهى
ملتوية دقيقة . و « سسم » بفتح السينين : اسم موضع . وتسرينه : مشين
فيه . وفى الأصل : « يسرين » ، وصوابه من المراجع المتقدمة . ويروى :
« تشرين سسما » بالشين المعجمة . والسسم ، بفتح السينين أيضاً : السم .
أى كثر فيهن السم فدقت أجسامهن ، لأن الحية إذا كثر سمها دق خلقها .
(١) المراد بستر العنكبوت : بيته الذى ينسجه . وقد نقل هذا الكلام فى ثمار
القلوب ٣٤٠ . وانظر (٥ : ٤١١) .

(٢) السبىء : جلد الحية تسلخه . وجاءت هنا مهموزة ، يؤيد هزها الشعر بعدها . والهزلى
بالزاي : الحيات . وجاءت فى الأصل بالذال ، وهو تحريف . والشرانق : سلخ
الحية إذا ألقت . ط : « سرادقه » س ، ه : « سرائقه » ، صوابه من
اللسان (سبى) وما فى (٣ : ٤٨٦) . وانظر الخصاص (١ : ٢٤) .

(٣) نصلت أظفاره : خرجت . وانسبأ الجلد : انسلخ .

(صمم النعام والأفعى)

ونزعمُ العربُ أنَّ النِّعَامَ والأَفْعَى صُمٌّ لا تَسْمَعُ ، وكذلك هما من بينِ
جميعِ الخَلْقِ . وسنذكرُ من ذلك في هذا الموضع طَرَفًا ، ونؤخر الباقي إلى
الموضع الذي نذكر فيه جملة القول في النِّعَام .

(أصحاب الدعاوى الكبيرة)

وقد ابتُلينا بضربين من الناس ، ودعواهما كبيرة^(١) ، أحدهما يبلغ من
حبه للغرائب^(٢) أن يجعل سَمْعَهُ هَدَفًا لتوليد^(٣) الكذابين ، وقلبه قراراً
لغرائب الزور . ولكلفه بالغريب ، وشغفه بالطُّرف ، لا يقفُ على
التَّصحيح والتمييز ، فهو يدخل الغث في السمين ، والممكن في الممتنع ،
ويَتَعَلَّقُ بأدنى سببٍ ثمَّ يدفع عنه كلَّ الدَّفْعِ .
والصَّنْفُ الآخر ، وهو أن بعضهم يرى أنَّ ذلك لا يكون منه عند
من يسمعه يتكلم إلا من خاف التَّقَرُّزَ^(٤) من الكذب .

(قول في صمم الأفعى وعماء)

فرعم ناسٌ أنَّ الدَّلِيلَ على أنَّ الأَفَاعَى صُمٌّ ، قولُ الشاعر :

(١) س ، ه : « وعودهما كبير » ، صوابه في ط .

(٢) ط : « للغريب » .

(٣) ه : « لتوكيد » ، وجهه ما أثبت من ط ، س .

(٤) ط ، س : « التقذر » ه : « التقذر » صوابهما ما أثبت . وفي العبارة
قبله اضطراب .

أُنْعَتُ نَضْنَاضًا مِنْ الْحَيَّاتِ أَصَمُّ لَا يَسْمَعُ^(١) للرقاة
 وقد ذكروا بالصَّمَمِ أَجْناساً من خبيثات الحيات ، وذهبوا إلى امتناعها
 من الخروج عند رُقِيَةِ الرَّاقِي عند رأس الجحر ، فقال بعضهم :
 ٥٩ وذاتِ قَرْنَيْنِ مِنْ الْأَفَاعِي صَمَاءٌ لَا تَسْمَعُ صَوْتَ الدَّاعِي
 ويزعمون أَنَّ كُلَّ نَضْنَاضٍ أَفْعَى . وقال آخر :
 وَمِنْ حَنْشٍ لَا يُجِيبُ الرُّقَاةَ أَرْقَشَ ذِي مُمَّةٍ كَالرُّشَا^(٢)
 أَصَمُّ سَمِيعٌ طَوِيلُ السُّبَا تِ مِنْهَرَتِ الشُّدْقِ عَارِي النَّسَا^(٣)
 فزعم أنه أَصَمُّ سَمِيعٌ ، فجاز له أن يجعله أَصَمُّ بقوله : « وَمِنْ حَنْشٍ
 لَا يُجِيبُ الرُّقَاةَ » . وقال الآخر :
 أَصَمُّ أَعْمَى لَا يُجِيبُ الرُّقَى يَفْتَرُّ عَنْ عُصَلِ حَدِيدَاتِ^(٤)
 والأفعى ليس بأعمى ، وعينه لا تنطق ، وَإِنْ قُلِعَتْ عَيْنُهُ عَادَتْ .
 وهو قائمُ الْعَيْنِ كَعَيْنِ الْجَرَادَةِ ، كأنها مِسْمَارٌ مضروب . ولها بالليل شعاع
 خفي . قال الرَّاعِي يصفُ الأفعى :

(١) الرقاة : جمع راق . ورسمت في الأصل بالتاء المفتوحة خطأ .
 (٢) الحمة : إبرة الحية . والرشاء : الحبل . جعل الحمة كالرشاء في الطول ؛ وهي مبالغة
 ظاهرة . وروى البيهقي هو الألف .
 (٣) منهرت الشدق : واسعه . والنسا ، بالفتح : عرق .
 (٤) عصا : جمع أعصا بمعنى الملتوى . س ، هـ : « عصا » صوابه في ط .
 وقبله كما سيأتي في ٢٨٢ :

وَيُدْنِي ذِرَاعَيْهِ إِذَا مَا تَبَادَرَا إِلَى رَأْسِ صِلٍّ قَائِمٍ الْعَيْنِ أَسْفَعُ^(١)
وهذه صفة سليم الأفعى^(٢) فيجوز أن يكون الشاعرُ وصفها بالتمتع من
الخروج بالصَّمَم ، كما وصفها بالعمى ؛ لمكان السُّبَاتِ وطُولِ الإطراق .
قال الشاعرُ :

أَصَمُّ سَمِيعٌ طَوِيلُ السُّبَاتِ مُنْهَرَتِ الشُّدْقِ عَارِي الْقَرَا^(٣)
وقال آخر :

مُنْهَرَتِ الشُّدْقِ رَقُودِ الضُّحَى سَارٍ طُمُورٍ بِالدُّجُنَاتِ^(٤)
وَتَارَةً تَحْسِبُهُ مَيِّتًا مِنْ طُولِ إِطْرَاقٍ وَإِخْبَاتِ^(٥)
يُسَبِّتُهُ الصُّبْحُ وَطَوْرًا لَهُ نَفْخٌ وَنَفْثٌ فِي الْمَغَارَاتِ^(٦)
وَيَعْلَمُ أَنَّهُ وَصَفَ أفعى بقوله :

أَصَمُّ أَعْمَى لَا يُجِيبُ الرُّقَى يَفْتَرُّ عَنْ عُصْلٍ حَدِيدَاتِ^(٧)
مُنْهَرَتِ الشُّدْقِ رَقُودِ الضُّحَى « إلخ »

ثم ذكر أنيابه ، فقال :

قُدِّمْنَ عَنْ ضِرْسِيهِ وَاسْتَأْخَرَا إِلَى صِمَاخَيْنِ وَلَهَوَاتِ

(١) الأسفع : الأسود . هـ : « أسفع » صوابه في ط ، هـ .

(٢) السليم : الملدوغ .

(٣) القرأ : الظهر . وقد سبق نظير هذا البيت في ١٧٩ ص ٧ .

(٤) الطمور : الوثاب . طمر : وثب . والدجنات : الظلمات .

(٥) الإخبات : الاطمئنان والسكون .

(٦) يسبته الصبح : يفيحه . ط : « يثبته » صوابه في س ، هـ . والنفث : النفخ

وفي الأصل : « نقب » . وهو تحريف صوابه بما سيأتي ص ٢٨٣ . ولا تنقب

الحيات بل تنفث . والمغارات : جمع مغارة ، وهي الجحر . س : « المغارات »
ولا وجه له .

(٧) مضى هذا البيت في الصفحة السابقة .

فجعله أعصل^(١) الأنياب ، منهرت الأشداق ، ثم وصفها بالسُّباتِ وطول الإطراق ، وبسرعة الدَّشْطَةِ^(٢) ، ونخفة الحركة ، إذا همت بذلك وكانت تعظم^(٣) .

(شعر امرأة جمع صفة الحية)

وقد وصفتها امرأة جاهليّة بجميع هذه الصِّفَةِ^(٤) ، إلا أنها زادت شيئاً .
والشَّعرُ صحيح . وليس في أيدي أصحابنا من صِفَةِ الأفاعي مثلها :
وقد رأيتُ عندَ داودَ بن محمدٍ الهاشميِّ كتاباً في الحيات ، أكثرَ من عشرة أجلادٍ ، ما يصحُّ منها مقدارُ جلدٍ ونصف .
ولقد ولّدوا على لسانٍ خلفٍ الأحمرِ ، والأصمعيِّ ، أرجازاً كثيرة . فما ظنُّكَ بتوليدهم على السِّنَةِ القَدَماء !
ولقد ولّدوا على لسانٍ جَحْشَوِيٍّ في الحلاق أشعاراً ما قالها جَحْشَوِيٌّ قط . فلو تقدَّروا من شيءٍ تقدروا من هذا الباب .
والشَّعر الذي في الأفعى^(٥) :

قَدْ كَادَ يَقْتُلْنِي أَصَمُّ مَرَقَشٌ مِنْ حُبِّكُمْ ، وَالْحَطْبُ غَيْرُ كَبِيرٍ^(٦)
خُلِقَتْ لَهُازِمُهُ عَزِينَ وَرَأْسُهُ كَالْقَرَصِ فَلَطَحَ مِنْ دَقِيقِ شَعِيرٍ^(٧)

(١) أعصل : أعرج . هـ : « أعصل » مصحف .

(٢) نشطت الحية تنشط وتنشط : عضت بناها .

(٣) كذا بالأصل .

(٤) هذا المثلث في س ، هـ أجزل من : « الصفات » المثبتة في ط .

(٥) انظر نسبة الشعر فيما أسلفت في (٢ : ٢١٤) .

(٦) رواية المؤتلف والأصمعيات : « من حب كلم والحطوب كثير » .

(٧) ط : « أفطح » س : « فطلح » ، تحريف ما أثبت من هـ . وانظر شرح

البيت في (٢ : ٢١٤) .

وَيُدِيرُ عَيْنًا لِلْوَقَاعِ كَأَنَّهَا سَمَرَاءُ طَاحَتْ مِنْ نَفِيضِ بَرِيرِ^(١)
وَكَأَنَّ مَلَقَاهُ بِكُلِّ تَنُوفَةٍ مَلَقَاكَ كَفَّةً مُنْخَلٍ مَاطُورِ^(٢)
وَكَأَنَّ شِدْقَيْهِ إِذَا اسْتَعْرَضَتْهُ شِدْقًا عَجُوزٍ مَضْمَضَتْ لِطُهورِ^(٣)

فقد زعمت^(٤) كما ترى أنها تددير عينا^(٥) ، وزعم الأول^(٦) أنها قائمة العين .
إلا أن تزعم أنها لم ترد بالإدارة أن مقلتها نزول عن موضعها ، ولكنها
أرادت أنها جواللة في إدراك الأشخاص ، البعيدة والقريبة ، والمتيامنة
والمتياسرة .

وقد يجوز أن يكون إنما جعلها سميعة^(٧) لدقة الحس ، وكثرة الاكثارات
وجودة الشم ، لا جودة السمع ، فإن الذين زعموا أن النعامة صماء زعموا
أنها تدرك من جهة الشم والعين ، جميع الأمور التي كانت تعرفها [من^(٨)]
قبل السمع لو كانت سميعة . وقد قال الشاعر^(٩) في صفة الحية :

(١) في الأصل : « للوقاح » ، صوابه من (٢ : ٢١٥) والمؤتلف والأصمعيات وعيون
الأخبار (٢ : ١٠٢) . وسبق شرح البيت في (٢ : ٢١٥) .
(٢) التنوفة : الأرض الفسيحة المتباعدة الأطراف . كفة المنخل : إطاره المستدير .
والمأطور : ذو الإطار . وفي الأصل : « منجل » ، والأوفق ما أثبت من المؤتلف
ومن الأصل المصور لعيون الأخبار ؛ إذ أن إطار المنجل أصدق تصويراً للاستدارة
والتحوي ، وهما مما توصف به الحيات . انظر لذلك ص ٢٠٠ من ١٢ - ١٤ ماسي .
ورواية صدر البيت في المؤتلف :

« وكان مرصده بكل ثنية تلقاك . . . »

(٣) انظر ما سبق في (٢ : ٢١٥) . والظهور ، بالضم : التطهر .
(٤) أي الشاعرة . وفي ط : « زعم » .
(٥) صني الحية هنا . والحية تذكر وتؤنث .
(٦) هو الراعي . انظر ١٧٩ - ١٨٠ .
(٧) هـ : « سميعة » وهما وجهان جائزان . وفي القاموس : وأذن سمعة ويحرك
وكفرحة ، وشريفة وشريف .
(٨) ليست بالأصل .
(٩) هو الزبيدي كما سيأتي في ص ٢٨١ .

تهوى إلى الصّوتِ والظلماءِ عاكفةً تقوّر السَّيلَ لاقى الحيدَ فاطلعا^(١)

هذا بعد أن قال :

إني وما تبتغي منى كملتس صيداً وما نال منه الرّىّ والشّبعاً

أهوى إلى بابِ جحرٍ في مقدّمه مثلُ العسيب ترى في رأسه نزعا^(٢)

اللّونُ أربدُ والأنسابُ شابكةُ

عصل ترى السّمَّ يجرى بينها قطعاً^(٣)

أصم ماشمٌ من خضراءٍ أيديها أو شمٌ من حجرٍ أوهاه فانصدعا^(٤)

فقد جعل^(٥) لها أنياباً عصلاً ، ووصفها بغاية الحبث وزعم أنها لا تسمع .

فهؤلاء ثلاثة شعراء .

(الثقة بالعلماء)

فإن قلت : إنّ المولّد لا يؤمن عليه الخطأ إذ كان دخيلاً في ذلك

الأمر ، وليس كالأعرابيّ الذي إنما يحكى الموجود الظاهر له ، الذى عليه ٦١

(١) التقوّر : التثنى . وفى الأصل : « قعود » ، ولم أجد له وجهاً ، وصوابه فى

اللسان (قور) : والحيد بفتح الحاء : ما شخص من الجبل . وفى الأصل :

« الجيد » وصوابه بما ساقى ص ٢٨١ واللسان . واطلع : أشرف . جعل أنساب الحية

فى سرعتها وتلوّيتها كأنساب السيل إذا لاقاه حيد ثثنى وأحرف على طريق آخر .

(٢) فى مقدّمه : فى مقدم الجحر . والعسيب : السعف لم يثبت عليه خصوص .

(٣) ط ، س : « شائكة » والأوجه ما أثبت من هـ . وشابكة : مشبكة .

وعصل : معوجات . هـ : « عضل » مصحف .

(٤) سبق الكلام على هذا البيت فى (٢ : ١٢٧ - ١٢٨) . ط : « ثم » موضع

« شم » فى الموضعين ، وهو تحريف .

(٥) فى الأصل : « جعلوا » .

نَشَأَ ، وَبِمَعْرِفَتِهِ غَدَى . فالعلماء الذين اتَّسَعُوا في علم العرب ، حتى صاروا إذا أخبروا عنهم بخبر كانوا الثقات فيما بيننا وبينهم ، هم الذين نقلوا إلينا . وسواء علينا جعلوه كلاماً وحديثاً منشوراً^(١) ، أو جعلوه رجزاً وقصيداً موزوناً^(٢) .

ومتى أخبرني بعض هؤلاء بخبر لم أَسْتَظْهِرْ عليه بمسألة^(٣) الأعراب . ولكنه إن تكلم وتحدث ، فأنكرت في كلامه بعض الإعراب ، لم أجعل ذلك قدوة حتى أوقفه عليه ، لأنه بمن لا يؤمن عليه الأحن الحنف قبل التفكير . فهذا وما أشبهه حكمه خلاف الأول .

(الرُّقِيَّةُ)

والرُّقِيَّةُ تكون على ضروب : فمنها الذي يدعيه الحوَّاء والرِّقَّاء ، وذلك يُشَبِّهه بالذي يدعى^(٤) ناس [من^(٥)] العزائم على الشياطين والجن ، وذلك أنهم يزعمون أن في تلك الرُّقِيَّةِ عزيمة لا يمتنع منها الشيطان ، فكيف العامر^(٦) ؟ ! وأن العامر إذا سئل بها أجاب ، فيكون هو الذي يتولى إخراج الحيات من الصخر . فإن كان الأمر على ما قالوا فما ينبغي أن يكون بين خروج الأفاعي الصم وغيرها فرق ، إذا كانت العزائم والرقي

(١) ط : « أو حديثاً منشوراً » .

(٢) ط : « أو قصيداً موزوناً » . وانظر الاستدراكات .

(٣) كذا في ط ، هـ . والمسألة : مصدر ميمي من سأل . وفي س : « بمسألة » .

(٤) ط فقط : « يدعيه » .

(٥) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٦) العامر : ما يسكن بيوت الناس من الجن ، فيما يزعمون .

وَالنَّفْسُ لَيْسَ شَيْئاً^(١) يَعْمَلُ فِي نَفْسِ الْحَيَّةِ ، وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ يَعْمَلُ فِي الَّذِي يُخْرِجُ الْحَيَّةَ . وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ [كَذَلِكَ^(٢)] فَالسَّمِيعُ وَالْأَصَمُّ فِيهِ سَوَاءٌ .
وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ فِي التَّحْيِيبِ وَالتَّبْغِيزِ ، وَفِي النُّشْرَةِ^(٣) وَحَلِّ الْعُقْدَةِ
وَفِي التَّعْقِيدِ وَالتَّحْلِيلِ .

(العزيمة)

وَيَزْعُمُونَ أَنَّ الْجِنَّ لَا تَجِيبُ صَاحِبَ الْعَزِيمَةِ حَتَّى يَتَوَحَّشَ وَيَأْتِيَ
الْحَرَابَاتِ وَالْبَرَاريِّ ، وَلَا يَأْنَسُ بِالنَّاسِ ، وَيَتَشَبَّهُ^(٤) بِالْجِنَّ ، وَيَغْسِلُ
بِالْمَاءِ الْقَرَّاحِ^(٥) ، وَيَتَبَخَّرُ بِاللُّبَانِ الذَّكَرِ ، وَيِرَاعِي الْمَشْتَرِيَّ^(٦) . فَإِذَا دَقَّ
وَلَطْفٌ ، وَتَوَحَّشَ وَعَزَمَ ، أَجَابَتْهُ الْجِنُّ ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ بَدَنُهُ يَصْلُحُ
هَيْكَلًا لَهَا ، [وَ^(٧)] حَتَّى يَلْذَّ دُخُولَهُ وَادِيَّ^(٨) مَنَازِلَهَا ، وَالْأَيُّكْرَةَ
مَلَابِسَتَهُ وَالْكَوْنَ فِيهِ . فَإِنَّهُ هُوَ أَلْحٌ عَلَيْهَا بِالْعَزَائِمِ ، وَلَمْ يَأْخُذْ لِدَلِّكَ أَهْبَتَهُ
خَبَلَتَهُ ، وَرَبِّمَا قَتَلَتْهُ ، لِأَنَّهَا تَظُنُّ أَنَّهَ مَتَى تَوَحَّشَ لَهَا ، وَاحْتَمَى ، وَتَنَظَّفَ^(٩)

(١) هـ ، س : « شئ » بالرفع ، صوابه في ط .

(٢) زدتها مطاوعة لأسلوب الجاحظ .

(٣) النشرة ، بالضم : رقية يعالج بها المجنون والمريض .

(٤) في الأصل : « ويشبه » .

(٥) ماء قراح ، كسحاب : خالص لا يخالطه شيء .

(٦) هو ذاك الكوكب : سماء المنجمون السعد الأكبر ؛ لأنه فوق الزهرة في السعادة
وأضافوا إليه الخيرات الكثيرة ، والسعادة العظيمة . عجائب المخلوقات .

(٧) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٨) كذا على الصواب في س ، هـ . وفي ط : « وأرى » .

(٩) ط : « وتنطق » ، صوابه في س ، هـ .

فقد فرغ . وهى لا تُجيب بذلك فَقَطْ^(١) ، حتى يكون المعزَّمُ مشاكلاً لها
فى الطَّبَاع .

فيزعمون أَنَّ الحَيَّاتِ إِنَّمَا تُنْخَرَجُ إِخْرَاجاً ، وَأَنَّ الذى يُخْرِجُهَا هو الذى
يُخْرِجُ سُمُومَهَا مِنْ أَجْسَادِ النَّاسِ ، إِذَا عَزَمَ عَلَيْهَا^(٢) .

(التعويد)

وَالرُّقِيَّةُ الأُخْرَى بِمَا يُعْرَفُ مِنَ التَّعْوِيدِ^(٣) . قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ :
سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ^(٤) : قَدْ جَاءَكُمْ أَحَدُكُمْ يَسْتَرْقِيكُمْ فَارْقُوهُ . قَالَ :
فَعَوَّذُوهُ بِبَعْضِ الْعَوَائِدِ^(٥) .

وَالْوَجْهُ الْآخَرُ مُشْتَقٌّ مِنْ هَذَا وَمَحْمُولٌ عَلَيْهِ ، كَالرَّجُلِ يَقُولُ : مَا زَالَ
فُلَانٌ يَرُقَى فُلَانًا حَتَّى لَانَ وَأَجَابَ .

(قول الشعراء والمتكلمين فى رقى الحيات)

وَقَدْ قَالَتِ الشُّعْرَاءُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ فِي رُقَى الْحَيَّاتِ ، وَكَانُوا
يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ وَيَصْدُقُونَ بِهِ ، وَنَسَخِبَرُ بِأَقَاوِيلِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي ذَلِكَ ،
وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

(١) أى أن الجن لا تجيب بالعزيمة فقط ، بل لا بد لها مع ذلك من أن يشاركها المعزم
فى طباعها . وفى الأصل : « وهو لا يجيب » ، والوجه ما أثبت .

(٢) كذا على الصواب فى ط . وفى هـ ، س : « عليه » .

(٣) س ، « التعويدة » .

(٤) ط ، « وقال سمعت أبا عبيدة يقول » هـ : « وقال أبو عبيدة : سمعت يقول »
وصوابهما ما أثبت من س .

(٥) كذا جاءت هذه الكلمة ، ولم أرها فى غير هذا الموضع ، والمعروف : « التعاويد »
جمع تعويدة ، و « العوذ » : جمع عوذة بالضم . و « المعاذات » بالفتح :
جمع معاذة .

و [منهم ^(١)] مَنْ زَعَمَ أَنَّ إِخْرَاجَ الْحَيَّةِ مِنْ جُحْرِهَا إِلَى الرَّاقِ ، إِنَّمَا كَانَ لِلْعَزِيمَةِ وَالْإِقْسَامِ عَلَيْهَا ، وَلَئِنَّهَا إِذَا فَهَمَتْ ذَلِكَ أَجَابَتْ وَلَمْ تَمْتَنِعْ .
وَكَانَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ ، لَا يَعْرِفُ قَوْلَهُمْ فِي أَنَّ الْعُمَّارَ هُمُ الَّذِينَ يُجَبِّبُونَ الْعَزَائِمَ بِإِخْرَاجِ الْحَيَّاتِ مِنْ بُيُوتِهَا ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ :

وَالْحَيَّةُ الذِّكْرُ الرَّقْشَاءُ أَخْرَجَهَا مِنْ جُحْرِهَا أَمَّنَاتُ اللَّهِ وَالْقَسَمُ ^(٢)
إِذَا دَعَا بِاسْمِهَا الْإِنْسَانُ أَوْ سَمِعَتْ ذَاتَ الْإِلَهِ بَدَأَ فِي مَشْيِهَا رَزَمُ ^(٣)
مَنْ خَلَفَهَا حُمَّةٌ لَوْلَا الَّذِي سَمِعَتْ قَدْ كَانَ ثَبَتَهَا فِي جُحْرِهَا الْحَمَمُ ^(٤)
نَابٌ حَدِيدٌ وَكَفٌ غَيْرُ وَادِعَةٍ وَالْخَلْقُ مُخْتَلَفٌ فِي الْقَوْلِ وَالشِّمِ ^(٥)
إِذَا دُعِيَ بِأَسْمَاءٍ أَجَبْنَ لَهَا لَنَافِثٍ يَعْتَدِيهِ اللَّهُ وَالْكَلِمُ
لَوْلَا مَخَافَةُ رَبٍّ كَانَ عَذْبَهَا عَرَجَاءُ تَظْلَعُ ، فِي أَنْبَابِهَا عَسَمُ ^(٦)

(١) ليست بالأصل ، وبها يستقيم الكلام

(٢) في اللسان : « ووصف أمية الحية بالحنفة فقال :

والحية الحنفة الرقشاء أخرجها من بيتها أمينات الله والكلم » .

وهي رواية الخصائص (١ : ١٥٤) ، قال : « أثنا المصدر لما جرى وصفا على المؤنث » ،
يعني الحنفة .

(٣) في اللسان : « رزم البعير والرجل وغيرهما يرزم رزوما ورزاما : إذا كان لا يقدر
على النهوض رزاحا وهزالا » . ورواية الديوان ٥٧ : « يرى في سعيها رزم » .

(٤) كذا في ط ، هـ والديوان ، وقد استعمل الجاز في « خلفها » كما يقول
القاتل : « من خلفه الشر والأذى » ، أي هو صاحب شر وأذى . والحنة ، بضم
الحاء وتشديد الميم المفتوحة : السم ، وتجمع على حم ، انظر اللسان . وفي س :
« من خلفها حية » ولا توافق ما سيأتي من تعقيب الجاحظ في الصفحة التالية س ٤ .

(٥) ناب حديد : حاد . وليس للحية كف ، وإنما أراد كثرة ما يصيب الناس
من شرها .

(٦) تظلع : تعرج وتغمر في سيرها . وفي الأصل : « تطلع » ، صوابه في الديوان .
والعسم . بالتحريك : أصل معناه ييس في المرقق تعوج منه اليد ، فهو أراد به
هنا الاعوجاج والانعكاف ، وهو من صفة ناب الحية . وفي الأصل والديوان أيضاً :
« غشم » ، وأراها تحريفاً .

وقد بَلَّتَهُ فذاقتَ بَعْضَ مَصْدَقِهِ فليسَ في سَمْعِها ، من رَهْبَةٍ صَمَمٌ^(١)
فكَيْفَ يَأْمَنُها أَمْ كَيْفَ تَأْلَفُها وليسَ بينهما قُرْبَى ولا رَحِمٌ !
يقول : لو أَنَّها أخرجت^(٢) حينَ اسْتَحْلِفَتْ باللهِ لما خرجت ؛ إذ
ليسَ بينهما قُرْبَى ولا رَحِمٌ . ثمَّ ذَكَرَ الحِمَّةَ^(٣) والنَّاب .

وقال آخرون : إنما الحِيَّةُ مثلُ الضَّبِّ والضَّبُع ، إذا سَمِعَ باللهِ والهُدْمِ
والصَّوْتِ خرجَ ينظر . والحَوَّاءُ إذا دنا من الجَمْحَرِ رفعَ صَوْتَهُ وصَفَّقَ يَدَيْهِ ،
وأكثرَ من ذلك ، حتَّى يُخرجَ الحِيَّةَ ، كما يُخرجُ الضَّبُّ والضَّبُعُ .
وقال كثيرٌ :

وسوداءَ مطراقٍ إلىَّ مِنَ الصَّفَا^(٤) أُنِيَّ^(٥) إذا الحاوى دنا فصدَّ أَلها^(٦)
والتَّصْدِيَةُ : التَّصْفِيقُ ، قال اللهُ تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ
الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾ الآية . فالمُكَاءُ : صوتٌ بينَ النَّفْخِ والصَّفِيرِ .
والتَّصْدِيَةُ : تصفيقُ اليَدِ باليدِ .

فكان الحَوَّاءُ يَحْتالُ بذلكَ للحِيَّةِ ، ويُوهِمُ مَنْ حَضَرَ أَنَّهُ بالرُّقِيَّةِ

(١) بلا الشئ يبلوه : اختبره . والمراد هنا عرفته بعد الاختبار . والضبير عائد إلى
« نافث » في البيت الذي قبل السابق . س ، هـ : « قد أبلته » ، وفي الديوان :
« وقد بكته » ، صوابهما ما أثبت من ط .

(٢) س : « خرجت » .

(٣) الحِمَّةُ ، بالضم الحاء وفتح الميم ، ويقال الحِمَّةُ ، بضم الحاء وتشديد الميم المفتوحة أيضاً ،
بمعنى السم .

(٤) الصفا : جمع صفاة ، وهي الصخرة الملاء الصلبة . ط ، س : « الصفا »
صوابه في هـ .

(٥) أُنِيَّ ، من الأناة بمعنى البطء . ط ، هـ : « أُنِيَّ » صوابه في س .

(٦) ط : « إذا الحانوت » تصحيحه من س ، هـ . ورسمت « فصدًا » بالألف
وهي من الصدو ، بمعنى التصفيق . وفي ط : « فصدًا » ، مصحفة .

أخرجها ، وهو في ذلك يتكلم ويعرض ، إلا أن ذلك صوتٌ رفيع . وهو
لورفعَ صوتهَ بيتِ شعيرٍ أو بخرافةٍ ، لكان ذلك والذي يظهر من العزيمة
عند الحية سواءً . وإنما يُذكر الصوتُ ، كما يُذكره الضبُّ وغيرُ ذلك
من الوحش .

ثم قال :

كففتُ يداً عنها وأرضيتُ سمعها من القول حتى صدقتُ ما وعى لها
وأشعرتها نفثاً بليغاً ، فلو ترى وقد جعلت أن ترعني النفثَ بالها (١)
تسللتها من حيث أدركها الرقي إلى الكف لما سالت ، وانسلاها ٦٣
فقال كما ترى :

* كففت يداً عنها وأرضيتُ سمعها * (البيت)

ثم قال :

* وأشعرتها نفثاً بليغاً فلو ترى *

وقال الأعشى (٢) :

أبا مسمعٍ إني امرؤ من قبيلةٍ بنى لي عزاً موثقاً وحياتها
فلا تلمس الأفعى يدك تريدها إذا ما سعت يوماً إليها سفاتها (٣)

(١) هـ : « يالها » .

(٢) النسبة في المخصص (١٥ : ١٢٥) إلى أبي ذؤيب الهذلي . وفي معجم المرزبانى
٣٧١ ومجموعة المعاني ١٥٨ إلى خالد بن زهير الهذلي - وهو ابن أخت أبي ذؤيب الهذلي
يخاطب معقل بن خويلد الهذلي ، في قصة دخل فيها أبو ذؤيب الهذلي . وهذا هو
الصواب في النسبة .

(٣) السفاة : بالفتح ، سيئسرها الجاحظ بعد . وفي ط ، هـ ، س : « سعى لها »
وهو تحريف عجيب يفسد به الكلام ، ولا يستقيم به الشعر ، صوابه في المرجعين
المتقدمين وكذا المقصور والمملود ٥٣ والمخصص (١٠ : ٦٣) أيضاً . والرواية
في الجميع ما عدا معجم المرزبانى :

وقال آخر :

يَدْعُو بِهِ الْحَيَّةَ فِي أَقْطَارِهِ ^(١) فَإِنْ أَبَى شَمَّ سَفَا وَجَارِهِ ^(٢)
والسَّفا : التراب اليابس بين التربين . يقال سَفَاً وسَفَاةً .

(تمويه الحواء والراقى)

والحواء [و ^(٣)] الرَّاقي يُرَى ^(٤) النَّاسُ أَنَّهُ إِذَا رَأَى جَحْراً ^(٥)
لم يَخْفَ عَلَيْهِ : أجحرج حية هو أم جُحرج شيء غيره ، فإن كان جُحرج حية
لم يَخْفَ عَلَيْهِ أَمَى فِيهِ أَمْ لَا . ثُمَّ إِذَا رَقَى وَعَزَّمْ فامتنعت من الخُروج ،
وخاف أَنْ تَكُونَ ^(٦) أَفْعَى صَمَاءَ لَا تَسْمَعُ ، وَإِذَا أَرَاغَهَا ^(٧) لِيَأْخُذَهَا فَأَخْطَأَ
لم يَأْمَنُ مِنْ أَنْ تَنْقُرَهُ نَقْرَةً ^(٨) لَا يُفْلِحُ بَعْدَهَا أَبَدًا ، فَهُوَ عِنْدَ ذَلِكَ يَسْتَبْرَى ^(٩)
بأن يَشُمَّ مِنْ تَرَابِ الْجَحْرِ ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ : أَمَى أَفْعَى أَمْ حَيَّةٌ مِنْ سَائِرِ
الحيات . فلذلك قال :

= فلا تلمس الأفعى يداك تريدنا ودعها إذا ماغيبتها سقاتها

لكن في مجموعة المعاني : « صفاتها » . وانفرد المرزبانى بروايته :

ولا تبث الأفعى تداور رأسها ودعها إذا ماغيبتها سقاتها

(١) ضمير أقطاره عائد إلى الحية ، والحية تذكر وتؤنث . وأقطار الحية : النواحي التي
يسكن فيها . وضمير يدعو ، هو للراقى أو الخاوى .

(٢) أى إن أبى الحية أن يخرج ، شم الخاوى تراب جحره ، ليعلم : أهو فيه أم لا ؟ .

(٣) ليست بالأصل . وبها يلتئم الكلام .

(٤) كذا على الصواب في ط . وفي س ، هـ : « يرقى » محرفة .

(٥) ط ، س : « جحرج حية » . والوجه حذف : « حية » للتعميم ، كما في هـ .

(٦) ط ، س : « يكون » أى مافى داخل الجحر . فله وجه . وأثبت مافى هـ .

(٧) أراغها : طلبها . وفى الأصل : « راعها » والوجه ما أثبت .

(٨) انظر ما سبق في تحقيق هذه الكلمة ص ١١٥ .

(٩) تخففة من يستبرى بمعنى يختبر . وبمعناها الدقيق : يطلب براءة الجحر عما قد يكون
به من الأفاعى الصم والمؤذية .

* يدعو به الحية في أقطاره * (البيت)

والوجار : الجحر .

(ريح الأفعى)

وزعم لى بعض الحوائين أن للحيات نثناً وسهكاً ، وأن ربح الأفعى معروفة . وليس شيء أعلق ، ولا أعنق^(١) ، ولا أسرع أخذاً لرائحة من طين أو تراب ، وأنه^(٢) إذا شم من طينة الجحر لم يخف عليه . وقال : اعتبر ذلك بهذا الطين السدانى^(٣) والراهمى^(٤) إذا ألقى فى الزعفران والكافور ، أو غير ذلك من الطيب ، فإنه متى وضع إلى جنب روثه أو عذرة ، قبل ذلك الجسم .

والرقاء يوهم الناس إذا دخل دورهم لاستخراج الحيات أنه يعرف أماكنها برائحتها ، فإذ لك يأخذ قصبة ويشعب رأسها ، ثم يطعن بها فى سقف البيت والزوايا ، ثم يشمها ويقول مرة : فيها حيات ؛ ويقول مرة : بلى ، فيها حيات ، على قدر الطمع فى القوم ، وفى عقولهم .

(تأثير الأصوات)

وأمر الصوت عجيب ، وتصرفه فى الوجوه عجب . فمن ذلك أن منه

(١) أى أسرع . ط : « أعق » س ، هـ : « اعتق » ولعل صوابهما ما أثبت .

(٢) ط ، هـ : « فإنه » والصواب فى س .

(٣) كذا بالأصل . ولعله : « السيرانى » نسبة إلى سيران . وقد ذكره صاحب المعتمد فى الكلام على (طين قيموليا) .

(٤) الراهطى : نسبة إلى راهط ، وهو موضع فى غوطة دمشق ، كانت عنده الوقعة المشهورة : « مرج راهط » .

ما يقتل ، كصوت الصاعقة . ومنها ما يسرُّ النفوس حتى يُفْرِط عليها^(١) السُّرُورُ فتتلقَّ حتى ترقُص ، وحتى رُبَّمَا رمى الرَّجل بنفسه من حالق^(٢) . وذلك مثلُ هذه الأغاني المطربة . ومن ذلك ما يُكمد . ومن ذلك ما يزيل العقل حتى يُغشى على صاحبه ، كنعو هذه الأصوات الشجية ، والقراءات الملحَّنة^(٣) . وليس يعترهم ذلك من قبَلِ المعاني ؛ لأنهم في كثير من ذلك لا يفهمون معاني كلامهم . وقد بكى ما سرجويه^(٤) من قراءة أبي الخوخ ، فقل له : كيف بكيت من كتاب الله ولا تصدِّق به ؟ قال : إنما أبكاني الشجا !

وبالأصوات ينوِّمون الصُّبيان والأطفال .

(١) ط : « عليه » صوابه في س ، ه .

(٢) الحالق : الجبل المرتفع . والمراد : مكان مرتفع .

(٣) من التلحين . ولا بن قتيبة في المعارف ٢٣٢ بحث جيد في تلحين القرآن ، منه : « وكان القراء كلهم : الهيم ، وأبان ، وابن أعين ، يدخلون في القراءة من ألحان الغناء ، والحداء والرهبانية . فنه من كان يدمس الشيء من ذلك دساً رقيقاً ، ومنهم من كان يجهر بذلك حتى يسلخه . فن ذلك قراءة الهيم : أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر . سلخه من صوت الغناء كهيئة :

أما القطاة فإني سوف أنعتها نعتاً يوافق نعتي بمض مافيا

(٤) ما سرجويه : طبيب بصرى يهودى ، وكان أحد المترجمين من للسريالية إلى العربية وهو الذي فسر كنائس القس أهرن بن أعين ، وزاد عليه مقالاتين .

وكلمة : « بكى » هي في ط ، س : « بكأى » . وفي ه : « بكأ »

وقد صححته .

(أثر الأصوات في الحيوان)

والدَّوَابُّ تَصُرُّ آذَانَهَا^(١) إِذَا غَنَّى الْمُسْكَرِيُّ . وَالْإِبِلُ تَصُرُّ آذَانَهَا إِذَا حَدَا فِي آثَارِهَا الْحَادِي ، وَتَزْدَادُ نَشَاطًا ، وَتَزِيدُ فِي مَشْيِهَا^(٢) . وَيَجْمَعُ^(٣) بِهَا الصَّيَّادُونَ السَّمَكَ فِي حِظَائِرِهِمُ الَّتِي يَتَّخِذُونَهَا لَهُ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَضْرِبُونَ بَعْضُهُمْ مَعَهُمْ ، وَيُعْطِطُونَ^(٤) ، فَتُقْبَلُ أَجْنَاسُ السَّمَكِ شَاخِصَةً الْأَبْصَارِ مَصْغِيَةً إِلَى تِلْكَ الْأَصْوَاتِ ، حَتَّى تَدْخُلَ فِي الْحَظِيرَةِ . وَيُضْرَبُ بِالطُّسَاسِ لِلطَّيْرِ ، وَتُصَادُ بِهَا . وَيُضْرَبُ بِالطُّسَاسِ لِلْأُسْدِ وَقَدْ أَقْبَلَتْ ، فَتَرُوعُهَا تِلْكَ الْأَصْوَاتُ .

وَقَالَ صَاحِبُ الْمَنْطِقِ : الْأَيَّامُ تُصَادُ بِالصَّفِيرِ وَالْغَنَاءِ . وَهِيَ لَا تَنَامُ مَا دَامَتْ تَسْمَعُ ذَلِكَ مِنْ حَاذِقِ الصَّوْتِ . فَيَشْغَلُونَهَا بِذَلِكَ وَيَأْتُونَ مِنْ خَلْفِهَا فَإِنْ رَأَوْهَا مُسْتَرَحِيَةً الْآذَانِ وَثَبُّوا عَلَيْهَا ، وَإِنْ كَانَتْ قَائِمَةً الْآذَانِ فَلَيْسَ إِلَيْهَا سَبِيلٌ .

وَالصَّفِيرُ تُسْقَى بِهِ الدَّوَابُّ الْمَاءَ ، وَتَنْفَرُ بِهِ الطَّيْرُ عَنِ الْبُذُورِ .
وَزَعَمَ صَاحِبُ الْمَنْطِقِ أَنَّ الرُّعْدَ الشَّدِيدَ إِذَا وَافَقَ سِبَاخَةَ السَّمَكِ

(١) صرَّت الدابة أذنها : نصبتها للاستماع .

(٢) س : « مشيتها » .

(٣) ط ، هـ : « وتجمع » . وثانيث الفعل مع جمع المذكر المكسر جائز ، ولكن جمع التصحيح المذكر كما هنا ؛ لا يجوز في فعله إلا العذكير ، خلافاً للكوفيين الذين احتجوا بقوله تعالى : « إلا اللى آمننت به بنو إسرائيل » ، ورد عليهم احتجاجهم بأن « بنو » ليس جمع تصحيح .

(٤) العططة : تتابع الأصوات واختلاطها .

في أعلى الماء رمت بيضها^(١) قبل انتهاء الأجل . [وربما تمّ الأجل^(٢)]
فتسمع^(٣) الرعد الشديد ، فيتعضل^(٤) عليها أيّاما بعد الوقت .

(قول لأبي الوجيه العسكلي)

وقال أبو الوجيه العسكلي : أحبّ السحابة الخرساء ولا أحبها !
ف قيل له : وكيف ذلك ؟ قال : لأنها لا تخرس حتى تمتلئ ماءً وتصب صباً
كثيراً ، ويكون غيثاً طبّقاً^(٥) . وفي ذلك الحياء^(٦) . إلا أن الكماة لا تكون
على قدر الغيث . ذهب إلى أن للرعد في الكماة عملاً .

(دعابة لجعفر بن سعيد)

وقال جعفر بن سعيد^(٧) : سأل كسرى عن الكماة ف قيل له : لا تكون
بالمطر دون الرعد ، ولا بالرعد دون المطر . قال : فقال كسرى : رشوا بالماء
واضربوا بالطبول ! وكان من جعفر على التلميح^(٨) . وقد علم جعفر أن
كسرى لا يجهل هذا المقدار .

(أثر الصوت في الحية)

فالحية واحدة من جميع أجناس الحيوان الذي للصوت في طبعه عمل .

(١) ط . هـ : « بهعضها » صوابه ، في س .

(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) في الأصل : « فيسمع » .

(٤) يتعضل : يعسر خروجه . وفي الأصل : « فيتعطل » ، تعريف .

(٥) طبّقاً : أي مالئاً للأرض مغشياً لها .

(٦) الحياء ، بالقصر ، ويمد أيضاً : الخصب .

(٧) تقدمت ترجمته في (٣ : ٤٦٩) .

(٨) التلميح : أن يأتي بغير ملحق . وأصل ذلك في الشاعر ، ولقد جعله هنا للمتحدث

ط : « التلميح » وهو التزود بالملح ، أو التجارة به ، وليس يليق بهذا الموضع ،
وصوابه في س ، هـ .

فاذا دنا الحوَاء وصفق بيديه ، وتكلم رافعا صوته حتى يزيد^(١) ، خرج إليه كلُّ شيء كان في الجحر ، فلا يشكُّ من لا علم له أنَّ الحيَّة خرجت من جهة الطاعة وخوف المعصية ، وأنَّ العامرَ أخرجها تعظيماً للعزيمة ، ولأنَّ المعزم مُطاع في العُمار . والعامَّة أسرعُ شيء إلى التصديق .

(شعر في الروح وهيكلها)

وفي [الروح ، وفي^(٢)] أنَّ البدنَ هيكلٌ لها ، يقول سليمانُ الأعمى^(٣) وكان أخا مسلم بن الوليد الأنصاري . وكانوا لا يشكون بأنَّ سليمانَ هذا الأعمى ، كان من مُستجيبى^(٤) بشارِ الأعمى ، وأنَّه كان يختلف إليه وهو غلام فقبل عنه ذلك الدِّين . وهو الذي يقول :

إِنَّ فِي ذَا الْجِسْمِ^(٥) مُعْتَبَرًا لِيَطْلُوبَ الْعِلْمُ مُقْتَبَسَةً

٦٥

(١) يقال زيده ، بالتشديد ، فزاد وازداد .

(٢) زيادة تقتضيها صحة الكلام وسياق الحديث . وليست بالأصل . انظر الشعر الآتي .

(٣) سليمان الأعمى ، أو الضرير ، جعله الجاحظ أخا لمسلم بن الوليد ، كما هنا وكما في البيان (٣ : ٢٠٢) حيث يقول : « وقال سليمان بن الوليد » . أما ياقوت وكذا الصفدي في نسكت الحميان ١٦٠ فقد جعلوا مسلم بن الوليد أباه . قال ياقوت في ترجمته : « وهو ابن مسلم بن الوليد المعروف بصريع الغواني : الشاعر المعروف كان كأبيه شاعراً مجيداً . وكان ملازماً لبشار بن برد يأخذ عنه ، ولذا كان متهماً بدينه . مات سنة تسع وسبعين ومائة » . وأشهد له الشعر الآتي . انظر معجم الأدباء (١١ : ٢٥٥) . وفي عيون الأخبار (٣ : ٦١) : « سليمان الأعرجي » صوابه ما هنا .

(٤) من مستجيبى بشار : أى من قبلوا دعوته . ط ، هـ : « محبى » س : « مستحى » صوابهما ما أثبت .

(٥) كلمة « في » ساقطة من ط ، هـ . وكلمة : « الجسم » هى فى الأصل : « العلم » ولا يتجه بها الشعر ، ولا المعنى الذى سيق من أجله الشعر . وأثبت الصواب من معجم الأدباء ونسكت الحميان ص ١٦٠ . وكلمة « معتبرا » هى فى ط فقط « معتبر » محرفة .

هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ يَنْطِقُهُ عِرْقُهُ وَالصَّوْتُ مِنْ نَفْسِهِ^(١)
لَا تَعْظُ إِلَّا اللَّيْبَ فَا يُعْدَلُ الضَّلَعُ عَلَى قَوْسِهِ
رَبٌّ مَغْرُوسٍ يُعَاشُ بِهِ فَقَدَتَهُ^(٢) كَفُّ مُغْتَرِسِهِ
وَكَذَاكَ الدَّهْرُ مَأْتَمُهُ أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ مِنْ عُرْسِهِ

(قول في شعر لأمية بن أبي الصلت)

وكانت العرب تقول : كان ذلك إذ كان كلُّ شيء ينطق ، وكان ذلك
والحجارة رطبة .

قال أمية :

وَإِذْ هُمْ لَا لِبُوشَ لَهُمْ تَقِيهِمْ وَإِذْ صَمُّ السَّلَامِ لَهُمْ رِطَابُ^(٣)
بَايَةٍ قَامَ يَنْطِقُ كُلُّ شَيْءٍ وَخَانَ أَمَانَةُ الدَّيْكِ الْغُرَابُ
وَأُرْسِلَتِ الْحِمَامَةُ بَعْدَ سَبْعٍ تَدُلُّ عَلَى الْمَهَالِكِ لَا تَهَابُ
تَلَمَّسُ هَلْ تَرَى فِي الْأَرْضِ عَيْنًا وَعَايِنَةُ بِهَا الْمَاءَ الْعِيَابُ^(٤)
فَجَاءَتْ بَعْدَ مَا رَكَضَتْ بِقِطْفٍ عَلَيْهَا الشَّاطُ وَالطِّينُ الْكُبَابُ^(٥)

(١) عرقه : يشير إلى أوتار الصوت . ط ، ه ونكت الحميان : « عرقه » صوابه في س والمعجم .

(٢) في البيان والمعجم ونكت الحميان وعيون الأخبار : « علمته » . ورواية الكامل ٧٧٣ موافقة لرواية الحيوان .

(٣) اللبوس ، بالفتح : الثياب والسلاح ، مذكر . فإن ذهبت به إلى الدرع أنثى . ويظهر من تأنيث الفعل بعده أن المراد بها هنا الدرع . والسلام ، بالسكسر : جمع سلمة بكسر اللام ، وهي الحجارة .

(٤) كذا في ط ، ه . وفي س : « وعانية بها أبناء العباب » . وانظر ما سبق من التحقيق في (٢ : ٣٢١) .

(٥) في الأصل : « عليها الناط » . وانظر ما أسلفت من التحقيق والشرح في (٢ : =

فلما فرسوا الآيات صاغوا لها طوقاً كما عقيد السحاب^(١)

إذا ماتت تورثه بنيا وإن تقتل فليس له أنسلاب

فذكر رطوبة الحجارة ، وأن كل شيء قد كان ينطق . ثم خبر عن منادمة الديك الغراب ، واشراط الحمامة على نوح ، وغير ذلك مما يدل على ما قلنا . ثم ذكر الحية ، وشأن إبليس وشأنها ، فقال :

كذى الأفعى ترببها لديه وذى الجنى أرسلها نساب^(٢)

فلا رب البرية يأمنها ولا الجنى أصبح يستتاب

فإن قلت : إن أمية كان أعرابياً ، وكان بدوياً^(٣) ، وهذا من خرافات أعراب الجاهلية ، وزعمت أن أمية^(٤) لم يأخذ ذلك عن أهل الكتاب - فإني سأشيدك لعدي بن زيد ، وكان نصرانياً دينياً^(٥) ، وترجماناً ، وصاحب كتب ، وكان من دهاة أهل ذلك الدهر .

قال عدى بن زيد ، يذكر شأن آدم ومعصيته ، وكيف أغواه ، وكيف دخل في الحية ، وأن الحية كانت في صورة جمل فسخها الله عقوبة لها ، حين طاعت عدوه على وليه . فقال :

(= ٣٢١) . وقد سبقت رواية « عليه الناط » أى على القطف . وأما ضمير « عليها » هنا فعائد إلى الحمامة .

(١) طوق الحمامة ، سبق القول فيه في (٢ : ٣٢١) .

(٢) ترببها : ربها . والتربيب : التربية . وفي الأصل : « ترببها » محرف . وانظر لرواية الشطر الثاني ما سبق في (٢ : ٣٢٢) .

(٣) في الأصل : « مدرباً » .

(٤) الكلام من مبدأ كلمة « كان » إلى هنا ساقط من س .

(٥) نسبة إلى الديانة . وفي الأصل : « دياناً » . والديان بمعنى الحاكم ، ولا وجه له هنا .

قضى لِسِتَّةِ أَيَّامٍ خَلِيقَتَهُ^(١) وكان آخرها أنْ صَوَّرَ الرَّجُلَا
دعاه آدمَ صوتاً فاستجاب له ٦٦

بِنَفْخَةِ الرُّوحِ فِي الْجِسْمِ الَّذِي جَبَلَا^(٢)
ثُمَّتَ أَوْرَثَهُ الْفِرْدَوْسَ يَغْمُرُهَا وَزَوْجَهُ صَنَعَهُ مِنْ ضِلْعِهِ جَعَلَا
لَمْ يَنْهَهُ رَبُّهُ عَنْ غَيْرِ وَاحِدَةٍ مِنْ شَجَرِ طَيْبٍ: أَنْ شَمَّ أَوْ أَكَلَا^(٣)
فَكَانَتِ الْحَيَّةُ الرُّقْشَاءُ إِذْ خُلِقَتْ كَمَا تَرَى نَاقَةً فِي الْخَلْقِ أَوْ جَمَلَا
فَعَمَدَا لِلَّتِي عَنْ أَكْلِهَا نَهْيَا بِأَمْرِ حَوَاءَ لَمْ تَأْخُذْ لَهُ الدَّغَلَا
كِلَاهُمَا خَاطَ إِذْ بُزَا لِبُوسَهُمَا مِنْ وَرَقِ الثَّيْنِ ثَوْبًا لَمْ يَكُنْ غَزَلَا^(٤)
فَلَاطَهَا اللَّهُ إِذْ أَغْوَتْ خَلِيفَتَهُ طَوْلَ اللَّيَالِي وَلَمْ يَجْعَلْ لَهَا أَجَلَا^(٥)
تَمَشَى عَلَى بَطْنِهَا فِي الدَّهْرِ مَا عَمِرَتْ وَالتُّرْبُ تَأْكُلُهُ حَزْنَاوَانِ سَهْلَا^(٦)
فَاتَّعَبَا أَبَوَانَا فِي حَيَاتِهِمَا
وَأُوجِدَا الْجُوعَ وَالْأَوْصَابَ وَالْعِلَلَا^(٧)

(١) ط ، س : « خليقة » صوابه في ه .

(٢) ط : « فاستجاب له » ، تصحيحه من س ، ه . وجبل : خلق .

(٣) أى عن شهما وأكلها .

(٤) بزأ لبوسهما : أى سلبا ثيابهما . وفي الكتاب الكريم : « فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما » و : « لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما » . وفي ط ، ه : « برا » وفي س : « بر » والوجه ما أثبت .

(٥) لاطها : ألصقها . وخليفة الله : آدم : « وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة » . وقول على : « ولم يجعل لها أجلا » إشارة إلى ما يزعمون من أن الحية لا تموت إلا بعرض يعرض لها من قتل ونحوه .

(٦) عمر ، كفرح ونصر وضرب : بقی زمانا .

(٧) جرى الشاعر على نحو مذهب « أكلوني البراغيث » في « فاتعبا أبوانا » . ط فقط : « فأبقيا » محرفة . وفي س ، ه : « ووجد الجوع » .

وأوتيا الملك والإنجيلَ نقرؤه نشفي بحكمته أحلامنا عللاً^(١)
من غير ما حاجةٍ إلا ليَجْعَلَنَا فوق البريةِ أرباباً كما فعلاً^(٢)

(عقاب حواء وآدم والحية)

فروؤا أن كعبَ الأحبارِ قال : مكتوبٌ في التوراة أن حواءَ عندَ
ذلك عوقبت بعشر خصالٍ ، وأن آدم لما أطاع حواءَ وعصى ربّه عوقب
بعشر خصالٍ ، وأن الحية التي دخل فيها إبليس عوقبت أيضاً بعشر
خِصالٍ^(٣) .

وأولُ خِصالِ حواءَ التي عوقبت بها وجع الافتضاخ ، ثم الطلق ، ثم
النزع^(٤) ثم بقناع الرأس^(٥) ، وما يصيبُ الوحى^(٦) والنفساء من المكروه ،
والقصرُ في البيوت^(٧) ، والحيض ، وأن الرجال هم القوامون عليهن ، وأن
تكونَ عندَ الجماع هي الأسفل .

(١) الأحلام ، العقول . وعلا ، بدل من أحلامنا ، والضير فيها مقدر ، أى :
عللاً فيها .

(٢) البرية : الخلق . وأربابا : جمع رب ، جاء في اللسان : « الرب يطلق في اللغة على
المالك والسيد والمربي والقيم والمنعم . قال : ولا يطلق غير مضاف إلا على الله
عز وجل . وإذا أطلق على غيره أضيف فقيل رب كذا . قال : وقد جاء
في الشعر مطلقاً على غير الله تعالى ، وليس بالكثير ، ولم يذكر في غير الشعر » .

(٣) هذا القول غير مطابق لما في التوراة ، وبين ما فيها تفاروت . انظر سفر
التكوين ، الأصحاح الثالث الآيات ١٤ - ١٩ . وانظر تنبيه الجاحظ على مرويات
كعب في ص ٢٠٢ .

(٤) أى نزع الولد .

(٥) أى لبس غطاء الرأس ، وحق هذه الخصلة أن تكون بعد تاليتها .

(٦) وحث المرأة : حبلت واشتبهت الطعام ، فهي وحى من وحام ووحامى . ط ،
س : « الوحى » هـ : « وما يصب الرحم » صوابه ما أثبت .

(٧) أى حبسهن في البيوت . هذا . ومن هذه الخصال وجدها . تسما ، فلعله جعل
الخامسة منهن اثنتين .

وأما خصال آدم صلى الله عليه وسلم : فالذى انتقص من ضلوعه ^(١) ،
وبما جعله الله يخاف من الهوام والسباع ، ونكد العيش ، وبتوقع الموت ،
وبسكنى الأرض ، وبالعزى من ثياب الجنة ، وبأوجاع أهل الدنيا ، وبمقاساة
التحفظ من إبليس ، وبالحاسبة بالطرف ^(٢) ، وبما شاع عليه من اسم العصاة .
وأما الحية فإنها عوقبت بنقص كجناحها ، وقطع أرجلها ، والمشى على
بطنها ، وبإعراء جلدها - حتى يقال : « أعرى من حية » وبشق لسانها -
ولذلك كلما خافت من القتل أخرجت لسانها لترىهم العقوبة - وبما ألقى عليها
من عداوة الناس ، وبمخافة الناس ، وبجعله لها أول ملعون من اللحم والدم ،
وبالذى ينسب إليها من الكذب والظلم .

(ظلم الحية وكذبها)

فأما الظلم فقولهم : « أظلم من حية » . وأما الكذب فإنها تنطوى فى الرمل
على الطريق وتدخل بعض جسديها فى الرمل ، فتظهر كأنها طبق خيزران ،
ومنها حيات بيض قصار تجمع بين أطرافها على طرق الناس ، وتستدير كأنها
طوق ^(٣) [أو ^(٤)] خلخال ، أو سوار ذهب أو فضة - ولما تلقى على نفسها من
السبات ^(٤) ، ولما تظهر من الهرب من الناس . وكل ذلك إنما تغرهم
وتصطادهم بتلك الحيلة ، فذلك هو كذبها .

(١) فى الأصل : « من طوله » .

(٢) لعل المراد الحاسبة على ما تجنيه العين من جنائيات النظر . وفى س :
« وبالحاسبة الطرف » .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) السبات ، بالضم : النوم .

(عقاب الأرض)

قال : وعُوقِبَتِ الأرضُ حينَ شَرَبَتْ دم ابن آدم^(١) بعشرِ خِصالٍ :
 أنبتَ فيها الشوكَ ، وصيّرَ فيها الفياضَ ، وخرقَ فيها البحارَ ، وملحَ أكثرَ
 ماها ، وخلقَ فيها الهوامَّ والسَّباعَ ، وجعلَها قرارًا لإبليسَ والعاصيينَ ،
 وجعلَ جهنَّمَ فيها ، وجعلَها لا تُربى ثمرتها إلَّا في الحرِّ ، وهى تعذبُ بهم إلى
 يوم القيامة ، وجعلَها توطأ بالأخفافِ ، والحوافرِ ، والأظلافِ والأقدامِ^(٢) ،
 وجعلَها مالحة الطَّعمِ .

(شرب الأرض للدم)

ثم لم تشرب بعد دم ابن آدمَ دمَ أحدٍ من ولده ، ولا من غير ولده .
 قالَ : وَلِذلِكَ قالَ عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لأبى مریم الحنفى^(٣) :
 « لَأَنَا أَشدُّ لك بُغْضًا مِنَ الأرضِ للدم ! » .
 وزعم صاحبُ المنطق أنَّ الأرضَ لا تشرب الدَّم ، إلَّا يسيرًا من دماء
 الإبل خاصَّة .

(اختبار العسل)

وإذا أرادوا أن يمتحنوا جُودَةَ العسل من رداءته ، قَطَرُوا على الأرضِ

(١) هو الذى تسميه التوراة : « هايل » . الأصحاح الرابع من سفر التكوين ، وقصته فى سورة
 المائدة ٢٧ - ٣١ .

(٢) فى الأصل : « القوادم » .

(٣) سبقت ترجمته فى (٣ : ١٣٦) ، حيث تجد كلمة عمر الآتية . وتجدها كذلك
 فى عيون الأخبار (٣ : ١٣) والبيان (٢ : ٨٩) وبقية الحديث فيه : « قال :
 أفتمنعنى لذلك حقا ؟ قال لا ! قال : لاضير ؛ إنما يأسف على الحب النساء ! » .

منه قَطْرَةٌ . فإذا استدارت ^(١) كأنها قطعة زئبق ، ولم تأخذ من الأرض ولم تعطها ^(٢) فهو المادى الخالص الذهبى . فإن كان فيه غشوشة ^(٣) نفشت القطرة على [قدر] ما فيها ، وأخذت من الأرض وأعطتها . وإن لم يقدروا على اللحم الغريز ^(٤) دفنوه وغرقوه فى العسل ، فإنهم متى رجعوا فغسلوه عنه وجدوه غضاً طرياً ؛ لأنه ذهبى الطباع ، ليس بينه وبين سائر الأجرام شيء . فهو لا يعطيه شيئاً ولا يأخذ منه . وكذلك الذهب إذا كان مدفوناً .

(زمن الفطحل)

وهذه الأحاديث ، وهذه الأشعار ، تدل على أنهم قد كانوا يقولون :
إِنَّ الصُّخُورَ كَانَتْ رَطْبَةً لَيِّنَةً ، وَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ كَانَ يَعْرِفُ وَيَنْطِقُ ، وَإِنَّ
الْأَشْجَارَ وَالنَّخْلَ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا شَوْكٌ ، وَقَدْ قَالَ الْعَجَّاجُ ، أَوْ رُؤْبَةُ ^(٥) :
أَوْ عُمَرَ نُوحٍ زَمَنَ الْفِطْحَلِ وَالصُّخْرُ مُبْتَلٌ كَطِينِ الْوَحْلِ

(سرديات كعب الأحبار)

وأنا أظن أن كثيراً مما يُحكى عن كعب أنه قال : مكتوب فى التوراة أنه إنما قال : « نجد فى الكتب » ، وهو إنما يعنى كتب الأنبياء ، والذى يتوارثونه من كتب سليمان ؛ وما فى كتبهم من [مثل ^(٦)] كتب إشعيا ^(٧) [وغيره ^(٨)] .

(١) ط ، هـ : « فإن استدارت » .

(٢) س ، هـ : « يعطه » ط : « تعطه » وصوابه ما أثبت .

(٣) كذا فى الأصل . والمعروف : غشه غشا .

(٤) اللحم الغريز : الطرى .

(٥) انظر ما سبق من التحقيق فى ص ٨ .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) هو إشعيا ، بكسر أوله وفتح ثانيه وإسكان ثالثه كما ضبط فى العهد القديم .

كان أحد أنبياء بنى إسرائيل . وقد تحدث عنه ابن الأثير فى التكميل (١) :

١٤٣ - ١٤٥) حديثاً طويلاً ، وكتابه يشتمل على ستة وستين أصحاباً .

(٨) بمثل هذه الكلمة يصلح الكلام . وإلا فإن لإشعيا كتاباً واحداً كما مر =

والذين يروون عنه في صفة عُمرَ بن الخطاب رضى الله عنه ، وأشباه ذلك ، فإن كانوا صدقوا عليه ، وكان الشيخ لا يضعُ الأخبار^(١) فما كان وجهُ كلامه عندنا إلا على ما قلتُ لك .

٦٧

(نطق الحية)

وفي أن الحية قد كانت تسمعُ وتنطق ، يقول النابغة^(٢) في المثل الذي ضربَهُ^(٣) ، وهو قوله :

أليس لنا مولى يحبُّ سراحنا فيعزِّرنا من مُرَّة المتناصِرهِ^(٤)
ليهنِكُم^(٥) أن قد نفيتُم^(٦) يئوتنا محلَّ عبِيدان المحلِّ باقره^(٧)

= في التنبيه السابق . فن هذه الكتب كتب لإرميا ، وحزقيال ، ودانيال ، ويوشع وعاموس ، وغيرهم .

(١) س : « وكان الشيخ يصنع الأخبار » .

(٢) من قصيدة له يعاتب بها بنى مرة . انظر الخزانة (٣ : ٥٥٦ بولاق) وخسة دواوين العرب ٤٧ . ووهم الديمرى في نسبة الشعر إلى النابغة الجعدي .

(٣) انظر قصة الشرقي المصدرين المتقدمين ، والشعراء ١١٢ - ١١٣ والمحسن والمساوى (٢ : ١٣٤) والديمرى (١ : ٤١٦) وأمثال الميداني (١ : ٨٢) ومروج الذهب (٢ : ١٢٩) . وهي ما وضعه للعرب على ألسنة الحيوان .

(٤) س : « يحب سراحنا » .

(٥) كذا في هـ . وفي س : « ليهنكو » وهما كتابتان جازتان ، وفي ط : « ليهناكم » ، وفي خسة دواوين العرب واللسان (مادة عبد) : « ليهناكم » وهذه لغة غريبة .

(٦) في الأصل : « لقيتم » . وتصحيحه من اللديوان واللسان (عيد) .

(٧) في البيت إقواء . وقال ابن بَرى : صواب إنشاده : « المحلِّ باقره » بكسر اللام من المحلِّ ، وفتح الراء من باقره . وعبيدان : ماء منقطع بأرض اليمن لا يقربه أنيس ولا وحش . أو هو بمعنى الفلاة . أو هو رجل له قصة ، ذكرها صاحب اللسان . والباقر : البقر . س ، هـ : « بالمحلات » محرف . وانظر الاستدراكات .

وإني لللاق من ذوى الضغن نكبةً بلا عثرةٍ والنفس لابدٌ عاثرةً (١)
 كما لقيت ذات الصفا من حليفها
 وما انفكت الأمثال في الناس سائرةً (٢)
 فقالت له : أدعوك للعقل وافرًا ولا تغشيني منك للظلم بادرةً (٣)
 فواثقها بالله حتى تراضيا فكانت تديه الجزع خفيًا وظاهره (٤)
 فلما توفى العقل إلا أقله وجارت به نفس عن الخير جائرة (٥)
 تفكر أتى يجمع الله شمله (٦) فيصبح ذا مال ويقتل واثره
 فظل على فأسٍ يُحْدُ غرابها (٧) ليقتلها، والنفس للقتل حاذرة (٨)
 فلما وقاها الله ضربة فأسه وللله عين لا تغمض ساهرة (٩)
 فقال : تعالى نجعل الله يديننا على العقل حتى تنجزى لي آخره (١٠)

- (١) الخزانة : « فإني لألقى من ذوى الضغن منهم » .
 (٢) ذات الصفا : الحية التي كان لها هذا المثل : وسميت بذلك لأنها تسكن في الصفا ،
 وهي الحجارة الملس الصلاب .
 (٣) العقل هنا بمعنى الدية . زعموا أن الحية قتلت أخا ذلك الحليف .
 (٤) تديه الجزع : أى تعطيه دية أخيه من الجزع ، بالفتح ، وهو ضرب من الخرز
 فيه بياض وسواد . هـ : « تديه الجرح » محرف . ورواية الخزانة والديوان :
 « وكانت تديه المال غبا » . والغب بالكسر : أن تعطيه في يوم ولا تعطيه في الثاني . والظاهرة
 أصله من ظم الإبل ، وهى أن تشرب كل يوم نصف النهار .
 (٥) توفى العقل : أى أخذ الدية وافية كاملة .
 (٦) رواية الديوان والخزانة : « تذكر أنى يجعل الله جنة » . والجنة بالضم : الوقاية .
 ورواية الشعراء : « تذكر أنى يجعل الله فرصة » .
 (٧) غراب الفأس : طرفها . ورواية الميداني والخزانة والشعراء : « أكب على فأس »
 (٨) والنفس : أى ونفسه . ورواية العجز في الخزانة والميداني والديوان :
 « مذكرة من المaul يآره » .
 (٩) ط : « ناظره » . ورواية الميداني : « وللشر عين لا تغمض ناظره » .
 (١٠) قال للحية : تعالى نجعل الله شاهداً بيننا على دية أخى حتى تنجزىها . س ، هـ : =

فَقَالَتْ : يَمِينُ اللَّهِ ، أَفْعَلُ ؛ إِنَّنِي رَأَيْتُكَ خَتَّارًا يَمِينُكَ فَاجِرُهُ (١)
أَبَى لَكَ قَبْرٌ لَا يَزَالُ مُوَاجِهًا وَضَرْبَةً فَأَسِ فَوْقَ رَأْسِي فَاقِرُهُ (٢)
فَذَهَبَ النَّابِغَةُ فِي الْحَيَّاتِ مَذْهَبَ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصُّلْتِ ، وَعَدَى
ابْنَ زَيْدٍ ، وَغَيْرَهُمَا مِنَ الشُّعْرَاءِ .

(الصخور والأشجار في ماضى الزمان)

وَأُنْشِدْنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ كَيْسَانَ :
فَكَانَ رَطِيبًا يَوْمَ ذَلِكَ صَخْرُهَا وَكَانَ خَضِيدًا (٣) طَلَحُهَا وَسَيَّالُهَا
فَزَعَمَ كَمَا تَرَى أَنَّ الصُّخُورَ كَانَتْ لَيْئَةً ، وَأَنَّ الْأَشْجَارَ : الطَّلَحَ وَالسِّيَالَ
كَانَتْ خَضِيدًا (٤) لَا شَوْكَ عَلَيْهَا .
وَزَعَمَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ وَأَصْحَابِ الْأَخْبَارِ ، أَنَّ الشَّوْكَ إِنَّمَا اعْتَرَاهَا فِي صَبِيحَةِ
الْيَوْمِ الَّذِي زَعَمَتِ النَّصَارَى فِيهِ أَنَّ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ .

= « فَقَالَتْ لَعَلِّي يَجْعَلُ » صَوَابُهُ ، فِي ط وَالْذِيَّانِ وَالْخَزَانَةِ وَالْمِيدَانِ . وَيُرْوَى :
« عَلَى الْمَالِ » وَ « عَلَى مَالِنَا » .

(١) يَمِينُ اللَّهِ : قَسَمٌ مِنَ الْإِيمَانِ . وَ « أَفْعَلُ » أَيْ : لَا أَفْعَلُ . وَحُذِفَ « لَا » بَعْدَ
الْقَسَمِ كَثِيرٌ فِي كَلَامِهِمْ . وَفِي الْكِتَابِ : « تَاللَّهِ تَفْتَقِرُونَ لِيُوسُفَ » أَيْ لَا تَفْتَقِرُونَ .
وَانْظُرْ هَذَا الْبَحْثَ أَمَالِي الْمُرْتَضَى (٣ : ١٣٧) وَالْمُخْتَصَرُ (١٣ : ١١٥)
وَالْأَضْدَادُ ١٤٨ . وَالْخَتَّارُ : الْغَدَّارُ .

(٢) تَقُولُ : أَبَى لَكَ أَنْ تَسْكُونَ وَفِيَا مَا أَسْلَفَ إِلَى أَخْوَكِ الَّذِي قَبْرُهُ مُوَاجِهٌ لَنَا
وَكَانَ أَخُوهُ فِيمَا زَعَمُوا - ضَرْبَهَا بِفَأْسٍ ، فَانْتَقَمَتْ مِنْهُ بِأَنْ قَتَلَتْهُ . وَرَوَايَةُ الْذِيَّانِ
وَالْخَزَانَةِ وَالشُّعْرَاءِ : « أَبَى لِي » أَيْ أَبَى لِي أَنْ أَخْدَعُ أَوْ أَنْ أَضْمِنَ وَفَاءَكَ
وَصَدَقَ التَّعَاهُدَ وَالتَّوَاتُقَ . وَالضَّرْبَةُ الْفَاقِرَةُ : الْقَاطِعَةُ ، كَأَنَّهَا تَقْطَعُ الْفَقَارَ .
(٣) فِي الْأَصْلِ : « نَضِيدًا » ، صَوَابُهُ مَا أَثْبَتَ . وَانْظُرْ تَعْقِيبَ الْجَاهِظِ .

(٤) خَضِيدٌ : فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ مِنْ خَضَدَ الشَّوْكَ : أَيْ قَطَعَهُ . وَفِي الْأَصْلِ .
« خَضِيدَةٌ » وَفَعِيلٌ إِذَا كَانَ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ وَذَكَرَ مَعَهُ الْمَوْصُوفُ اسْتَوَى فِيهِ الْمَذْكَرُ وَالْمُؤَنَّثُ .

(أثر قدم إبراهيم عليه السلام)

وكان مقاتلٌ يقولُ - حَدَّثَنَا بِذَلِكَ [عنه ^(١)] أبو عقيل السَّوَّاقُ ، وكان أحدَ رواتِهِ والحاملين عنه - إِنَّ الصُّخُورَ كَانَتْ لَيِّنَةً ، وَإِنَّ قَدَمَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَثَرَتْ ^(٢) فِي تِلْكَ الصَّخْرَةِ ، كَتَأْثِيرِ أَقْدَامِ النَّاسِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ . ٦٩
إِلَّا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَوَفَّى تِلْكَ الْآثَارَ ، وَعَفَى عَلَيْهَا ، وَمَسَحَهَا وَمَحَاهَا ، وَتَرَكَ أَثَرَ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَالْحُجَّةُ إِنَّمَا هِيَ فِي إِفْرَادِهِ بِذَلِكَ وَتَحْوِ مَا سِوَاهُ مِنْ آثَارِ أَقْدَامِ النَّاسِ . لَيْسَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ وَطِئَ عَلَى صَخْرَةٍ خَلَقَاءَ ^(٣) يَابِسَةٍ فَأَثَرَ فِيهَا .

(فضل المتكلمين والمعتزلة)

وَأَنَا أَقُولُ عَلَى تَثْبِيَتِ ذَلِكَ بِالْحُجَّةِ ^(٤) . وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْهَذَرِ وَالتَّكْلِيفِ وَاتِّحَالِ مَا لَا أَقُومُ بِهِ . أَقُولُ : إِنَّهُ لَوْلَا مَكَانُ الْمُتَكَلِّمِينَ لَهْلَكْتَ الْعَوَامُّ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ ، وَلَوْلَا مَكَانُ الْمُعْتَزِلَةِ لَهْلَكْتَ الْعَوَامُّ مِنْ جَمِيعِ النَّحْلِ . فَإِنْ لَمْ أَقُلْ : وَلَوْلَا أَصْحَابُ إِبْرَاهِيمَ وَإِبْرَاهِيمُ لَهْلَكْتَ الْعَوَامُّ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ ، فَإِنِّي أَقُولُ : إِنَّهُ قَدْ أَنْهَجَ لَهُمْ سُبُلًا ، وَفَتَّقَ لَهُمْ أُمُورًا ، وَاخْتَصَرَ لَهُمْ أَبْوَابًا ظَهَرَتْ فِيهَا الْمُنْفَعَةُ ، وَشَمِلَتْهُمْ بِهَا النِّعْمَةُ .

(١) الزيادة من س ، هـ .

(٢) ط : « وَإِنْ قَدِمَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَثَرْنَا » ، وَيَكُونُ صَوَابُ مَا فِي ط :

« وَإِنْ قَدِمَا » الخ .

(٣) صخرة خلقاء : ملساء .

(٤) س : « الْحُجَّةُ » .

(ما يحتاج إليه الناس)

وأنا أزعّم أن الناس يحتاجون بدياً^(١) إلى طبيعةٍ ثم إلى معرفة ، ثم إلى إنصاف . وأوّل ما ينبغي أن يتبدى به صاحبُ الإنصافِ أمره ألا يعطى نفسه فوقَ حقها ، وألاً يضعها دونَ مكانها ، وأن يتحفّظَ من شيئين ، فإن نجاحه لا تتم إلا بالتحفظ منهما : أحدهما تهمة الإلف ، والآخر تهمة السابِقِ إلى القلب - والله الموفق .

(حديث عن تأليف هذا الكتاب)

وما أكثرَ ما يعرض في وقت إكبابي^(٢) على هذا الكتاب ، وإطالتي الكلام ، وإطنابي في القول ، بيتُ ابنِ هرمة ، حيث يقول :

إنّ الحديثَ تغرّ القومَ خلوته حتى يلجّ بهم عيٌّ وإكثارُ^(٣)
وقولهم في المثل : « كلُّ مُجرٍّ في الخلاءِ يُسرُّ »^(٤) .

(١) بدياً : أى بدءاً . وفي الأصل : « ندباً » .

(٢) أكب على الشيء : أقبل عليه ولزمه . وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط : « الباب » و س : « باب » و هـ : « أكبابى » .

(٣) خلوته : أى أن يختل ببعضهم ببعض لداورته وتبدله . وفي الأصل : « خلوته » بالخاء المهملة ، وهو تصحيف صوابه في الجزء الأول ص ٨٨ حيث تجد موضع الاستشهاد بهذا البيت .

(٤) كذا الرواية الجيدة للمثل كما سبق في الجزء الأول ص ٨٨ وأمثال الميداني (٢ : ٧٣) وأمالى القالى (٢ : ٨٩) . وأصله أن الرجل يجرى فرسه في المكان الخالى لا مسابق له فيه ، فهو مسرور بما يرى من فرسه . يضرب مثلاً للرجل تكون فيه الخلة يحمدها من نفسه ، ولا يشعر بما في الناس من الفضائل . وقد روى المثل أيضاً : « كلُّ مجرٍّ في الخلاءِ مسرُّ » ، يجعل « مسر » اسم مفعول من « أسره » أى أفرحه . وهو فعل لم تنطق به العرب ، وإنما توهمه القائل ، كما أنشد الآخر في عكسه : =

وأنا أعوذ بالله أن أغرَّ من نفسي ، عند غيبة خصمي ، وتصفح العلماء
لكلامي ، فإني أعلم أن فِتْنَةَ اللِّسَانِ والقلم ، أشدَّ من فِتْنَةِ النساءِ ، والحرص
على المال .

وقد صادف هذا الكتابُ مني حالاتٍ تمنعُ من بلوغِ الإرادة فيه ،
أولُّ ذلك العلةُ الشديدة ، والثانية قلة الأعوان ، والثالثة طول الكتاب ،
والرابعة أني لو تكلفت كتاباً في طوله ، وعدد ألفاظه ومعانيه ، ثمَّ كان من
كتب العَرَض والجوهر ، والطُّفَرَة^(١) ، والتولد^(٢) ، والمداخلة^(٣) ، والغرائز^(٤)

= وبلدة ينفي على النعوت ينفي كإغضاء الروي الميثوت
أراد : المثبت ، فتوهم : ثبته . انظر اللسان (سرر) وما أسلفت من التحقيق
في (١ : ٨٨) .

(١) الطفرة : مسألة كلامية تنسب إلى إبراهيم النظام ، كما في الفصل (٥ : ٦٤) ،
وهي قوله : إن المار على سطح الجسم يسير من مكان إلى مكان بينهما أما كن لم
يقطعها هذا المار ، ولا مر عليها ، ولا حاذها ، ولا حل فيها . وانظر لذلك
أيضاً الفرق بين الفرق ١٢٤ س ٦ — ٧ ، ١٥ وتأويل مختلف الحديث ١٦ س
٢ . وفي الأصل : « الصفرة » تحريف ظاهر .

(٢) التولد : مبحث كلامي ، وذلك أنهم اختلفوا فيمن رمى سهما فجرح به إنسانا ، أو
غيره ، وفي حرق النار ، وتبريد الثلج ، وسائر الآثار الظاهرة من الجادات ، فقالت
طائفة : ماتولد من ذلك عن فعل إنسان أو حيٍّ ، فهو فعل الإنسان والحي .
واختلفوا فيما تولد من غير حي ، فقالت طائفة : هو فعل الله . وقالت طائفة :
هو فعل الطبيعة . وقال آخرون : كل ذلك فعل الله . وقد فصل ابن حزم الكلام
فيه في كتابه (٥ : ٥٩ — ٦٠) . وانظر مذهب الجبائي والنظام في الفرق
١١٥ وبشر ، في الفرق ١٤٣ . وفي الأصل : « التوليد » وصوابه بما
سبق ومن تأويل مختلف الحديث ١٦ س ٣ .

(٣) المداخلة : مقالة كلامية لقوم زعموا أن الألوان ، والطعوم ، والروائح ، والأصوات
والخواطر ، أجسام ، وأن تلك الأجسام بزعمهم تتداخل في حيز واحد . الفصل
(٥ : ٦٠ — ٦١) . وقد ذهب النظام إلى ذلك . الفرق ١٢٢ .

(٤) الغرائز ، أي الطبائع الموجودة في الأشياء ، كالحر للنار ، والبرد للفلح ، والإسكار =

والتماس^(١) - لكان أسهل وأقصر أياماً ، وأسرع فراغاً ، لأنى كنت
لاأفرع فيه إلى تَلْقُط الأشعار^(٢) ، وتتبع الأمثال ، واستخراج الآي
من القرآن ، والحجج من الرواية ، مع تفرق هذه الأمور في الكتب ،
وتباعد ما بين الأشكال . فإن وجدت فيه خلافاً من اضطراب لفظ ،
ومن سوء تأليف ، أو من تقطيع نظام^(٣) ، ومن وقوع الشيء في غير
موضعه^(٤) - فلا تنكر ، بعد أن صوّرتُ عندك حالى التى ابتدأتُ
عليها كتابى .

٧٠

ولولا ما أرجو من عون الله على إتمامه ؛ إذ كنتُ لم أتمس به إلا لفهامك
مواقع الحجج لله ، وتصاريف تدبيره ، واندى أودع أصناف خلقه من
أصناف حكمته - كما تعرضت لهذا المكروه .

فإن نظرت في هذا الكتاب فانظر فيه نظر من يلتبس لصاحبه الخارج ،
ولا يذهب مذهب التعنت ، ومذهب من إذا رأى خيراً كتّمه ، وإذا رأى
شراً أذاعه .

وليعلم من فعل ذلك أنه قد تعرض لباب إن أخذ بمثله ، وتعرض له

= للخر . أثبت ذلك قوم ، ونفاه آخرون منهم الأشاعرة . الفصل (٥ : ١٤ - ١٥) .

وللجاحظ كلام طويل فيها في هذا الجزء ٣١٣ - ٣١٩ ساسى .

(١) التماس ، ويقال أيضاً : المجاورة . باب من الكلام ، يبحث في اتصال الأجسام
بعضها ببعض ، كالماء باللبن ، والدقيق بالماء ، والزيت بالخل . وتجده أقسامه
موضحة في الفصل (٥ : ٦١) . وانظر تماس العرش ومالكه في الفرق بين الفرق ٢٠٤ ط ، هـ :
« النحاس » س : « النحاس » وهما تحريف ما أثبت .

(٢) أفرع إليه : أى ألبأ . وفي الأصل : « أفرع » بحرفة . والتلقط : التقاط الشيء
من هنا وهناك . وفي الأصل : « التلطف » ، وليس صواباً .

(٣) ط ، س : « ومن تقطيع نظام » ، وأثبت ما فى هـ .

(٤) هـ : « أو من وقوع » . الخ ، وأثبت ما فى ط ، س .

في قوله وكتبه ، أن ليس ذلك إلا من سبيل العقوبة ، والأخذ منه بالظلامة .
 فلينظر فيه على مثال ما أدب الله به ، وعرف كيف يكون النظر والتفكير
 والاعتبار والتعليم ؛ فإن الله عز وجل يقول : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ
 وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ .

(الحكم الجميلة في دقيق الأشياء)

فينبغي أن تكون إذا مررت بذكر الآية والأعجوبة ، في الفراشة
 والجرجسة^(١) ، ألا تحقير تلك الآية ، وتصغر تلك الأعجوبة ؛ لصغر قدرهما
 عندك ، ولقلة معرفتهما عند معرفتك^(٢) ، ولصغر أجسامهما عند جسمك .
 ولكن كن عند الذي يظهر لك من تلك الحكم ، [و^(٣)] من ذلك التدبير ،
 كما قال الله عز وجل : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً
 وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ قال ثم قال : ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا
 بِأَحْسَنِهَا ﴾ ثم قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ
 وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ .
 وقد قال عامر بن عبد قيس^(٤) : « الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت
 في القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان » .

(١) الجرجس ، بالسكسر : البعوض الصغير . ط : « الحرجسة » ، صوابه
 في س ، هـ .

(٢) في الأصل : « عندك معرفتك » ، والوجه ما أثبت .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) س : « عبد القيس » بإثبات « أل » وهو جائز في العربية ، كما أسلفت في (٣ : ٣٨٢) .
 وهو عامر بن عبد قيس بن ثابت التيمي العبدي . تابعي ثقة من كبار التابعين =

(حث على الإخلاص والتنبه عند النظر)

وأنا أعيد نفسي بالله أن أقول إلا له ، وأعيدك بالله أن تسمع إلا له .
وقد قال الله عز وجل : ﴿ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَهْتَدُوا وَتَرَاهُمْ
يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ . فأحذر من أن تكون منهم ، ومن
يَنْظُرُ إلى حكمة الله وهو لا يبصرها ، وَمَنْ^(١) يبصرها بفتح العين واستماع
الآذان ، ولكن بالتوقف من القلب ، والتثبت من العقل ، وبتحفيظه
وتمكينه من اليقين ، والحجة الظاهرة . ولا يراها من يُعرضُ عنها . وقد
قال الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ .
وقال : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ولو
كانوا صمًا بُكْمًا وكانوا هم لا يعقلون ، لمَا عيّرهم بذلك ، كما لم يعيّر مَنْ خَلَقَهُ
معتوها كيف لم يعقل ، وَمَنْ خَلَقَهُ أَعْمَى كيف لم يبصر ، وكما لم يَلَمْ^(٢)
الدواب ، ولم يعاقب السباع . ولكِنَّهُ سَمَّى البصير المتعمى أعمى ، والسميع
المتصائم^(٣) أصم ، والعاقل المتجاهل جاهلاً .

٧١

وقد قال الله عز وجل : ﴿ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُغْنِي
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمَحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

= وعبادهم . وكان غاية في الزهد ، روى عنه في ذلك روايات تدخل في حدود المبالغة .
انظر الإصابة ٦٢٨٠ . وكان من الأبيضاء الفصحاء ، كما ترى ذلك في مواضع كثيرة ،
من بيان الجاحظ . ومات عامر في خلافة معاوية . والخبر في البيان ١ : ٨٣ .

(١) في الأصل : « وأن » ، ولا يستقيم بها الكلام .

(٢) ط ، هـ : « يكرم » صوابه في س .

(٣) كذا جاءت بالفك .

فَانْظُرْ كَمَا أَمَرَكَ اللَّهُ ، وانظر من الجهة التي دَلَّكَ مِنْهَا ، وخذ ذلك بقوة .
قال تعالى : ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾^(١) .

(عود إلى الحيات)

ثُمَّ رَجَعَ بِنَا الْقَوْلُ إِلَى مَا فِي الْحَيَّاتِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعِبَرَةِ ، وَالْفَائِدَةِ
وَالْحِكْمَةِ ؛ وَلِلذَلِكَ قَالَ أَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ : « لَقَدْ تَرَكْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَا يَمُرُّ بِنَا طَائِرٌ إِلَّا وَعِنْدَنَا مِنْ شَأْنِهِ عِلْمٌ » . وَهَذَا الْقَوْلُ مُصَحِّحٌ
عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، وَلَمْ يَخْصُ أَبُو ذَرٍّ خَشَاشَ الطَّيْرِ مِنْ بُغَاثِهَا وَأَحْرَارِهَا ، وَلَا
مَا يَدْخُلُ فِي بَابِهِ^(٢) الْهَمْجُ . وَقَدْ أَرَيْنَاكَ مِنْ تَحْقِيقِ قَوْلِهِ طَرَفًا . وَلَعَلَّكَ
إِنْ جُمِعَتْ نَظْرُكَ إِلَى نَظَرِنَا ، أَنْ^(٣) تَسْتَمَّ هَذَا الْبَابُ ، فَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :
خَلِيلِي لَيْسَ الرَّأْيُ فِي رَأْيٍ وَاحِدٍ^(٤) أَشِيرًا عَلَى الْيَوْمِ مَا تَرَيَانِ
وَقَالَ الْأَحْنَفُ : « مَا مِنْ نَاسٍ أَحَدٌ إِلَّا وَقَدْ تَعَلَّمْتُ مِنْهُ شَيْئًا ، حَتَّى
مِنَ الْأَمَةِ الْوَرَهَاءِ وَالْعَبْدِ الْأَوْرَةِ^(٥) » .

(أنواع الحيات)

وَالْحَيَّاتُ مُخْتَلِفَاتُ الْجِهَاتِ جَدًّا ، وَهِيَ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي يَكْثُرُ اخْتِلَافُ
أَجْنَاسِهَا فِي الضَّرَرِ وَالسَّمِّ ، وَفِي الصَّغَرِ وَالْعِظَمِ ، وَفِي التَّعَرُّضِ لِلنَّاسِ

(١) مَا آتَيْنَاكُمْ : أَيْ الْكِتَابَ . وَأَصْلُ الْخُطَابِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ .. بِقُوَّةٍ : بِجِدٍّ وَعَزِيمَةٍ .
اذْكُرُوا مَا فِيهِ : اذْكُرُوا وَلَا تَنْسَوْهُ ، أَوْ تَفْكُرُوا فِيهِ .
(٢) س ، هـ : « بَاب » ط : « بَابُهُ » ، وَأُثْبِتَ تَصْحِيحُ مَا فِي ط .
(٣) فِي الْأَصْلِ : « لَمْ » .

(٤) رَوَايَةُ الرَّائِغِ فِي الْمَخَاضَاتِ (١ : ١٢) : « فِي صَدْرٍ وَاحِدٍ » .

(٥) الْأَوْرَةُ : الْأَحْمَقُ ، وَالْأَثْنَى وَرَهَاءُ .

وفي الهرب منهم . فمنها مالا يؤذى إلا أن يكون الناس قد آذوها مرة .
وأما الأسود فإنه يحقد ويطلب ، ويكمن^(١) في المتاع حتى يدرك بطائلته .
وله زمان يقتل فيه كل شيء نهشه .

وأما الأفعى فليس ذلك عندها ، ولكنها تظهر في الصيف مع أول
الليل ، إذا سكن وهج الرمل وظاهر الأرض ، فتأتي قارعة الطريق حتى
تستدير وتطحن^(٢) كأنها رحي ، ثم تلصق بدنها^(٣) بالأرض وتُشخص
رأسها ، لئلا يدركها السبات ؛ معترضة ، لئلا يطأها إنسان أو دابة فتنهشه .
كأنها تريد ألا تنهش إلا بأن يُتعرض^(٤) لها ، وهي قد تعرضت
لنهشه باعتراضها في الطريق وتناوَمها عليه ! وهي من الحيات التي ترصد^(٥)
وتوصف بذلك . قال معقل بن خويلد^(٦) :

أبا معقل لا توطئكم بغاضتي

رمحوس الأفاعي في مرأصيدها العُرم^(٧)

-
- (١) كن يكن ، من باب نصر وسمع : استخفى . س : « ويكن » محرفة .
(٢) في الأصل : « تنطحن » وصوابه ما أثبت . الجوهري : طحت الأفعى : ترحت
واستدارت ، فهي مطحان . قال الشاعر :
بخرشاء مطحان كأن فحيحها إذا فزعت ماء هريق على حجر
(٣) ط : « بدنها » ، والوجه ما أثبت من س ، ه .
(٤) ط : « يعترض » ، والأشبه ما كتبت من س ، ه .
(٥) ترصد : أي تكن . والمراصد : المكامن .
(٦) معقل بن خويلد بن وائلة بن عمرو بن عبد ياليل الهذلي ، شاعر مخضرم أدرك
الجاهلية والإسلام ، وكان أبوه رفيق عبد المطلب إلى أبرهة . معجم المرزبانى
٣٧١ والإصابة ٨١٣٠ .
(٧) يخاطب أبا معقل عبد الله بن عتيبة ، كما في شرح أشعار الهذليين للسكري ٣٨٣ تحقيق
فراج . والبغاضة ، بالفتح : البغض . ورواية اللسان (رصد ، بغض ، عرم)
والمخصص (٧ : ١٩٤) : « لا توطئتك » .

يريد : الأفاعى فى مراصدها^(١) . وكلُّ منقطة^(٢) فهى عزماء ،
من شاةٍ أو غير ذلك .

وقال آخر :

وكم طوت من حنشي وراصدي للسفر فى أعلى البيات قاصدي
والأفعى تقتل فى كلِّ حالٍ وفى كلِّ زمان . والشجاع^(٣) يواثبُ
٧٢ ويقوم على ذنبه ، وربما بلغ رأسه رأس الفارس .

(ما يقتل الحية والعقرب من الحيوان)

وليس يقتلها - إذا تطوقت على الطريق وفى المناهج ، أو اعترضتها
لتقطعها عابرة إلى الجانب الآخر - شئٌ كأقاطيع الشياهم إذا مرّت بها ،
وكذلك الإبلُ الكثيرة إذا مرّت ، فإن الحية إذا وقعت بين أرجلها كان
همتها نفسها ، ولم يكن لها همةٌ إلا التخلّص بنفسها ؛ لئلاّ تعجلها بالوطء .
فإن نجت من وطء أيديها ، لم تنج من وطء أرجلها . وإن سلمت من واحدة
لم تسلم من التى تليها ، إلى آخرها .

وقال عمر بن لجأ ، وهو يصف إبله :

* تعرّض الحيات فى خرشائها^(٤) *

(١) ط : « بافلاعى » س ، هـ : « بالأفاعى » صوابه ما أثبت من الجزء الخامس
من الحيوان ص ٥٧٤ إذ لاداعى الباء . ويعنى الجاحظ أن العرم صفة للأفاعى ،
لا للمراصد . ومراصدها : مكانها .

(٢) فى الأصل : « منقطة » ، تحريف . وفى المخصص (٨ : ١١١) : « الحية العرماء
التي فيها نقط سود وبيض . وأنشد :

* رموس الأفاعى فى مرايضها العرم *

(٣) الشجاع : حية عظيمة .

(٤) فى اللسان (عفر ٢٦٤) : « تفرش » ، وفى الأغاني (٧ : ٦٤) : « تفرس » ، لعل
صوابها « تفرش » . والتفرش : التجمع . والخرشاء : جلد الحية وسلخها . وفى
الأصل : « عسامها » ، صوابه من اللسان والأغاني .

وقال ذو الأهدام^(١) :

* تُعْجِلْهَا عَنْ نَهْشِهَا وَالنَّكَزِ^(٢) *

ومن ذلك أَنَّ العَقْرَبَ تَقَعُ في يدِ السَّنُورِ ، فيلعب بها ساعةً من الليل
وهي في ذلك مسترخيةٌ مستخديةٌ لا تضربه . والسَّنانير من الخلق الذي
لا تسرع^(٣) السُّموم فيه .

(مسألة الأفعى للقائض والراعى)

وربما باتت الأفعى عندَ رأسِ الرَّجُلِ وعلى فراشه فلا تنهشه .
وأكثرُ ما يُوجَدُ ذلك من القائِضِ^(٤) والراعى . قال الشاعر^(٥) :
تبيتُ الحَيَّةُ النَّضْمَاضُ مِنْهُ مَكَانَ الْحَبِّ سَمِيعَ السَّرَارِ^(٦)
قال : الحَبُّ : الحبيب^(٧) . والنضمناض من الحيات : الذي يحرك

(١) ذو الأهدام ، هو متوكل بن عياض بن حكم بن طفيل ، ويسمى المتوكل الكلابي .
وهو كذلك لقب لنويفع ، أو نافع بن سودة الضبابي ، وقد هجا كل منهما
الفرزدق بشعر ، فرد عليهما الفرزدق بنقيضة طويلة ، في النقائض . وانظر المؤلف
١٧٩ ومعجم المرزباني ٤١٠ والقاموس المحيط .

(٢) نكزته الحية : لسته بأنفها . والنكاز : ضرب من الحيات ينكز بأنفه ولا
يعض بفيه . في الأصل : « والمنكر » .

(٣) س : « تسرح » ، وليست هناك .

(٤) القائِض : الصائد . ط : « القاص » ، صوابه في س ، ه .

(٥) هو الراعى الشاعر ، كما في اللسان (حب ، نضض) وأملى القائل (٢ : ٢٣)
والاشتقاق ٣٠٨ من تحقيق .

(٦) كذا . وصواب الرواية : « يستمع السرارا » . انظر المصدرين المتقدمين
والمختصص (٤ : ٤٣ ، ٨ : ١١٠) .

(٧) وقيل الحب ، هنا : القرط . عن الأصمعي أنه سأل جندل بن عبيد الراعى ، عن
معنى قول أبيه الراعى :

تبيت الحية النضمناض منه مكان الحب يستمع السرارا

ما الحب ؟ فقال : القرط . فقال : اخذوا عن الشيخ فإنه عالم . وقال صاحب

العين : « الحب والحباب : القرط من حبة » .

لسانه . وعن عيسى بن عمر قال : قلتُ لذي الرُّمَّة : ما النضناض ؟
فأخرجَ لسانه يحرِّكه (١) .

ولمَّا يصف القانصَ وأنه يبيت بالقفر . ومثله قولُ أبي النجم (٢) :
تَحْكِي لَنَا الْقَرْنَاءُ فِي عِرْزِهَا جَرَى الرَّحَى تَجْرَى عَلَى ثِفَالِهَا (٣)
العِرْزَال (٤) : المكان .

وفي ذلك يقول أبو وَجْزة (٥) :
تَبِيتَ جَارَتَهُ الْأَفْعَى وَسَامِرَهُ رُمْدٌ بِهِ عَاذِرٌ مِنْهُنَّ كَالْجَرْبِ (٦)
وقوله : رُمْدٌ (٦) ، يريد البعوض . وعاذر : أثر (٧) .

(قصة في مسألة الأفعى)

قال : وبات يحيى بن مناقش مع دارم الدارمي ، فلما أصبح يحيى

(١) في المخصص : « أبو حاتم : قيل لذي الرمة : وما الحية النضناض ؟ فحرك لسانه في فيه ، يديره إدارة خفيفة : يحكيه » .

(٢) ويروي للأعشى : كما في اللسان .

(٣) الحية القرناء : التي لها لحيتان في رأسها كأنهما قرنان ، وأكثر ما يكون ذلك في الأفاعي . هـ : « الفرما » س : « الفرما » ط : « الغروال » ، وهو تصحيف ما أثبت من اللسان (عززل ، قرن) . و « لنا » هي في ط : « بها » وفي اللسان : « له » . و « عززالها » بكسر العين بعدها راء ساكنة وزاى . وفي الأصل : « غروالها » تصحيفه من اللسان . و « جرى » مفعول « تحكى » . وثفال الرحى : الجلد يبسط تحتها ليقطع الطحين من التراب .

(٤) في الأصل : « الغروال » تحريف . وفي اللسان : « عززال الحية : جحرها » .

(٥) في الأصل : « أبو وجرة » بالراء ، وإنما هو بالزاي المعجمة . وقد تقدمت ترجمته في (١ : ٩٦) . وانظر أيضاً المعارف ٢١٥ والأغاني (١١ : ٧٥) .

(٦) في الأصل : « ريد » بالياء ، صوابه من (٥ : ٤٠٥) .

(٧) العاذر : أثر الجرح . كما في اللسان .

رأى بينهما أفعى مستوية ، فوثب يحيى ليقتلها ، فقال له دارم . قد أعتقتها
وحررتها ! ولم تقتلها وهي ضجيعتى من أول الليل ؟ فقال يحيى :
أعوذُ بربى أن تُرى لى صَحبَتى يُطيفُ بنا ليلاً مُحَرَّرُ دارم .
من الحرس لا ينجو صحيحاً سليمها وإن كان معقوداً بحلى التمام^(١)

(مسالة العقارب للناس)

والعقاربُ فى ذلك دون الحيات ، إلا الجرارات ، فإنها ربما باتت
فى لحافِ الرَّجُلِ الليلةَ بأسرها ، وتكونُ فى قبضه عامّة يومها ، فلا تلمسه .
فهى بالأفعى أشبه .

فأما سائرُ العقارب فإنها تقصدُ إلى الضرر^(٢) ، فإذا ضربتُ إنساناً فوّت^{٧٣}
كما يصنع المسىءُ الخائفُ للعقاب^(٣) .

والعقرب لا تضرب الميتَ ولا المغشى عليه ، ولا النائم إلا أن يحرك
شيئاً من جسده ، فإنها عند ذلك تضربه .

(مسالة العقارب للخنفس والحيات)

ويقال إنها تأوى مع الخنافس وتسلمها ، ولا تصادق من الحيات
إلا كلُّ أسودٍ ساليخ .

(عقارب نصر بن الحجاج)

وحدث أبو إسحاق المكي قال : كان فى دار نصر بن الحجاج السلمي

(١) السليم : اللديغ . وأراد معقوداً به حلى التمام ، فقلب .

(٢) فى الأصل : « الصوت » .

(٣) ط : « العقارب » ، صوابه فى س ، هـ .

عقاربُ إذا لَسَعَتْ قَتَلَتْ ، فَدَبٌ ضَيْفٌ لَهم على بعضِ أَهلِ الدَّارِ فَضَرَبَتْهُ
عَقْرَبٌ على مِذاكِيرِهِ ، فَقَالَ نَصْرٌ يَعْزُّضُ بِهِ :
وَدَارِي إِذَا نَامَ سَكَّانُهَا أَقَامَ الحُدُودَ بِهَا العَقْرَبُ
إِذَا غَفَلَ النَّاسُ عَنْ دِينِهِمْ فَإِنْ عَقَرَبَهَا تَضْرِبُ^(١)
قَالَ : فَأَدْخَلَ النَّاسُ بِهَا حَوَاءً ، وَحَكَّوْا لَهُ شَأْنَ تِلْكَ العَقَارِبِ ،
فَقَالَ : إِنْ هَذِهِ العَقَارِبُ تَسْتَقِي مِنْ أَسْوَدَ سَالِحٍ . وَنَظَرَ إِلَى مَوْضِعٍ فِي الدَّارِ
فَقَالَ : احْفَرُوا هَاهُنَا . فَحَفَرُوا عَنْ أَسْوَدَيْنِ : ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَلِلذَّكَرِ خُصِيَّتَانِ
وَرَأَوْا حَوْلَ الذَّكَرِ عَقَارِبَ كَثِيرَةً فَقَتَلُوهَا .

(حَدِيثُ عَقْرَبٍ وَالْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ)

قَالَ : وَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ حِينَ رَآهُ عَقْرَبٌ بِالشَّعْرِ^(٢) ، وَقِيلَ
لِسُكْلٍ وَاحِدٍ مِنْهُمَا : لَسْتُ فِي شَيْءٍ حَتَّى تَغْلِبَ صَاحِبِكَ . فَقَالَ الْفَضْلُ :
قَدْ تَجَرَّ العَقْرَبُ فِي سَوْقِنَا^(٣) لَامَرَّحِبًا بِالْعَقْرَبِ التَّاجِرِ

(١) فِي الْمَحَاسِنِ وَالْأَضْدَادِ ١٧١ : « فَإِنْ عَقَرَبْنَا تَغْضَبُ » . وَالْقِصَّةُ فِيهِ وَفِي مُحَاضِرَاتِ
الرَّاعِبِ (٢ : ١١٥) مِخَالَفَةٌ لِمَا هُنَا . وَنَقَلَ الدِّمِيرِيُّ مَا أَثْبَتَ الْجَاحِظُ هُنَا . وَزَادَ بَعْدَ
هَذَا الْبَيْتِ :

فَلَا تَأْمَنَنَّ سَرَى عَقْرَبٍ بَلِيلٍ إِذَا أَذْنَبَ الْمَذْنِبُ
(٢) عَقْرَبٌ هَذَا ، كَانَ تَاجِرًا مِنْ تِجَارِ الْمَدِينَةِ ، ضَرَبَ بِهِ الْمَثَلَ فِي الْمَطْلِ وَالتَّسْوِيفِ ،
فَقَالُوا . « أَمَطَلُ مِنْ عَقْرَبٍ » وَ : « أَتَجَرَّ مِنْ عَقْرَبٍ » . وَكَانَ الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ
ابْنُ عَتَبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ ، مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ اقْتِضَاءً ، فَاتَّفَقَ أَنْ عَقْرَبًا عَامِلُ الْفَضْلِ ،
وَمَاطِلُهُ ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ الْفَضْلُ مِغَالَبَتَهُ ، حَتَّى اضْطُرَّ إِلَى هِجَاءِ عَرَضِهِ بِالشَّعْرِ الْآخِ .
هُ : « رَاهِنَتُهُ عَقْرَبٌ » ، وَإِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ كَمَا أَسْلَفْتُ . انْظُرِ اللِّسَانَ (عَقْرَبٌ)
وَأَمْثَالَ الْمِيدَانِيِّ (١ : ١٣٣) وَعَيُونَ الْأَخْبَارِ (١ : ٢٥٦) وَالْمَحَاسِنِ
وَالْمَسَاوِي (١ : ٢٢٨) . وَ « عَقْرَبٌ » إِذَا سَمِيَ بِهِ رَجُلٌ جَازَ صَرْفُهُ وَمَنْعُهُ .
وَانْظُرِ الاسْتِدْرَاكَاتِ .

(٣) فِي اللِّسَانِ وَأَمْثَالَ الْمِيدَانِيِّ وَشَرَحَ شَوَاهِدُ الشَّافِيَّةِ ٦٥ : « قَدْ تَجَرَّتْ فِي سَوْقِنَا عَقْرَبٌ » .

كلَّ عَدُوٍّ يُتَّقَى مُقْبِلًا وَعَقْرَبٌ تُخْشَى مِنْ الدَّابِرَةِ (١)
كلُّ عَدُوٍّ كَيْدُهُ فِي اسْتِهِ فَعَبْرٌ ذِي أَيْدٍ وَلَا ضَائِرَةٍ (٢)
قَدْ ضَاقَتِ الْعَقْرَبُ وَاسْتَيْقَنَتْ أَنَّ لَادُنْيَا وَلَا آخِرَهُ
إِنْ عَادَتِ الْعَقْرَبُ عُدْنَا لَهَا وَكَانَتِ النَّعْلُ لَهَا حَاضِرَهُ

(من سمي بعقرب)

واسم أم حارثة بن بدر (٣)، عقرب . وآل أبي موسى يكتنون بأبي العقارب
ومن هؤلاء الذين يكتنون بالعقرب : ابن أبي العقرب الليثي الخطيب
الفصيح ، الراوية .

(حديث وخبر في العقرب)

وَرَوَوْا أَنَّ عَقْرَبًا لَسَعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « لَعَنَهَا اللَّهُ ،
فَإِنَّهَا لَا تُبَالَى مَنْ ضَرَبَتْ ! » .

وقال الضبي : أنا عقرب ، أضر ولا أنفع .

(الجرارات)

وكان الرَّجُلُ تَلْسَعُهُ الْجَرَّارَةُ (٥) بِعَسْكَرٍ مُكْرَمٍ (٦) ، أَوْ بِجَنْدِيسَابُور ،

(١) وكذا الرواية في عيون الأخبار . ورواية اللسان والأمثال : « وعقرب يخشى » .
(٢) الأيد : القوة . و : « ضائرة » أي غير ذي ضائرة . والضائرة : ما قصير ، أي
تضر . ورواية عيون الأخبار : « لغير ذي كيد ولا نائرة » . والنائرة : الحقد
والعداوة ، والكائنة تقع بين القوم .

(٣) سبقت ترجمته في (٧٧ : ٣) .

(٤) في (٣٥٣ : ٥) : « القيني » .

(٥) الجرارة : ضرب من العقارب الصغار تجرر بأذنابها . ط : « الجرادة » ،
صوابه في س ، هـ .

(٦) بضم الميم وفتح الراء ، بلد من بلاد خوزستان . منها أبو هلال العسكري .

فتقتله ؛ وربما تناثر لحمه ، وربما تعفن وأتت ، حتى لا يدنو منه أحدٌ إلا وهو مُحْجَرٌ أنفه^(١) ، مخافة إعدائه ، ولا سيما إن كان قد نال من اللحم وهو لا يعلم أنَّ الوخْزَةَ التي وُخِزَها كانت من جرَّارة .

٧٤ وكانوا إذا شعروا بها دَعَوْا حِجَاماً ، يحجِّم ذلك الموضع ويمصُّه ، قبل أن يتفشى فيه السمُّ ويدخل تلك المداخل . فكان الحِجَام لا يجيئهم حتى يقبضَ دنائيرٌ كثيرة . وإنما كانوا يجودون له بذلك ؛ لما كان لصاحبهم في ذلك من الفرج ، وما على الحِجَام في ذلك من الضرر . وذلك أن وجهه ربما اسماًً واربداً ، وربما عطلت مقاديم أسنانه وتوجَّعت عليه ، فيلقى من ذلك الجهد ، وذلك لما كان يتصل إلى فيه من بُخار الدَّم ، ومن ذلك السمُّ المخالط لذلك الدَّم . ثمَّ إنَّهم بعد ذلك حشوا أذنان^(٢) المهاجم بالقطن ، فصار القطن لا يمنع قوَّة المصِّ والجذب ، ولم يدعه يصل إلى فم الحِجَام . ثمَّ إنَّهم بعد مدَّة سُنِّيَّات^(٣) أصابوا نبتة في بعض الشعب^(٤) ، فإذا عالجوا الملسوع بها حسنت حاله .

والجرَّارات تألف الأخواء^(٥) التي تكون بحضرة الأتاتين^(٦) ، وتألف الحشوش^(٧) والمواضع النارية . وسمها نار .

(١) خزر أنفه : غطاه .

(٢) ط : « أذباب » ، صوابه في س ، هـ .

(٣) جمع سنَّة : تصغير سنة .

(٤) الشعب : جمع شعبة بالضم ، وهي المسيل في الرمل ، أو التلعة الصغيرة .

(٥) الأخواء : جمع خوى ، بالتحريك والقصر ، وهو اللين من الأرض . وفي الأصل : « الأخواء » بالمهمل !

(٦) الأتاتين : جمع أتون ، بالفتح وتشديد التاء المضموية ، وهو أخدود النار ، أو موقدها . وفي الأصل : « الأتاتين » بنونين بينهما ياء ، محرف .

(٧) الحشوش : مواضع قضاء الحاجة ، جمع حش بالضم .

(قول ماسرجويه في العقرب)

وقيل لماسرجويه : قد نجدُ العقربَ تلسعُ رجلينِ فتقتلُ أحدهما
ويقتلها الآخرُ^(١) ، وربما نجت ولم تمت ، كما أنه ربما عقرت ولم تفت ،
ونجدُها تضربُ رجلين في ساعةٍ واحدة ، فيختلفان في سوء الحال . ونجدُها
تختلف مواضعَ ضررها على قدر الأغذية ، وعلى قدر الأزمان ، وعلى قدر
مواضعِ الجسد . ونجدُ واحدًا يتعالج بالأسوس^(٢) فيحمده ، ونجد آخرَ يدخلُ
يده [في^(٣)] مدخلٍ حارٍّ من غير أن يكون فيه ماءٌ فيحمده ، ونجد آخرَ
يعالجه بالنخالة الحارة فيحمدها ، ونجد آخرَ يحجم ذلك الموضعَ فيحمده ،
ونجد كلَّ واحدٍ من هؤلاء يشكو خلافَ ما يوافقه ، ثم إذا نجدُه يعاود ذلك
العلاج عند لسعةٍ أخرى فلا يحمدُه !

قال ماسرجويه : لما اختلفت السُّمومُ في أنفسها بالجنس والقدر ،
وفي الزَّمان ، وباختلاف ما لاقاه^(٤) اختلفَ الذي وافقه على حسب
اختلافه .

وكان يقول : إنَّ قولَ القائل في العقرب : شرُّ ما تكون حين تخرج
من جحرها ، ليس يعنون من ليلتها - إذ^(٥) كان لا بدَّ من أن يكون لها

(١) انظر الاستدراكات .

(٢) الأسوس ، كصبور : الترياق الذي يعالج به الملسوع والملدوغ . ومنه قول كثير :
فقد أصبح الراضون إذ أنتم بها مسوس البلاد يشكون وبألها

ولفظ الترياق مأخوذ من اليونانية : Thériaké . وهذه مشتقة من : Thérion

وهو اسم لما ينهش من الحيوان كالأفاعي ونحوها . انظر مفاتيح العلوم ١٠٣
وقاموس القرن العشرين ١٠٠٦ . وفي الأصل : « بالأسوس » تحريف .

(٣) الزيادة من س ، هـ .

(٤) ط ، هـ : « ما لقيه » ، صوابه من س .

(٥) في الأصل : « وإذا » .

نصيبٌ من الشدة — ولكنهم إنما يعنون : في أوّل ما تخرج من جحرها عند استقبال الصّيف ، بعدَ طولِ مُكثِّها في غير عالمِنَا وغدائِنَا وأنفاسِنَا ومعايشِنَا .

(زعم العامة في العقرب)

والعامة تزعم أنها شرٌّ ما تكون إذا ضربت الإنسان وقد خرج من الحمام ؛ لتفتح المسام^(١) ، وسعة المجارى ، وسخونة البدن . ولذلك صار سمها في الصيف أشدّ . هذا قولُ أبي إسحاق . كأنّه كان يرى^(٢) أنّ الهواء كلما كان أحرّ ، وكان البدنُ أسخن كان شرّاً .

ونحن نجدهم يصرون من لسعتها اللّيل كلّهُ ، وإذا طلعت الشمسُ سكن ما بهم . فإذا بقيت فضلة من تلك الجارحة في الشمس فما أكثر ما يسكن . ٧٥ وسمومها بالليل أشدّ ، إلّا أن يزعم أنّ أجواف الناس في برد الليل أسخن وفي حرّ النهار أقر .

(الدّساس)

وزعم لي بعضُ العلماء^(٣) ثمن قد روى السّكتب ، وهو في إرثٍ منها ، أنّ الحية التي يقال لها : الدّساس^(٤) ، تلد ولا تبيض ، وأنّ أنثى النّور لم تضع نمرأ قط إلّا ومعه أفعى .

(١) س : « في تفتح المسام » وهي عبارة جيدة .

(٢) ط : « يروى » ، صوابه في س ، هـ .

(٣) ط : « وزعم لي في بعض العلماء » ، والوجه حذف « في » كما جاء في س ، هـ .

(٤) الدساس : حية خبيثة . وفي الديميري : « الدساساة بفتح الدال : حية صماء تندس =

(زعم استحالة الكمأة إلى أفاع)

والأعرابُ تزعم أنَّ الكمأة تبقى في الأرض فتُمْطَرُ مَطَرَةً صَيفِيَّةً ،
فيستحيل بعضها أفاعى . فسمِعَ هذا الحديثَ مني بعضُ الرؤساءِ الطَّائِيينَ (١) ،
فزعم لي أنه عاينَ كمأةً ضخمةً فتأملها ، فإذا هي تتحركُ ، فنهض إليها
فقلَّعها ، فإذا هي أفعى . هذا ما حَدَّثته عن الأعراب ، حتَّى برئت إلى الله
من عيب الحديث .

(معارف في الحيات عن صاحب المنطق)

وزعم صاحب المنطق أنَّ الوزغة والحياتِ تأكلُ الأحمَ والعُشبَ .
وزعم أنَّ الحياتِ أظهرُ كلباً من جميع الحيوان ، مع قلَّة شربِ الماء .
وأنَّ الأسدَ مع نهمه قليلُ شربِ الماء . قال : ولا تضبطُ الحياتُ أنفسها إذا
شمَّت ريحَ السَّذاب ، ورَبَّما أصطيدتْ به . وإذا أصابوها كذلك وجدوها
وقد سكرت .

قال : والحيات تبتلع البيض ، والفراخ ، والعُشب .

وزعم أنَّ الحياتِ تسلخُ جلودَها في أوَّل الربيع ، عند خروجها من
أعشَّتها (٢) وفي أوَّل الخريف .

= تحت التراب اندساساً ، أى تندفن . وفي اللسان : « أبو عمرو : الدساس من
الحيات الذى لا يدرى أى طرفيه رأسه ، وهو أخبث الحيات ، يندس في التراب
فلا يظهر للشمس . وهو على لون القلب من الذهب المحلى . وانظر لولادة الدساس ، ما في
الاستدراكات . ط : « أن حية يقال لها الدساس » ، وأثبت ما في س ، ه .

(١) جمع طائى ، نسبة إلى قبيلة طيى على الشوذ . س : « الكمايين » ه :
« الكماين » . وكنت حسبها : « الكيائين » لكن وجدت تعقيب
أجأظ لايسف بهذا .

(٢) المعروف في جمع العش : عشاش وأعشاش وعششة - كعنية - فهذا جمع رابع . =

وزعم أن السِّلَخَ يبتدئ من ناحية عيونها أولاً . قال : ولذلك يظنُّ بعض من يُعانيها^(١) أنها عمياء .

وهي تسَلَخُ من جلودها في يوم وليلةٍ من الرأس إلى الذَّنْبِ ، ويصير داخل الجلد هو الخارج ، كما يُسَلَخُ الجنينُ من المشيمة ؛ وكذلك^(٢) جميع الحيوان المخزَّز^(٣) الجسد ، وكلُّ طائرٍ لجناحه غِلافٌ مثل الجُعَلِ والدُّبْرِ^(٤) وكذلك السَّرطان ، يسَلَخُ أيضا ، فيضعف عند ذلك عن المشي . وتسَلَخُ جلودها مراراً .

(سَلَخُ الحيوان)

والسِّلَخُ يصيب عامة الحيوان : أمَّا الطير فتحسيرها^(٥) ، وأمَّا ذوات الحوافر فسَلَخُها عقائيقها^(٦) ، [وسَلَخُ الإبل طرحُ أوبرها ، وسَلَخُ الجراد انسلاخ جلودها^(٧)] ، وسَلَخُ الأيائل إلقاء قرونها ، وسَلَخُ الأشجار إسقاط ورقها

= ولعل من غير المعهود استعمال العش لجحر الحية ؛ إذ العش خاص بالطائر . لكن الجاحظ جعله هنا للحية ، كما جعله أبو حيان التوحيدى للشعلب . قال في الإمتاع والمؤانسة (١ : ١٧١) : « الشعلب يهينُ عشه ووكره ، ذا سبعة أجمرة » . فقد زاد على الجاحظ باستعمال (الوكر) للشعلب أيضاً .

(١) بتقديم النون على الياء ، أى يقوم عليها ويهتم بشأنها . وفي القاموس : « ما يعانون ما لهم : ما يقومون عليه » .

(٢) ط ، هـ : « ولذلك » صوابه في س .

(٣) كذا في ط ، هـ . وفي س : « المخزز » .

(٤) الدبر ، بفتح الدال ويكسر ، المراد به هنا أولاد الجراد . اللسان (دبر ٣٦٠) .

(٥) التحسير : سقوط ريش الطائر . ط : « فحسيرها » س ، هـ : « فحسرها »

والصواب ما أثبت . وانظر ما سبق في (٣ : ٥١٩ س ١٠) .

(٦) العقائيق : جمع عقيقة ، وهي شعر المولود .

(٧) هذه التكلة من س ، هـ .

(أصل الأسروع)

والأسروع : دويبة تنسلخ فتصير فراشة . وقال الطرمّاح شعراً :
وتجرّد الأسروع واطرد السفا وجرت بجاليها الحذاب القرّدة^(١)
وانسلب حيات الكتيب وأقبلت ورق الفراش لما يشب الموقدة^(٢)
يصف الزمان .

والدعموص ينسلخ ، فيصير إما بعوضة وإما فراشة .

(انسلاخ البرغوث)

وزعم ثمامة عن يحيى بن برمك^(٣) أن البرغوث ينسلخ فيصير بعوضة ،
وأن البعوضة التي من سلخ دعموص ربما انسلخت^(٤) برغوثاً .
والنمل تحدث لها أجنحة ويتغير خلقها ، وذلك هو سلخها . وهلكها
يحين عند طيرانها .

٧٦

(١) الجالان : الجانبان . ط ، هـ : « بجاليها » س : « بجاليها » ، وصوابه ما أثبت
من الديوان ص ١٤١ . والحذاب : جمع حذب ، وهو ما أشرف من الأرض
وغلظ . والقردد : المرتفعة الغليظة . وفي الأصل : « الجراد القرد » ، صوابه من
الديوان وما سيأتي ص ٢٥٦ . وقبل هذا البيت :

حتى إذا صهب الجنادب ودعت نور الربيع ولاهن الجند

(٢) يقول : أقبل ذلك الفراش الذي في لونه مسود وبياض ، إلى النار التي
يشبها موقدها .

(٣) نسبه إلى جلده ، وهو يحيى بن خالد بن برمك ، سيد البرامكة ، وكان مؤدب الرشيد
ومعلمه ، وكان الرشيد يدعو ييا أبي ، فلما ولي هارون الخلافة دفع إليه التمام
وقلده أمره . وكان جواداً حسن السياسة . ولما نكب للرشيد البرامكة قبض عليه وسجن
بالرقة إلى أن مات ، سنة مائة وتسعين .

(٤) في الأصل : « تصلحت » ، والوجه فيه ما أثبت .

(انسلاخ الجراد)

والجراد ينسلخ على غير هذا النوع . قال الرَّاجِزُ (١) :

« مَلْعُونَةٌ تَسْلُخُ لَوْنًا لَوْنَيْنِ » (٢) *

(أثر البلدان في ضرر الأفاعى ونحوها)

قال : وعضُّ السَّباعِ ذواتِ الأربع ، ولدغُ الهوامِّ ، يختلفُ بقدر اختلافِ البلدان ؛ كالذى يبلغنا عن أفاعى الرَّمْلِ (٣) ، وعن جَرَّاراتِ قرى الأهواز ، وعقارب نصيبين (٤) ، وثعابين مصر ، وهِنْدِيَّاتِ (٥) الحرايات .

وفي الشَّبَثانِ (٦) ، والزَّناير ، والرَّثِيَلَاتِ (٧) ما يقتل . فأما الطَّبُوعُ (٨) فإنه شديدُ الأذى . وللضَّمجِ (٩) أذى لا يبلغُ ذلك .

(١) هو عوف بن ذروة ، كما في نوادر أبي زيد الأنصاري ص ٤٨ . وقد روى من الرجز تسعة أبيات .

(٢) رواية النوادر وما سياتى في (٥ : ٥٥٨) : « تسلخ لونا عن لون » . وقبل البيت :
* من كل سقاء القفا والحدين *

(٣) الرمل : موضع بعينه ، كما في ياقوت .

(٤) نصيبين : مدينة من بلاد الجزيرة ، كانت عندها وقعة مشهورة . وقد عرفت بكثرة عقاربها . انظر ما كتبت في (٣ : ٣٥٣) . وفي الأصل : « الصين » ، وهو تحريف .

(٥) الهنديات : ضرب من الأفاعى ، سبق ذكرها في ١٢١ . ط ، س : « هنديات » وأثبت سوابه من ه .

(٦) الشبثان : جمع شبت بالتحريك ، وهو ضرب من الرثيالات .

(٧) الرثيالات : نوع من العناكب قتال .

(٨) الطبوع ، كتور : دوية ذات سم ، أو من جنس القردان ، لمضته ألم شديد .

(٩) الضمج : دوية منتنة قلسع ، تسمى في مصر بالبق . وهى : Cimex . وفي الأصل : « الضمخ » بحرفة .

(أقوال لصاحب المنطق)

وقال صاحب المنطق : ويكون بالبلدة التي تسمى باليونانية : « طبقون »
حيّة صغيرة شديدة اللدغ ، إلا أن تعالج بحجر ، يُخرج من بعض قبور
قدماء الملوك .

ولم أفهم هذا ، ولم كان ذلك .

وإذا أكل بعض ذوات السموم من جسد بعضها ، كانت أردأ ما تكون
سما ، مثل العقارب والأفاعي .

قال . والأيّل إذا ألقى قرونها علم أنّه قد ألقى سلاحه ، فهو لا يظهر . وكذلك
إن سمن علم أنّه يُطلب ، فلا يظهر . وكذلك أوّل ما ينبت قرنه يعرضه
للشمس ؛ ليصلب ويجف . وإن لدغت الأيّل حيّة أكل السراطين ؛ فلذلك
نظنّ أنّ السراطين صالحة للديغ من الناس .

قال : وإذا وضعت أنثى الأيّل ولداً أكلت مشيمتها . فيُظنّ^(١) أنّ
المشيمة شيء يتداوى به من علة النفاس .

[قال] : والدبة إذا هربت^(٢) دفعت جرائعها^(٣) بين يديها ، وإن
خافت على أولادها غيبتها ، وإذا لحقت^(٤) صعدت في الشجر وحملت
معها جرائعها .

(١) كذا على الصواب في س . وفي ط ، هـ : « فتظن » . وانظر السطر السابق .

(٢) ط ، س : « والدبة فإنها إذا هربت » . والأوفق حذف الكلمة الثانية
كما في هـ .

(٣) كتبت هذه الكلمة ونظيرتها بدون همز في الأصل . والجراء : جمع جرو :
وهو ولدها .

(٤) يقال لحقه وألحقه : أدركه . وقرئ في القنوت : « إن عذابك الجدد بالكفار »

قال : والفهد إذا عراه الداء الذي يقال له : « خانيق الفهود » أكل العذرة فبرى منه (١) .

قال ، والسباع تشهى رائحة الفهود ، والفهد يتغيب عنها ، وربما فر بعضها منه فيطمع في نفسه ، فإذا أراده السبع وثب عليه الفهد فأكله .

قال : والتمساح يفتح فاه إذا غمه ما قد تعلق بأسنانه ، حتى يأتي طائر (٢) فيأكل ذلك ، فيكون طعاماً له وراحة للتمساح .

قال : وأما السلحفاة فإنها إذا أكلت الأفعى أكلت صغترًا جبليًا . وقد فعلت ذلك مرارًا ، فربما عادت فأكلت منها ثم أكلت من الصعتر مرارًا كثيرة ، فإذا أكثرت من ذلك هلكت .

قال : وأما ابن عرس ، فإنه إذا قاتل الحية بدأ بأكل السذاب ، لأن رائحة السذاب مخالفة للحية ، كما أن سام أبرص لا يدخل بيتاً فيه زعفران .

قال : والكلاب إذا كان في أجوافها دود أكلت سنبل القمح . قال : ونظن أن ابن عرس يحتال للطير بحيلة الذئب للغنم ؛ فإنه يذبها (٣) كما يفعل الذئب بالشاة .

قال : وتتقاتل الحيات المشتركة في الطعام .

= ملحق بكسر الحاء ، أى لاحق . قال صاحب القاموس : « والفتح أحسن ، أو الصواب » . ط ، هـ : « ألحقت » وهى الة الضعيفة . وأثبت ما فى س .

(١) وجاء فى كتاب الإمتاع والمؤانسة (١ : ١٦٧) : « الفهد إذا أكل العشب التى تسمى خائقة الفهود ، يطلب زبل الإنسان فىأكله ويتعالج به » .

(٢) هذا الطائر هو المعروف بالقطقاط ، وهو أرقط صغير فى رأسه شوكة ، إذا أطبق التمساح فه عليه نخسه بها فيفتحه .

(٣) انظر ما سياتى فى (٥ : ٣٢٠) .

وزعم أن القنافذ لا ينحى عنها شيء من جهة الريح وتحوّلها وهبوبها ، ٧٧
وأنة كان بقسطنطينية رجل يُندّم ويُعظّم ؛ لأنه كان يعرف هبوب
الريح ويُخبرهم^(١) بذلك . وإنما كان يعرف الحال فيها بما يرى من
هيئة القنافذ .

(العيون الحمر)

والعيون الحمر للعرض المقارق ، كعين الغضبان ، وعين السكران ،
وعين الكلب ، وعين الرميد .

(العيون الذهبية)

والعيون الذهبية : عيون^(٢) أصناف البزاة من بين العقاب^(٣) إلى الزرق .

(العيون التي تسرج بالليل)

والعيون التي تسرج بالليل : عيون الأسد ، وعيون النور ، وعيون
السنانير ، وعيون الأفاعي^(٤) .

(خبر وشعر في العين)

قال أبو حية :

غضابٌ يُثِيرُونَ الدُّحُولَ ، عِيُونُهُمْ كَجَمْرِ الْغَضَى ذَكِيَّتُهُ فَتَوَقَّدَا^(٥)

(١) ط ، هـ : « ويخبر » .

(٢) ط ، هـ : « وعيون » ، والصواب حذف الواو كما في س .

(٣) ط ، هـ : « العقارب » ، صوابه في س .

(٤) سبق مثل هذا الكلام في ص ١١٦ ، وميأتى مثله في (٥ : ٣٢٩) .

(٥) الدحول : جمع دخل بالفتح ، وهو النار . س ، هـ : « للدخول » صوابه =

وقال آخر (١) :

وَمَدَجَّجَ يَسْعَى بِشِكَّتِهِ حَمْرَةً عَيْنَاهُ كَالْكَلْبِ (٢)

رجع بالكلب إلى صفة المدجج .

وقال معاوية لصُحَّارِ العبدى : يا أحمَر ! قال : والذهب أحمَر ! قال :

يا أزرق ! قال : واليازى أزرق !

وأنشدوا :

وَلَا عَيْبَ فِيهَا غَيْرُ شُكْلَةٍ عَيْنِهَا

كَذَاكَ عِتَاقُ الطَّيْرِ شُكْلُ عَيْنِهَا (٣)

وقال آخر :

وَشُكْلَةُ عَيْنٍ لَوْ حُيِّتَ بِبَعْضِهَا

لَكُنْتُ مَكَانَ الْعَيْنِ مَرَأًى وَمَسْمَعاً (٤)

= في ط . وذكى النار : أتى عليها ما تذكو به وتزيد اشتعالا . ط ، هـ : « ذكينه » ، ووجهه ما أثبت من س .

(١) انظر ما سبق في (١ : ٣١٣) .

(٢) المدجج ، بكسر الجيم وفتحها ، كما في المخصص (٨ : ٩٥) نقلا عن العين . وأراد به القنفذ ، لما عليه من الشوك . المخصص واللسان (دجج) . والشكة : السلاح . ورواية الكامل ٦٠٩ ليسك :

ومدججا يسعى بشكته حمرة عيناه كالكلب

وهى الصحيحة ؛ لأن قبله في الأغاني (١٢ : ٥٠) :

إذ لا ترى إلا مقاتلة وعجانسا يرفلن بالركب

(٣) يروى : « غير شهلة عينها » كما في اللسان (شكل) ، وانظر تحقيقاً دقيقاً فيه . وسيماد البيت في (٥ : ٣٣٠) .

(٤) هـ : « لو خييت » ، صوابه في ط ، س ورسائل الجاحظ ١٩٦ الرحمانية . والعين ، هنا : الشمس . ورواية الرسائل : « مكاف النجم » .

(بعض ألوان العيون)

ومن العيون المغرَّب^(١) ، والأزرق ، والأشكَل^(٢) ، والأسجر^(٣) ،
والأشهل^(٤) ، والأخيف^(٥) . وذلك إذا اختلفا .

(عين الفأر)

وعين الفأرة كَحَلَاء ، وهى أبصرُ بالليل من الفرس والعقاب .

(شعر فى حمرة العينين وضيائهما)

وفى حمرة العينين وضيائهما يقولُ محمدُ بنُ ذؤيبِ العُمانيُّ ، فى صفة
الأسد :

أَجْرًا مِنْ ذِي لِبْدَةٍ كَهَمَّاسٍ^(٦) عَصَنَفَرٍ مَضِبَّرٍ رَهَّاسٍ^(٧)

(١) المغرب ، بفتح الراء : الأبيض . هـ : « الغرب » س : « العذب » ،
صوابه فى ط .

(٢) الشكلة ، بالضم : حمرة فى بياض العين .

(٣) السجرة ، بالضم : مخالطة الحمرة لبياض العين ، فهى نحو الشكلة . ط ، هـ :
« الأسحر » بالحاء ، صوابه فى س .

(٤) الشهلة ، بالضم : الحمرة فى سواد العين .

(٥) الخيف ، بالتحريك : زرقه إحدى العينين وسواد الأخرى . هـ : « والأخنف »
ط : « والأخف » س : « والأخسف » بإهمال الياء . وصواب أولئك
ما أثبت .

(٦) الهماس : الشديد الغمز بفرسه .

(٧) المضبر : الموثق الخلق . وفى الأصل : « مضبر » محرف . والرهاس : الذى يطأ
الأرض وطأاً شديداً .

مَنَعَ أَخْيَاسَ إِلَى أَخْيَاسِ^(١) كَأَنَّمَا عَيْنَاهُ فِي مِرَاسِ^(٢)

* شَعَاعٌ مِقْبَاسٍ إِلَى مِقْبَاسِ^(٣) *

وقال المرار :

* مِثْلُ مَا وَقَدْ عَيْنِيهِ الثَّعِيرُ^(٤) *

أصوات خشاش الأرض

نحو الضب ، والورل ، والحية ، والقنفذ ، وما أشبه ذلك

يقال للضب والحية والورل : فَحَّ يَفْحُ فَحِيحاً . وقال رؤبة :

٧٨ فِحِّي فَلَا أَفَرِّقُ أَنْ تَفِحِّي^(٥) وَأَنْ تَرَحِّيْ كَرَحِّي الْمَرَحِّي^(٦)

أَصْبَحَ مِنْ نَحْنَحٍ وَأَحَّ^(٧) يَحْكِي سَعَالَ النَّشْرِ الْأَبَحِ^(٨)

(١) أخياس : جمع خيس ، بالكسر ، وهو الأجمة يكون فيها الأسد . وإلى هنا بمعنى

مع . ط : « أجناس إلى أجناس » س : « أخياس إلى أجناس » صوابهما في هـ .

(٢) أي في أثناء ممارسته الصيد .

(٣) المقياس : شعلة النار تقتبس . وإلى ، بمعنى : مع .

(٤) في الأصل : « كأنما وقد » ، وصواب روايته من المفضليات ٨٧ . وصدره :

* حنق قد وقدت عيناه لي *

(٥) أفرق : أخاف . والفرق ، بالتحريك : الخوف . ورواية اللسان : « يا-ي

لا أفرق » ، أي يا حية .

(٦) يقان رحت الحية ترسو ، وترحت ترحى : إذا استدارت . وأما رحت ترحى

بالتشديد فلم أره في معجم ، وهذا لا ينفي صوابه . والمرحى : الذي يسوى الرحى .

وهذا البيت وما قبله سيعادان في (٦ : ٤٢) ، ورواية اللسان : « أو أن » .

(٧) أح يؤح : إذا سعل . وكلمة « أصبح » هي في الأصل : « أصبح » تحريف .

ورواية اللسان : « يكاد من تنحج وأح » . قال : « يصف رجلاً بجحلاً إذا

سئل تنحج وسعل » .

(٨) النشر ، محركة : المنن القوى . والأبح : السنى غلظ صوته من داء .

ورواية اللسان :

* يحكي سعال النزق الأبح *

قال : الفحيح : صوتُ الحية من فيها . والكشيش والتشيش^(١) :
صوتُ جلدها إذا حكّت بعضه ببعض . قال الراجز^(٢) في صفة الشَّخْب
والجانب :

حلبت للأبرشِ وهر مُغضٍ حمراء منها شخبَةٌ بالخص^(٣)
ليست بذات وبرٍ مبيضٌ كأنَّ صوتَ شخبها المرفض^(٤)
كشيش أفعى أجمعت لعض^(٥) .

ويقال للضبِّ والورل : كش يكش كشيشا . وأنشد أبو الجراح :
ترى الضبَّ إن لم يرهب الضبَّ غيره يكشُّ له مُستكبراً ويُطاوله^(٦)
باب

من ضرب المثل للربِّ بلِ الداهية وللحي الممتنع بالحية

قال ذو الإصبع العدواني :

عذيرَ الحيِّ مِنْ عَدَوا نَ كانوا حيةَ الأرض^(٧)

-
- (١) في الأصل : « التشيش » ، صوابه من (٦ : ١٣٩) .
(٢) هو ميمون بن قطبة ، كما في تاج العروس (كشش) .
(٣) حمراء : أي لاقة حمراء .
(٤) المرفض : الذي يتتابع سيلانه وترشه . وفي الأصل : « كأن شخب صوتها »
صوابه في المخصص (٨ : ١١٥) والخزانة (٤ : ٧١ بولاق) وأدب الكاتب
١٢٥ والانتصاب ٣٤٥ واللسان (كشش) .
(٥) أجمعت : من الإجماع ، وهو العزم على الشيء . وفي الكتاب : « فاجمعوا أمركم » .
س ، هـ : « جمعت » ، وأثبت ما في ط والمصادر المتقدمة . وبعد هذا البيت :
* فهي تحك بعضها ببعض *
ومثل هذا المعنى قول الآخر في الاقتصاب وأمالى الزجاجة ١٢٠ واللسان (فا) :
كأن صوت شخبها إذا همى صوت الأفاعى في غشى أشخا
(٦) في الأصل : « مستنكرا » صوابه في (٦ : ٦٨ ، ١٣٩) . والبيت لابن ميادة .
(٧) في ثمار القلوب ٤٠٩ : « العرب تقول للرجل المنيع الجانب : حية الأرض » .

بَغَى بِعَظْمُهُمْ ظَلَمًا فَلَمْ يُرْعَ عَلَى بَعْضٍ^(١)
 وفيهم كَانَتْ السَّادَاتُ وَالْمَوْفُونَ بِالْقَرْضِ^(٢)
 يقال : « فلان حَيَّةُ الوادى » : و« ماهو إلا صِلُّ أصلال^(٣) » . والصِّلُّ :
 الداهية والحياة . قال النابغة :

مَآذَا رُزِّنَا بِهِ مِنْ حَيَّةٍ ذَكَرٍ نَضْنَا ضَةً بِالرَّزَايَا ، صِلُّ أَصْلَالٍ^(٤)
 وقال آخر :

صِلُّ صَفًّا تَنْطِفُ أَنْيَابُهُ سِمَامٌ ذَيْفَانٍ مَجِيرَاتٍ^(٥)
 وقال آخر^(٦) :

مُطَرِّقٌ يَرْشَحُ سَمًا ، كَمَا أَطَرَّقَ أَفْعَى يَنْفُثُ السَّمَّ صِلُّ
 ومن أمثالهم : « صَمَّى صَمَامٌ^(٧) » و« صَمَّى ابْنَةُ الْجَبَلِ^(٨) » وهى الحية .

- (١) روايته فى حاشية البحترى ١٦٩ : « بغى بعضهم بعضا * فلم يرعوا » .
 (٢) القرض : ما يتجازى به الناس بينهم من إحسان ، أو إساءة . يقول :
 هم قادرون على مقابلة الإحسان بالإحسان ، والإساءة بمثلها . وفى ذلك
 المروءة ، والقدرة . س : « بالعرض » ، وأثبت ما فى ط ، ه .
 والشعراء ٦٩٠ .
 (٣) ويقال ضل أصلال ، كما فى اللسان (ضلل) والمزهر (١ : ٣٢٣) .
 (٤) رزئنا به : أصبنا . وفى ط ، ه : « رأينا » و س : « رأيت » ، وصوابه
 من اللسان (صلل) وثمار القلوب ٣٢٦ وأمثال الميداني (١ : ٢٤) . من
 حية : يقول : هو حية . والنضناضة : التى تحرك لسانها . أنها ناظرا لفظ الموصوف .
 (٥) تنظف أنيابه : يقطر منها السم . ط : « تنظف » ، صوابه فى س ، ه .
 والسام : جمع سم . والذيفان بالفتح والكسر : السم للناقع .
 (٦) هو تأبط شرا ، كما سبق فى (٣ : ٦٨) والحامسة (١ : ٣٤١) ، وشرحها
 (٢ : ١٦٠ - ١٦١) .
 (٧) صم يصم ، يفتح الصاد فيهما . وصمام كقطام : الداهية . والمثل يضرب للرجل
 يأتى بالداهية . اللسان وأمثال الميداني (١ : ٣٦٢) .
 (٨) ابنة الجبل : الحية . أى لا تجيبى الراقى ودوى على ذلك . يضرب للفريقين إذا أيا
 الصلح ولجا فى الخلاف . أمثل الميداني . رتكون ابنة الجبل أيضاً الداهية العظيمة ،
 والصدى ، أو الصخرة . اللسان (صمم) .

قال السكيت :

إذا لَقِيَ السَّفِيرَ لها ونَادَى بها : صَمَّى ابْنَةَ الْجَبَلِ ، السَّفِيرُ^(١)

(قولهم : جاء بأم الرُّبَيْقِ على أريق)

ومن أمثالهم : « جاء بأم الرُّبَيْقِ على أريق^(٢) » أمُّ الرُّبَيْقِ : إحدى

الحيات . وأريق : أمُّ الطَّبَقِ^(٣) . ضربوا به مثلاً في الدوامي . وأصلها ٧٩

من الحيات قال :

إذا وجدتَ بوادٍ حيةً ذكراً

فاذهبْ ودعني أمارِسُ حيةَ الوادي^(٤)

(١) يقول : إذا لقي السفير السفير ، فأخبر الفاعل . و « لها » و « لها » يرجعان إلى الحرب . اللسان وأمثال الميداني . والمعنى : إذا فشل السفيران المنتدبان - بكسر الدال - للصلح وفض النزاع ، وتركوا الحرب في شدتها لا يستطيعان لها دفعا . في الأصل : « إذا ألقى » ، وتصحيحه من اللسان وأمثال الميداني .

(٢) رواه الفراء : « لقيت منه أم الربيق على وريق » .

(٣) في الأصل : « وأريق الطبق » وهو كلام ناقص . وأم طبق من كفى الحيات . ومنه قول خلف الأحمر ، حين نعى إليه المنصور :

قد طرقت ببيكرها أم طبق فلمروها وهمة ضخم العنق

انظر اللسان (طبق) وثمار القلوب ٢٠٧ . وسميت أم طبق لترحيها وتحويها كالطبق ، أو لإطباقها على من تلسمه . و « أريق » من الحيات ، كما في قول العجاج :

وقد رأى دوني من تهجمي أم للربيق والأريق الأزمن

بدلالة قوله : « الأزمن » وهو الذي له زمنة من الحيات . اللسان (أرق) ، وفيه كلام صرفي خاص بهذه الكلمة .

(٤) حية الوادي : مثل للرجل المتبع الجانب ؛ فإن حية الوادي تحميه فلا يقربه شيء . ثمار القلوب ٣٣٥ وفيه البيت . وروى في المختص (١٦ : ١٠١) : « إذا رأيت ... للبع .

(قولهم : أدرك القويمة لئلا تأكلها الهويمة)

وفي المثل : « أدرك القويمة لئلا تأكلها الهويمة » ، يعني ^(١) الصبي الذي يدرج ويتناول كل شيء سنج له ، ويهوى به إلى فيه . كأنه قال لأمه : أدركه لئلا تأكله الهامة ! وهي الحية . وهو يقوله ^(٢) في التعويد : « ومن كل شيطان وهامة ، ونفس وعين لامة ^(٣) » :

(شعر للأخطل في الحية)

وقال الأخطل ، في جعلهم الرجل الشجاع وذا الرأي ^(٤) الداهية حية - وكذلك يجعلون إذا أرادوا تعظيم شأنها . وإذا أرادوا ذلك فما أكثر ما يجعلون الحية ذكرا . قال الأخطل :

أثبتت كلباً تمنى أن يسافهنا رطاماً سافهونا ثم ماضفروا ^(٥)

(١) أي بقوله : « القويمة » ، وهو تصغير « قامة » بتشديد الميم . اللسان (قم ٢٩٥) وفي أمثال الميداني (١ : ٢٤٢) : « ويعنى بها - أي القامة - الصبي ؛ لأنه يقيم كل ما أدرك ، يجعله في فيه ، فربما أتى على بعض الطوام ، كالمقرب وغيرها . . . يضرب في حفظ الصبي وغيره . والمراد به إدراك الرجل الجاهل لا يقع في هلكة » .

(٢) أي في الحديث النبوي . روى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين فيقول : « أعيدكما بكلمات الله التامة » ، من شر كل شيطان وهامة ، ومن شر كل عين لامة » . ويقول : « هكذا كان إبراهيم يعوذ إسماعيل وإسحاق عليهم السلام » .

(٣) اللامة : التي تصيب بسوء .

(٤) ط : « وإذا رأى » ، صوابه في س ، هـ .

(٥) كذا الرواية في الأصل . وأراد بـ « كلب » : القليل ، فلا كره . ورواية الديوان ٢٦٨ : « أن تسافهنا » وربما .

كلفتمونا رجالا قاطعي قرنٍ مستلحقين كما يستلحق اليسر^(١)
ليست عليهم إذا عدت خصالهم نخصال وليس لهم إيجاب ما قرؤوا^(٢)
قد أنذروا حبة في رأس هضبتيه وقد أتهم به الأنبياء والنذر^(٣)
باتوا رُقودًا على الأمهاد ليْلهم وليْسهم ساهرٌ فيها ، وما شعروا^(٤)
نمت قالوا أُمات الماء حيَّته بما يكاد ينام الحية الذكر^(٥)

(حبة الماء)

وما أكثر ما يذكر حبة الماء : لأنَّ حَيَّاتِ الماء^(٦) فيها تفاوت .
لَمَّا أن تكون لا تُضرُّ كبيرَ ضررٍ ، وإمَّا أن تكون أَقتلَ من الحَيَّاتِ
والأفاعي .

(١) اليسر ، بالتحريك : صاحب القدح من قَداحِ الميسر . وكانوا ربما جاء الرجل بقَدحه
بعد ما فاز منهم الواحد والاثنان ، فيسأله أن يدخلوا قَداحه في قَداحهم ، فيفعلون
ذلك ، ويسمونه المستلحق . انظر الميسر والقَداح ١٥٣ . وقوله : « قاطعي
قرن » يعني قيسا . وذلك أن كلبا لاموا تغلب فقالوا : أعنم قيسا علينا ! فقال
الأخطل : حملتمونا ذنب هؤلاء ، وألزمتمونا ، وليسوا منا ولا نحن منهم ،
كما يستلحق الأيسار رجلا لم يكن معهم . ط ، س : « مستلحقين كما يستلحق
السُرر » ، هـ : « مستلحقين كما يستلحق السُرر » ، صوابها ما أثبت من الديوان
والميسر والقَداح .

(٢) س ، هـ : « انجاب ما قرؤوا » ، صوابه في ط والديوان . والرواية فيه .

ليست عليهم ديوات يؤخلون بها ولا يكون لهم إيجاب ما قرؤوا

(٣) س : « بها الأنبياء » ، والديوان : « به الأخبار » .

(٤) الأمهاد : جمع مهد بالضم ، وهو النثر من الأرض ، أو ما انخفض منها في سهولة

واستواء . ورواية الديوان : « باتوا نياما على الأنماط ليْلهم » ، وليله .

(٥) في الديوان : « هناك قالوا أنام الماء حيته » .

(٦) هذه الكلمة ونظيرتها ، هي في الأصل : « المساء » بحرفة . وفي الأصل : « حية » .

(الهنديّات)

ويقال إنَّ الهنديّات^(١) إنما تصير في البيوت والدُّور ، والإصطبلات ،
والخرابات ، لأنَّها تُحمَلُ في القُضْب^(٢) وفي أشباه ذلك .

(علة وجود الحيات في بعض البيوت)

والحيات تأكل الجراد أكلاً شديداً ، فربما فتح رأس كُرْزِه^(٣)
وجرابه وجوالقه ، الذي يأتي الجراد^(٤) ، وقد ضربته برْدُ السَّحَر ، وقد
راكم بعضه على بعض ؛ لأنَّها موصوفة بالصَّرْدِ^(٥) .

والحياتُ توصفُ بالصَّرْدِ ، وكذلك الحمير ، والماعزُ من الغنم . ولذلك
قال الشاعر^(٦) :

(١) الهندية : ضرب من الأفاعي ، ذكر في ص ١٢١ . وفي هـ : « الهنديّات » مصحف .
(٢) أي في قضب الشجر . والقضيب : الفرع . وذلك أن الحاطب ربما علقت الحيات
ببعض ما يجمعه . وقالوا في أمثالهم : « كحاطب ليل » ، فهو يجمع القضب والحيات
وقد يصيبه منها الضرر الشديد .

(٣) الكُرْز ، بالضم وتقدير الرأ : ضرب من الجواثق ، أو هو الخرج الكبير يحمل
فيه الراعي زاده ومثاه . ط ، هـ : « كُرْز » س : « كنده » وهما
تحريف ما أثبت .

(٤) كلمة « الذي » هي فاعل « فتح » المتقدمة . وما سيأتي إلى السطر الخامس من الصفحة
الآتية ، استطراد معترض ، وتبدأ صلة الكلام بكلمة : « فربما » الآتية .

(٥) من صرد ، كفرج : وجد البود سريعاً .

(٦) هو صخر بن الجعد الخصري ، كافي نقد الشعر ٤٣ والأغانى (١٩ : ٦٧) ومعجم
البلدان (رسم جنان ، ذروة) . وهو شاعر من تخصري الدولتين الأموية والعباسية .
وكان مغرماً بكأس بنت جبير بن جندب ، وهي ابنة عمه . قالوا : وكانت كأس
تشرب من خدير يقال له جنان ، وبحضرته أهلها ، فوقف طويلاً عليه يبكي ، وقال
الشعر الآتي .

بليت كما يبلى الوكاء ولا أرى جناناً ولا أكناف ذروة تخلق^(١)
 ألوى حيازيمى بن صباية كما تملوى الحية المشرق^(٢)
 وإنما تشرق إذا أدركها برد السحر ولم تصر بعد إلى صلاحها ٨٠
 و [إذا^(٣)] خرجت بالليل تكتسب الطعم كما يفعل ذلك سائر السباع .
 فربما اجترف صاحب السكرز الجراد^(٤) ، فأدخله كرزّه ، وفيه الأفعى وأسود
 سالخ ، حتى يُنقل ذلك إلى الدور ، فربما لقي الناس منها جهداً .

وقال بشر بن المعتمر ، فى شعره المزاج :

يا عجباً والدهر ذو عجائب من شاهدٍ وقلبه كالغائب
 وحاطب يحطّب فى مجاده^(٥) فى ظلمة الليل وفى سواده
 يحطّب^(٦) فى مجاده الأيم الذكر والأسود السالخ مكروه النظر

(شعر فى حية الماء)

فمن ذكر حية الماء ، عبد الله بن همام السلولى فقال :

كحياة الماء لاتنحاش من أحدٍ صلب المراس إذا ما حلت النطق^(٧)

(١) الوكاء ، بالكسر ، أراد به هنا السقاء ، وهو بالكسر جلد السخلة يتخذ للماء .
 والرواية فى المصادر المتقدمة : « كايلى الرداء » . وجنان ، كسحاب : جبل أو واد
 بنجد . وفى الأصل : « جنابا » ، صوابه من معجم البلدان . وذروة ، بفتح أوله
 ويكسر : مكان حجازى .

(٢) ط : « يتلوى » . وفى نقد النثر : « تملوى » . واستشهد ابن رشيق
 فى العمدة (٢ : ٤٧) بهذا البيت على ما سماه « الإيغال » ، وهو المبالغة التى يكون
 موضعها قافية البيت .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) فى الأصل : « الجراد » وفى س : « فربما اجترف » محرقان .

(٥) البجاد ، بالكسر : الكساء .

(٦) ط ، هـ : « يحطّب » صوابه فى س . حطب الحطب : جمعه .

(٧) تنحاش : تنفر . وحلت النطق : كناية عن اشتداد الأمر . والنطق :
 جمع نطق ، وهو شبه إزار فى تكة .

وقال الشَّامُخُ بْنُ ضِرَارٍ :

خُوصُ الْعَيُونِ تَبَارَى فِي أَرْمَتِهَا إِذَا تَفَصَّدَنَ مِنْ حَرِّ الصَّيَاحِيدِ (١)
وَكُلَّهِنَّ تُبَارَى ثِسْنَى مُطَرِدٍ كَحَيَّةِ الْمَاءِ وَلَّى غَيْرَ مَطْرُودٍ (٢)

وقال الأخطل :

ضَفَادِعُ فِي ظِلْمَاءِ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ فَلَاحَ عَلَيْهَا صَوْنُهَا حَيَّةَ الْبَحْرِ (٣)
وقال أيضاً :

هَلُمَّ ابْنَ صَفَّارٍ فَإِنَّ قِتَالَنَا جِهَاراً وَمَا مِنَّا مَلَاوِذَةُ الْعُذْرِ
فَإِنَّكَ فِي قَيْسٍ لَتَالٍ مُذْبَذَبٌ وَغَيْرُكَ مِنْهُمْ ذُو الشَّاءِ وَذُو الْفَخْرِ
وَنَحْنُ مَنَعْنَا مَاءَ دِجْلَةَ مِنْكُمْ وَنَمْنَعُ مَا بَيْنَ الْعِرَاقِ إِلَى الْبِشْرِ (٤)
أَلَا يَا ابْنَ صَفَّارٍ فَلَا تَرْمِ الْعَلَى (٥) وَلَا تَذْكُرَنَّ حَيَّاتِ قَوْمِكَ فِي الشَّعْرِ
فَمَا تَرَكْتَ حَيَاتُنَا لَكَ حَيَّةٌ تَحْرُكُ فِي أَرْضِ بَرَّاحٍ وَلَا بَحْرِ (٦)
وقال نُفَيْعُ (٧) [يَعْيُرُهُ (٨)] بِالْكُحَيْلِ (٩) :

- (١) يقول : تلك الإبل النائرة العيون تتسابق ، وقد تصيب عرقها من حر الهواجر .
ورواية الديوان ٢٢ : « إذا تقصدن » باللفاف ، والتقصّد أصل معناه الهلاك ،
وأراد به تغييرها بعد السمن .
(٢) أي كل منها يسابق طرف زمائه . س ، هـ : « في مطردة » ، صوابه
في ط والديوان .
(٣) سبق الكلام على هذا البيت في (٣ : ٢٦٨) .
(٤) البشر ، بالكسر : جبل بالجزيرة . هـ : « البشر » ، صوابه في ط ، س .
(٥) لا ترم : لا تطلب . يقول له : ليس ذلك من شأنك .
(٦) البراح ، كسحاب : المتسع من الأرض ، لا زرع به ولا شجر .
(٧) نفيع ، بالفاء وهيئة التصغير ، هو ابن سالم بن صفار المخاري ، وقد هجاه الأخطل
بالشعر المتقدم ، فقال هو الشعر الآتي . وفي الأصل : « نفيع » مصحف . انظر
المؤتلف والمختلف ١٩٥ .
(٨) ليست بالأصل ، والكلام يشعر بالحاجة إليها .
(٩) الكحيل ، هيئة التصغير : نهر أسفل الموصل ، كانت عتقه وقعة هزمت فيها
غلب وألقوا بأنفسهم في الماء . الأغاني (١١ : ٥٥) .

فَإِنْ تَكُ قَتَلَاكُمْ بِدِجْلَةٍ غُرِّقَتْ فَمَا أَشْبَهَتْ قَتْلَى حُنَيْنٍ وَلَا بَدْرٍ
تَوَّوْا إِذْ لَقُونَا بِالْكَحِيلِ كَمَا ثَوَى شَمَامٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَالْحَشْرِ^(١)
بِدِجْلَةٍ حَالَتْ حَرْبُنَا دُونَ قَوْمِنَا وَأَوْطَانِنَا مَا بَيْنَ دِجْلَةٍ فَالْحَضَرِ^(٢)
وَلَوْ كُنْتُمْ حَيَّاتٍ بِحَرِّ لَكُنْتُمْ

٨١

غَدَاةَ الْكَحِيلِ^(٣) إِذْ تَقُومُونَ فِي الْغَمْرِ^(٤)

(مَا يُشَبَّهُ بِالْأَيْمِ)

فَالْأَيْمُ الْحَيَّةُ الذَّكَرُ يُشَبَّهُونَ بِهِ الزَّمَامُ ، وَرَبَّمَا شَبَّهُوا الْجَارِيَةَ الْمَجْدُولَةَ
الْحَمِيصَةَ الْخَوَاصِرَ^(٥) ، فِي مَشْيِهَا ، بِالْأَيْمِ ؛ لِأَنَّ الْحَيَّةَ الذَّكَرَ لَيْسَ لَهُ غَبَبٌ ،
وَمَوْضِعُ بَطْنِهِ مَجْدُولٌ غَيْرٌ مَتْرَاحٍ . وَقَالَ ابْنُ مِيَادَةَ :

(١) شَمَامٌ ، كَقَطَامٍ : جَبَلٌ لَهُ رَأْسَانِ يُسَمَّيَانِ ابْنَى شَمَامٍ ، يُضْرَبُ بِهِمَا الْمَثَلُ فِي الْبَقَاءِ .
قَالَ لَبِيدٌ :

فَهَلْ نَبِثَتْ عَنْ أَخَوَيْنِ دَامَا عَلَى الْأَحْدَاثِ إِلَّا ابْنَى شَمَامٍ
وَالْأَخَوَيْنِ الْفَرْقَدَيْنِ وَآلَ نَعَشٍ خَوَالِدٍ مَا تَحْدُثُ بِأَنْهَادٍ

(٢) الْحَضَرُ ، بِالْفَتْحِ : مَدِينَةٌ بِإِزَاءِ تَكْرِيتٍ فِي الْبَرِيَّةِ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَوْصِلِ وَالْفَرَاتِ .
يَاقُوتٌ . وَفِي الْأَصْلِ : « فَالْحَضَرُ » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) أَيْ لَكُنْتُمْ حَيَّاتٍ غَدَاةَ الْكَحِيلِ فَاسْتَطَعْتُمُ السَّبَاحَةَ . ط : « كَذَاتِ الْكَحِيلِ »
س : « كَذَاتِ الْكَحِيلِ » صَوَابُهُ مِنْ الْمُؤْتَلَفِ ١٩٥ .

(٤) تَقُومُونَ : تَقْفُونَ وَتَثْبُتُونَ غَيْرَ مُتَقَدِّمِينَ وَلَا مُتَأَخِّرِينَ ، وَذَلِكَ فِي الْمَاءِ مَعْطَبَةٌ .
هـ : « تَعُومُونَ » وَلَا يَصِحُّ بِهِ الْمَعْنَى . وَرَوَايَةُ الْأَمْدِيِّ : « يَلْبُونَ » مِنْ أَلْبَ
بِالْمَكَانِ : أَقَامَ بِهِ . وَلِزِمَهُ . وَالْغَمْرُ : الْمَاءُ الْكَثِيرُ . وَفِي الْأَصْلِ : « الْقَمْرُ »
وَتَصْحِيحُهُ مِنَ الْمُؤْتَلَفِ .

(٥) الْخَاصِرَةُ : مَا فَوْقَ الْخَصْرِ مِنَ الْجِلْدَةِ الرَّقِيقَةِ . وَهِيَ خَاصِرَتَانِ . فَهُوَ قَدْ جَمَعَ وَأَرَادَ
الْإِثْنَيْنِ . انْظُرِ الْمَزْهَرَ (٢ : ١٢٥) .

قعدت على السَّعْلاة تنفض مسحها وتجذب مثل الأيم في بلدٍ قفر^(١)
 تيمم خير الناس من آل حاضر وتحمل حاجات تضمَّنهما صدري^(٢)
 (شعر في حمرة عين الأفعى)

وقال الآخر في حمرة عين الأفعى :

لولا المِراوَةُ والكِفَّاتُ أوردتني حَوْضَ المنيَّةِ قَتَّالُ لِنُ عِلَقَا^(٣)
 أصمُّ منهرتُ الشَّدقين ملتبِدٌ لم يُغذَّ إِلَّا المِنايا مِنْ لَدُنْ خُلِقَا^(٤)
 كأنَّ عينيه مِسْمَارَانِ^(٥) مِنْ ذَهَبٍ جَلاهُمَا مِدْوسُ التَّلَاقِ فائْتَلَقَا^(٦)
 (شعر في حمرة عيون الناس)

قال في حمرة عيون الناس في الحرب وفي الغضب ، ابنُ ميادة :

-
- (١) السَّعْلاة : اسم ناقة ابن ميادة ، كما في الأغاني (٢ : ١١٤) . ومثل الأيم ، عني به الزمام . يقول : هي تجذب زمامها من شدة نشاطها . وفي الأغاني : « في برة الصفر » .
- (٢) رواية الأغاني : « تيمم خير الناس ماء وحاضراً » . وبعد البيت خمسة أخرى في الأغاني .
- (٣) الكفَّات : جمع كفة ، بالكسر ، وهي من آلات الصيد . ط ، ه ، ه : « السفاة » ، صوابه في س .
- (٤) منهرت الشدقين : واسعهما . ط ، ه ، « منهرة » ، صوابه في س . في س : « لم يغذ » ، من الغذاء . ط ، س : « يفد » ه : « يغذ » صوابهما ما أثبت .
- (٥) في الأصل : « مسمكان » : ولا تصح ؛ فإن المسمك : عود الخباء . وقد ذكر اللصيرى في كلامه على الحية : « وعينها لا تدور في رأسها ، بل كأنها مسمار مضروب في رأسها » . وانظر ما أسلف الجاحظ في ص ١٧٩ س ١٢ .
- (٦) المدوس ، بالكسر : خشبة يشد عليها معن ، يدوس بها الصيقل السيف حتى يجلوه . والتلاق : تفعال من ألق ، بمعنى لمع . وفي الأصل : « التلاق » ! وائتلقا : لما وبرقا . وفي الأصل : « فائتلقا » . والوجه ما أثبت . وانظر البيان (٣ : ٦٠) .

وعند الفزاري العراقي عارض كأن عيون القوم في نبضة الجمر^(١)
وفي حمرة العين من جهة الحلقة ، يقول أبو قردودة ، في ابن عمار^(٢)
حين قتله النعمان :

إني نهيت ابن عمار وقلت له : لا تأمنن أحر العينين والشعر
إن الملوك متى تنزل بساحتهم تطر بنارك من نيرانهم شرره
يا جفنة كإزاء الخوض قد هدمت ومنطقاً مثل وشي اليمنة الحبرة^(٣)

(معرفة في الحية)

وأكثر ما يذكرون من^(٤) الحيات بأسمائها دون صفاتها : الأفعى ،
والأسود ، والشجاع ، والأرقم . قال عمر بن لجا :
• يلزق بالصخر لزوق الأرقم •

وقال آخر :

ورفع أولى القوم وقع خرادل^(٥) ووقع نبال مثل وقع الأساود

(١) ط ، س : « القرارى » ، صوابه في ه .

(٢) هو عمرو بن عمار الطائي ، كان شاعراً خطيباً ، فبلغ النعمان حسن حديثه فحملة
على منادته ، وكان النعمان أحر العينين والجلد والشعر ، وكان شديد العريضة ،
قتالا للندماء ، فنهأ أبو قردودة عن منادته ، فلما قتله النعمان رثاه بالشعر الآتي .
البيان (١ : ٣٢٢ ، ٣٤٩) والحيوان (٥ : ٣٣٢) ومعجم المرزبانى ٣٣٦
ومحاضرات الراغب (١ : ٩٢) .

(٣) كانت العرب تسمى السيد المطعم جفنة ؛ لأنه يضعها ويطعم الناس فيها . اللسان
(جفن) . وإزاء الخوض : مصب الدلو فيه .

(٤) ط : « مر » صوابه في س ، ه .

(٥) لعلها : « خوازق » جمع خازق ، وهو السهم النافذ ، أو السنان . اللسان .

(ذكر الأفاعى فى بعض كتب الأنبياء)

وفى بعض كتب الأنبياء ، أن الله تبارك وتعالى قال لبنى إسرائيل :
« يا أولاد الأفاعى ^(١) » .

(أمثال وشعر فى الحية)

ويقال : « رَمَاهُ اللهُ بِأَفْعَى حَارِيَّة ^(٢) » وهى التى تحرى ^(٣) ، وكلما
كبرت فى السن صغرت فى الجسم . وأنشد الأصمعى فى شدة اسوداد
أسود سالخ :

مُهِرَّتِ الْأَشْدَاقُ عَوْدٍ قَدْ كَمَل ^(٤) كأنما قيظ من لِيْطٍ جُعَل ^(٥)
وقال جرير فى صفة عُروْقٍ بَطْنِ الشَّبْعَانِ ^(٦) :

٨٢ وأعور من نَبْهَانٍ أَمَّا نَهَارُهُ فأعمى ، وأما ليله فبصير ^(٧)

(١) هذه العبارة التى يشير إليها الجاحظ ، تجدها فى إنجيل متى (الأصحاح ٣ : ٧)
والنص فيه : « فلما رأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون إلى معبوديته
قال لهم : يا أولاد الأفاعى ! من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى ؟ ! » . ومثل هذا
النص فى إنجيل لوقا أيضاً (الأصحاح ٣ : ٧) . وضمير (قال) عائد إلى يوحنا
المعبدان — وهو يحيى بن زكريا عليهما السلام — يعظ اليهود مبشراً بهيسى عليه
الصلاة والسلام .

(٢) ط ، هـ : « جارية » صوابه بالحاء المهملة كما فى س .

(٣) حرى يحرى ، كيرى : نقص . وفى ط ، س : « تجرى » ، صوابه فى هـ .

(٤) فى الأصل : « مهروثة » ، والوجه ما أثبت من (٣ : ٥٠٢) .

(٥) كذا . وانظر رواية البيت وشرحه فى (٣ : ٥٠٢) .

(٦) س : « عروق بطن » . ط ، هـ : « عروق بطن السنان » . ولا وجه
للعبارتين ، والصواب ما أثبت .

(٧) الأعور ، هو النبهان ، واسمه على بن أوس ، أو سحمة بن نعيم ، وكان بينه وبين
جرير مناقضة . انظر المؤتلف ١٦١ والمرزبانى ٢٥٣ . وصواب رواية
هذا البيت :

رَفَعْتُ لَهُ مَشْبُوبَةً يَلْتَوِي بِهَا يَكَاذُ سَنَاها فِي السَّمَاءِ يَطِيرُ^(١)
 فلما اسْتَوَى جنباه لَاعَبَ ظِلَّهُ عَرِيضُ أَقَاعِي الْحَالِبِينَ ضَرِيرُ^(٢)
 قال : ويقال : « أَبْصَرُ مِنْ حَيَّةٍ » كما يقال : « أَسْمَعُ مِنْ فَرَسٍ » ،
 و : « أَسْمَعُ مِنْ عُقَابٍ » . وقال الراجز :

* أَسْمَعُ مِنْ فَرَخِ الْعُقَابِ الْأَسْحَمِ^(٣) *

وقال آخر^(٤) :

أَسْوَدُ شَرَى لَاقَتْ أَسْوَدَ خَفِيَّةٍ تَسَاقَوْا عَلَى حَرْدٍ دِمَاءِ الْأَسَاوِدِ^(٥)

-
- = وأعور من نهبان يعوى ودونه من الليل بابا ظلمة ومستور
 كما هو عند الآمدي والمرزباني وفي الديوان ٢٦٥ . والذي أودم الجاحظ ذلك
 أن في القصيدة بيتا آخر ، يروى بهذه الرواية التي أثبتتها ، ولكن موضعه
 في نهاية القصيدة ، ويتضح لك ذلك من مطالعة الديوان ص ٢٦٦ س ٣ ، ٥ .
- (١) مشبوبة : أى ناراً . وكانوا يرفعون النيران لترشد إليهم الضيفان . يلتوى : كذا
 جاءت الرواية هنا . وهى في الديوان والمؤتلف : « يهتدى » .
- (٢) استوى جنباه : أى برزا من امتلائهما . فى الأصل : « استوت » محرفة . لاعب
 ظله : أى جعل ذلك النهبانى يلاعب ظله عما طرأ عليه من السرور . وضير « ظله »
 راجع إلى « عريض » . والحالبان : عرقان أخضران يكتنفان السرة إلى البطن .
 وفى الأصل : « عروض أقاعى الحالبين » ، تصحيحه من النقائص . وانظر الرواية
 فى الديوان .
- (٣) الأسحم : الأسود . وفى الأصل : « الأشجع » ، صوابه فى (٦ : ٤٣٩) . وفى الديوى
 « فأما العقاب فتها السود والحوخية والسفع والأبيض والأشقر » .
- (٤) هو الأشهب بن رميلة ، كما فى البيان (٤ : ٥٥) والكامل ٣٣ ، ٤٣٨
 ليسك والعقد (١ : ٥٣) واللسان (حرد) .
- (٥) شرى : جبل بنجد ، أو تهامة ، مشهور بكثرة السباع . وخفية : أجمة فى سواد
 الكوفة . هـ : « حفية » بالحاء المهملة صوابه فى ط ، س والمراجع المتقدمة
 وكذا الأضداد ١٩٨ والمقصود ٥٨ والمخصص (١١ : ٤٨) . والحرد :
 الغضب . وروى فى المقصور : « لوح » . واللوح ، بالضم ، ويفتح : العطش .
 = وقبل البيت :

ضَرَبَ المَثَلَ بِمَجْنَسِينَ مِنَ الْأَسْوَدِ ، إِذْ كَانَا ^(١) عِنْدَهُ الْغَايَةَ فِي الشَّدَّةِ
وَالهَوْلِ ، فَلَمْ يَقْنَعْ بِذَلِكَ حَتَّى رَدَّ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى سُمُومِ الْحَيَاتِ .

(مَا يُشَبِّهُهُ بِالْأَسْوَدِ)

وَفِي هَوْلِ مَنْظَرِ الْأَسْوَدِ يَقُولُ الشَّاعِرُ ^(٢) :

حِينَ دُونَ سَيْبِكَ لَوْ لَيْلٍ مُظْلِمٍ وَخَفِيفَ نَافِجَةٍ وَكَلْبٌ مُوسَدٌ ^(٣)
وَالضَّيْفَ عِنْدَكَ مِثْلُ أَسْوَدٍ سَالِحٍ لَا بَلَّ أَحَبُّهُمَا إِلَيْكَ الْأَسْوَدُ ^(٤)
وَيَصِفُونَ ذَوَائِبَ النِّسَاءِ ، فَإِذَا بَلَغُوا الْغَايَةَ شَبَّهُوا بِالْأَسْوَدِ . قَالَ
جِرَانُ الْعَوْدِ :

أَلَا لَا تَغْرَنِّ امْرَأً نَوْفَلِيَّةً عَلَى الرَّأْسِ مِنْهَا ، وَالتَّرَائِبُ وَضَحٌ ^(٥)
وَلَا فَاحِمٌ يُسْقَى الدَّهَانَ كَأَنَّهُ أَسْوَدٌ يَزْهَاهَا لَعِينُكَ أَبْطَحٌ ^(٦)

= وَإِنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفُلْجٍ دِمَاؤُهُمْ هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدٍ
هُمُ سَاعِدُ الدَّهْرِ الَّذِي يَتَّقَى بِهِ وَمَا خَيْرُ كَفٍّ لَا تَنْوُءُ بِسَاعِدِ
(١) فِي الْأَصْلِ : « كَانَ » ، وَصَوَابُهُ مَا أُثْبِتَ .

(٢) هُوَ حَسِيلُ بْنُ عَرْفَطَةَ ، الَّذِي تَقَدَّمتُ تَرْجُمَتُهُ فِي (٣ : ١٠٢) . انْظُرْ نَوَادِرَ
أَبِي زَيْدٍ ٧٥ وَدِيْوَانَ الْمَعَانِي (١ : ١٠٦) وَالْحَيَوَانَ (١ : ٣٨٣) .

(٣) النَّافِجَةُ ، بِالْجِيمِ بَعْدَ الْفَاءِ : الرِّيحُ تَبْدَأُ بِقُوَّةٍ . وَفِي الْأَصْلِ وَكَذَا دِيْوَانَ الْمَعَانِي :
« نَافِجَةٌ » ، وَصَوَابُ الرِّوَايَةِ مِنَ النُّوَادِرِ . وَ : « كَلْبٌ » هِيَ فِي الْأَصْلِ :
« قَلْبٌ » صَوَابُهُ مِنَ الْمَرَاجِعِ الْمُتَقَدِّمَةِ .

(٤) مَكَانٌ : « أَحَبُّهُمَا » بِيَاضٍ فِي سِ .

(٥) النَّوْفَلِيَّةُ : ضَرْبٌ مِنَ الْإِمْتِشَاطِ ، وَفَسْرُهُ صَاحِبُ التَّهْذِيبِ بِأَنَّهُ شَيْءٌ يَتَخَذُهُ نِسَاءُ
الْأَعْرَابِ مِنْ صَوْفٍ يَكُونُ فِي غُلْظِ أَقْلٍ مِنَ السَّاعِدِ ، ثُمَّ يَحْشَى وَيُعْطَفُ ، فَتَضَعُهُ
الْمَرْأَةُ عَلَى رَأْسِهَا ، ثُمَّ تَخْتَمِرُ عَلَيْهِ . وَرَوَايَةُ الدِّيْوَانِ وَاللِّسَانِ : « عَلَى الرَّأْسِ
بَعْدَى » . وَالتَّرَائِبُ . جَمْعُ تَرْيِيَةٍ ، وَهِيَ مَوْضِعُ الْقَلَادَةِ . وَضَحٌ : جَمْعٌ وَاضِحَةٌ
بِمَعْنَى مُشْرِقَةٍ .

(٦) الْأَبْطَحُ : بَطْنٌ وَادْقِيهِ رَمْلٌ وَحَجَارَةٌ . الدِّيْوَانُ : « لَعِينُكَ » ، وَاللِّسَانُ :
« مَعَ اللَّيْلِ أَبْطَحٌ » .

(استطراد لغوى)

قال : والخرشاء^(١) : القشرة الغليظة بعد أن تنقب فيخرج ما فيها ،
وجماعه الخراشي^(٢) ، غير مهموز. قال : وخرشاء الحية : سلخها حين تسليخ^(٣)
وقال . هذا أسود سالخ ، وهذان أسودان سالخان ، وأسود سالحة .
وقال مرقش :

إِنْ يَغْضَبُوا يَغْضَبُ لِيَذَا كَمْ كَمَا يَنْسِلُ عَنْ خِرْشَائِهِ الْأَرْقَمُ

(تعليق الحلى والخلاخيل على السليم)

وكانوا يرون أن تعليق الحلى ، ونخششة الخلاخيل على السليم ، مما
لا يفيد ولا يبرأ إلا به ، وقال زيد الخيل :
أيم يكون النعل منه ضجيجاً كما علقت فوق السليم الخلاخيل^(٤)
ونخبرني خالد بن عقبة ، من بني سلمة بن الأكوع ، وهو من بني
المسيب ، أن رجلاً من حزن ، من بني عذرة ، يسمى أسباط ، قال في تعليقهم
الحلى على السليم :

(١) جاءت هذه الكلمة مقصورة في الأصل ، وصوابها المد .
(٢) جماعه : أى جمعه . وفي ط ، هـ : « جماعه » س : « جماعته » وصوابه
ما أثبت . وكلمة « الخراشي » هي في ط ، س : « الخراش » وفي هـ :
« الخراشاء » تحريف ، صوابه من اللسان والقاموس والمقصود ٢٨ .
(٣) س : « تنسلخ » . وخرشاء ، هي مقصورة في الأصل ، والصواب مدّها ، كما في المفضليات
٢٤٠ والمقصود والميلود ٣٨ وما سيأتى في ص ٣٤٠ .
(٤) الخلاخل : جمع خلخل ، وهو الخلخال ، ذاك الحلى . وكان العرب يعلقون الجلاجل
أيضاً على الدبغ ، جمع جلجل ، وهو الجرس الصغير . انظر لذلك بلوغ =

أَرِقْتُ فَلَمْ تَطْعَمْ لِي الْعَيْنُ مَهْجَعًا وَبِتُّ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ مُقَرَّعًا^(١)
كَأَنِّي سَلِيمٌ نَالَهُ كَلْمٌ حَيَّةٌ تَرَى حَوْلَهُ حَلَى النِّسَاءِ مُرْصَعًا^(٢)
وقال الديباني :

٨٣

فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَيْئِلَةٌ مِنْ الرُّقْشِ فِي أَنْيَابِهَا السَّمُّ ذَاقِعٌ
يُسَهِّدُ مِنْ لَيْلِ التَّمَامِ سَلِيمُهَا لَحَلَى النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَاقِعُ
(استطراد فيه لغة وشعر)

قال : ويقال لسان طلق ذلق^(٣) . ويقال للسليم إذا لدغ : قد طلق ،
وذلك حين ترجع إليه نفسه . وهو قول النابغة :
تَنَازَرَهَا الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ سَمِّهَا تَطْلُقُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تُرَاجِعُ^(٤)
وقال العبدى^(٥) - إن كان قاله - :

= الأرب (٢ : ٣٠٤) وما أورد من الشواهد . وجاء في شرح الوزير أبي بكر
لديوان النابغة ٥٢ : « كان الحلى في الزمان الأول له جلاجل يسمع صوته
من المرأة إذا مشت » .

- (١) مقرعا ، بالقياف بعدها راء : من التقريع ، وهو الإقلاق .
- (٢) مرصعاً : معقوداً . وفي نهاية الأرب (٢ : ٣٠٥) : « موضعاً » وهي صحيحة
من وضع الباقي الحجر ، بالتشديد : نضد بعضه على بعض .
- (٣) في القاموس : « وطلق اللسان بالفتح والكسر ، وكأمر . ولسان طلق ذلق -
ضبط كل منهما ككتف ، بالقلم - وطلق ذليق ، رطلق ذلق بضمتين ، وكسر د
وكتف : ذو حدة » .
- (٤) تناذرها الراقون : أنذر بعضهم بعضاً ألا يتعرضوا لها . في الأصل : « تبادرها » ،
وصوابه من الديوان ٥٢ والمختص (٩ : ٦٥) واللسان (نذر) والكامل
٥٠٧ ليسك . ويروى : « من سوء سمها » بفتح السين وبكسرهما ، بمعنى
الشهرة . تطلقه : أى تطلق « السليم » المذكور في البيت السابق ، والمعنى
تنحف الأوجاع عنه تارة وتشتد أخرى . قال المبرد : « وذلك أن المنهوش إذا ألح
الوجع تارة وأمسك عنه تارة فقد قارب أن يواس من برئه » .
- (٥) يعنى بالعبدى هنا ، الممزق العبدى ، صاحب البيت السائر (انظر الشعراء ٣٦٠) :
فإن كنت مأكسولا فكن أنت آكلي وإلا فأدركني ولما أمزق =

تَبَيْتُ الْهُمُومَ الطَّارِقَاتُ يَعْذُنُنِي كَمَا تَعْتَرِي الْأَهْوَالُ رَأْسَ الْمَطْلَقِ (١)

وأنشد :

تُتَلَقَّى مِنْ تَذَكُّرِ آلِ لَيْلَى كَمَا يَلْقَى السَّلِيمُ مِنَ الْعِدَادِ (٢)

والعِدَاد : الوقت . يقال : إِنَّ تِلْكَ اللَّسْعَةَ لَتَعَادُّهُ (٣) : إذا عادده الوجع في الوقت الذي تُسْعِع فيه .

(حديث الحمل المصلي)

وذكر النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم السم الذي كان في الحَمَلِ المصلي (٤) ، الذي كانت اليهودية قدَّمته إليه فقال منه ، فقال : « إِنَّ تِلْكَ الْأَكْلَةَ لَتَعَادُنِي (٥) » .

(١) ط : « تعدنني » س : « تفدنني » هـ : « تعدني » ، وصوابه ما أثبت من الكامل ٥٠٧ ليسك . وفيه أيضاً : « كما تعتري الأوصاب » .

(٢) الرواية في المخصص (٥ : ٨٨) والأضداد ٩٠ واللسان (عدد) : « يلقى من تذكر » . وقد أقحم الشاعر كلمة « آل » ، فهي زائدة في الكلام ، وأراد : من تذكر ليل نفسها . مثله ما جاء في الحديث : « لقد أعطى زمزماً من مزامير آل داود » أراد : من مزامير داود نفسه .

(٣) ط : « لتعادده » ، صوابه في س ، هـ .

(٤) المصلي : المشوى . صلى اللحم وغيره صلياً : شواه . والمعروف في الرواية أنها شاة ، لا حمل . وتأويل مختلف الحديث ٢٢٥ ، والسيرة ٧٦٤ جوتنجن ، والتنبيه والإشراف ٢٢٣ . والذي أهدى الشاة هو زينب ابنة الحارث اليهودية ، امرأة سلام بن مشكم اليهودي ، وقيل : هي أخت مرحب اليهودي . الروض الأنف (٢ : ٢٤٣) ، وكانت سألت : أي عضو من الشاة أحب إلى الرسول ؟ فقيل لها : الذراع ، فأكثر فيها من السم . وانظر بقية الخبر في السيرة (غزوة خيبر) .

(٥) ط : « لتعادني » وصوابه في س ، هـ والروض الأنف ، وتأويل مختلف الحديث ، والمخصص (٥ : ٨٨) والأضداد ٩٠ واللسان (عدد) . والرواية في هذه المصادر : « ما زالت أكلة خيبر تعادني فهذا أوان قطعت أبهرى » . =

(جلد الحية)

وفي الحية قشرها ، وهو أحسن من كل ورقة وثوب ، وجناح ،
وطائر ؛ وأعجب من ستر العنكبوت ، وغرقى^(١) البيض .

(ما يشبهه بلسان الحية)

ويقال في مثل ، إذا مدحوا^(٢) الخف اللطيف ، والقدم اللطيفة ، قالوا :
كأنه لسان حية .

(نفع الحية)

وبالحية يتداوى من سم الحية . وللدغ الأفاعى يؤخذ الترياق الذي
لا يوجد إلا بمتون^(٣) الأفاعى . قال كثير :
وما زالت رقاك تسأل ضيغي وتخرج من مكامنها ضبابي^(٤)
وترقيني لك الحاؤون حتى أجابك حية تحت الحجاب^(٥)

= وقد قال هذا القول في مرضه الذي توفي فيه . وهو دليل على أنه صلى الله عليه وسلم
مات شهيداً .

(١) الفرق ، كزبرج : القشرة الملتزمة ببيض البيض .

(٢) في الأصل : « مدح » .

(٣) ط : « لا يؤخذ إلا بمتون » ، س ، هـ : « لا يؤخذ إلا بمتون » وصوابهما
ما أثبت . والمتن : الظهر .

(٤) الضباب ، بالكسر : جمع ضب ؛ بالفتح والكسر ، وهو الضغن والعداوة .
وهو يخاطب بهذا الكلام عبد العزيز بن مروان كافي الموشح ١٤٣ والصناعتين
٧٢ وزهر الآداب (٢ : ٦٣) وابن سلام ٤٦٤ . وفيها جميعاً نقد جيد
لهذين البيتين .

(٥) ترقيني ، كذا في الأصل ، وهي صحيحة . وفي الكتاب : « إلا الذي آمنت به »

(قصة امرأة لدغتها حية)

جويبر بن إسماعيل ، عن عمه ، قال : حججبتُ فإِنَّا لَنُى وَقَعَةٍ مَعَ قوم^(١) نزلوا منزلنا^(٢) ، ومعنا امرأة ، فنامت^(٣) فانتبهتُ وحيئةً منطوية عليها ، قد جمعتُ رأسها مع ذنها بين ثدييها^(٤) ، فها لها ذلك وأزعجنا ، فلم نزلْ منطوية عليها لا تضرُّها بشيء ، حتَّى دخلنا أنصاب الحرم^(٥) ، فانسابت فدخلتُ مكة ، ففَضِينَا نَسْكُنَا وانصرفنا ، حتَّى إذا كنَّا بالمكان الذى انطوتُ عليها فيه الحية ، وهو المنزل الذى نزلناه ، نزلتُ فنامت واستيقظت ، فإذا الحية منطوية عليها ، ثم صَفَرَت الحية فإذا الوادى يسيلُ حياثِ عليها ، فنهشتها حتَّى نَقَتَ^(٦) عظامها ، فقلت لجارية كانت لها : ويحك ! ٨٤ أخبرينا عن هذه المرأة . قالت : بغتُ ثلاثَ مرَّاتٍ ، كلَّ مرَّة تأتى بولدٍ ، فإذا وضعته سَجَرَت التَّنُور^(٧) ، ثم ألقته فيه .

= بنو إسرائيل . انظر لذلك ما أسلفت فى ص ١٩٢ . والرواية فى المراجع :

« ويرقى » . والحاوون : جمع حار . وفى ط ، س : « الحادون » . وه :

« الحاذن » محرفان ، صوابهما فى المراجع المتقدمة .

(١) الوقعة ، بالفتح : النومة فى آخر الليل . ط : س : « من قوم » ، صوابه فى ه .

(٢) ط ، س : « إذ نزلوا منزلنا » ه : « إذ أنزلوا منزلنا » ، وكلتاه « إذ » مقحمة .

(٣) س : « فقامت » .

(٤) ط ، ه : « ثديها » س : « أيديها » ، وصوابه ما أثبت .

(٥) أنصاب الحرم : حدوده ، كما فى القاموس واللسان .

(٦) نقى العظم نقياً : استخرج نقيه . والنقى بالكسر : مخ للعظام .

(٧) سَجَرَت التَّنُور : أحيطه وأوقدته . والسجور ، بالفتح : الوقود . وفى الأصل : « شجرت » ، وهو تصحيف . والتَّنُور : ما يحترق فيه .

(قول امرأة في عليّ والزبير وطلحة)

قال : ونظرت امرأة إلى عليّ ، والزبير ، وطلحة ، رضى الله تعالى عنهم ، وقد اختلفت أعناق دوابهم حين التقوا ، فقالت : من هذا الذى كأنه أرقم يتلمظ ؟ قيل لها : الزبير . قالت : فمن هذا الذى كأنه كسير ثم جبر^(١) ؟ قيل لها : عليّ . قالت : فمن هذا الذى كأن وجهه دينار هرقل^(٢) ؟ قيل لها : طلحة .

(استطراد لغوى)

وقال أبو زيد : نهشت أنهش نهشاً . والنهش : هو تناولك الشيء بفيك ، فتمضغه فتؤثر فيه ولا تجرحه . وكذلك نهش الحية . وأما نهش السبع فتناوله من الدابة بفيه ، ثم يقطع ما أخذ منه فوه . ويقال نهشت اللحم أنهشه نهشاً^(٣) ، وهو انتزاع اللحم بالثنايا ؛ للأكل . ويقال نشطت العقدة نشطاً : إذا عقدته بأنشطة^(٤) . ونشطت الإبل تنشط نشطاً : إذا ذهبت على هدى أو غير هدى ، نزعاً أو غير نزع . ونشطته الحية فهى

(١) وذلك أن علياً كان قصيراً حادراً ضخم البطن ، أفتس الأنف ، دقيق الذراعين . المعارف ٩١ .

(٢) الدينار الهرقل نسبة إلى هرقل . قال الأب أنستاس مارى فى حواشى النقود العربية ٢٥ : « وكان ذهبه من أحسن الذهب ، وشكله حسناً بديعاً » . وقد روى ابن قتيبة حديث هذا المرأة فى عيون الأخبار (٤ : ٢٥) برواية أخرى .

(٣) فرق بعض اللغويين بين (النهش) و (النهس) فقالوا : نهش اللحم : أخذه بأضراسه . ونهسه : أخذه بأطراف الأسنان . وسوى بعضهم بينهما .

(٤) الأنشطة ، بالضم : عقدة يسهل انحلالها . ط ، هـ « بالأنشطة » ، صوابه فى س . وفى اللسان : « ونشطت العقدة : إذا عقدته بأنشطة » .

تَنَشِيطُهُ نَشْطًا ، وهو أن تَعَضُّهُ عَضًا . وَنَكَزَتْهُ الْحَيَّةُ تَنَكُّزَهُ نَكْزًا ، وهو طَعْنُهَا الْإِنْسَانَ بِأَنْفِهَا^(١) . فَالْنَّكَزُ مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ سِوَى الْحَيَّةِ الْعَضُّ . وَيُقَالُ : تَنَشِيطُهُ شَعُوبٌ نَشْطًا^(٢) وَهِيَ الْمَنِيَّةُ :

قال : وتقول العرب . نشطه الشعوب ، فتدخل عليها التعريف

(علة تسمية النهيش بالسَّامِ)

ويسمون النهيش سَلِيماً على الطيرة^(٣) . قال ابن ميادة :

كَأَنِّي بِهَا لَمَّا عَرَفْتُ رُسُومَهَا قَتِيلٌ لَدَى أَيْدِي الرُّقَاةِ سَلِيمٌ

(شعر في الحية)

وَمِمَّا يَضْرِبُونَ بِهِ الْمَثَلَ بِالْحَيَّاتِ فِي دَوَاهِي الْأَمْرِ ، كَقَوْلِ الْأَقْبِيلِ

الْقَيْنِيِّ^(٤) :

لَقَدْ عَلِمْتُ ، وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَنْفَعُهُ^(٥) أَنْ انْطَلَقِي إِلَى الْحَنْجَاجِ تَغْرِيرٌ

(١) في الأصل : « بفيا » . وهو تحريف ، تصحيحه من اللسان والقاموس .

(٢) شعوب ، بالفتح ومنع الصرف : علم للمنية ، سميت بذلك لأنها تشعب ، أي تفرق . ودخول (أل) عليها ، مثل دخولها على العباس ، والحسن ، والحارث .

(٣) الطسيرة ، كمنبة : ما يتشام به من الفأل الرديء . فلمعنى على تشاؤمهم من تسميته بالنهش .

(٤) هو الأقبيل بن نيهان بن خنيف ، شاعر إسلامي كان في زمن الحجاج . وكان الأقبيل مع الحجاج بن يوسف حين خرج إلى ابن الزبير ، فهرب من الحجاج لما رأى البيت يضرب بالمجانيق ، وقال شعراً أغضب الحجاج ، فطلبه فاحتفى بقبر مروان ، فأمنه عبد الملك وكتب إلى الحجاج ألا يرض له ، فقال قومه : إنك إن أتيت الحجاج قتلك ، فطرح الكتاب وهرب ، وقال الشعر الآتي . وفي الأصل ، وكذا الجزء السابع ص ١٠٢ : « العتبي » وصوابه من المؤلف ٢٤ ومن نسخة كوربيل الجزء السابع . وهو نسبة إلى بني القين بن جسر .

(٥) رواية الأمدى :

* إني لأعلم والأقدار غالبية *

لَنْ ذَهَبَتْ^(١) إِلَى الْحِجَّاجِ يَقْتُلْنِي إِنِّي لِأَحْمَقُ مَنْ تُخَدَى بِهِ الْعِيرُ
مُسْتَحَقًّا صُحُفًا تَدْنِي طَوَابِعُهَا^(٢) وَفِي الصَّحَائِفِ حَيَاتٌ مَنَاقِيرُ

(استطراد لغوى)

وقال الأصمعى : يقال للحية الذكر أَيْم وأيم ، مثقل ومنخفض ، نحو
لَيْنٌ وَلِينٌ ، وَهَيْنٌ وَهَيْنٌ . قال الشاعر^(٣) :
هَيْنُونَ لَيْنُونَ أَيْسَارُ ذَوُو يَسَرٍ سَوَاسُ مَكْرَمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارِ
وأنشد في تخفيف الأيم وتشديده^(٤) :
وَلَقَدْ وَرَدَتْ الْمَاءَ لَمْ تَشْرَبْ بِهِ زَمَنَ الرَّبِيعِ إِلَى شَهْرِ الصَّيْفِ^(٥)
إِلَّا عَوَاسِرُ كَالْمِرَاطِ مُعِيدَةٌ بِاللَّيْلِ مَوْرِدَ أَيْمٍ مَتَغَضِّفٍ^(٦)

(١) رواية الأمدى :

* لَنْ حَذَى بِي *

(٢) استحقب الشيء : حلة في مؤخرة الرجل . ط : « مستحليا » س :
« مستخفيا » هـ : « مستحقيا » وهو تحريف ما أثبت من المؤتلف والجزء
السابع . والطوايع ، جمع طابع ، بفتح الباء وكسرهما ، وهو الخاتم الذى يختم
به الرسائل ونحوها . ط ، هـ : « طوائعها » س : « طوالعها » صوابهما
من الجزء السابع .

(٣) انظر تحقيق اسمه فى (٢ : ٨٩) د وكذا شرح البيت ورواياته فى :
(٢ : ٩٢) .

(٤) قائل البيتين هو أبو كبير الهذلى ، كما فى ديوان الهندليين (٢ : ١٠٥) واللسان
(صيف ، غضف) وأما الذى فى (٢ : ٨٩) .

(٥) وردت ، بفتح تاء المخاطب ، يخاطب رجلا رثاء من قومه . وقبل البيت ، كما فى
تنبيه البكرى ٩٩ :

أزهير إن أخا لنا ذا مرة جلد القوى فى كل ساعة محرف

فارقته يوما بجانب نخلة سبق الحمام به زهير تلهق

وفاعل « تشرب » هو « عواسر » فى البيت الآتى . وروى فى الأمالى ، واللسان :
« يشرب » .

(٦) « بالليل » هى فى الأصل : « بالعسل » وتصحيحه من اللسان (عسر ، صيف ،
غضف) والأمالى .

الصَّيْفُ ، يعنى مَطَرُ الصَّيْفِ^(١) . والعواسر : يعنى ذئابا رافعة أذنانها : ٨٥
والمراط : السهام التى قد تمرط ريشها . ومُعَيِدَةٌ : يعنى معاودة للورْد .
يقول هو مكانٌ لخلائه^(٢) يكون فيه الحياتُ ، وتردّه الذئاب . ومتغصّف
يريد بعضه على بعض ، يريد تثنى الحية .

وأنشد لابن هند^(٣) :

أودى بأمّ سليمى لاطىُّ لبيدٌ كحيّةٍ منطويٍ من بين أحجار^(٤)

وقال محمد بن سعيد^(٥) :

قريحة لم تدنّيتها السّياط ولم تورّد هراكا ولم تعصر على كدر^(٦)
كنطوى الحية النضناض مكنها فى الصّدر مالم يهيجها على زور
الليث لليث منسوبٌ أظافره^(٧) والحية الصّل نجل الحية الذّكر

(١) فى الأصل : « مطرا الصيف » ، وتصحيحه من اللسان (صيف) والأمالى .

(٢) فى الأصل : « هو مكان الخلاية » ، تحريف ما أثبت . وعبارة القالى : « هذه المكان لخلائه » ، من موارد الحيات » ، أى لكونه خاليا ترده الحيات .

(٣) هو عبد الله بن هند ، كما فى المقد (٦ : ١٢٧)

(٤) الحية تذكر وتؤنث . وفى المقد : « بحب سليم » ؛ وهو الصواب .

(٥) ط ، هـ : « سعد » ، وأثبت ما فى س . وقد ذكر المرتزبانى بن اسمه محمد بن سعد الكاتب التميمى ، وهو عربى بحدادى وأنشد له الأبيات التى أولها :

سأشكر عمرا إن تراخت منيتى أياذى لم تمن وإن هى جلت

وقد روى الجاحظ الأبيات بعينها ، فى الرسائل ٢٣ ساسى ، ونسبها إلى محمد بن سعيد ، قال : « وهو رجل من الجند » . فإن صدق حدسى كان محمد هذا هو صاحب الأبيات المشار إليها بعينه .

(٦) القريح : الخالص . وعنى أن هذه الإبل أو الناقة التى ينعمها خالصة النسب . ويقال أورد إبله المراك وأوردها عراقا : أى أوردها الماء مزدحمة . وجاء فيه قول لبيد (وهو من شواهد النحويين) :

فأوردها المراك ولم يذدها ولم يشفق على نغص الدخال

وفى الأصل : « ولم تردد » ، وصوابه ما أثبت .

(٧) ط : « أظافره » ، صوابه فى س ، هـ .

وقال ذو الرمة :

وأحوى كأيّ الضالّ أطرقَ بعدما حبا تحتَ فينانٍ من الظلّ وارفٍ^(١)
قال : ويقال انبثت الحيات^(٢) : إذا تفرقت وكثرت . وذلك عند
إقبال الصيف . قال أبو النجم :

* وانبت حيات الكتيب الأهيل^(٣) *

وقال الطرمّاح :

وتجرّد الأسروعَ واطرد السفا وجرت بحاليها الحداب القرّدد^(٤)
وانساب حيات الكتيب وأقبلت ورق الفراش لما يشب الموقد^(٥)
قال : ويقال جبا عليه الأسود من جحره : إذا فاجأه . وهو يجبا
جبتاً وجبوا .

وقال رجل من بني شيبان :

وما أنا من ريب المنون بجبا وما أنا من سيب الإله بيكيس^(٦)

(١) الأحوى ، غنى به زمام الناقة ، كما في المخصص (١٠ : ٩٥) . والأحوى : الذى يضرب سواده إلى الحمرة . والضال : نبت . وحبا : دنا ، كما في اللسان (حبا) حيث استشهد بالبيت .

(٢) انبت ، بالسين ، كما فى س واللسان . وفى ط ، هـ : « أنبت » مصحف . وكلمة « الحيات » هى فى س ، ط : « الحية » وتصحيحها من هـ .

(٣) ط ، هـ : « وانبت » صوابه فى س . وفى س ، ط : « الكتيب » صوابه فى هـ . والسكرتيب الأهيل : الرمل السائل الذى لا يثبت .

(٤) فى الأصل : « وجرت بحالها » . وانظر ما سبق فى ص ٢٢٥ حيث تجد شرح البيت .

(٥) فى الأصل : « ورق الفراش » ، وتصحيح الرواية مما سبق ص ٢٢٥ .

(٦) الجبا ، بضم الجيم وتشديد الباء المفتوحة : الهيوب الجبان . وقد وهم أبو عمرو الشيباني فى تفسير هذه الكلمة من هذا البيت فجعلها الناجى من الأمر الذى انفلت منه . وقد اعترضه صاحب التنبيهات على أغلاط الرواة . وروى فى المخصص =

(ما يشرع في اللبن)

قال : ويقال : اللبن مُحْتَضَرٌ^(١) فغطُّ إناءك . كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ الْجَنَّ تَشْرَعُ فِيهِ^(٢) ، على تصديق الحديث في قول المفقود^(٣) لعمر ، حين سألته وقد استهوته الجنان : ما كان طعامهم ؟ قال : الرَّمَّة . يريد العظم البالي . قال : فما شرابهم ؟ قال : الجَدَف . قال : وهو كلُّ شراب لا يُخْمَرُ^(٤) .

وتقول الأعراب : ليس ذلك إلا في اللبن . وأما النَّاسُ فيذهبون إلى أَنَّ الْحَيَّاتِ تَشْرَعُ^(٥) في اللبن ، وكذلك سامٌ أبرص ، وكذلك الْحَيَّاتِ تَشْرَعُ في كثير من المرق .

(حديث في المعصفر)

وجاء في الحديث : « لَا تَبَيْتُوا فِي الْمَعْصِفِ^(٦) ؛ فَإِنَّهَا مُحْتَضَرَةٌ » ، أى يحضرها الجنُّ والعُمار .

-
- = (١٦ : ١٢) : « فَا أَنَا مِنْ رَبِّ الزَّمَانِ » . والسيب ، بالفتح : العطاء . وروى في التخصيص (٣ : ٧٠) : « وَمَا أَنَا مِنْ سَيْبِ إِلَهِ بَآيسَ » ، على القلب .
- (١) محتضر : يحضره الجن ، والدواب وضميرها من أهل الأرض . س : « فقد أُنَاكَ » محرف .
- (٢) تشرع فيه : تدخل فيه لتشرب . وفي الأصل : « تشرع فيه » ، مصحف .
- (٣) أى الذى كان قد استهوته الجن : فيما يروون .
- (٤) لا يخمر : أى لا يغطى .
- (٥) في الأصل : « تشرع » . وانظر ما سبق قريباً .
- (٦) المعصفر : المصبوغ بالعصفر ، وهو زهر القرطم . ط : « المعصفر » ، صوابه في س ، هـ . وقد أعاد إليه ضمير المؤنث لما فيه من معنى الثياب .

وقال الشاعر فيما يمجنون^(١) به ، من ذكر الأفعى :

رَمَاكَ اللَّهُ مِنْ أَيْرٍ بِأَفْعَى وَلَا عَافَاكَ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ^(٢)
أَجْبُنَا فِي الْكَرْبَةِ حِينَ تَلْقَى وَنَعْظًا مَا تَفْتَرُّ فِي الْخَلَاءِ !
فَلَوْلَا اللَّهُ مَا أَمْسَى رَفِيقِي وَلَوْلَا الْبُولُ عَوَجَلٌ بِالْحِصَاءِ
وقال أبو النجم^(٣) :

نَظَرْتُ فَأَعْجَبَهَا الَّذِي فِي دِرْعِهَا مِنْ حُسْنِهَا وَنَظَرْتُ فِي سِرِّهَا^(٤)
فَرَأْتُ لَهَا كَفْلًا يَنْوُءُ بِخَصَرِهَا وَعِشًا رَوَادِفُهُ وَأَخْتَمَ نَاتِيَا^(٥)

(١) يمجنون ، من المجنون . وفي الأصل : « يحكون » ، وصوابه ما أثبت . والشعر الآتي وما بعده مجنون .

(٢) سبقت هذه الأبيات في (١ : ١٧٦) .

(٣) كان أبو النجم قد دخل على هشام بن عبد الملك ، وقد أتت له سيون سنة ، فقال له : يا أبا النجم ! كيف أنت والنساء ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ، ما أنظر إليهن إلا شزرا ، ولا ينظرون إلي إلا كرها ! وعلى رأس هشام وصيفة تذب عنه ، فقال : يا أبا النجم : خذ هذه الوصيفة فأبل بها نفسك ، واغد على بخرك . فانصرف بها . فلما كان من الغد غدا عليه ، فقال : ما الذي صنعت يا أبا النجم ؟ فقال : لا والذي أكرمك بالخلافة يا أمير المؤمنين ، ما صنعت شيئا ولا قدرت عليه ! وقد قلت في ذلك أبياتا . ثم أنشده الشعر الآتي . فضحك هشام وأمر له بخمسة آلاف درهم وقال له : خذ هذه فاجعلها عوضاً عما فاتك . الأغاني (٩ : ٧٧) وكتاب المختار من شعر بشار ص ٢٠٩ .

(٤) الدرع : القميص . رواية الأغاني : « من حسنه » والمختار : « خلقها » .

(٥) ينوء بخصرها : أي ينوء خصرها بحمل كفلها ويثقل عليه ذلك . وهذا الضرب من التعبير يسمى القلب . وعشا روادفه : أصل الوعث : المكان السهل الدهس تغيب فيه الأقدام . وهله هي رواية ط والأغاني والمختار . وفي س ، ه : « وعسا » بالسين ، وهي بمعنى الأول . والأختم : المرتفع الغليظ . وناتيا ، أي بارزاً ، وأصله ناتا . ورواية الأغاني والمختار : « جاثيا » .

ورأيتُ منتشرَ العِجانِ مُقْبِضًا رِخَوا حائله وجِلْدًا باليا^(١)
أدنى له الرِّكَبَ الحَلِيقَ كأنما أدنى إليه عقارباً وأفاعيا^(٢)
وقال آخر^(٣) :

مريضةٌ أثناء التَّهادى كأنما تخافُ على أحشائها أنْ تَقْطَعاً^(٤)
تسبب انسيابَ الأيِّمِ أنْخَصَرَه النَّدَى يرفُّع من أطرافه ما ترفُّعاً^(٥)

(شعر في المقربان)

وقال ليلاسُ بن الأرت^(٦) :

كَأَنَّ مَرَّعَى أُمَّكُمْ سَوْدَةً عَقْرَبَةً يَكُومُهَا عَقْرُبَانٌ^(٧)

(١) في المختار : « منتشر العِجان مقلصاً » ، والأغاني : « رخوا مفاصله » . وبين هذه البيت والذي قبله بيت رواه صاحب المختار ، وهو :

ارفع جبينك فيم أنت منكس أنصحتني وطردت أم عيالها

(٢) الركب ، بالتحريك : الحن . وفي المختار « أدنى لك كما أدنى إليك » على الخطاب . وبعد هذه الأبيات خمسة أخرى في الأغاني ، منها اثنان في المختار .

(٣) بدله في محاضرات الراغب (٢ : ١٣٩) : « ويستحسن للسعدى » ، أى رجل من بني سعد .

(٤) التهادى : مشى في تمایل وسكون . هـ : « التهاوى » صوابه في س ، ط والمحاضرات والحامسة (٢ : ٩٣) ومجموعة المعاني ٢١٢ . والرواية في المحاضرات والحامسة : « مريضات أوبات التهادى » . ينعتها أو ينعتن بلين المشية ودقة الحصر .

(٥) يقول : تتدافع في السير تدافع تلك الحية التي أثر فيها برد الندى ، فهي في مشيتها البطيئة وتدافعها ذلك ، ترفع من أجزائها بعضاً . ورواية المحاضرات والحامسة ومجموعة المعاني : « فرقع من أعطائه » .

(٦) لم أجد له ترجمة إلا ما قال صاحب القاموس في (رقت) : « ولياس بن الأرت ، كريم ، شاعر » . والأرت اسمه خالد ، كما في ذيل اللآلئ ص ٢٤ .

(٧) مرعى : اسم أمهم . يكومها : يخالطها . والمقربان ، بالضم : ذكر العقارب ، أو دويبة صفراء طويلة كثيرة القوائم ، تسمى في مصر (أم أربعة وأربعين) =

إَكْلِيلُهَا زَوَلٌ وَفِي شَوِّهَا وَخَزُّ حَدِيدٍ مِثْلُ وَخَزِ السَّنَانُ^(١)
كُلُّ أَمْرٍ قَدْ يُتَّقَى مُقْبِلًا وَأَمُّكُمْ قَدْ تُتَّقَى بِالْعِجَانِ^(٢)
وَقَالَ آخَرُ^(٣) لِمُضَيِّفِهِ :

تَبَيْتُ تَدَهْدُهُ الْقِدَّانَ حَوْلِي كَأَنَّكَ عِنْدَ رَأْسِي عُقْرِيَانُ^(٤)
فَلَوْ أَطْعَمْتَنِي حَمَلًا سَمِينًا شَكَرْتُكَ ؛ وَالطَّعَامُ لَهُ مَكَانُ^(٥)

= ويسمى العرب أيضاً دخال الأذن ، ويسمى علماء الإفرنج : Centipede .
وعلى الوجه الثاني من التفسير استشهد صاحب اللسان بالبيت . ولست أستجده .
وقد أسلفت كلاماً على هذا الشعر في (٢ : ٢٨٦) .

(١) كنى عن قوفى العقرب بالإكليل . التبريزي (٤ : ٢٤) . والزول : الخفيف
الحركة ، أو العجب . والشول : رفع اللتب . والوخز ، بالزاي : طعن لا ينفذ .
حديد : قوى . س ، هـ . « وخذ حديد » ، وصوابه في ط والحاسة .
وفي س : « مثل وخذ » و هـ : « مثل خز » وهما تصحيفان .

(٢) أى إذا أدبرت . ولعله يعنى أنها إذا غابت نمت بين الناس .

(٣) قائل الشعر الآتى هو الهيردان بن اللعين المنقرى . والهيردان ، بفتح الهاء بعدها
مثناة تحتية وراء مضمومة . وقد ذكره المرزبانى في معجمه ٤٨٨ . وأما أبوه
اللعين المنقرى فقد أسلفت ترجمته في (١ : ٢٥٦) . وكان من قصة الهيردان أنه
نزل في البصرة على رجل من الصلحاء يقال له ثبيت ، فأطعمه تمرأ وأسقاه لبنا وقام
يصلى ، فقال الهيردان الشعر الآتى . وقبل البيت الأول :

نَحْبِزُ يَا ثَبَيْتَ عَلَيْهِ لَحْمٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ صَوْتِ الْأَذَانِ

انظر معجم المرزبانى . وقد روى القالى في أماليه (٣ : ١٧) هذه القصة ،
ولم يذكر فيها اسم الهيردان ، وقال : إن ثبيتاً هذا نزل به قوم ليلة فلم يمشهم وقام
يصلى ، فقال رجل منهم الشعر الآتى .

(٤) يدهده : يدحرج أو يقلب بعضه على بعض . والقذان : البراغيث ، واحدها قذة ،
كقوة . والرواية الجيدة : « تدهور القرآن » ، ودهور كلامه : قحم بعضه في إثر
بعض . والعقربان سبق شرحه في التنبيه السابع من الصفحة السابقة . وقال القالى
في شرح هذا البيت : « واختلفوا في العقربان ، فقال قوم : هو ذكر العقارب ،
وقال قوم : هو دخال الأذن . وهو الوجه » . وانظر التنبيه المشار إليه .

(٥) كذا الرواية أيضاً في عيون الأخبار (٣ : ٣٢٠) ، ولم يروه المرزبانى .
ورواية القالى :

فَلَوْ أَطْعَمْتَنِي خَبْزًا وَلَحْمًا حَمْدُكَ وَالطَّعَامُ لَهُ مَكَانٌ . .

(شعر في الحيات والأفاعى)

وقال النابغة :

فلو يستطيعون دبَّتْ لنا مَذَاكى الأفاعى وأطفأها^(١)

وقال رجلٌ من قريش :

ما زالَ أَمْرٌ وَلَاقَ السُّوءَ مُنْتَشِرًا حَتَّى أَظَلَّ^(٢) عَلَيْهِمْ حَيَّةٌ ذَكَرُ
ذو مِرَّةٍ تَفَرَّقُ الْحَيَّاتِ صَوْلَتَهُ عَفَّ الشَّمَائِلِ قَدْ شُدَّتْ لَهُ الْمِرْرُ^(٣)
لَمْ يَأْتِهِمْ خَبْرٌ عَنْهُ يَلِينُ لَهُ حَتَّى أَتَاهُمْ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ الْخَبْرُ

وقال بشار :

تَزِلُّ الْقَوَافِي عَنْ لِسَانِي كَأَنَّهَا تُحْمَاتُ الْأَفَاعَى رِيْقَهْنَ قَضَاءً^(٤)

[وقال^(٥)] :

فَكَمْ مِنْ أَخٍ قَدْ كَانَ يَأْمُلُ نَفْعَكُمْ شَجَاعٍ لَهُ نَابٌ حَدِيدٌ وَمُخْلِيبٌ^(٦)
أَخٍ لَوْ شَكَرْتُمْ فَعَلَهُ لَوْ عَصَصْتُمْ رُءُوسُ الْأَفَاعَى عَضُّ لَا يَتَهَيَّبُ^(٧)

٨٧

(١) المَذَاكى : جمع المَذَى ، بتشديد الكاف المكسورة ، وهو المَسْنَم من كل شيء .

(٢) كَذَا فى الأصل بالظاء المعجمة .

(٣) المِرْر : جمع مِرَّة ، بالكسر ، وهى القوة . أراد أنه قوى الشكينة .

(٤) الحِمَات : جمع حَمَة بضم ففتح ، وهى ما تلدغ به الأفعى . وفى الأصل : « حَمَة »

محزف . ريقهن قضاء : أى فيه القضاء على من سرى فيه . ط : هـ :

« قضاب » ، صوابه ما أثبت من س والمختار من شعر بشار ص ٩٠ . وقبل

هذا البيت :

وقد علمت عليا معد بأننى إذا السيف أكدى كان فى مضاء

(٥) هذه الكلمة ليست بالأصل . وقد يكون القائل بشاراً ، وقد يكون غيره .

(٦) حديد : قوى .

(٧) فى الأصل : « لعصصتم » ، وبذا يضطرب نسيج البيت . والوجه ما أثبت . وقد حذف =

وقال الحارث دعي الوليد، في ذكر الأسود بالسم من بين الحيات :

فإن أنت أقررت الغداة بنسبتى عرفت وإلا كنت فقعا بقردد^(١)
ويشمت أعداءى ويجذل كاشح عمرت لهم ممّا على رأس أسود^(٢)

وقال آخر :

ومعشر منقعه لي في صدورهم سم الأساود يغلى في المواعيد
وسمّهم بالقوافي فوق أعينهم وسم المعيدى أعناق المقاحيد^(٣)

وقال أبو الأسود^(٤) :

ليتك آذنتى بواحدة جعلتها منك آخر الأبد^(٥)

= جواب الشرط الأول ، اكتفاء بما يدل عليه جواب الشرط الثانى . أى لو شكرتم

فعله لشارككم فى جميع ما أنتم فيه ، حتى لو تقحمت الصعبة لتقحمها معكم .

(١) الفقع : كاة رخوة بيضاء . ويقال للدليل : « أذل من فقع بقرقرة » ، وذلك أن

الفقع لا يمتنع على من جناه . أو أنه يوطأ بالأرجل . أمثال الميدانى (٢ : ٥٩) .

والقردد : الأرض المستوية . وأما القرقرة فى المثل فهى الأرض المطمئنة اللينة .

(٢) عمرت لهم : أى أبقيت للأعداء .

(٣) أى جعل هجوه إياهم بالشعر السائر كالسمة الظاهرة فى جباههم . والمقاحيد :

جمع مقحاد ، بالكسر ، وهو ما عظم سنامه من الإبل . و « المعيدى » كذا

بالأصل . ولعلها « المعبد » بتشديد الباء الموحدة المكسورة ، وهو الذى يعبد

الإبل ، أى يطلّها بالقطران ليعالج جربها ؛ فإن المعيدى تصغير المعدى نسبة إلى معد

ابن مدنان ، وليس له وجه مناسب .

(٤) مثل هذه النسبة فى عيون الأخبار (٣ : ١٨٩) . ونسبه ياقوت فى معجم الأدباء

(١ : ١٩٣) إلى إبراهيم الصولى فى محمد بن عبد الملك الزيات . وصاحب العقد

(٣ : ٢٩٧) إلى أبى زيد . وصواب نسبه أنه لأبى الأسد نباتة بن عبد الله ، كما فى

طبقات الشعراء لابن المعتز ٣٤٨ والأغاني (١٢ : ١٦٨) وديوان المعاني (٢ : ٢٠٣)

إذ يقول فى القصيدة :

فصرت من سوء ما رميت به أكنى أبا الكلب لا أبا الأسد

وأبو الأسود ، قال الجاحظ : اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان . وقال عمر بن شبة : اسمه

عمرو بن سفيان بن ظالم . المزمع (٢ : ٢٦٣) . وأبو الأسود الدؤلى البصرى ، لوى

من أسس النحو ، وأول من نقط المصحف . وكان من سادات التابعين ، وكان شيعيا .

انظر بقية نعتة فى بنية الوعاة ٢٧٤ . توفى سنة ٦٧ بطاحون الجارف .

(٥) آذنه بالأمر : أعلمه . ورواية ابن قتيبة : « تيمّلها منك » .

تَحْلِفُ إِلَّا تَبَرَّنِي أَبَدًا فَإِنَّ فِيهَا بَرْدًا عَلَى كَبِدِي^(١)
 إِنْ كَانَ رِزْقِي إِلَيْكَ فَارْزُقْ بِهِ فِي نَاطِرِي حَيَّةٍ عَلَى رَاصِدٍ^(٢)
 وَقَالَ أَبُو السَّفَّاحِ^(٣) يَرِثُنِي أَخَاهُ يَحْيَى بْنُ عَمِيرَةَ^(٤) وَيُسَمِّيهِ بِالشُّجَاعِ^(٥) :
 يَعْدُو فَلَاحًا تَكْذِبُ شِدَادَتُهُ كَمَا عَدَا اللَّيْثُ بَوَادِي السَّبَاغِ
 يَجْمَعُ عَزْمًا وَأَنَانَةً مَعًا نُمْتُ يَنْبَاعِ أَنْبِيَاءِ الشُّجَاعِ^(٦)
 وَقَالَ الْمُتَلَمُّسُ :

خَاطَرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ ، وَلَوْ يَرَى مَسَاغَا لِنَايِيهِ الشُّجَاعُ لَصَمَّمَ^(٧)
 وَقَالَ مَعْمَرُ بْنُ لَقِيْطٍ^(٨) أَوْ ابْنُ ذِي الْقُرُوحِ^(٩) :

شَمْسٌ يَظِلُّ الْقَوْمَ مَعْتَصِمًا بِهِ وَإِنْ كَانَ ذَا حَزْمٍ مِنَ الْقَوْمِ عَادِيًا

-
- (١) يقول : ليتك تحلف ألا تبرني ؛ فقد سئمت برك وما تحملني من المن .
 (٢) في معجم الأدباء : « في ماصفاحيه » . وصواب ما في المعجم : « في ماضني حية » .
 (٣) كذا في الأصل ومقطعات مراث ص ١١٦ . وكذا في الموفقيات للزبير بن بكار
 طبعة وستنفلد . واسمه بكير بن معدان بن عميرة بن طارق اليربوعي . والشعر
 منسوب في المفضليات ١٥٤ إلى السفاح بن بكير الثعلبي . نسبة إلى ثعلبة بن يربوع .
 (٤) وقال أبو عبيدة : هو لرجل من بني قريع ، يرثي بها يحيى بن ميسرة ، صاحب
 مصعب بن الزبير ، وكان وفي له حتى قتل معه . انظر شرح المفضليات ٦٣٠ ،
 وكذا خزانة الأدب (٢ : ٥٢٧ بولاق) .
 (٥) الشجاع : ضرب من الحيات .
 (٦) ينباع : يشب ويسطو .
 (٧) روى : « وأطرق » في حاشية البحري ١٥ ولباب الآداب ٣٩٣ والميداني (١ :
 ٣٩٥) . وروى في سر الصناعة : « لناباه » . وبه يستشهد النحويون على إلزام
 المثني الألف في أحوال الإعراب الثلاث عند بعض القبائل . انظر الخزانة (٣ :
 ٢٣٧ بولاق) ، وقد أخذ هذا البيت عمرو بن شأس فقال (انظر معجم
 المرزباني ٢١٣) :

فَاطَرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ يَرَى مَسَاغَا لِنَايِيهِ الشُّجَاعُ لَقَدْ أَزَمَ

- (٨) كذا . ولعله : « لقيط بن يعمر » .
 (٩) المعروف في الشعراء : « ذو القروح » ، وهو امرئ القيس .

أبيت كما بات الشجاع إلى الذرى وأغدو على همى وإن بت طاوياً
ولأنى أهض الضيم منى بصارم رهيف وشيخ ماجد قد بنى ليا^(١)
وهكذا صفة الأفعى ؛ لأنها أبداً نابتة مستوية ، فإن أنكرت شيئاً
فنشطتها كالبرق الخاطف .

ووصف آخر أفعى ، فقال :

وقد أرانى بطوى الحس وذات قرنين طحون الضرس^(٢)
نضناضة مثل انشاء المرس^(٣) تدبر عيناً كشهاب القبس
لما التقينا بمضيق شكس^(٤) حتى قنصت قرنها بخمس^(٥) ٨٨

وهم يتهاجون بأكل الأفاعى والحيات . قال الشاعر :

فإياكم والريف لا تقربته فإن لديه الموت والحتم قاضياً
هم طردوكم عن بلاد أبيكم وأنتم خلول تشتوون الأفاعياً

وقال عمر بن أبي ربيعة :

ولما فقدت الصوت منهم وأطفئت مصابيح شبت بالعشاء وأنور^(٦)

(١) أهض الضيم : أدفعه . وأصل الهض : الكسر والذق .

(٢) فى الأصل : « كجون الترس » . وأثبت ماعنه الديرى .

(٣) المرس ، وأصله المرس بالتحريك : الحبل . وقد سكن الزاء للشعر . وفى الأصل :
« الرمس » ولا وجه لها .

(٤) شكس : ضيق . وانظر نهاية مادة (شكس) فى اللسان .

(٥) أى بخمس أصابع . س : « حتى قنصت » وفى س : ط : « قبوتها »
وصوابهما فى ه .

(٦) أنور ، بالهمزة : جمع نار . قال المبرد فى الكامل ٣٨٣ ليسك : « وقوله :
وأنور ، إن شئت همزت ، وإن شئت لم تهمز » . ورويت : « أنور » . وعند
البيى (١ : ٣١٨) .

وغاب قَمِيرٌ كنت أرجو مَغِيْبَهُ وروح رُعيان وهوَمٌ سَمَرٌ
ونفَضْتُ عَنِّي اللَّيْلَ^(١) أَقْبَلْتُ مِشْيَةً إلَّ حُبَابٍ ، ورُكْنِي خِيفَةَ القومِ أَزُورُ^(٢)

(ضرب المثل بسم الأسود)

[و] ^(٣) ضَرَبَ كَلْثُومٌ بنَ عمرو المثلَ بسمِ الأسود ، فقال ^(٤) :

تلوم على ترك الغنى ^(٥) باهليّة ^(٦) طوى الدهرُ عنها كلَّ طَرْفٍ وتالِدَ
رأت حولها النِّسوانَ يرقُلْنَ في الكُسا^(٧)

مقلّدةٌ أجيادها بالقلائد

يسرُّك أُنِّي نلتُ ما نالَ جعفرٌ من الملك ، أو ما نالَ يحيى بنُ خالد^(٨)

(١) يروى : « ونفَضْتُ عَنِّي العَيْنَ » ، أى احترست منها وأمنتها . وقد أفرد العين وأراد بها العيون . والرواية هنا جيدة أيضا ، بل هى أطيب وألطف . ورواية المبنى : « وخَفَضْتُ عَنِّي الصوتَ » .

(٢) الحباب ، بالضم : الحية . أزور : مائل ، فهو يتخنى .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) فى الأغاني (١٢ : ٨) : « وكانت تحته امرأة من باهلة ، فلامته وقالت : هذا منصور النمرى قد أخذ الأموال ، فحلى نساءه ، وبني داره ، واشترى ضياعا ، وأنت ههنا كما ترى ! فأنشأ يقول . . . » . وهو بهذا الشعر « يعرض بالبرامكة » ، ويذكر عاقبة صحبة السلطان ، وأنه ما للمتعلق بها من غدر الزمان أمان . غرر الخصائص الواضحة للوطواط ٤٠٨ . والشعر متداول فى مراجع كثيرة ، منها عيون الأخبار (١ : ٢٣١) والعقد (٢ : ١٣٦) والبيان (٣ : ٣٥٣) ومروج الذهب (٢ : ٤٩٥) وزهر الآداب : (٣ : ٣٩) وحماة ابن الشجرى ١٤٠ ومحاضرات الراغب (١ : ٩٢ ، ٢١٣) .

(٥) ط ، هـ : « الغناء » ، صوابه فى س والمراجع المتقدمة .

(٦) ط : « لأهله » هـ : « بأهلية » ، صوابه فى س والمراجع المتقدمة .
والباهلية : امرأته .

(٧) السكسا : جمع كسوة . يرقُلْنَ : يتبخترن .

(٨) يعنى جعفر البرمكى ، ويحيى بن خالد البرمكى . أما جعفر وهو ابن يحيى بن خالد =

وَأَنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْضَيْتَنِي مَعْضَمًا بِالْمَرْهَفَاتِ الْبَوَارِدِ! ^(١)
 ذَرِنِي تَجْنِسَنِي مِيتَتِي مُطْمِئِنَّةً وَلَمْ أَتَقَحَّمْ هَوْلَ ^(٢) تِلْكَ الْبَوَارِدِ
 فَإِنْ كَرِيمَاتِ الْمَعَالَى مَشُوبَةٌ بِمَسْتَوْدَعَاتٍ فِي بَطُونِ الْأَسَاوِدِ ^(٣)

(حيات الجبل)

وفي التشنيع لحيات الجبل ، يقول اللعين المنقري ^(٤) : لرؤية
 ابن العجاج ^(٥) :

= البرمكي فقد قتله الرشيد في قصه مؤسفة ، يرويها المسعودي في مروج الذهب .
 وأما والده يحيى فقد حبسه الرشيد هو والفضل بن يحيى ، حتى ماتا في حبسهما .
 (١) أعضه الشيء : جعله يعضه . ومن عض السيف فقد أهلكه . وروى في البيان
 والقرر وعيون الأخبار وحاسة ابن الشجري والأغاني : « أغصني مخصهما » .
 والمرهفات : السيوف المرققات . والبوارد : التي تثبت في الضريبة ، لا تنثنى .
 وهم يمدحون السيف بذلك ، قال طرفة :

أخى ثقة لا ينثنى عن ضريبة إذا قيل مهلا قال حاجزه قدى
 وفي الأصل : « الفوارد » بالفاء ، وصوابه في البيان وعيون الأخبار وحاسة
 ابن الشجري والمروج والزهر . وفي العقد : « الحداثد » .
 (٢) كذا في ط وسائر المراجع . وانفردت س ، ه برواية : « حول »
 ووجهها ضعيف .

(٣) كذا الرواية أيضاً في البيان وعيون الأخبار . وفي الزهر : « فإن رفيفات المعالي » ،
 والمروج : « فإن نقيسات الأمور » ، والحاسة : « فإن رفيفات الأمور » ، والعقد :
 « وجدت لذاذات الحياة » ، والأغاني : « رأيت رفيفات الأمور » ، وديوان المعاني
 (١ : ١٣) : « وإن جسيمات الأمور منوطة » . وهو مثل من أمثلة تصرف
 الرواة ، وروايتهم لبعض الشعر بالمعنى دون اللفظ . وانظر مأخذ البيت في محاضرات
 الراغب (١ : ٢١٣) .

(٤) روى البحرى في حاسته ص ٨ البيتين منسوبين إلى المكبر الضبى . واللعين المنقري
 سبقت ترجمته في (١ : ٢٥٦) .

(٥) أنشد الثاني من البيتين برواية : « خلت الخوم والخور » في سيبويه ١ : ٦١ والمعنى ٢ :
 ٤٠٤ منسوباً إلى اللعين .

إني أنا ابن جلا إن كنت تعرفني يا رُؤبُ ، والحية الصماء في الجبل^(١)
أبا الأراجيز يا ابن اللؤم توعدني وفي الأراجيز جلب اللؤم والكسل^(٢)
(خبران في الحيات)

الأصمعي ، قال : حدثني ابن أبي طرفة^(٣) ، قال : مر قوم حجاج من أهل
اليمن مع المساء ، برجل من هذيل ، يقال له أبو خراش ، فسألوه القرى ،
فقال لهم : هذه قدر ، وهذه مسقا ، وبذلك الشعب ماء ! فقالوا : ما وقينا
حق قرانا ! فأخذ القرية فتقلدها يسقيهم ، فنهشته حية .

قال أبو إسحاق : بلغني وأنا حدث ، أن النبي صلى الله عليه وسلم
« نهى عن اختناث فم القرية ، والشرب^(٤) منه » . قال : فكنت أقول :
إن لهذا الحديث لشأناً ، وما في الشرب من فم قرية حتى يجيء فيها هذا
النهي ؟ حتى قيل : إن رجلاً شرب من فم قرية ، فوكلته^(٥) حية فمات ،
وإن الحيات تدخل في أفواه القرب . فعلمت^(٦) أن كل شيء لا أعرف^{٨٩}
تأويله من الحديث ، أن له مذهباً وإن جهلته^(٧) .

(١) يقولون للرجل للظاهر لا يخفى مكانه : ابن جلا . وروى البيهقي : « إن كنت
تتكرني » . قوله : « والحية الصماء » أي وأنا الحية الصماء .

(٢) كذا . والمراد : يا أبا الأراجيز . ورواية البيهقي : « أبا لأراجيز » . في س ، ط :
« يوعدي » صوابه في هـ وحاشا البيهقي . وروى : « خلت اللؤم والفشل » برفع اللؤم
والفشل ، على الإقواء . وعند البيهقي : « إن الأراجيز رأس اللؤم والفشل » .

(٣) الخبر في الأغاني (٢١ : ٤٧ - ٤٨) والإصابة ٢٣٤١ .

(٤) اختناث فم القرية والسقاء : ثناء إلى خارج فشرب منه . وفي الأصل : « اجتثاث »
بدل : « اختناث » وهو تحريف ، صوابه في نهاية ابن الأثير واللسان (مادة
خنث) من كل منهما . وانظر الجامع للصغير ٩٤١١ .

(٥) وكلته الحية : لدغته .

(٦) في الأصل : « علمت » ووجه ما أثبت .

(٧) وعلة أصحاب الحديث أيضاً ، بأن دوام الشرب هكذا مما يغير ويجه ، وبأنه
يجعل الماء يترشش على الشارب لسعة فم السقاء . انظر لنهاية واللسان (خنث) .

(شعر في سلخ الحية)

وقال الشاعر في سلخ الحية :

حَتَّى إِذَا تَبَاعَ بَيْنَ سَلَخَيْنِ وعَادَ كَالْمَيْسَمِ أَحْمَاهُ الْقَيْنُ^(١)
أَقْبَلَ وَهُوَ وَاثِقٌ بِثَنَتَيْنِ بِسَمِّهِ الرَّأْسَ وَنَهَشَ الرَّجْلَيْنِ^(٢)
قال : كَأَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ سَمَّهُ لَا يَكُونُ قَاتِلًا مُجْهَزًا حَتَّى تَأْتِيَ
عليه سنتان .

(قول في سلخ الحية)

وزعم بعضهم أَنَّ السَّلَخَ لِلْحَيَّةِ مِثْلُ الْبَزْوِلِ وَالْقُرُوحِ لِلْخَفِّ وَالْحَافِرِ .
قال : وَلَيْسَ يَنْسَلَخُ إِلَّا بَعْدَ سِنِينَ كَثِيرَةٍ ، وَلَمْ يَقِفُوا مِنَ السِّنِينَ
عَلَى حَدٍّ .

وزعم بعضهم أَنَّ الْحَيَّةَ تَسَلَخُ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّتَيْنِ - وَالسَّلَخُ فِي الْحَيَاتِ
كَالتَّحْسِيرِ مِنَ الطَّيْرِ - وَأَنَّ الطَّيْرَ لَا يَجْتَمِعُ قُوَّةً إِلَّا بَعْدَ التَّحْسِيرِ وَتَمَامِ
نَبَاتِ الرِّيشِ . وَكَذَلِكَ الْحَيَّةُ ، تَضَعُفُ فِي أَيَّامِ السَّلَخِ ثُمَّ تَشْتَدُّ بَعْدَ .

(تأويل رؤيا الحيات)

قال الأصمعي : أَخْبَرَنِي أَبُو رِقَاعَةَ^(٣) ، شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ ، قَالَ :
رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنِّي أَتَخَطَّى حَيَّاتٍ . فَطَرْتُ السَّمَاءَ ، فَجَعَلْتُ أَتَخَطَّى سُيُولًا .

(١) الميسم بالكسر : أداة الوسم . والقين : الحداد .

(٢) في الأصل : « بسمة الرأس » ، والسمة بمعنى العلامة ، وهي لا تلام نظام الكلام .

(٣) س ، هـ : « أبو رِقَاعَةَ » بالقاف .

وحكى الأصمعيُّ أن رجلاً رأى في المنام في بيوته حيَّاتٍ ، فسأل من ذلك ابن سيرين أو غيره ، فقال : هذا رجلٌ يدخل منزله أعداء المسلمين . وكانت الخوارج تجتمع في بيته .

(شعر للعرجي والشماخ في الحيات)

قال العرجيُّ ، في ديب السَّمِّ في المنهوش :

وأشربَ جِلْدِي حُبَّهَا وَمَشَى بِهِ كَمَشَى حُمَيَّا السَّكَّاسِ فِي جِلْدِ شَارِبِ
يَدِبُّ هَوَاهَا فِي عِظَامِي وَحُبُّهَا ، كَمَا دَبَّ فِي الْمَلْسُوعِ سَمُّ الْعَقَّارِبِ
وقال العرجيُّ في العرماء^(١) من الأفاعي ، وكونها في صُلدوعِ
الصُّخْر ، فقال :

تَأْتِي بَلِيلِ ذُو سَعَاةٍ^(٢) فَسَلَّهَا بِهَا حَافِظُ هَادٍ وَلَمْ أَرْقِ سَلَامًا^(٣)
كَمَثَلِ شِهَابِ النَّارِ فِي كَفِّ قَابِسٍ إِذَا الرِّيحُ هَبَتْ مِنْ مَكَانٍ تَضَرَّ مَا
أَبْرَ عَلَى الْحَوَاءِ^(٤) حَتَّى تَنَازَرُوا حِمَاهُ^(٥) مَحَامَاةٍ مِنَ النَّاسِ ، فَاحْتَمَى^(٦)

(١) العرماء ، بالفتح : الحية الرقشاء . وفي الأصل : « العرما » . وكلمة « في » قبلها ساقطة من س ، هـ .

(٢) السعاة ، بالفتح : التصرف . ط : « سعاده » س : « سعا » بدون إعجام . وصوابهما في هـ .

(٣) كذا جاء هذا الشطر ، وفيه تحريف .

(٤) أبر عليهم : غلبهم واستعصى عليهم . والحواء ، بضم الحاء : جمع حاو . وهذا الجمع ليس قياسياً ولا بما ذكرته المعاجم . وسمع نظيره : غاز وغزاء ، وسار ومرأ . انظر مع الهوامع (٢ : ١٧٧) . والعرجي ممن يحتج بكلامه ، فانه توفي نحو سنة ١٢٠ . وهو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وكان شاعراً غزلاً ينحو نحو ابن أبي ربيعة ، وكان من الفرسان الظرفاء . ولقب بالعرجي لسكناه قرية العرج في الطائف . وفي س ، هـ : « الجواد » ط : « الأجواد » . وهما تحريف ما أثبت .

(٥) تناذروا حماء : أنذر بعضهم بعضاً ألا يتعرضوا له . وقد سبق مثل هذا في بيت النابغة ص ٢٤٨ س ٩ . وفي الأصل : « تبادروا » ، وهو تحريف .

(٦) في الأصل : « فاحتما » .

يَظَلُّ مُشِيحاً سَامِعاً ، ثُمَّ لَهَا إِذَا بُعِثَتْ لَمْ تَأَلُ إِلَّا تَقَدُّمًا^(١)
 قال : ويقال : تَطَوَّتْ^(٢) الحَيَّةُ . وأنشد العرجيُّ :
 ذَكَرْتُني إِذْ حَيَّةٌ قَدْ تَطَوَّتْ بِرَقَا عِنْدَ عَرْسِهِ فِي الشَّيَابِ^(٣)
 وقال الشَّماخُ ، أو البَعِيثُ^(٤) :
 وَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشَّجَاعِ وَقَدْ جَرَى عَلَى حَدِّ نَابِيهِ الدُّعَافُ الْمُسَمِّ^(٥)

(ما يذبح من الحيوان)

٩٠ والأجناس التي تُذَكَّرُ بالنباح : الكلب ، والحَيَّةُ ، والظَّبْيُ إِذَا
 أَسَنَّ ، والهُدْهُدُ . وقد كتبنا ذلك مرة ثم^(٦) .

قال أبو النجم :

وَالْأَسَدُ قَدْ تَسَمَّعَ مِنْ زَيْبِهَا وَبَاتَتْ^(٧) الْأَفْعَى عَلَى مَحْفُورِهَا
 تَأْسِيرُهَا يَحْنَكُ فِي تَأْسِيرِهَا^(٨) مَرَّ الرُّحَى تَجْرَى عَلَى شَعِيرِهَا

-
- (١) المشيح : الحذر . وقد ذكرها مرة وأنها أخرى . والحية بما يذكر ويؤنث .
 (٢) س : « انطوت » . والأوفى ما أثبت من ط ، هـ .
 (٣) كذا جاء هذا الشطر في ط ، هـ . وفي س : « عند عريسه » ، وكلا النسخين
 محرف . وانظر ديوان العرجي ١١٥ .
 (٤) ليس البيت في ديوان الشماخ .
 (٥) في الأصل : « ولو جرى » . وانظر مثيل هذا البيت في ص ٢٦٣ .
 (٦) انظر لنجاح الظبي ما سبق في (١ : ٣٤٩) ولنجاح الهدد ما سبق في (١ : ٣٥٠) .
 وأما لباح الحية فلم يسبق له ذكر ، وانظر له الاستدراكات .
 (٧) هـ : « وباتت » بالنون . وانظر بعض أشطار من الأرجوزة في اللسان (عفر) .
 (٨) التأسير : واحد التأسير ، وهي في أصل معناه السيور يؤسر بها السرج ،
 وجمله هنا جلدها . و « يحنك » هي في الأصل « يحنك » بالنون .
 وصوابه ما أثبت .

كَرَعْدَةَ الْجِرَاءِ أَوْ هَدِيرِهَا ^(١) تَضْرُمُ الْقَصَبَاءُ فِي تَنُورِهَا ^(٢)
تَوْقَرُ النَّفْسُ عَلَى تَوْقِيرِهَا تَعْلَمُ الْأَشْيَاءُ فِي تَنْقِيرِهَا
* فِي عَاجِلِ النَّفْسِ وَفِي تَأْخِيرِهَا *

(قَوْلٌ فِي آيَةٍ)

وَسَنَذَكُرُ مَسْأَلَةً وَجَوَابَهَا . وَذَلِكَ أَنَّ نَاسًا زَعَمُوا أَنَّ جَمِيعَ الْحَيَوَانِ عَلَى
أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ : شَيْءٌ يَطِيرُ ، وَشَيْءٌ يَمْشِي ، وَشَيْءٌ يَعُومُ ، وَشَيْءٌ يَنْسَبِحُ .
وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ، فَمِنْهُمْ مَنْ
يَمْشِي عَلَى بَاطْنِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي
عَلَى أَرْبَعٍ ، يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ .

وَقَدْ وَضَعَ الْكَلَامَ عَلَى قِسْمَةِ أَجْنَاسِ الْحَيَوَانِ ، وَعَلَى تَصْنِيفِ ضُرُوبِ
الْخَلْقِ ، ثُمَّ قَصَّرَ عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي وَضَعَ عَلَيْهِ كَلَامَهُ ^(٣) ، فَلَمْ يَذْكُرْ مَا يَطِيرُ
وَمَا يَعُومُ . ثُمَّ جَعَلَ مَا يَنْسَبِحُ ، مِثْلُ الْحَيَّاتِ وَالذِّيدَانِ ، ثُمَّ يَمْشِي ، وَالْمَشْيُ
لَا يَكُونُ إِلَّا بِرَجْلٍ ، كَمَا أَنَّ الْعِضَّ لَا يَكُونُ إِلَّا بِفَمٍ ، وَالرَّمْحُ لَا يَكُونُ
إِلَّا بِخَافِرٍ . وَذَكَرَ مَا يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ، وَهَاهُنَا دَوَابُّ كَثِيرَةٌ تَمْشِي

(١) الجراء : جمع جرو ، أراد به ولد الكلب . ورعدتها : صوتها ، وكذلك هديرها .
وفي الأصل : « الجزاء » ، ولا وجه له .

(٢) القصباء : جماعة القصب ، ويسمى أيضاً الأباء بالفتح . وبه يضرب المثل في شدة
الصوت عند التضرم . ومنه قول ابن أبي الحقيق :

من سره ضرب يرعبل بعضه بعضاً كعمعة الأباء المحرق

وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط : « القضا » و : ه :

« النضا » و س : « القصباء » . وفي س : أيضاً « تنور » مكان « تضرم » .

(٣) هذا حكاية من الجاحظ لقول المعارضين على الآية الكريمة ، وسيرد عليهم
في السطر الثالث من الصفحة الآتية .

على ثمان قوائم ، وعلى ست ، وعلى أكثر من ثمان . ومن تفقّد قوائمه
السرطان وبنات وردان ، وأصناف العناكب - عرّف ذلك .

قلنا : قد أخطأتم في جميع هذا التأويل وحدّه . فما الدليل على أنّه
وضع كلامه في استقصاء أصناف القوائم ؟ وبأيّ حجة جزمتم على ذلك ؟
وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَقَوَّذَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ وتترك ذكر
الشیاطين والنار لهم آكل ، وعذابهم بها أشدّ . فترك ذكرهم من غير
نسيان ، وعلى أنّ ذلك معلوم عند المخاطب . وقد قال الله عزّ وجلّ :
﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً ﴾^(١) ، أخرج
من هذا العموم عيسى بن مريم ، وقد قصّد في مخرج هذا الكلام [إلى^(٢)]
جميع ولد آدم . وقال : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ
شَيْئاً مَذْكُوراً ﴾ أدخل فيها آدم وحواء . ثم قال على صلة الكلام :
﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ ﴾ ، أخرج منها آدم وحواء
وعيسى بن مريم . وحسن ذلك إذ كان الكلام لم يوضع على جميع ما تعرفه
النفوس من جهة استقصاء اللفظ . فقلوه : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ
وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ﴾^(٣) كان على
هذا المثال الذي ذكرنا . وعلى أنّ كلّ شيء يمشي على أربع فهو مما يمشي على
رجلين ، والذي يمشي على ثمان هو مما يمشي على أربع ، وعلى رجلين .

(١) من الآية الحادية عشرة في سورة فاطر .

(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) بين هذه الآية والكلام بعدها ، جملة : « فهو مما يمشي على أربع » في ط ،
س . وهي عبارة مقحمة ليس لها وجود في هـ .

وإذا قلت : لى على فلان عشرة آلاف درهم ، فقد خبرت أن لك عليه ما بين درهم^(١) إلى عشرة آلاف .

وأما قولكم : إن المشى لا يكون إلا بالأرجل ، فينبغى أيضاً أن تقولوا ﴿ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ : إن ذلك خطأ ؛ لأن السعى لا يكون إلا بالأرجل . وفى هذا الذى جهلتموه ضروب من الجواب : أما وجه منه فهو قول القائل وقول الشاعر : « ما هو إلا كأنه حيّة » ، و : « كأن مشيته مشية حيّة » يصفون ذلك ، ويذكرون عنده مشية الأيم والحباب ، وذكر الحيات . ومن جعل للحيات مشياً من الشعراء ، أكثر من أن نقف^(٢) عليهم . ولو كانوا لا يسمون انسيابها وانسيابها مشياً وسعياً ، لكان ذلك مما يجوز على التشبيه والبدل ، وأن قام الشيء مقام الشيء أو مقام صاحبه ، فمن عادة العرب أن تشبه به فى حالات كثيرة . وقال الله تعالى : ﴿ هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ والعذاب لا يكون نزلاً ، ولكنه أجره مجرى كلامهم ، كقول حاتم حين أمرؤه بفصد بغير ، وطعنه فى سنامه ، وقال : « هذا فصد^(٣) ! »

(١) كلمة « عليه » ساقطة من هـ . وفى هـ أيضاً : « مائتين » بدل « مائين » وهو تحريف .

(٢) هـ : « تقف » بالخطاب .

(٣) أى هذا فصد البعير ، والفصد : شق العرق لاستخراج دمه . وكان أهل الجاهلية فى شدة الأزمان يفصلون الإبل ويسخنون دم الفصد حتى يجمد ويقوى فيطعمونه ويطعمونه الضيفان ، أو يحملون ذلك الدم فى معى من الأسماء ويشورونه ويأكلونه . ويروى المثل عند الميقاتى (٢ : ٣١٧) : « هكذا فصلى » وقال : « قيل إن أول من تكلم به كعب بن مامة . وذلك أنه كان أسيراً فى عنزة فأمرته أم منزله أن يفصد لها ناقة ، فنحرها ، فلامته على نحره إياها فقال : هكذا فصلى ! يريد أنه لا يصنع إلا ما تصنع الكرام » . عنزة : قبيلة . وأم المنزل : ربه .

وقال الآخر :

فقلتُ يا عمرو أطمعني تمرًا^(١) فكان تمرى كهرةً وزبرًا^(٢)
وذم بعضهم^(٣) الفأر وذكر سوء أثرها في بيته ، فقال :
يا عجل الرحمن بالعقاب لعامرات البيت بالخراب .
يقول : هذا هو عمارتها . كما يقول الرجل ، « مانرى من خيرك
ورفدك إلا ما يبلغنا من خطبك^(٤) علينا ، وقتك في أعضادنا^(٥) ! »
وقال النابغة في شبيه بهذا ، وليس به :

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم بهنّ فلول من قراغ الكتائب
ووجه آخر : أن الأعراب تزعم - وكذلك قال ناس من الحوَّاثين
والرقائين - إن للحية خروزا^(٦) في بطنه ، فإذا مشى قامت خروزه^(٧) ،

(١) روى في البيان (١ : ١٥٣) : « فقلت أطمعني عير » ، والحيوان (٥ : ٢٣) :
« قالت ألا فاطم عيرا » . وروى في المختص (٢ : ١٣٤) : « فقلت أطمعني
عيم تمرًا » ، وهى رواية الأضداد ١٥٢ ، وفيها : « قال أبو بكر : عيم .
تصغير عم . أى يامى .

(٢) الكهرة : الانتهار . والزبر : الزجر والمنع .

(٣) هو أعرابي دخل البصرة فاشترى خبزاً فأكله الفأر . انظر الحيران (٥ :
٢٥٨) وديوان المعاني (٢ : ١٥١) حيث تجد أيضاً بقية هذه الأرجوزة .

(٤) في القاموس : « حطب في حبلهم يحطب : نصرهم » . وفى اللسان : « وحطب فلان
بفلان : سعى به » ، فالمراد هنا : من خطبك علينا بالشر ، وتأليب الناس علينا .
وفى الأصل وكذا فى بعض نسخ البيان (١ : ١٥٣) : « خطبك » بالخاء . ولا تتجه إلا
بتكلف . وما يبلغنا : أى ما يصل إلينا .

(٥) انت فى عضده : رام إضراره بتخوته أهل بيته . وعضد الرجل : أهل بيته .
ط : « وقتك » صوابه فى س ، ه والبيان . وفى ط ، ه : « أعضادنا »
صوابه فى س والبيان .

(٦) ط ، س : « خروزا » صوابه فى ه .

(٧) ط ، س : « خروزه » صوابه فى ه .

وإذا تَرَكَ المشىَ تراجعتْ إلى مكانها ، وعادتْ تلك المواضعُ مُلْساً . ولم
تُوجَدُ بعينٍ ولا لَمَسٍ ، ولا يبلغها إلا كلُّ حَوَاءٍ دقيقِ الحِسِّ .
وليس ذلك بأعجبَ من شِقْشِقَةِ الجملِ العربىِّ ؛ فإنه يظهرُها كالدُّلُو ،
فإذا هو أعادها إلى لَهَاتِهِ تراجعَ ذلك الجلدُ إلى موضعه ، فلا يقدرُ أحدٌ ٩٢
عليه بلمسٍ ولا عَيْنٍ . وكذلك عروق الكُلَى^(١) إلى المثانة التى يجرى فيها
الحصى المتولد فى الكُلية إذا قَذَفَتْهُ^(٢) تلك العروقُ^(٣) إلى المثانة ، فإذا
بالإنسان انضمتْ العروقُ واتصلت بأماكنها ، والتحمت حتى كان
موضعها كسائر ما جاوز تلك الأماكن .

ووجه آخر : وهو أن هذا الكلام عربىٌّ فصيحٌ ؛ إذ كان الذى جاء به
عربياً فصيحاً ، ولو لم يكن قرآناً من عند الله تبارك وتعالى ، ثمَّ كان كلامَ
الذى جاء به ، وكان ممن يجهل اللَّحْنَ ولا يعرف مواضع الأسماء فى لغته ،
لكان هذا - خاصةً - ممَّا لا يجهله .

فلو أننا لم نجعل لحمدِ صلى الله عليه وسلم ، فضيلةً فى نُبُوَّةٍ ، ولا مزيةً
فى البيان والفصاحة ، لكنَّا لا نجد بُدّاً من أن نعلم أنه كواحدٍ من الفصحاء .
فهل يجوزُ عندكم أن يخطئَ أحدٌ منهم فى مثلِ هذا فى حديثٍ ، أو وصفٍ ،
أو خطبةٍ أو رسالة ، فيزعمُ^(٤) أن كذا وكذا يمشى أو يسعى أو يطير ، وذلك
الذى قال^(٥) ليس من لغته ولا من لغة أهله ؟ ! فمعلومٌ عندَ هذا الجواب ،
وعند ما قبله ، أن تأويلكم هذا خطأ .

(١) ط : « الكلا » . س ، ه : « الكلا » ، صوابه ما أثبت . وهو جمع
كلية ، بالضم .

(٢) ط ، ه : « تجرى » . والحصى ، كُتبت فى ط ، س بالألف .
وفى ه : « الحصى » صوابهما ما أثبت . وفى الأصل : « قذفتها » بدل : « قذفته » .

(٣) فى الأصل : « فى تلك العروق » . والوجه حذف « فى » كما أثبت .

(٤) فى الأصل : « فزعم » .

(٥) أى الذى قاله من الكلام المتقدم .

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ ﴾
وأصحابُ الجنة لا يوصفون بالشُّغل ، وإنما ذلك جوابٌ لقول القائل : خبرني
عن أهل الجنة ، بأيِّ شيء يتشاغلون ؟ أم لهم فراغٌ أبداً ؟ فيقول الحبيب : لا ،
ما شغلهم إلا في افتضاضِ الأبقار ، وأكلِ فواكه الجنة ، وزيارة الإخوانِ
على منجائب الياقوت !

وهذا على مثالِ جوابِ عامر بن عبد قيس ، حين قيل له وقد أُقبل
من جهة الحلبة^(١) ، وهو بالشام : مَنْ سَبَقَ ؟ قال : رسول الله صلى الله
عليه وسلم ! قيل : فَمَنْ صَلَّى ؟ قال : أبو بكر ! قال : إِنَّمَا أَسْأَلُكَ عَنِ
الْحَيْلِ ! قال : وأنا أجيبك عن الخير !

وهو كقول المفسر حين سُئل عن قوله : ﴿ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةٌ
وَعَشِيًّا ﴾ فقال : ليس فيها بُكْرَةٌ وعشيٌّ . وقد صدَّق القرآن ، وصدق
المفسر ، ولم يتناكرا ، ولم يتنافيا ، لأنَّ القرآنَ ذهبَ إلى المقادير ، والمفسرُ
ذهبَ إلى الموجد ، من دوران ذلك مع غروب الشمس وطلوعها .
وعلى ذلك المعنى رَوَى عن عمر أنه قال : « مُتَعَتَانِ كَانَتَا عَلَى عَهْدِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَا أَنْتَهَى عَنْهُمَا وَأَضْرَبُ عَلَيْهِمَا^(٢) » .

(١) الحلبة ، بالفتح : الدفعة من الخيل في الرهان . وقد روى الجاحظ هذا الحديث في البيان
(٣ : ١٦٠) برواية أخرى مع نسبته إلى عامر . كما رواه في البيان (٢ : ٢٨٢) منسوباً
إلى بلال برواية أخرى .

(٢) المتعتان : هما متعة النساء ومتعة الحج ، كما جاء هذا الخبر مفصلاً في كتاب العباسية
من رسائل الجاحظ ٣٠٢ الرحانية .

أما متعة النساء ، فهي ما يسميه رجال الفقه : نكاح المتعة ، وهو للزواج بأجل
مسمى في العقد ، كيوم ، أو شهر ، أو سنة ، أو سنوات . وكان ذلك مباحاً
في أول الإسلام ، وفيه نزل قوله تعالى : « فَاسْتَمْتِعْ بِهِ مِنْهُنَّ فَاتَّوَهَّنَ
أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً » ، ثم نسخ ذلك بنهي الرسول .

قد كان المسلمون يتكلمون في الصَّلَاة ويطبِّقون^(١) إذا ركعوا ، فنَهَى
عن ذلك إمامٌ من الأئمة ، وَضَرَبَ عليه ، بعد أن أظهر النسخ ، وعرفهم
أن ذلك من المنسوخ ، فكأنَّ قائلًا قال : أتَناهنا عن شيءٍ ، وقد كان على
عهد النبيِّ صلى الله عليه وسلم ؟ فيقول : نعم . وقد قدَّم الاحتجاجَ ٩٣
في النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ^(٢) .

ومن العَجَبِ أَنَّ ناساً جعلوا هذا القولَ على المنبرِ من عيوبه . فإن
لم يكن المعنى فيه على ما وصفنا ، فما في الأرضِ أَجهلُ من عُمرَ حينَ يُظهرُ
الكُفْرَ في الإسلامِ على منبرِ الجماعةِ ، وهو إنما علاه بالإسلام . ثمَّ في شيءٍ
ليس له حُجَّةٌ فيه ولا عِلَّةٌ . وأعجَبُ منه تلكَ الأُمَّةُ ، وتلكَ الجماعةُ [التي^(٣)]
لم تُنكِرْ تلكَ الكلمةَ في حياته ، ولا بعدَ موته ، ثمَّ تَرَكَ ذلكَ جميعُ
التَّابِعِينَ وَاتِّبَاعِ التَّابِعِينَ ، حتَّى أَفْضَى الأمرُ إلى أَهْلِ دَهْرِنَا هذا .
وتلكَ الجماعةُ هم الذين قتلوا عُثْمَانَ على أن سيَّرَ رجلاً^(٤) .

= وأما متعة الحج فهو ما يعرف بالتمتع ، وعنى عمر تحريمها على سكان مكة ؛ إذ
قال في حديث آخر : « ليس لأهل مكة تمتع ولا قران » . وأراد الجاحظ أن قول
عمر : « كانتا على عهد رسول الله » ليس على ظاهره ، بل المراد أنهما كانتا على
عهد رسول الله وحرمتا أيضاً في عهد رسول الله . وكذلك قوله « أنا أنهى
عنهما » ، فالمراد « أنا أنهى عنهما كما أنهى الرسول » .

(١) في الأصل : « يَضْبَعُونَ » ، وهو تحريف صوابه عما في البيان (٢ : ٢٨٢) .
والتطبيق : أن يجمع بين أصابع يديه ويجعلهما بين ركبتيه في الركوع والتشهد .
وقد كان ذلك من فعل المسلمين في أول ما أمروا بالصلاة ، ثم أمروا بإلقاء الكفين
رأس الركبتين . وانظر لسان العرب (طبق) .

(٢) انظر لتوضيح هذه الفقرة ما جاء في البيان (٢ : ٢٨٢) .

(٣) للزيادة من س ، هـ .

(٤) هذا الرجل الصحابي الجليل ، أبو ذر الغفاري . وكانت له ثورة مشهورة على
الأغنياء ، غضب عليه من أجلها عثمان ، وسيره إلى الريلة ، وهي من قرى =

وهذا لا يقوله إلا جاهلٌ أو معاند .

وعلى تأويل قوله : ﴿ هَذَا نُزِّلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ قال : ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْشَأُ مِنْهَا الْمَهَادُ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَبَحَّتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ، قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ، فجعل للنار خزائن ، وجعل لها خزنة ، كما جعل في الجنة خزائن وجعل لها خزنة .

ولو أن جهنم فتحت أبوابها ، ونحى^(١) عنها الخزنة ، ثم قيل لكل لصٍ في الأرض ، ولكل خائن في الأرض : دونك ، فقد أبيضت لك ! لئلا دنا منها ، وقد جعل لها خزائن وخزنة . وإنما هذا على مثال ما ذكرنا . وهذا كثير في كلام العرب .

والآي التي ذكرنا في صديق هذا الجواب ، كلها حُجَجٌ على الخوارج في إنكارهم المنزلة بين المنزلتين^(٢) .

= المدينة على ثلاثة أميال ، قرية من ذات عرق ، فأقام بها إلى أن مات سنة ٣٢ .
واسم أبي ذر جندب بن جنادة . وانظر تفصيل الخلاف بينه وبين عثمان في مروج الذهب (ذكر خلافة عثمان) ، حيث تجد أسبابا أخر لمصرعه ، رضى الله عنهما .

(١) ط ، س : « نحى » ، صوابه في هـ . ونحى : أبعد .

(٢) القول بالمنزلة بين المنزلتين ، أصل من أصول المعتزلة . إذ يقولون إن الفاسق ليس بمؤمن ولا بكافر ، بل هو في منزلة بين الإيمان والكفر . ويقولون : ليس في الآخرة إلا الفريقان : فريق في الجنة وفريق في السعير ، فتركب الكبيرة إذا لم يبق فهو خالد في النار ، لكنه يخفف عنه العذاب ، وتكون دركته فوق دركة الكفار . ومن أجل ذلك سماهم المسلمون المعتزلة ؛ لاعتزالهم قول الأمة بأسرها . وجمهور الخوارج على أن الفاسق كافر ، لا كما يقول المعتزلة بأنه في منزلة بين المنزلتين .

(شعر لخلف الأحمر في الحيات)

وقال خلف الأحمر في ذكر الحيات :

يَرَوْنَ الْمَوْتَ دُونِي أَنْ رَأَوْنِي وَصِلَّ صَفًّا لِنَابِيهِ ذُبَابٌ^(١)
 مِنَ الْمُتَحَرِّمَاتِ^(٢) بِكَهْفٍ طَوْدٍ حَرَامٍ مَا يُرَامُ لَهُ جَنَابٌ^(٣)
 أَبِي الْحَاوُونَ أَنْ يَطْنُوا حِمَاهُ وَلَا تَسْرِي بَعْقُوته الذُّنَابُ^(٤)
 كَأَنَّ دَمًا أُمِيرَ عَلَى قَرَاهُ وَقَطْرَانًا أُمِيرَ بِهِ كُيَابٌ^(٥)
 إِذَا مَا اسْتَجْرَسَ^(٦) الْأَصْوَاتَ أَبَدَى لِسَانًا دُونَهُ الْمَوْتُ الضُّبَابُ^(٧)

(١) ذباب الناب : طرفه الحاد .

(٢) المتحرّمات ، من قولهم : تحرم فلان بفلان : إذا دخل في ذمته وحمايته . يقول :
 هو من تلك الحيات التي تحرمت بذلك الكهف المنيع ، فلا يستطيع أن يحاولها
 أحد . في الأصل : « المتجربات » . ولا وجه له .

(٣) طود حرام : جيل لا يستطيع القرب منه ، كأنه محرم . وفي الأصل : « عرام » .
 يرام : يطلب .

(٤) ط : « الحاوون » ، صوابه في س ، هـ . والعقوة ، بالفتح : الساحة ،
 وما حول الدار .

(٥) أمار الدم : أجراه وأسأله . وفي الأصل « أمر » في الموضعين ، بمعنى جعل يمر ،
 وما كتبت أشبه . وجاء في الحديث : « أمر الدم بما شئت » . والمأثرات :
 الدماء . قال رشيد بن رميض :

حلفت بمأثرات حول عوض وأنصاب تركن لدى السعير

والقرا ، بالفتح : الظهر . والكباب ، بالضم : التراب .

(٦) استجرس ، بمعنى طلب الجرس ، وهو بالفتح بمعنى الصوت . وفي الأصل :
 « استجرش » ولم أجد له وجها ، وما يعزز هذا التصحيح ما جاء في ص ١٠٢
 من قول عنتره :

رقود ضحيات كأن لسانه إذا سمع الإجراس مكحال أرمد

(٧) كذا ولعله : « الصهاب » بالصاد المضمومة . وفي اللسان : « والموت
 الصهابي : الشديد ، كالموت الأحمر ، قال الجعدي :

فجئنا إلى الموت الصهابي بعدما تجرد عريان من الشر أحذب .

إذا ما الليلُ ألبسه دُجَاهُ سَرَى أصمى تصيحُ له الشُّعَابُ^(١)
فقلت لحيَّان^(٢) بن عتبى^(٣) : [لِمَ^(٤)] قال موسى بن جابر
الحنفى^(٥) :

طَرَدَ الأَرَوَى فما تَقَرَّبُهُ وَنَفَى الحَيَّاتِ عَنْ بَيْضِ الحَجَلِ^(٦)
قال : لَأَنَّ الذَّنَابَ تَأْكُلُ الحَيَّاتِ . [قلت^(٧)] : فلم قال خلف الأَحر :
* ولا تسرى بعقوته الذَّنَاب * ؟

قال : لَأَنَّ الذَّنَابَ تَأْكُلُ الحَيَّاتِ . فَظَنَنْتُ أَنَّهُ حَدَسَ^(٨) ولم يقل بعلم .

(١) الأصمى : الشديد الوثاب . ط : « أسمى » صوابه في س هـ . و « تصيح » هي في
س : « تصجج » . ولو كانت « تصيح » لزادت حسنا .

(٢) ط : « لحيات » صوابه في س ، هـ .

(٣) كذا جاء هذا الاسم . ولم أعثر له على تحقيق . وجاء في عيون الأخبار (٢ :
٤٣) من اسمه : (حيَّان بن غضبان) وهو الذى ورث نصف دار أبيه ،
فقال : أريد أن أبيع حصتى من الدار وأشتري النصف الباقي فتصير كلها لى
فلعله هذا .

(٤) زيادة يقتضيا السياق . وليست بالأصل .

(٥) هو أحد شعراء بنى حنيفة ، يقال له ابن الفريجة ، وهى أمه ، كما أن حسان
ابن ثابت يقال له ابن الفريجة . المؤتلف ١٦٥ . وقال المرزبانى في معجمه ٣٧٦
إنه نصرانى جاهل ، يلقب أزيق اليمامة . والحق أنه إسلامى ، وأنه قال شعراً
فى الإسلام . انظر الأغاني (١٠ : ١٠٧) ، كما أن شعره فى الحماسة (١ :
١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠) يشعر بما تقدم . وفى شرح الحماسة للتبريزى .
(١ : ١٨٩) : « قال أبو العلاء : موسى منقول من العبرية . ولم أعلم أن فى العرب
من سمى موسى زمان الجاهلية . وإنما حدث هذا فى الإسلام ، لما نزل القرآن
وسمى المسلمون أبناءهم بأسماء الأنبياء ، على سبيل التبرك » .

(٦) ط : « ونفا » ، صوابه في س ، هـ .

(٧) ليست بالأصل ، والكلام فى حاجة إليها .

(٨) الحدس : الحزر والتخمين .

(منافضة شمريّة لازيادي ويحيى بن أبي حفصة)

وقال الزّيادي في يحيى بن أبي حفصة (١) :

إني ويحيى وما ينبغي كملتيس
صَيْدًا وما نال منه الرّىّ والشّبعًا ٩٤
أهوى إلى باب جُحْرِ في مقدّمه
مِثْلُ العَسِيبِ تَرى في رأسه قَزَعًا (٢)
اللّونُ أَرَبْدُ والأنيابُ شابِكةُ
عُصْلُ تَرى السّمَّ يجرى بينها قَطَعًا (٣)
يَهْوِي إلى الصّوتِ والظلماء عاكفةُ
تَقُورُ السَّيْلِ لاقى الحَيْدَ فاطْلَعًا (٤)
لو نالَ كَفْكَ آبَتْ منه مخضبة
بَيْضَاءُ قد جلّت أنيابها قَزَعًا (٥)
بِيعَتْ بُوْكْسٍ قليلٍ فاستقلّ بها
من الهزالِ أبوها بعد ما ركها
فردّ عليه يحيى فقال :

كم حيّة ترهبُ الحياتُ صَوْلَتُهُ
يَحْمَى لِرَيْدِيهِ (٦) قد غادرته قَطَعًا

(١) هو جد مروان بن أبي حفصة الشاعر المشهور ، وقال أبو الفرج فيه (٩ : ٢٧) :
« وليحيى أشعار كثيرة » .

(٢) العسيب : أصل الذنب ، أو الجريدة المستقيمة الدقيقة من النخل يكشف خوصها .
والقزع ، بالتحريك : خفة شعر الرأس .

(٣) شابكة : مشبكة . ط ، س : « شائلة » ه : « سائلة » . وصوابه ما
أثبت . وانظر ما ساقى في (٥ : ٢٣٤) . والعصل : الملتويات . وفي الأصل :
« عصلا » صوابه مما سبق ص ١٨٣ .

(٤) الحيد ، بالفتح : ما شخص من الجبل ومن كل شيء . والتقور : الشئ . وفي
الأصل : « تعود » . وانظر ما سبق في ١٨٣ . يقول : هذا الحية يتلوى في مشيه
كما يتلوى ماء السيل إذا لاقى حيدا فأشرف منه على أرض منخفضة ، فهو أسرع
لجريه وتلويه .

(٥) كذا ورد هذا البيت . وفي ط : « قدما » بالدال المعجمة .

(٦) أى تدركه الحمية والألفة إذا اعتدى على ريديه . ولريد : بالفتح : الحرف الثاني
من الجبل . س : « لديد » .

يَلْقَيْنَ حَيَّةً قَفٍّ ذَا مُسَاوَرَةٍ يُسْقَى بِهِ الْقِرْنُ مِنْ كَأْسِ الرَّدَى جُرْعَاً^(١)
تَكَادُ تَسْقُطُ مِنْهُنَّ الْجُلُودُ ؛ لِمَا يَعْلَمَنَّ مِنْهُ إِذَا عَايَنَهُ ، قَزَعَاً^(٢)
أَصَمَّ مَا شَمَّ مِنْ خَضِرَاءَ أَيْبَسَهَا أَوْ مَسَّ مِنْ حَجَرٍ أَوْهَاهُ فَانْصَدَعَا^(٣)

(شعر في الحيات)

وقال آخر :

وَكَمْ طَوَّتَ مِنْ حَخَشٍ رَاصِدٍ لِلسَّفَرِ فِي أَعْلَى الثَّنِيَّاتِ^(٤)
أَصَمَّ أَعْمَى لَا يُجِيبُ الرُّقَى يَقْتَرُّ عَنْ عُصْلٍ حَدِيدَاتٍ^(٥)
مَنْهَرَتِ الشَّدَقِ رُقُودِ الضُّحَى سَارِ طُمُورٍ فِي الدُّجُنَاتِ^(٦)
ذِي هَامَةٍ رَقَطَاءَ مَفْطُوحَةٍ مِنَ الدَّوَاهِي الْجَبَلِيَّاتِ^(٧)
صِلُّ صَفَاً ، تَنْطِفُ أَنْيَابُهُ سِمَامَ ذَيْفَانٍ مَجِيرَاتٍ^(٨)

(١) القف : بالضم : مرتفع جبرى . و « يسقى » هى فى الأصل : « تسقى » .
والوجه ما أثبت .

(٢) قزعا : أى قطعاً متفرقة . وأصل القزع : القطع من السحاب . ط ، س :
« قذعا » بالذال المعجمة ، صوابه فى هـ .

(٣) سبق الكلام على هذا البيت فى (٢ : ١٣٧) وفى هذا الجزء ص ١٨٣ .

(٤) الثنية : الطريق العالى فى الجبل .

(٥) الأنياب العصل : المتلوية . هـ : « عضل » ، صوابه فى س ، ط .

(٦) منهرت الشدق : واسعة . والطمور ، كصبور : للوثاب . ط . « طمورا »
صوابه فى س ، هـ .

(٧) مفطوحة ، بالفاء : عريضة . ط : « منطوحة » بالنون ، تصحيحه من س . هـ .

(٨) تنطف أنيابه ، بكسر الطاء وضمها : تقطر . والسمام ، بالكسر : جمع سم .

والذيفان بالفتح والكسر : السم القاتل . و « مجيرات » كذا جاءت بالجم ،

ولعلها « مبيرات » بمعنى مهلكات . وقد سبق البيت فى ٢٣٤ .

مُطْلَنَ فِي اللَّاحِيَيْنِ مَطْلًا إِلَى رَأْسٍ وَأَشْدَاقٍ رَحِيَّاتٍ^(١)
 قَدَّمَنَ عَنْ ضِرْمَيْنِ وَاسْتَأْخَرَا إِلَى سِمَاحَيْنِ وَلَهَوَاتٍ^(٢)
 يُسَبِّتُهُ الصُّبْحُ وَطَوْرًا لَهُ نَفْخٌ وَنَفْثٌ فِي الْمَغَارَاتِ^(٣)
 وَتَارَةً تَحْسِبُهُ مَيَّاتًا مِنْ طُولِ إِطْرَاقٍ وَإِخْبَاتٍ^(٤)
 وقال آخر ، وهو جاهليٌّ :

لَاهُمَّ إِنْ كَانَ أَبُو عَمْرٍو ظَلَمَ وَخَانَنِي فِي عِلْمِهِ وَقَدْ عَلِمَ
 فَابْعَثْ لَهُ فِي بَعْضِ أَعْرَاضِ اللَّمَمِ لَيْمَةً مِنْ حَنْشٍ أَعْمَى أَصَمٍّ^(٥)
 أَسْمَرَ زَحَافًا مِنَ الرُّقْطِ الْعُرْمِ^(٦) قَدْ عَاشَ حَتَّى هُوَ لَا يَمْشِي بِلَدِّهِ ٩٥
 فَكَلَّمَا أَقْصَدَ مِنْهُ الْجَوْعُ شَمًّا^(٧) حَتَّى إِذَا أَمْسَى أَبُو عَمْرٍو وَلَمْ
 يَمَسَّ مِنْهُ مَضَضٌ وَلَا سَقَمٌ قَامَ وَوَدَّ بَعْدَهَا أَنْ لَمْ يَقُمْ

(١) سبق هذا البيت في ص ٥٣ .

(٢) ط : « واستأخرت » ، صوابه في س ، هـ . والضمير عائد إلى الضرمين .
 والسماخ بكسر اللين : لغة في الصباخ بكسر الصاد ، وهو ثقب الأذن . واللهوات
 جمع اللهاة ، وهي اللحمة المشرقة على الخلق . وقد سكنت الهاء للشعر ، كما أنه
 جمعها والمراد بها الواحد ؛ إذ أن له لهاة واحدة .

(٣) س : « المغارات » ، صوابه في ط ، هـ . يسبته للصبح : ينيمه .

(٤) الإطراق : السكوت والنظر إلى الأرض مع إرخاء العينين . وفي الأصل :
 « إشراق » بالشين . ولا وجه له . قال :

مطرق ينفث سما كما أطرق أفعى ينفث السم صل
 والإخبات : من أخبت بمعنى خضع . وأصله من الخبت ، وهو المطمئن
 من الأرض .

(٥) سبق في ص ١١٩ .

(٦) العرم : جمع أعرم ، وهو ما كان منقطاً بسواد وبياض ، ومثله الأرقط . وقد
 ضمت الراء في (العرم) لضرورة الوزن . وفي الأصل : « القدم » ،
 ووجهه ما أثبت .

(٧) في الأصل : « فكل ما » ، تحريف . أقصده الجوع : أصابه . وفي الأصل :
 « أفضل » ووجهه ما أثبت ، كما سبق في ١١٩ . وشم ، أي تنعم الهواء
 ليغتذى به . وانظر ما سبق في ص ١١٩ .

وَلَمْ يَقُمْ لِإِبْلِ وَلَا غَمٍّ وَلَا لُحُوفٍ رَاعَهُ وَلَا لِيَهُمْ
حَتَّى دَنَا مِنْ رَأْسِ نَضْنَاضٍ أَصَمٍّ ^(١) فَخَاضَهُ بَيْنَ الشَّرَاكِ وَالْقَدَمِ ^(٢)
بِمِذْرَبٍ أَخْرَجَهُ مِنْ جَوْفِ كُمٍّ ^(٣) كَأَنَّ وَخَزَ نَابِهِ إِذَا انْتَضَمَ
* وَخَزَةٌ إِشْفَى فِي عَطُوفٍ مِنْ أَدَمٍ ^(٤) *

ومخالب الأسد وأشباه الأسد من السباع ، تكون في غُلفٍ ^(٥) ، إذا
وطئت على بطون أكفها ترفعت المخالب ، ودخلت في أكمام لها . وهو قول
أبي زبيد :

بُحْجِنِ كَالْحَاجِنِ فِي فَتُوحٍ يَقِيهَا قِصَّةُ الْأَرْضِ الدَّخِيسِ ^(٦)
وكذلك أنياب الأفاعي ، هي مالم تعض فقصونة في أكمام . ألا تراه
يقول :

فَخَاضَهُ بَيْنَ الشَّرَاكِ وَالْقَدَمِ بِمِذْرَبٍ أَخْرَجَهُ مِنْ جَوْفِ كُمٍّ ^(٧)

(١) النضناض : الحية يتنفض لسانه ، أى يحركه . ط : « من أس » ، صوابه
في س ، هـ .

(٢) هو من خاضه بالسيف خوضاً : وضعه في أسفل بطنه ، ثم رفعه إلى فوق .

(٣) عني بالمذرب ناب الحية . هـ . « ملذوب » ، صوابه في س ، هـ . والكـ ،
بالضم : فشاء مخالب السبع . اللسان (١٥ : ٤٣٠) .

(٤) الإشقى : المخرز ، يذكر ويؤنث . والمطوف ، بالفتح : المطوف . وإذا أظهر
لأثر الخرز . والأدم ، بالتحريك : الجلد ، أو أحمره ، أو مذبوغه .

(٥) غلف : جمع غلاف . ط : « غلق » ، صوابه من س ، هـ .

(٦) الحجن : عني بها مخالب الأسد . وقد اشتهر أبو زبيد بنبعته . والحاجن : جمع
محجن ، وهو العصا المعوجة . والفتوح بضم الفاء ، وبالحاء المعجمة في آخره : هي
من الأسد مفاصل مخالبه ، كما في القاموس . وفي الأصل : « فتوح » بالحاء المهملة
مصطف . والتفضة ، بكسر القاف وفتح ، بعدها ضاد معجمة مشددة : الحصى
الصغار . وفي الأصل : « قصة » بالصاد ، محرف . والدخيس : لحم باطن الكف .

(٧) سبق شرح البيت في التنبية . الثالث من هذه الصفحة . ط : « مخاضه » ، صوابه
في س ، هـ . هـ : « ملذوب » ، محرف .

(رجز وشعر في لعاب الحية)

وقال آخر :

أنعتُ نضاضاً كثيرَ الصَّقَرِ^(١) مولده كمولِدِ ابنِ الدَّهْرِ^(٢)
كاناً جميعاً وَلِدَا في شَهْرٍ يظلُّ في مَرَأَى بَعِيدِ القَعْرِ
* بَيْنَ حَوَا في سَدِيرٍ وصَخْرٍ^(٣) *

وقال :

وكيفَ وقد أمهرتُ عَيْنَكَ تبتغي عِنَادًا لِنَابِي حِيَّةٍ قد تَرَبَّدَا^(٤)
من الصُّمِّ يَكْفِي مِرَّةً من لُعَابِهِ وما عَادَ إِلَّا كَانَ في العَوْدِ أَحْمَدَا^(٥)

(شعر خلف في الأفعى)

وقال خلف الأخر — وهي مخلوطة فيها شيء ، وله شيء ، من الغبرة^(٦)

-
- (١) الصقر ، أراد به سمه ولعابه . وفي الأصل : « كبير الظفر » ، وليس للحية ظفر .
وصواب الرواية ما أثبت من المخصص (١٣ : ٢٠٨) .
- (٢) ابن الدهر ، فسر ابن سيده بأنه الموت . المخصص (١٣ : ٢٠٨) . وقد
فسره الثعالبي في ثمار القلوب ٢١٤ بأنه النهار ، واستشهد ببيت ابن الرومي :
وما الدهر إلا كابنه ، فيه بكرة وهاجرة مسمومة الجور قاتله
في الأصل : « ومولد ابن الطهر » ، وتصحيحه من المخصص . وقد عني الراجز
أن ذلك الحية متقادم الميلاد ، وذلك مما يزيد في شدة سمه .
- (٣) الحواشي : جمع حاقة ، بفتح الفاء المخففة ، وهو من نادر الجمع . والحاقة : الجانب .
والسدر ، كسكتف : البحر . وحيات الماء معروفة بالجرأة والنكر . وفي
الأصل : « صدر » ، ولعل الوجه فيه ما أثبت .
- (٤) تربد : صار أريد . والريبة : لون إلى الغبرة . وضمير « تربد » عائد إلى الحية ،
والحياة تذكر وتؤنث .
- (٥) ط ، س : « مرة » . هـ : « مرة » ، صوابهما ما أثبت . والشرط الثاني
فيه تهكم .
- (٦) كذا جاءت هاتان الكلمتان . وحققنا أن تكونا في صدر الفقرة مسبوقتين بنحو
كلمة : « تربد » ، فتكونا شرحا لها ، كما أسلفت في التعليق الرابع من هذه الصفحة .

وما علمتُ أن أحداً وصف عينَ الأفعى على معرفةٍ واختبار غيره -

وهو قوله :

أَفَعَى رَخُوفَ الْعَيْنِ مِطْرَاقَ الْبُكَرِ^(١)

داهية قد صغرت من الكبير

صِلَّ صَفًّا مَا يَنْطَوِي مِنَ الْقِصَرِ^(٢) طويلة الإطراق^(٣) من غير حسر

كَأَنَّمَا قَدْ ذَهَبَتْ بِهِ الْفِكْرُ شُقَّتْ لَهُ الْعَيْنَانِ طُولاً فِي شَتَرِ

مهروته الشدقين حولاء النظر جاء بها الطوفان أيام زخر^(٤)

كَأَنَّ صَوْتَ جَلْدِهَا إِذَا اسْتَدَرَّ^(٥) نشيش جمر عند طاهٍ مقتدر

(أحاديث في الوزغ)

٩٦ هشام بن عروة قال : أخبرني أبي أن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها كانت تقتل الأوزاغ .

يحيى بن أبي أنيسة^(٦) ، عن الزُّهري ، عن عروة^(٧) ، عن عائشة

(١) الرخوف : من رخف بمعنى استرخى . ط ، ه ، « زحوف » صوابه في ص . ومطراق البكر : أى يطرق إطراقاً فى الغدوات . وذلك من صفة الأفعى . أما انتباهها فيكون على أشده فى الليل .

(٢) صلال الصفا من أخبث الحيات . وقد بالغ الراجز فى جمعه الصل لا ينطوى من شدة قصره . فى الأصل : « صل صفاء ينطوى » ، وضوابه بما سبق فى ص ١١٩ .

(٣) فى الأصل : « الأطراف » بالفاء ، والوجه فيه ما أثبت . والإطراق : السكون مع النظر فى الأرض .

(٤) زخر : ارتفع . وقد عنى أن تلك الأفعى معمرة ، أدركت أيام نوح عليه السلام !

(٥) استدر : كثرت حركته .

(٦) يحيى بن أبى أنيسة ، بهيئة التصغير ، الجزرى ، ضعيف من السادسة ، مات سنة ست وأربعين ومائة .

(٧) هو عروة بن الزبير بن العوام ، أحد فقهاء المدينة السبعة . أمه أسماء بنت أبى بكر =

قالت : « سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للوزغ : فويسق » .

قالت : « ولم أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرَ بقتله » .

قال (١) قالت عائشة رضي الله عنها : « سمعت سعداً يقول : أمرَ

رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله » .

عبد الرحمن بن زياد قال : أخبرني (٢) هشامٌ عن عروة عن عائشة

« أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للوزغ : الفويسق » .

أبو بكر الهذلي ، عن معاذ عن عائشة قالت : « دخل رسول الله

صلى الله عليه وسلم على وفي يدي عُكَّازٌ فيه زُجٌّ ، فقال : يا عائشة ، ماتصنعين .

بهذا ؟ قلت : أقتلُ به الوزغ في بيتي . قال : إن تفعلِي فإنَّ الدَّوابَّ كلها

حين ألقى إبراهيمُ صلى الله عليه وسلم في النار ، كانت تُطْفِئُ عنه ، وإنَّ هذا

كانَ ينفخُ عليه ، فَصَمَّ وَبَرَصَ » .

وهذه الأحاديثُ كلها يحتجُّ بها أصحابُ الجهالات ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ

الأشياء كلها كانت ناطقةً ، وأنها أمٌ مجراها مجرى الناس .

(تأول آيات من الكتاب)

وتأولوا قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ

بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ، وقالوا :

= وسمع من عائشة خالته ، وروى عنه الزهري . ولد سنة ٢٢ أو ٢٦ الهجرة .

وتوفي سنة ٩٣ أو ٩٤ . وكان عبد الملك يقول فيه : « من سره أن ينظر إلى

رجل من أهل الجنة . فليتنظر إلى عروة بن الزبير ! » .

(١) ليست في س ، ه .

(٢) ط : « وأخبرني » .

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾^(١) وقال تعالى : ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ﴾^(٢) وقال : ﴿ وَإِنْ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ .

فذهبت الجهمية ومن أنكر إيجاد الطبائع مذهباً ، وذهب ابن حائط^(٣) ومن لفَّ لفَّ من أصحاب الجهالات مذهباً ، وذهب ناسٌ من غير المتكلمين ، واتبعوا ظاهر الحديث وظاهر الأشعار ، وزعموا^(٤) أن الحجارة كانت تعقل وتنطق ، وإنما سلبت المنطق فقط . فأما الطير والسباع فعلى ما كانت عليه .

قال : والوطواط ، والصُّرْد ، والضفدع ، مطيعات ومُثَابَات^(٥) . والعقرب ، والحية ، والحِدَاة ، والغراب ، والوزغ ، والكلب ، وأشباه ذلك ، عاصيات معاقبات .

(١) في الأصل : « وقوله » .

(٢) لا خلاف بينهم في نصبه . وما روى عن البصري وعاصم وروح من رفعه وإن كانت له أوجه صحيحة في العربية ، لا يقرأ به ؛ لضعفه في الرواية . السفاقي .

(٣) هو أحمد بن حائط ، صاحب مذهب الحائطية ، وكان من أصحاب النظام وأخذ عنه وأق في مذهبه بمنكرات عجيبة . وما قاله : إن كل نوع من أنواع الحيوان أمة على حيالها ؛ لقوله تعالى : « ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم » ، وقال : إن في كل أمة منها رسولا من نوعها ؛ لقوله تعالى : « وإن من أمة إلا خلا فيها نذير » . انظر الملل والنحل (١ : ٨٠ - ٨١) والفرق ٢٥٥ - ٢٥٩ حيث تجد قولاً فكها ضارباً في الخيال . وفي الأصل : « ابن حافظ » ، وصوابه ما أثبت .

(٤) هـ : « فزعموا » .

(٥) ط : « مثانات » بالنون ، صوابه في س ، هـ .

ولم أقف^(١) على واحدٍ منهم فأقول له : إِنَّ الْوَزْغَةَ الَّتِي تَقْتُلُهَا عَلَى أَنَّهَا
كَانَتْ تُضْرِمُ النَّارَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، أَمْ هَذِهِ أُمُّ هِيَ مِنْ أَوْلَادِهَا فَأُخَوِّدُهُ
هِيََ بِذَنْبِ غَيْرِهَا ؟ أَمْ تَزْعُمُ أَنَّ فِي الْمَعْلُومِ أَنَّ تَكُونَ تِلْكَ الْوَزْغُ لَا تَلِدُ
وَلَا تَبْذِيضُ وَلَا تُفْرِخُ إِلَّا مِنْ يَدَيْنِ بَدِينِهَا ، وَيَذْهَبُ مَذْهَبُهَا ؟ !
وَلَيْسَ هَؤُلَاءِ يَمْنُ يَفْهَمُ تَأْوِيلَ الْأَحَادِيثِ ، وَأَيُّ ضَرْبٍ مِنْهَا
يَكُونُ مُرْدُوداً ، وَأَيُّ ضَرْبٍ مِنْهَا يَكُونُ مُتَأَوِّلاً ، وَأَيُّ ضَرْبٍ مِنْهَا يَقَالُ ٩٧
إِنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ حِكَايَةٌ عَنْ بَعْضِ الْقِبَائِلِ .
وَلِذَلِكَ أَقُولُ : لَوْلَا مَكَانُ الْمُتَكَلِّمِينَ لَهَلَكْتَ الْعَوَامُّ ، وَانْخَطَطَتْ
وَاسْتَرْقَتْ ، وَلَوْلَا الْمُعْتَزِّلَةُ لَهَلَكَ الْمُتَكَلِّمُونَ^(٢) .

(أَحَادِيثُ فِي قَتْلِ الْوَزْغِ)

شَرِيكٌ عَنِ النَّخَعِيِّ ، عَنِ لَيْثٍ ، غَنَ نَافِعٌ ، أَنَّ ابْنَ عَمَرَ كَانَ يَقْتُلُ الْوَزْغَ
فِي بَيْتِهِ وَيَقُولُ : هُوَ شَيْطَانٌ !
هَشَامُ بْنُ حَسَّانٍ ، عَنِ خَالِدِ الرَّبْعِيِّ ، قَالَ : لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْ خَشَاشِ
الْأَرْضِ إِلَّا كَانَ يُطْفِئُ النَّارَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، إِلَّا الْوَزْغُ ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَنْفُخُ عَلَيْهِ .
حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ يَقُولُ : إِنَّ
الْأَوْزَاعَ كَانَتْ يَوْمَ حُرْقِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ تَنْفُخُهُ وَالْوَطَاوِطُ^(٣) بِأَجْنِحَتِهَا .
شَرِيكٌ عَنِ النَّخَعِيِّ ، عَنِ جَابِرٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : الْوَزْغُ
شَرِيكُ الشَّيْطَانِ .

(١) ط : « أفق » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٢) انظر ما سبق في ص ٢٠٦ .

(٣) يجمع الوطواط على وطواط ووطاوط : كما هنا وكما في القاموس .

أبو داود الواسطي قال : أخبرنا أبو هاشم ، قال : مَنْ قَتَلَ وَزْغَةً حَطَّ اللَّهُ عَنْهُ سَبْعِينَ خَطِيئَةً ، وَمَنْ قَتَلَ سَبْعًا^(١) كَانَ كَعَتَقِ رَقَبَةٍ .
هشامُ بن حسان ، عن واصل مولى أبي عيينة^(٢) ، عن عقيل ،
عن يحيى بن يعمر ، قال : لَأَنْ أَقْتُلَ مِائَةَ مِنَ الْوَزْغِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ
مِائَةَ رَقَبَةٍ .

وهذا الحديث ليس من شكل الأول ؛ لأنَّ يحيى بن يعمر لم يزعم
أنَّهُ يَقتله لكفره أو لكفر أبيه ، ولكنها دابةٌ تُطاعمُ الحياتِ وتُزأقُها
وتقاربُها ، وربما قُتِلَتْ بِعَضَّتِها ، وتكرعُ في المرقِ واللَّبنِ ثُمَّ تَمُجُّهُ فِي الْإِنَاءِ
فَيَنَالُ النَّاسَ بِذَلِكَ مَكْرُوهٌ كَبِيرٌ ، من حيث لا يعلمون . وقتله في سبيل
قَتْلِ الْحَيَّاتِ وَالْعُقَارِبِ .

(صنع السم من الأوزاغ)

وأهلُ السِّجْنِ^(٣) يعملون منها سموماً أنفذَ من سمِّ اللَّيْشِ^(٤) ، ومن ريقِ

(١) تحتل الرواية أن تكون سبعا بإسكان الباء ، أى هذا العدد من الوزغ . وتحتل
أيضا أن تكون سبعا بضم الباء ، بمعنى المفترس من الحيوان . والصدر الأول رواه
الطبراني في الأوسط ، عن عائشة . ورمز له السيوطي في الجامع الصغير ٨٩١٥
بحرف (ح) أى حسن .

(٢) واصل مولى أبي عيينة ، بفتحانية مصغر ، قال ابن حجر : صدوق من السادسة
تقريب التهذيب .

(٣) أى القوامون بأمر السجن . ولعلمهم كانوا يصنعون هذا السم ليتخلصوا من يلون
أمرهم من المساجين ، أو لتخف عنهم مؤنة المراقبة ، أو تنفيذا لما يوحى به إليهم
أولو الأمر . وفي الأصل : « أهل السحر » ، والأوفق ما أثبت كما في حيون
الأخبار (٢ : ٩٩) . وسيأتى من الكلام أن « المسجون » هو الذى يطعم
هذا السم .

(٤) اللَّيْش ، بالكسر : نبت صينى وهنلى ، يطول إلى ذراع ، سبط الأوراق .
وهو سم قتال ، أسرع فتكا بالإنسان من سم الأفاعى .

الأفاعي ؛ وذلك أنهم يُدخلون الوزغَ قارورةً ، ثمَّ يصبُّون فيها من الزيت ما يغمُرُها ، ويضعونها في الشمسِ أربعين يوماً ، حتَّى تختلط بالزيت وتصير شيئاً واحداً . فإنَّ مسحَ السَّجِينِ منه على رغيْفٍ مَسْحَةٌ يسيرةٌ فأكلَ منه عشرةُ أنفسٍ ماتوا^(١) . ولا أدري لِمَ تَوَخَّوا من مواضع الدُّفَنِ عَتَبَ الأبواب^(٢) .

(حديث فيه نصائح)

يحيى بن أبي أنيسة ، عن أبي الزُّبَيْر ، عن جابر بن عبد الله ، قال : « أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَرْبَعٍ وَنَهَانَا عَنْ أَرْبَعٍ : أَمَرَنَا أَنْ نُجَيِّفَ أَبْوَابَنَا ، وَأَنْ نَحْمُرَ آتِنَتَنَا ، وَأَنْ نُوَكِّيَ أَسْقِيَتَنَا ، وَأَنْ نُنْطِئَ سُرُجَنَا^(٣) فَإِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا وَجَدَ بَاباً مُجَافاً لَمْ يَفْتَحْهُ ، وَإِنَاءً مُحْمَراً لَمْ يَكْشِفْهُ ، وَسَقَاءً مُوَكِّيً^(٤) لَمْ يَحْلَهُ . وَإِنَّ الْفُوسِقَةَ^(٥) تَأْتِي الْمَصْبَاحَ فَتُضَرِّمُهُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ . وَنَهَانَا عَنْ أَرْبَعٍ : نَهَانَا عَنْ اشْتِمَالِ الصَّمَاءِ^(٦) ، وَأَنْ يَمْشِيَ أَحَدُنَا فِي النَّعْلِ

(١) ط : « ماتوا » ، صوابه في س ، ه .

(٢) أي دقهم ما يقتلون من الأوزاغ تحت عتب الأبواب .

(٣) أجاف الباب : رده عليه . وتخيم الآنية : تغطيها . ويقال أوكل السقاء يوكيه ؛ أي شده بالوكاء ، بالكسر ، وهو سير ، أو خيط . والسرّج : جمع سراج ، وهو المصباح .

(٤) ط ، ه : « موكا » ، ووجه كتابته بالياء . وفي س : « موكا » بالهمز . ولعلها لغة .

(٥) المراد بالفويسقة : الفأرة ، تصغير فاسقة .

(٦) اشتمل الصماء : رد الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعاتقه الأيسر ، ثم رده ثانية من خلفه على يده اليمنى وعاتقه الأيمن فيغطيها جميعاً ، فمن ذلك ما قيل للصماء . واللفقاء تفسير آخر ، وهو أن يشتمل بثوب واحد ليس عليه غيره ، ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه على منكبيه ، فيبدو منه ما لا يليق أن يبدو . س « الصماد » محرف .

الواحدة أو الخُفُّ الواحد ، وأنَّ يَحْتَبِيَ الرَّجُلُ مِنَّا فِي الثَّوبِ الْوَاحِدِ ^(١) ليس عليه غيره ، وأنَّ يَسْتَلْقَى أَحَدُنَا عَلَى ظَهْرِهِ وَيَرْفَعُ إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْآخَرَى ^(٢) .

وهذا الحديثُ ليس هذا موضعه ، وهو يقع في باب جملة القول في النار ، وهو يقع [بعد ^(٣)] هذا الذي يلي القول في النعام .

(ما جاء في الحيات من الحديث)

شعبة أبو بسطام ، قال : أخبرني أبو قيس ، قال : جلست إلى علقمة ابن قيس ^(٤) ، وربيع بن خثيم ^(٥) فقال ربيع : قولوا وافعلوا خيراً ^(٦) تُجْزَوُا خيراً . وقال علقمة : مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ إِلَّا يَرَى الْحَيَّةَ ، إِلَّا قَتَلَهَا ، إِلَّا الَّتِي مِثْلُ الْمِيلِ ^(٧) ؛ فَإِنَّهَا جَانٌّ ^(٨) . وَإِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ قَتْلُ حَيَّةٍ أَوْ كَافِرٍ .

(١) أى أن يضم رجله إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليهما ، فربما تحرك ، أو زال الثوب فيقع صاحبه في الحرج . ط : « أن يحتبى الرجل منا في الثوب الواحد » ، وهو على الصواب في س ، ه .

(٢) روى هذا الحديث بروايات مختلفة في (٥ : ٤١) .

(٣) الزيادة من س ، ه .

(٤) هو علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي . ثقة ثبت فقيه عابد . وكان من كبار التابعين . توفي بعد الستين أو بعد السبعين . تقريب التهذيب .

(٥) هو الربيع بن خثيم ، بضم المعجمة الفوقية وفتح المثناة ، ابن عائذ بن عبد الله الثوري الكوفي . ثقة عابد من كبار التابعين ، قال له ابن مسعود . « لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك » . مات سنة إحدى وقليل ثلاث وستين . عن تقريب التهذيب . وفي الأصل : « خثيم » ، وهو تحريف يتعرض له هذا الاسم كثيراً . وقد نهت عليه في تذييل الجزء الأول ص ٤٢٣ .

(٦) ط : « فقلت افعلوا خيراً » ، وتصحيحه وإكاله من س ، ه .

(٧) الميل ، بالكسر : ذاك الذي يكتحل به . والنص مضطرب في الأصل . فط ، س : « إلى مثل الميل » وفي ه : « إلى مثل » بدون ذكر « الميل » . ولعل الصواب فيه ما أثبت . ويؤيده ما ورد في نهاية ابن الأثير من الحديث : « أنه نهى عن قتل الجنان » ، قال : « هي الحيات التي تكون في البيوت ، واحداها جان ، وهو الدقيق الخفيف » .

(٨) ه : « فاته جاني » .

إسماعيل المسكى^(١) ، عن أبي إسحاق ، عن علقمة قال : قال عبد الله
ابن مسعود : من قتل حيّةً فقتل كافراً .
ثم سمعت عبد الرحمن بن زيد^(٢) يقول : من قتل حيّةً أو عقرباً
قَتَلَ كافراً .

وهذا مما يتعلق به أصحابُ ابن حائط^(٣) ، وتأويله في الحديث الآخر^(٤) .
عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي^(٥) قال : سمعت القاسم بن عبد الرحمن ،
يقول : قال عبد الله^(٦) : من قَتَلَ حيّةً أو عقرباً فكأنَّما قَتَلَ كافراً . فعلى
هذا المعنى يكونُ تأليف الحديث .

سعيد بن أبي عروبة^(٧) ، عن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « مَا سَأَلْنَا هُنَّ مُذْ حَارَبْنَاهُنَّ »^(٨) .

-
- (١) في الأصل : « المسكى » .
(٢) عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي ، ولد في حياة الرسول ، وولي إمارة مكة
ليزيد بن معاوية . ومات سنة بضع وستين . ط ، هـ : « عبد الرحمن بن يزيد » ،
من ولد في عهد الرسول أيضا . وترجم له ابن حجر في الإصابة ٦٢٣٠ .
(٣) في الأصل : « ابن حائط » . وصوابه ما أثبت . وانظر ما سبق في ص ٢٨٨ .
(٤) إشارة إلى ما ذهب إليه ابن حائط وأتباعه ، من أن الحيوان مكلف ، كما أن الإنسان
مكلف ، وأن الله يرسل إليه رسلا منه كما يرسل إلى الناس ؛ فلذلك يكون من
الحيوان المؤمن ، والكافر ، والصالح ، والظالم .
(٥) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الكوفي المسعودي ، مات سنة
ستين أو خمس وستين بعد المائة . في الأصل : « السعودي » ، وصوابه ما أثبت .
(٦) يعني عبد الله بن مسعود .
(٧) سعيد بن أبي عروبة الليشكري - مولاهم - البصري . وكان من أثبت الناس
في قتادة . مات سنة ست أو سبع وخمسين ومائة . وأبوه أبو عروبة ، بفتح
العين المهملة وضم الراء . واسم أبي عروبة مهران . عن تقريب التهذيب .
(٨) س : « حاويناهن » ، وهو تحريف . وسيعاد هذا الحديث قريبا .

سعيد بن أبي عروبة^(١) عن قتادة ، قالت عائشة : « مَنْ [تَرَكَ] ^(٢) قَتَلَ حَيَّةً مَخَافَةَ أَثَارِهَا ^(٣) فعليه لعنة الله والملائكة » .

الرَّبِيعُ بْنُ صَبِيحٍ ^(٤) عَنْ عَطَاءِ الْخِرَاسَانِيِّ ^(٥) قَالَ : كَانَ فِيمَا أُخِذَ عَلَى الْحَيَّاتِ أَلَّا يَظْهَرْنَ . فَمَنْ ظَهَرَ مِنْهُنَّ حَلَّ قَتْلُهُ . وَقَتْلُهُنَّ كَقِتَالِ الْكُفَّارِ ، وَلَا يَتْرُكُ قَتْلَهُنَّ إِلَّا شَاكًّا .

وهذا مما يتعلق به أصحاب ابن حائط .

مُحَمَّدُ بْنُ عَجَلَانَ قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي يَحْدُثُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا سَأَلْنَا هُنَّ مَذْحَارَ بَنَاهُنَّ » .

ابن جريج قال : أخبرني عبد الله بن عبيد بن عمير ^(٦) قال :

(١) ط : « سعيد بن عروبة » ، صوابه ما أثبت من س ، ر . وانظر التنبيه الذي قبل السابق .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . ولا يصح المعنى ولا الرواية بدونها . أما عدم صحة المعنى فلقولُه : « مخافة أثارها » ، فإن الخوف من الثأر يقتضي عدم قتلها . وكان أهل الجاهلية يقولون : « إن الجن تطلب بثأر الجان إذا قتل » ، فربما قتلت قاتله ، وربما أصابته بغيره ، وربما قتلت ولده . انظر تأويل مختلف الحديث ١٤٦ . وأما الرواية فقد روى ابن قتيبة على هذا الوجه : « من ترك قتل الحيات مخافة الثأر فقد كفر » . وفي محاضرات الراغب : « من قتل حية فخاف أثارها فعليه لعنة الله » .

(٣) ط : « إثارها » س ، ب « اثارها » ، صوابهما ما أثبت من محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٥) . وهي جمع ثأر . وانظر التنبيه السابق .

(٤) الربيع بن صبيح : بفتح المهملة ، السعدي البصري ، صدوق سيبى الحفظ . قالوا : أول من صنف الكتب بالبصرة ، كان من كبار أتباع التابعين ، توفي سنة ستين ومائة .

(٥) هو عطاء بن أبي مسلم ، أبو عثمان ، الخراساني . واسم أبيه ميسرة أو عبد الله . مات سنة خمس وثلاثين ومائة .

(٦) عبد الله بن عبيد بن عمير ، بتصغير الأخيرين ، من الطبقة الوسطى من التابعين ، استشهد غازيا سنة ١١٣ . وفي الأصل : « عبد الله بن عمر » . وليست تصح رواية ابن جريج عن عبد الله بن عمر فإن الأول ولد سنة ٨٠ على حين توفي عبد الله بن عمر سنة ٧٣ . والتصويب مما سبق في (٢ : ٢٩٣) .

أخبرني أبو الطفيل أنه سمع على بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : « ائتملوا من الحيات ذا الطفيتين ^(١) ، والكلب الأسود البهيم ^(٢) ذا الغرتين ^(٣) » .
قال : والغرة ^(٤) : حوّة تكون بعينه .

(طعام بعض الحيوان)

قال صاحب المنطق : الطير على ضربين : أوابد وقواطع . ومنه ما يأكل اللحم لا يأكل غيره وإن لم يكن ذا سلاح . فأما ذو السلاح فواجب أن يكون طعامه اللحم . ومن الطير ما يأكل الحبوب لا يعضها ، ومنه المشترك الطباع ؛ كالعصفور والدجاج والغراب ، فإنها تأكل النوعين جميعاً ، وكطير الماء ، يأكل السمك ويلقط الحب . ومنه ما يأكل شيئاً خاصاً ، مثل جنس النحل المعسل ^(٥) الذي غذاؤد شيء واحد ، وجنس العنكبوت ؛ فإن طعام النحل المعسل العسل ^(٦) ، والعنكبوت يعيش من صيد الذباب ^(٧) .

(١) الطفيتان ، بالضم : خطان أسودان على ظهر الحية .

(٢) البهيم : الذي لا شية فيه .

(٣) في الأصل : « القرنين » ، وهو تحريف صوابه ما أثبت . وانظر ما أسلفت في (٢ : ٢٩٣) .

(٤) ط ، ب : « والفرة » س : « والقرة » صوابهما ما أثبت . وانظر ما كتبت في (٢ : ٢٩٣) .

(٥) المعسل : الذي يصنع العسل . وإنما قال ذلك لأن النحل قبل أن يصنع العسل ، يتخذ غذاءه من مختلف أنواع الأزهار . ط : « المعسل » ، صوابه في س ، هـ .

(٦) ط ، هـ : « فإن طعم النحل العسل » س : « فإن طعم النحل المعسل » ، وقد جمعت بينهما .

(٧) هـ : « الذبان » .

(ماله مسكن من الحيوان)

ومن الحيوان ماله مسكنٌ ومأوى ؛ كالحلْد^(١) والفأر ، والنمل ، والنحل ، والضَّبُّ . ومنه ما لا يتخذُ شيئاً يرجعُ إليه [كالحَيَّاتِ^(٢)] ؛ لأنَّ ذُكُورَ الحَيَّاتِ سَيَّارَةٌ ، وإناثُها^(٣) إنما تُقيمُ في المكانِ إلى تمامِ خُروجِ الفِرَاحِ من البَيْضِ ، واستغناءِ الفِرَاحِ بأنفسِها . ومنها ما يكونُ يأوى إلى شقوقِ الصُّخُورِ والحِيطانِ ، والمداخلِ الضيّقةِ ، مثلِ سامِّ أبرص . قال : والحَيَّاتُ تألفُها كما تألفُ العقاربُ الخنافس . والعظايا تألفُ المزابِلَ والحراياتِ . والوزغُ قريبةٌ من النَّاسِ .

(زعم زرادشت في العظايا وسوام أبرص)

[وزعم^(٤)] زَرَادَشْت^(٥) أنَّ العظايا ليستُ من ذواتِ السُّمومِ ، وأنَّ سامَّ أبرصَ من ذواتِ السُّمومِ ، وأنَّ أهرمن^(٦) لما قعدَ ليقسيمَ السُّمومَ ،

(١) الحلد ، بالضم ويفتح : ضرب من الفأر أعشى .

(٢) ليست بالأصل . والسياق يقتضيها .

(٣) في الأصل : « وإناها » . والوجه ما أثبت . وعند الميرى : « والذكر لا يقيم بموضع واحد . وإنما تقيم الأنثى على بيضها حتى تخرج فراخها وتقوى على الكسب » .

(٤) ليست بالأصل .

(٥) زرادشت : رجل ظهر في عهد كيشتاسب من ملوك الفرس الكيانيين ، ودعا إلى دين المجوسية ، وهو صاحب الأبيستا ، وشرحه : الزند بستا ، وقد ظهر قبل الإسكندر بنحو ثلثمائة سنة ، على ما في التنبيه والاشراف ٨٥ . وقد ظهر من بعده مزدك الموبد ، فتأول الأبيستا ، وجعل لظاهرها باطناً ، واستخلص من ذلك الديانة المزدكية . في ط ، س : « درادشت » وب : « درادست » ، صوابه ما أثبت .

(٦) أهرمن ، هو في مذهب زرادشت : رمز لقوة الشر ، كما أن (أرموزد) رمز لقوة الخير . وكان يرى أن الاثنين يظلان في نزاع دائم ، حتى يتغلب أرموزد على أهرمن في نهاية الأمر . وبذل هذه الكلمة والتي قبلها في كل من ط ، ه : « لأنه » صوابه في س .

كَانَ الْحِظُّ الْأَوْفَرُ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَقَ إِلَى طَلْبِهِ ، كَالْأَفَاعَى ، وَالشَّعَابِينَ
وَالْجُرَّارَاتِ . وَأَنَّ نَصِيبَ الْوَزَغِ نَصِيبٌ وَسَطٌ قَصْدٌ ، لَا يَكْمُلُ أَنْ يَقْتُلَ ،
وَلَكِنَّهُ يَزَاقُ الْحَيَّةَ ^(١) ، فَتُمَيِّزُهُ ^(٢) مِمَّا عِنْدَهَا . وَمَتَى دَبَرَ ^(٣) الْوَزَغُ جَاءَ مِنْهُ
السَّمُّ الْقَاتِلُ ، أَسْرَعَ مِنْ سَمِّ الْبَيْشِ ، وَمَنْ لُعَابُ الْأَفَاعَى . فَأَمَّا الْعِظَايَةُ ^(٤)
فَلَمَّا احْتَبَسَتْ عَنِ الطَّلَبِ حَتَّى نَفِدَ السَّمُّ ، وَأَخَذَ كُلُّ شَيْءٍ قِسْطَهُ ، عَلَى
قَدْرِ السَّبْقِ وَالْبُكُورِ ، فَلَمَّا جَاءَتِ الْعِظَايَةُ وَقَدْ فَنِيَ ^(٥) السَّمُّ ، دَخَلَهَا مِنَ
الْحُسْرَةِ ، وَمِمَّا عَلَاهَا مِنَ الْكَرْبِ ، حَتَّى جَعَلَتْ وَجْهَهَا إِلَى الْخَرَابَاتِ
وَالْمَزَابِلِ . فَإِذَا رَأَيْتَ الْعِظَايَةَ تَمْشِي مَشْيًا سَرِيعًا ثُمَّ تَقِفُ ، فَإِنَّ تِلْكَ
الْوَقْفَةَ إِنَّمَا هِيَ لِمَا يَعْرِضُ لَهَا مِنَ التَّذَكُّرِ وَالْحُسْرَةِ عَلَى مَا فَاتَهَا مِنْ نَصِيبِهَا
مِنَ السَّمِّ .

(رَدُّ عَلَيْهِ)

وَلَا أَعْلَمُ الْعِظَايَةَ فِي هَذَا الْقِيَاسِ إِلَّا أَكْثَرَ شُرُورًا مِنَ الْوَزَغِ ؛ لِأَنَّهَا
لَوْ لَا إِفْرَاطُ طَبَاعِهَا فِي الشَّرَارَةِ ^(٦) ، لَمْ يَدْخُلْهَا مِنْ قُوَّةِ الْهَمِّ مِثْلُ الَّذِي دَخَلَهَا

(١) يَزَاقُ الْحَيَّةَ : مِفَاعِلَةٌ ، مِنْ زَقَّ الطَّائِرُ فَرَخَهُ : أَطْعَمَهُ . س ، ب : « يَزَاقُ »
صَوَابُهُ فِي ط .

(٢) مَارَهُ يَمِيرُهُ ، وَأَمَارَهُ يَمِيرُهُ : جَلَبَ الطَّعَامَ إِلَيْهِ . س : « فَيُمَيِّزُهُ » ، صَوَابُهُ
فِي ه ، ط .

(٣) دَبَرَ ، مِنْ بَابِ نَصَرَ : أَدْرَكَهُ الْهَرَمُ وَالشَّيْخُوخَةُ . وَمِنْهُ فِي الْكِتَابِ : « وَاللَّيْلُ
إِذَا دَبَرَ » ، فِي بَعْضِ الْقُرَآئِمَاتِ .

(٤) الْعِظَايَةُ ، بِالْفَتْحِ : دَوِيَّةٌ كَسَامُ أَبْرَصٍ . ط : « الْعِظَايَةُ » ، صَوَابُهُ فِي س ، ه .

(٥) ط ، ه : « قَتَى » بِالْقَافِ ، وَلَا وَجْهَ لَهُ . وَتَصْحِيحُهُ مِنْ س .

(٦) يُقَالُ شَرُّ يَشْرُ وَيَشْرُ شَرًّا وَشَرَارَةً ، فَهُوَ شَرِيرٌ - بِفَتْحِ الشَّيْنِ وَكسْرِ الرَّاءِ -
وَشَرِيرٌ ، كَسَكَيْتَ .

ولم يستبِن للنَّاس^(١) من اغتباط للوزغ بنصيبه من السمِّ ، بقدر ما استبان من تُسْكَل العظاية ، وتسَلُّها وإحضارها^(٢) وبكائها وحُزْنِها ، وأسْفِها على ما فاتها من السمِّ .

(زعم زرادشت في خلق الفأرة والسُّنَّور)

ويزعم زَرَادَشْت^(٣) ، وهو مذهبُ المجوس^(٤) ، أَنَّ الفأرةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ ، وَأَنَّ السُّنَّورَ مِنْ خَلْقِ الشَّيْطَانِ ، وهو إبليس ، وهو أَهْرَمَنْ^(٥) . فإذا قيل له : كيف تقول ذلك والفأرةُ مُفْسِدةٌ ، تجذب فتيلةَ المصباح فتحرق بذلك البيتَ والقبائلَ الكثيرةَ ، والمَدَنَ العِظَامَ ، والأرباضَ الواسعةَ ، بما فيها من النَّاسِ والحيوانِ والأموالِ ، وتقرضُ دفاترَ العلمِ ، وكتبَ الله ، دقائقَ الحسابِ ، والصُّكَّالَ^(٦) ، والشُّروطَ ، وتقرضُ الثَّيابَ ، وربما طلبت القُطْنَ لتأْكُلَ بِزَرِّهِ فتدَعُ اللَّحافَ غُرْبَالاً ، وتقرضُ الجُرْبَ^(٧) ، وأَوْكِيَةَ الأَسْقِيَةِ والأَزْقاقِ والقِرْبِ فتخرجُ جميعَ ما فيها ، وتقع في الآنية

(١) في الأصل : « الناس » . وسياق القول يقتضى ما أثبت . واستبان بمعنى ظهر .

(٢) الإحضار : سرعة الجرى .

(٣) في الأصل : « زرادشت » وهو تحريف . وانظر ما سبق في ص ٢٩٦ التنبيه الخامس .

(٤) ذاك الزعم مذهب المجوس ؛ لأن زرادشت صاحب مذهبهم .

(٥) ط : « وهرمن » ، وتصحيحه وإكالة من س ، هـ . وانظر للتنبيه السادس من صفحة ٢٩٦ .

(٦) الصك بمعنى الوثيقة ، معرب جلك ، وهو بالفارسية : كتاب القاضي . وقيل : الصك عربى . شفاء الغليل .

(٧) الجرب ، بضمين وبضمة أيضاً : جمع جراب ، بالكسر ، وهو النوع . أو وعاء زاد المسافر .

وفى البئر ، فتموت فيه ، وتُخَوِّجُ النَّاسَ إلى مُوْنٍ عِظَامٍ ، وربما عَضَّتْ
 رِجْلَ النَّائِمِ ؛ وربما قَتَلَتِ الْإِنْسَانَ بَعْضَتِهَا . وَالْفَأْرُ (١) بِخُرَاسَانَ رَبِّمَا قَطَعَتْ
 أُذُنَ الرَّجُلِ . وَجِرْدَانُ أَنْطَاكِيَّةَ تَعْجِزُ (٢) عَنْهَا السَّنَانِيرُ ، وَقَدْ جَلَا عَنْهَا قَوْمٌ ١٠٠
 وَكَرِهَهَا آخَرُونَ لِمَكَانِ جِرْدَانِهَا . وَهِيَ الَّتِي فَجَرَتْ الْمَسْنَاءَ (٣) ، حَتَّى كَانَ
 ذَلِكَ سَبَبَ الْحَسْرِ (٤) بِأَرْضِ سَبَأٍ ؛ وَهِيَ الْمَضْرُوبُ بِهَا الْمَثَلُ . وَسَبِيلُ الْعَرَمِ مِمَّا
 تَوَرَّخُ بِزَمَانِهِ الْعَرَبُ . وَالْعَرَمُ : الْمَسْنَاءُ . وَإِنَّمَا كَانَ جُرْدًا .
 وَتَقْتُلُ النَّخْلَ وَالْفَسِيلَ (٥) ، وَتَحْرُبُ اللَّصِيْعَةَ ، وَتَأْتِي عَلَى أَزِمَّةِ الرِّكَابِ
 وَالْحُطُمِ (٦) ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَمْوَالِ .
 وَالنَّاسُ رَبِّمَا اجْتَلَبُوا السَّنَانِيرَ لِيُدْفَعُوا بِهَا بَوَائِقُ الْفُلَرِ (٧) - فَكَيْفَ
 حَصَارَ خَلْقُ الضَّارِّ الْمَفْسِدِ مِنَ اللَّهِ ، وَخَلَقُ النَّافِعِ مِنَ الضَّرَرِ مِنْ
 خَلْقِ الشَّيْطَانِ ؟

-
- (١) أَرَادَ بِالْفَأْرِ هُنَا الْجَبَاعَةَ . ط : « الْفَأْرُ » صَوَابُهُ فِي س ، هـ .
 (٢) ط : « تَفْجَرُ » ، تَصْحِيحُهُ مِنْ س ، هـ .
 (٣) الْمَسْنَاءُ : السَّدُّ الَّذِي يَمْتَرِضُ بِهِ الرَّادِي لِنَتْنِيزِ تَدْفِقِ الْمَاءِ . وَفَجَرُ ، تَفَالٌ بِالتَّخْفِيفِ
 وَالتَّشْدِيدِ ، بِمَعْنَى جَعَلَهُ يَنْفَجِرُ وَيَسِيلُ .
 (٤) الْحَسْرُ : مَصْدَرُ حَسَرَ الْمَاءَ مِنَ الْأَرْضِ : تَنَصَّبَ حَتَّى يَدَا مَا تَحْتَهُ . وَجَاءَ فِي مَعْجَمِ
 الْبُلْدَانِ (بِرِسْمِ مَأْرِبِ) : « وَجَاءَ السَّيْلُ بِالرَّمْلِ قَطْمَهَا » . وَطَبْعُهَا : مِنْ قَوْلِهِمْ :
 جَاءَ السَّيْلُ قَطْمَ الرُّكْبَةِ : أَيْ دَفَنَهَا وَسَوَاهَا . ط : « الْحَسْرُ » بِالتَّحَاةِ الْمَعْجَمَةِ .
 وَأَثْبَتَ مَا فِي س ، هـ .
 (٥) الْفَسِيلُ : جَمْعُ فَسِيلَةٍ ، وَهِيَ النَّخْلَةُ الصَّغِيرَةُ . س : « النَّخْلُ وَالْفَسِيلُ » ، صَوَابُهُ
 فِي ط ، هـ .
 (٦) الرِّكَابُ ، بِالْكَسْرِ : الْإِبِلُ . وَالْأَزِمَةُ : جَمْعُ زِمَامٍ . وَهُوَ مَقْرُودُ الْبَيْمِرِ . وَالْحُطُمُ :
 جَمْعُ خُطَامٍ ، وَهُوَ مَا يُوضَعُ عَلَى مِخْطَمِ الْبَيْمِرِ لِيُقَادَ بِهِ . وَفِي الْأَصْلِ : « عَلَى الْفَرْحَةِ
 الرِّكَابُ وَالْحَضَرُ » . وَهِيَ صِبَاةٌ لَا تَتَجَبَّهُ . وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَ .
 (٧) بَوَائِقُ : جَمْعُ بَائِقَةٍ ، وَهِيَ الدَّاهِيَةُ ، أَوْ الْفُتْرَةُ .

والسَّنُور يُعَدَى به على كلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ الشَّيْطَانُ^(١) من الحَيَّاتِ ،
والعقارب ، والجعلان ، وبناتِ وِردان . والفأرةُ لا نَفَعَ^(٢) لها . ومُوْنَه
عظيمة .

قال : لأنَّ السَّنُورَ لو بالَ في البحرَ لَقَتَلَ عَشْرَةَ آلافِ سمكة !
فهلْ سمعتِ بِحُجَّةٍ قَطُّ ، أو بِحيلةٍ ، أو بأضحوكةٍ ، أو بكلامٍ ظهر على
تلقيح هرة^(٣) ، يبلغ مُوْن هذا الاعتلال ؟ !
فالحمد لله الذي كان هذا مقدارَ عقولهم واختيارهم^(٤) .
وأنشد أبو زيد :

والله لو كُنْتُ لهذا خالِصاً لَكُنْتُ عبداً آكل الأبارصا^(٥)
يعنى جماع^(٦) سامٌ أبرص : أبرص .

-
- (١) هذا مجازاة من الجاحظ للمجوسى الذى يمارسه .
(٢) فى الأصل : « لا تقع » .
(٣) كذا . والعبارة غير واضحة .
(٤) ظن بعض الناس أن مثل هذا التركيب فاسد ؛ لا لعدم الرابط فى الصلة ، ومنهم
الحريرى فى درة الغوص ١٠٠ . وقد رد عليه الخفاجى فى الشرح ٢٠٩ بأن
حذف الرابط فى مثل هذا جائز ، كما هو معروف فى كتب النحو . فالتقدير هنا :
الذى كان هذا منه . . . الخ .
(٥) يصح أن تقرأ : « آكل » قراءة الفعل ، فتكون فعلا مرفوعا . وتجاوز أيضاً
أن تقرأ « آكل » قراءة اسم الفاعل المنصوب ، مع حذف التنوين كما جاء
حذفه فى قوله :

فألفيته غير مستعجب ولا ذاكر الله إلا قليلا
بنصب لفظ الجلالة ، وحذف التنوين مما قبله . انظر ابن السيد فى
الاقتضاب ٣٥٥ .
(٦) الجماع ، بالكسر ، بمعنى الجمع .

(أثر أكل سام أبرص ونحوه)

وسام أبرص ربما قتل أكله^(١) ، وليس يؤكل إلا من الجوع الشديد .
وربما قتل السنابير وبنات عرّس ، والشامرك ، وجميع اللقّاطات^(٢) .
وقال آخر^(٣) :

كَانَ الْقَوْمَ عَشُوا لَحْمَ ضَانٍ فَهُمْ نَعِجُونَ قَدْ مَالَتْ طَلَاهِمُ^(٤)
وهو شئ يعرض عن أكل دسم الضأن ، وهو أيضا يلقي على دسمه^(٥)
النّعاس . وقد يفعل ذلك الحبق^(٦) ، والحشخاش .
[والحشخاش] يسمّى بالفارسيّة « أنار كَبُو »^(٧) ، وتأويله رمان الخس .
ولئنما اشتق له ذلك إذ كان يورث النّعاس ، كما يورثه الخس .

(١) يصح قراءتها على المصدرية ، أو على أنها اسم فاعل : (أكله) و : (آكله) .
(٢) أى الحيوان الذى يلتقط غذاءه . ط : « الفاهات » ، صوابه ما أثبت
من س ، هـ .

(٣) هو ذو الرمة ، كافى لسان العرب (مادة نعيم) .
(٤) فى المخصص (٥ : ٨٠) : « فان أكل لحم ضأن فتفل على قلبه فهو نعيم » . ومثل
هذا النص فى فقه اللغة ١٣٩ طبعة الحلبي ، ولسان العرب (نعيم) ، مع رواية
البيت فى كل منها ، وفى الأصل : « يعجون » بالباء ، وهذه الرواية مع احتمال صحتها
لا تصلح مع تعقيب الجاحظ للبيت بما سيقى من الكلام . وللبعج : المتسع للبطن .
والطل ، بالضم : الأعناق ، جمع طلية بالضم . ولئنما مالت طلاه لما غلب عليهم
من النوم . س : « كلام » وهو تحريف . وانظر (٥ : ٤٧٩) .

(٥) كذا فى ط ، هـ . وفى س : « رسمه » . ولعل صوابهما :
« يلقي عن دسمه » .

(٦) الحبق ، بالتحريك : ضرب من الرياحين .
(٧) هذه الكلمة الفارسية ، مركبة من مقطعين ، أحدهما (أنار) ومعناه للerman .
ويقال فيه أيضاً (نار) . ومنه (جلنار) بمعنى زهر الerman . و (جل) بمعنى زهر =

(أكل السماني)

وأكل الطعام الذي فيه سماني يُورث اللُّوَار . وزعموا أن صبيًا من الأعراب فيما مضى من الدهر ، صاد هامة^(١) على قبر ، فظنها سماني ، فأكلها فغثت نفسه ، فقال :

* نفسي تممَّس من سماني الأقبر^(٢) *

(استطراد لغوى)

ويقال : غثت نفسه غثياناً وغثياً^(٣) ، ولقيست تلقس لقساً ، وتممَّست^(٤) تتممَّس تممسا : إذا غثيت^(٥) .

(أكل الأعراب للحيات)

وأخبرني صباح بن خاقان ، قال : كنت بالبادية ، فرأيت ناساً حول نارٍ فسألت عنهم ، فقالوا : قد صادوا حياتٍ فهم يشوونها ويأكلونها ، إذ نظرتُ إلى رجلٍ منهم ينهش حيةً قد أخرجها من الجمر ، فرأيتُه إذا

== والثاني (كبر) ومعناه الخس . وفيه لغات : (كيور ، كيور ، كيو ، جيو) . وهذه الكلمة محرقة في الأصل . فهي في ط ، هـ : « أباركوا » وفي س : « أباركو » . واعتدت في تصحيحها على معجمي بالمر وريتشاردسن .

(١) الهامة : ضرب من اليوم .

(٢) الأقبر : جمع قبر . وأخبر في اللسان (مقس) بصورة أخرى .

(٣) س : « غثت نفسه غثياناً وظلماً » بالعين المهملة في الكلمة الأولى والثانية ، والمعجمة في الثالثة . صوابه في ط ، هـ .

(٤) في الأصل : « وتممَّس » . والوجه ما أثبت .

(٥) س : « غثيت » محرف .

امتنعت عليه يمدّها كما يمدُّ عصبٌ لم ينضج . فما صرفتُ بصرى عنه حتى لبط^(١)
به^(١) ، فما لبث أن مات ، فسألتُ عن شأنه ، فقيل لي : عجلَ عليها قبل ١٠١
لن تنضج وتعمل النار في منها .

(أكل الحوائن للحيات)

وقد كان في بغداد وفي البصرة جماعة من الحوائن ، يأكل أحدُهم أيَّ
حيّةٍ أشرت إليها في جُوتته ، غير مشويّة . وربما أخذ المرارة^(٢) وسط
راحتيه ، فلطعها بلسانه ، ويأكل عشرين عقربانة^(٣) نيّة^(٤) بدرهم . وأما
المشوي فإنّ ذلك عنده عُرس^(٥) .

(شعر في الحيات)

وقال كثير :

وما زالت رُفّاك تسألُ ضيغني فتُخرجُ من مكانها ضيابي^(٦)
وترقيني لك الحاوونَ حتى أجابتُ حيّةٌ خلفَ الحجاب^(٧)

(١) لبط به : صرح . وفي الأصل : « لبط به » ، بالياء ، وهو تحريف .

(٢) أي مرارة الحية ، أو لعلها « الحرارة » هـ : « النواء » محرفة .

(٣) كذا في الأصل . ولعلها : « عقربا » .

(٤) التي بالكسر والهمز : اللحم الذي لم ينضج . وفي اللسان : « وقد يترك الهمز

ويقلب ياء ، فيقال : نى ، مشددا » . فاهو هنا صواب . وانظر (٥ : ٣٥٦) .

(٥) العرس ، بالضم وبضمين : طعام الوليمة .

(٦) س : « ونخرج » . وفي الأصل : « من مكانها » ، محرف . وانظر ما سبق

في ص ٢٥٠ .

(٧) انظر ما أسلفت من الكلام على هذين البيتين في ص ٢٥٠ .

وقال أبو عدنان^(١) ، وذكر ابن ثروان^(٢) الخارجى ، حين [كان] صار إلى ظهر البصرة ، وخرج إليه من خرج من بني ثمير :
 حَسِبْتَ ثُمِيرًا يَا ابْنَ ثَرْوَانَ كَالْأَلَى لَقِيْتَهُمْ بِالْأَمْسِ : ذُهْلًا وَيَشْكُرًا^(٣)
 كما ظَنَّ صَيَّادُ الْعَصَافِيرِ أَنَّ فِي
 جَمِيعِ الْكُوى ، جَهْلًا ، فِرَاحًا وَأَطِيرًا^(٤)
 فَأَدْخَلَ يَوْمًا كَفَّهُ جُحْرَ أَسْوَدٍ فَشَرَّشَرَهُ بِالنَّهْشِ حَتَّى تَشَرَّشَرًا^(٥)
 أراد قول روبة :

كُنْتُمْ كَمَنْ أَدْخَلَ فِي جُحْرِ يَدَا فَأَخْطَأَ الْأَفْعَى وَلَا تَقِ الْأَسْوَدَا
 لَوْ مَسَّ حَرْفِي حَجَرٍ تَقْصِدَا^(٦) بِالشَّمِّ لَا بِالسَّمِّ مِنْهُ قَصِدَا^(٧)
 فَقَدَّمَ الْأَسْوَدَ عَلَى الْأَفْعَى . وهذا لا يقوله مَنْ يَعْرِفُ مَقْدَارَ^(٨)
 سُمِّ الْحَيَاتِ .

-
- (١) سبقت ترجمته في (١ : ١٨٤) . هـ : « أبو عجان » ، بحرف .
 (٢) في الأصل : « أبا ثروان » . وأثبت ما يقتضيه الشعر الآتي .
 (٣) ط ، هـ : « حسبت غيرا » ، صوابه في س . وذهل ويشكر : قيلتان .
 (٤) الكوى ، بالضم : جمع كوة بالضم ، وهى الحرق فى الحائط .
 (٥) شرشره : قطعه تقطيعاً .
 (٦) يقال قصده فتقصده : أى كسره فتكسر . وفى الأصل : « تفصده » ، وتفصده بمعنى سال لا وجه له هنا .
 (٧) كذا فى ط ، هـ فىكون المراد بهذه قصده الحجر — بالقاف — بمعنى كسره وفى س : « أقصده » ، من أقصده الحية : بمعنى قتله مكانه .
 (٨) س : « أقدار » . وانظر نقد هذا المعنى فى الصناعتين ٨٨ والوساطة ١٧ والشعراء ٥٧٩ .

وقال عنتره :

حَلَفْنَا لَهُمْ وَالْخَيْلُ تَرْدِي بِنَا مَعًا نَزَايِلُكُمْ حَتَّى تَهْرُوا الْعَوَالِيَا (١)
عَوَالِي سُمُرٍ مِنْ رِمَاحِ رُدَيْنَةٍ هَرِيرِ الْكِلَابِ يَتَّقِينَ الْأَفَاعِيَا (٢)

(حديث في الحية)

وقال النبي ﷺ : « اتَّقُوا ذَا الطُّفَيْتَيْنِ وَالْأَبْتَرَ » .
شَبَّهَ الْخَيْطَيْنِ عَلَى ظَهْرِهِ بِخَوْصِ الْمَقْلِ (٣) وَأَنْشَدَتْ لَأَبِي ذُؤَيْبٍ :
عَفَتْ غَيْرَ نُؤْيِ الدَّارِ لَا يَأْ أُبَيْنُهُ وَأَقْطَاعَ طُفْيٍ قَدِ عَفَتْ فِي الْمَعَاقِلِ (٤)

(١) ردت الخيل تردى : رجعت الأرض بحواقرها . نزايلكم ، أى لا نزايلكم .
فحذف النافى . وهو جائز مع القسم . وفى الكتاب : « تالله تفتنؤ تذكر يوسف »
أى لا تفتنؤ . وقال امرؤ القيس :

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى
وانظر هذه المسألة المخصص (١٣ : ١١٥) وأمالى المرتضى (٣ : ١٣٧)
والأضداد ١٤٨ والصناعتين ١٧٦ . ويقال : هرت إليه الكلاب وهرت : أى نبحته .
انظر أساس البلاغة . والعوالى ، رموس الرماح . وليس المعنى أنهم ينبحونها ،
ولكنه يريد إظهارهم بغضها والخوف منها . والكلب إذا خاف شيئا نبحه ، حتى
إنه لينبح السحاب مما يلقى منه من أذى المطر . انظر (٢ : ٧٣ - ٧٤) .

(٢) سمر : أى رماح سمر . وروى فى الديوان والكمال ١٧٥ ليسك : « عوالى زرقاء »
فتكون زرقاء صفة للعوالى ، أى أسنة زرقاء . والسنان الأزرق هو الشديد الصفاء ،
فمكانه مرآة ينطبع فيها لون السماء . والبيتان من قصيدة لعنترة يقولها فى يوم
(الفروق) ، وهو يوم كان لبنى عبس على بنى سعد بن زيد مناة ، ومطلع القصيدة :
ألا قاتل الله الطلول البواليا وقاتل ذكراك السنين الخواليا

(٣) انظر ما أسلفت فى ص ٢٩٥ .

(٤) النؤى : حفير حول الخباء أو الخيمة يمنع السيل ، والأقطاع : جمع قطع ، بالكسر
بمعنى المقطوع . والمعاقل : جمع معقل ، كجلس ، وهو المكان تعقل فيه الإبل =

والطُّفَى^(١) : خوص المقل .

وهم يَصِفُونَ بَطْنَ المِرْأَةِ الهِفَاءِ الحَمِيصَةِ البَطْنِ ، ببطن الحَيَّةِ . وهي^(٢)

الآئِم . وقال العجَّاج :

* وَبَطْنَ آئِمٍ وَقَوَّامًا عُسْلُجًا^(٣) *

(مناقضة شعرية)

وقال أدهم بن أبي الزَّعْرَاءِ^(٤) ، وشبَّه نفسه بحَيَّةٍ :

١٠٢ وما أَسْوَدُ بالبأسِ تَرْتَاحُ نَفْسُهُ إِذَا حَلَبَةٌ جَاءَتْ وَيُطْرِقُ لِلْحِسِّ
بِهِ نَقْطُ حَمْرٍ وَسَوْدٌ كَأَنَّمَا تَنْصَحُ نَضْحًا بِالْكُحَيْلِ وَبِالْوَرْسِ^(٥)

= أى تشد ، وفى الأصل : « المعالف » وهو خطأ ؛ إذ أن البيت من قصيدة
لامية ، مطلعها :

لَمَنْ طَلَّلَ بِالْمُنْتَضَى غَيْرَ حَائِلٍ عَفَا بَعْدَ عَهْدٍ مِنْ قَطَارٍ وَوَابِلٍ

انظر اللسان (طق) ومعجم البلدان (المنتضى) . ويروى أيضا : « فى
المنائل » ، و : « فى المنازل » كما فى اللسان .

(١) جمع طفية بالضم ، وتجمع أيضا على طقى بضم فتح . قال (انظر اللسان) :
وهم يذلونها من بعد عزتها كما تذل الطوى من رقية الراقى
أى ذوات الطوى ، بمعنى الحيات .

(٢) س : « وهو » ، والحية تذكر وتؤنث .

(٣) قوام عسلج ، بضم العين واللام ، أى ناعم ينثى ويميل .

(٤) أدهم بن أبي الزعراء الطائى ، شاعر محسن ، له أشعار جياذ فى أوصاف الحيات ،
كما ذكر ذلك الأمدى فى المؤتلف والمختلف ٣١ . وهو من شعراء الحماسة .
وهو كذلك شاعر إسلامى له شعر فى وقعة المنهب ، التى كانت فى أيام مروان
ابن محمد آخر خلفاء بنى أمية . انظر شرح التبريزى (٢ : ٨٢) . وفى ط :
« أدهم بن أبي الزبيرى » و س : « أدهم بن أبي الزبيرى » . و ه : « ابن
أبي الزبيرى » ، والصواب فى ذلك ما أثبت .

(٥) الكحيل ، بهيئة التصغير : القطران يطل به الإبل ، وهو أسود اللون .
والورس ، بالفتح : نبت يصبغ به ، فيعطى صفرة إلى حمرة .

أَصْمُ قَطَارِيٌّ يَكُونُ خُرُوجُهُ قُبِيلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ مُخْتَلَطَ الدَّمَسِ (١)
 له مَنْزَلٌ ، أَنْفُ ابْنِ قِثْرَةَ يَغْتَدِي بِهِ السَّمَّ ، لَمْ يَظْهَرْ نَهَاراً إِلَى الشَّمْسِ (٢)
 يَقِيلُ إِذَا مَا قَالَ بَيْنَ شَوَاهِقِ تَزِلُّ الْعُقَابُ عَنْ نَفَائِفِهَا الْمَلَسِ (٣)
 بِأَجْرٍ أَمْنِي يَا ابْنَةَ الْقَوْمِ مُقَدِّمًا (٤) إِذَا الْحَرْبُ دَبَّتْ أَوْلَيْسَتْ لَهَا لَيْسَى (٥)
 فَأَجَابَهُ عَنَتَرَةُ الطَّائِي (٦) ، فَقَالَ :

عَسَاكَ تَمْنَى مِنْ أَرَاقِمِ أَرْضِنَا بِأَرْقَمِ يُسْتَقَى السَّمُّ مِنْ كُلِّ مَنْطِفٍ (٧)

(١) قطاري ، بالضم : يقطر منه من كثرته ، أو ضخمه . مختلط الدمس : أى عند اختلاط الظلام . وروى هذا البيت في اللسان (قطر ١٨) منسوباً إلى تأبط شراً برواية :

« بعيد غروب الشمس مختلف الرسم »

(٢) ابن قثرة ، بكسر القاف وإسكان التاء : حية خبيثة إلى الصغر ، تنطوى ثم تنقز ذراعاً أو نحوها ، لا تجرى . ط ، هـ : « ابن قثرة » س : « ابن قثرة » صوابهما ما أثبت . يقول : إن تلك الحية الصغيرة الخبيثة تقصد إلى منزل ذلك الأسود فتفتلى بأنفها السم . و : « به » بمعنى منه ، وفي الكتاب : « عينا يشرب بها عباد الله » ، أى يشرب منها .

(٣) قال : أمضى وقت القائلة ، أى الظهر . والشواهد : الجبال العالية . والنفائف جمع نفنف ، بفتح النونين ، وهو صقع الجبل الذى كأنه جدار مبنى مستو .

(٤) مقدما ، بضم الميم وفتح الدال ، أى إقداً . ويصح أن يقرأ « مقدما » بضم الميم وكسر الدال ، نصب على الحال .

(٥) اللبس ، بالسكسر : ما يلبس ، والمراد لباس الحرب : من الدرع والبيضة ونحوهما . ط ، هـ : « لبس » صوابه فى س .

(٦) هو عنتر بن عكبرة الطائي ، وعكبرة أم أمه ، وهو عنتر بن الأخرس بن ثعلبة . وساق نسبه الأمدى في المؤلف ١٥٢ قال : « شاعر محسن وفارس » . والبيت الآتي من أبيات خمسة في الحماسة (٢ : ٢٨١) . وفي الأصل : « عنتر الصابي » وتصحيحه من المؤلف وشرح التبريزي للحماسة (١ : ١١٨) .

(٧) تمنى ، أراد يقدر لك ، منى الله له الشيء : قدره . ولم أر تضييف هذه النون إلا في هذه الرواية . ورواية الحماسة ، وكذا محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٥) . « لعلك تمنى » . والمنطف : الموضع ينطف منه السم ، أى يقطر . وروى : « أنطف » على وزن أفعل ، قال التبريزي (٤ : ١٥١) . « وأفعل يوضع موضع فاعل وفاعل » . ونطف يقال من بابي نصر وضرب .

(شعر في الأسود)

وقال عنتره :

أترجو حياة يا ابن بشر بن مُسهرٍ وقد علقَت رجلاك في ناب أسردا
أصمَّ جبالي^(١) إذا عضَّ عضَّةً تزايلَ عنه جلده فتبددا^(٢)
يسلَع صفاً لم يبدُ للشمس قبلها إذا ما رآه صاحب اليمِّ أرعدا^(٣)
له رِبْقَةٌ في عنقه من قيصه وسائره عن متنيه قد تقددا^(٤)
رقود ضحيَّاتٍ ، كأنَّ لِسَانَهُ إذا سمع الإجراس مكحَّالاً أرمدًا^(٥)
يُفِيْتُ النفوسَ قبل أن يقع الرُّقَى وإن أبرق الحاوي عليه وأرعدًا^(٦)

(١) كذا . ويقال للحية : « ابنة الجبل » . ورواية اللسان (مادة قطر) : « قطارى » بمعنى ضخم .

(٢) رواية اللسان : « تزيل أمل جلده فتريدا » .

(٣) السلع ، بالفتح والكسر : الشق . واليم : البحر . وفي اللسان (ملح) : « راكب » بدل « صاحب » . وأرعد ، بالبناء للمجهول : أصابته الرعدة .

(٤) الرِبْقَةُ ، بالكسر : الحبل . وقيصه : جلده المنسلخ . والمتن : الظهر .

(٥) يقول : هو ينام في الضحى ، وذلك من شأن الحيات ، وإنما تستيقظ في الظلام . والأجراس : جمع جرس ، بالفتح : وهو الصوت . وتقرأ أيضاً : « الإجراس » بالكسر ، وهو التصويت . ومكحَّال الأرمد : ما يكتحل به . وجعل لسانه كالْمَكْحَال في دقته ، وفي سواده أيضاً . ومكحَّال الأرمد أشد سواداً من غيره ؛ لكثرة ما يستعمل .

ومن طريف ما جاء في وصف لسان الحية بالسواد ، قول الآخر :

كأنما لسانه على فيه دخان مصباح ذكت ذواكيه

قال أبو العباس ثعلب : « يقال إنه لم يسمع في صفة الحية أحسن من هذا البيت » . انظر ديوان المعاني (٢ : ١٤٦) . وقد سبق الكلام على لسان الحية في ١٦٣ .

(٦) يفيت النفوس : يميتها موت الفجأة . و « يقع الرق » كذا في الأصل . ولعلها : =

(شعر في الحية)

وقال آخر :

لَا يَنْبُتُ الْعُشْبُ فِي وَادٍ تَكُونُ بِهِ ^(١) وَلَا يَجَاوِرُهَا وَحْشٌ وَلَا شَجَرٌ
رَبْدَاءُ شَابِكَةُ الْأَنْيَابِ ذَابِلَةٌ يَنْبُو، مِنَ الْيُبْسِ، عَنْ يَافُوخِهَا الْحَجَرُ ^(٢)
لَوْ سَرَّحْتَ بِالنَّدَى مَا مَسَّهَا بَلَلٌ وَلَوْ تَكَنَّفَهَا الْحَاوُونَ مَا قَدَرُوا ^(٣)
قَدْ حَاوَرُوهَا فَمَا قَامَ الرُّقَاةُ لَهَا وَخَاتَلُوهَا فَمَا نَالُوا وَلَا ظَفِيرُوا ^(٤)
تَقْصِدُ الْوَرَلَ الْعَادِي بِضَرْبَتِهَا نَسْكَزاً، وَيَهْرُبُ عَنْهَا الْحَيَّةُ الذَّكْرُ ^(٥)

-
- = « يسمع الرق » . وأبرق وأرعد : تهدد وأوعد ، بما يثلو من العزائم .
(١) تكون به : أى تكون تلك الحية به . وليس يعنى أنها تمنع العشب من أن ينبت ، ولكنه يريد أنها تختار موضعها في القفر .
(٢) ربداء : من الربداء ، وهى الغبرة . شابكة : مشبكة . س ، هـ : « شائكة »
وانظر ما سبق فى ص ٢٨١ س ٥ . وذابلة : دقيقة . ويعرض للحية الدقة عند الكبر
فيكون ذلك أشد لسمها . ينبو : يرتد . س : « يافوخة » ، صوابه فى ط ، هـ . واليافوخ : ملتقى عظم مقدم الرأس ومؤخره .
(٣) يقول : ينزلق عنها الندى لئلا يمسها ، ولو أحاط بها الحاوون ليستخرجوها من جحرها ما أمكنهم ذلك . والحيات الحبيثة لا تستجيب لدعوة الراقي .
(٤) خاتلوها : خادعوها . س ، هـ : « فانا بوا » ، صوابه فى ط :
(٥) الورل : حيوان من الزحافات طويل الأنف والذنب دقيق الخصر لا عقد فى ذنبه كعقد ذنب الضب ، وهو أطول من الضب وأقصر من التماسح : Varanus والبادى : الذى يعدو ، أى يجرى . تقصده : تقطعه وتفصله تفصيلا . انظر اللسان (قصد) وما سبق فى ص ٣٠٤ . ط ، هـ : « تقصر » ، س : « تذكر » ، والوجه ما أثبت . والنكز : طعن الحية الحيوان بأنفها .

جملة القول في الظلم

فمما فيه من الأعاجيب أنه يغتذى الصَّخْرَ ، ويبتلع الحِجَارَةَ ، ويعمد إلى
 ١٠٣ المرؤ ، [والمرؤ] من الحجارة التي توصف بالملاسة ، ويبتلع الحصى ، والحصى
 أصلب من الصَّخْرَ ، ثمَّ يُمِيعه ويُذِيبه في قانصته^(١) ، حتَّى يجعله كالماء
 الجارى . ويقصدُ إليه وهو واثقٌ باستمرائه وهضمه ، وأنه له غذاءٌ وقِوامٌ .
 وفي ذلك أعجوبتان : إحداهما التَّغْذَى بما لا يُتَغَذَّى^(٢) به . والأخرى :
 استمراؤه وهضمه للشيء الذى لو أُلْقِيَ فى شيءٍ ثمَّ طبخ أبداً ما انحَلَّ ولا
 لان . والحجارة هو المثل المضروبُ فى الشدَّة . قال الشاعر :
 * حتى يلين لِضِرْسِ المَاضِغِ الحَجَرُ *

وقال آخر^(٣) :

مَا أَطْيَبَ الْعَيْشَ لَوْ أَنَّ الْفَتَى حَجَرٌ تَنْبُوُ الْخَوَادِثُ عَنْهُ وَهُوَ مَلْمُومٌ^(٤)
 ووصف الله قلوبَ قومٍ^(٥) بالشدَّة والقسوة ، فقال : ﴿ فَبِئْسَ كَالْحِجَارَةِ
 أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ ، وقال فى التشديد : ﴿ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾^(٦)

(١) فى الأصل : « من قانصته » .

(٢) بدله فى س : « بما لا يغذو » .

(٣) هو تميم بن أبى مقبل ، كما فى ديوانه ٢٧٣ وشرح شواهد المغنى ٢٢٧ .

(٤) الحجر الملموم : هو المجتمع الشديد .

(٥) هم بنو إسرائيل . انظر الآية الرابعة والسبعين من سورة البقرة .

(٦) وقع تحريف فى هذه الآية فى النسخ الثلاث . فى ط : « النار » وفى س ،

ه : « نار » . وهذه الآية هى السادسة من سورة التحريم : « يا أيها الذين آمنوا

قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد

لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » . وفى سورة البقرة أيضاً : « فإن لم

تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » .

الآية ٢٤ .

لأنه حين حذر الناسَ أعلمهم أنه يُلقى العصاة في نارٍ تأكلُ الحجارةَ .
ومن الحجارة ما يتخذها الصفارون^(١) علاةً^(٢) دونَ الحديد ؛ لأنه
أصبرُ على دقِّ عظامِ المطارقِ والفِطِيساتِ^(٣) .
فجوفُ النِّعامة يُذيب هذا الجوهرَ الذي هذه صفته .

(شواهد لأكل النعام الحصى والحجارة)

وقال ذو الرِّمة :

أذاك أم خاضبٌ بالسِّي مرتعه أبو ثلاثين أمسى وهو منقلبٌ^(٤)
شخت الجزارة مثل البيت سائرُه من المسوح خدبٌ شوقب خشبٌ^(٥)

- (١) الصفارون : جمع صفار ، وهو من يعمل الصفر ، وهو بالضم : النحاس الجيد أو الأصفر . ط ، هـ : «الصائغون» ، والوجه ما أثبت من س ؛ إذ أن السياق يأبى ما في ط ، هـ .
(٢) العلاة ، بالفتح : السندان ، وهو بالفتح ما يطرق عليه الحديد ونحوه .
(٣) جمع فطيس ، كسكيت ، وهي المطرقة العظيمة . ط : « الفطيسات » س : « العظيسات » ، صوابهما ما أثبت من هـ .
(٤) أذاك : يقول أذاك الثور يشبه ناقى أم خاضب صفته كذا وكذا . والخاضب : الظليم ، أى ذكر النعام ، الذى احمرت ساقاه . والسى بكسر السين بعدها ياء مشددة : ما استوى من الأرض . وجاء فى الأصل بالهمزة ، صوابه فى اللسان (سى) والمخصص (٨ : ٥٢) وأمالى اللقال (٣ : ١٦٤) وديوان ذى الرمة ص ٢٨ كبردج . أبو ثلاثين : أى أبو ثلاثين فرخا . والنعام يبيض نحو العشر فما فوقها ، فأراد بالثلاثين أنه قد حضن أبطناً فعرف ما يصلح البيض وما يفسده ، فهو حينما ينتهى من الرعى يهرع إلى أدحيته . وقال : أمسى ، ليعبر عن بومه فى اللحاق قبل الليل ، ولأنه يكون فى ذلك الوقت قد رعى فاشتدت قوته . منقلب : منصرف . ط ، هـ : « وذاك » ، صوابهما فى س والمخصص والأمالى والديوان . ط : « مرتعة » صوابه فى جميع المصادر . ط ، هـ : « فهو منقلب » ، وهى رواية المخصص أيضاً .

- (٥) شخت الجزارة : أى دقيق القوائم . والجزارة ، بالضم : أجر الجزارة ، كالمئة أجر العامل . وكانوا يأخذون القوائم فى أجرة الجزار فسميت القوائم جزارة . مثل =

كَأَنَّ رَجُلَيْهِ مِثْمَا كَانَ مِنْ عَشْرِ صَقْبَانِ لَمْ يَتَقَشَّرْ عَنْهُمَا النَّجَبُ (١)
أَلْهَاهُ آئُ وَتَنُومُ ، وَعُقْبَتُهُ مِنْ لَانَحِ الْمَرُوءِ ، وَالْمَرْعَى لَهُ عُقْبُ (٢)
وَقَالَ أَبُو النَّجْمِ :

وَالْمَرُوءُ يُلْقِيهِ إِلَى أَمْعَائِهِ (٣) فِي سَرَطِمٍ مَادَّ عَلَى التَّوَائِهِ (٤)

= البيت ، هو البيت من بيوت العرب من المسوح . قال المبرد : « يعنى إذا مد جناحيه . وإنما أخذه من قول علقمة بن عبدة :

صعل كأن جناحيه وجوجؤه بيت أطافت به خرقاء مهجوم »

والمسوح : جمع مسح ، بالكسر ، وهو الكساء من الشعر . والخدب : الضخم . والشوقب : الطويل . خشب : غليظ خشن . ط : « حذب » صوابه في س ، هـ والديوان والكامل ٤٤٩ ليسك .

(١) المساك : عود يكون في الخباء . والعشر : ضرب من كبار الشجر ، له صمغ حلو . صقبان : طويلان . والنجب : لحاء الشجر ، أى قشره . جمل رجله كالسباكين الطويلين الخشنيين . وفي الأصل : « كأن عينيه » وهو من عجيب التحريف . وصوابه ما كتبت من الديوان . ط : « لم يتشر » صوابه في س ، هـ والديوان .

(٢) الآء : شجر له ثمر يأكله النعام . والتنوم : شجر له حمل صغار مثل حب الخروع ، وينفلق عن حب يأكله أهل البادية ، وكيفما زالت الشمس تبعها بأعراض الورق . عقت الماشية في المرعى : رعت الخلة عقبه ثم تحولت إلى الحمض . عقبه أخرى ، أو العكس ، أى هو بعد أن يأكل هذين يجعل عقبته من لائح المرو . والمرو : الحجارة البيض . واللائح : اللامع .

(٣) المرو فسر قريباً . في الأصل : « والمرو » ، تصحيحه من عيون الأخبار (٢ : ٨٦) . والأمعاء : جمع معى بالتحريك ، وبكسر الأول وفتح الثاني . في الأصل : « معاته » ، تحريف ما أثبت من عيون الأخبار ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٨) .

(٤) السرطم ، كجعفر : البلموم . في الأصل : « سرطه » وصوابه من عيون الأخبار . ماد البلموم : مال واضطرب . في الأصل : « مار » ويصح بها المعنى ، لكن يتركها الرجز لما سيأتى في البيت بعده . وفي عيون الأخبار : « هاد » والوجه ما أثبت . على التوائه : أى بسبب التواء بلموم هذا الظلم .

يَمُورُ فِي الْحَلْقِ عَلَى عِلْبَائِهِ^(١) تَمَعَجَ الْحَيَّةُ فِي غِشَائِهِ^(٢)
* هَادٍ وَلَوْ حَارَ بِحَوْصَلَاتِهِ *

(إذابة جوف الظليم للحجارة)

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ جَوْفَ الظَّلِيمِ إِنَّمَا يُذِيبُ^(٣) الْحِجَارَةَ بِقَيْظِ الْحَرَارَةِ فَقَدْ
أَخْطَأَ . وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنْ مَقْدَارٍ لِلْحَرَارَةِ [و^(٥)] نَحْوِ غَرَائِزٍ أُخَرَ ، وَخَاصِيَّاتٍ
أُخَرَ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْقُدُورَ الَّتِي يُوقَدُ تَحْتَهَا الْأَيَّامُ وَاللَّيَالَى ، لَا تَذُوبُ .

(القول في الخاصيات والمقابلات والغرائز)

وَسَادَلُكَ عَلَى أَنَّ الْقَوْلَ فِي الْخَاصِيَّاتِ وَالْمَقَابِلَاتِ وَالْغَرَائِزِ حَقٌّ . أَلَا
تَرَى أَنَّ جَوْفَ الْكَلْبِ وَالذَّبِّبِ يَذِيبَانِ الْعِظَامَ وَلَا يَذِيبَانِ نَوَى التَّمْرِ ،
وَنَوَى التَّمْرِ أَرْخَى وَأَلْيَنُ وَأَضْعَفُ مِنَ الْعِظَامِ الْمُصْنَمَةِ . وَمَا أَكْثَرَ مَا يَهْضِمُ

(١) يمور : أى يضطرب ويتردد ، والفسير للمرو . ط ، س : « تمر » ه :
« يمر » صوابهما من المخصص (١٦ : ٦٣) وهو ما يقتضيه ارتباط هذا البيت
بما بعده . والعلباء ، بالكسر : عصب اللعنق . فى الأصل : « عليائه » بالياء ،
والوجه ما أثبتت موافقاً لما فى المخصص .

(٢) التمعج : التلوى . ورواية المخصص (١٦ : ٢٨ ، ٦٣) : « تمعج » بتقديم
العين ، وهما بمعنى واحد . وغشاء الحية : غلافه . والمراد جالسه الذى يسلكه . والحية
يلدكر ويؤنث ، جعل حركة المرو يتردد فى حلق الظليم كحركة الحية حين تضطرب
فى حلقها قبل تمام انسلحه . فى الأصل : « عشاء » صوابه من المخصص .

(٣) يقول : ذلك المرو ، ولو حار قليلاً فى وصوله إلى حوصلة الظليم ، فهو هادٍ بها فى
أحر الأمر ، أى مهتد . ط ، ه : « جاد » بحرفة . س : « حاد » .
والأرفق ما أثبت من المخصص (٨ : ١٢٢) . و « بحوصلاته » : أى هو
مهتد بحوصلاته ، كأنها علم له . ورواية المخصص والفصول ٤٦٢ : « لحوصلاته » .

(٤) ط . ه . « تذيب » ، صوابهما فى س .

(٥) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إليها .

١٠٤ العظم . وقد يهضم العظم جوف الأسد وجوف الحية ، إذا ازدردت بضع اللحم^(١) بالشره والنهم ، وفيها بعض العظام .
والبراذين التي يحيل^(٢) أجوافها القت والتبين^(٣) رؤثاً ، لا تستمرى الشعير .

والإبل تقبض بأسنانها على أغصان أم غيلان ، وله شوك كصياصي البقر^(٤) ، والقضبان علكة^(٥) يابسة جرد ، وصلاب متينة ، فتستمرئها^(٦) وتجعلها ثلثاً^(٧) ولا تقوى على هضم الشعير المنقع . وليس ذلك إلا بالخصائص والمقابلات .

وقد قدر كل شيء لشيء . ولولا ذلك لما نفذ خرطوم البعوضة والجرجسة في جلد الفيل والجاموس ، ولما رأيت الجاموس يهرب إلى الانغماس في الماء مرةً ومرةً يتلطخ بالطين ، ومرةً يجعله أهله ربيث الدكان^(٨) . ولو دفعوا إليك مسألةً شديدةً المتن ، لما أدخلتها في جلد الجاموس إلا بعد التكلف ، وإلاً ببعض الاعتماد .

والذي سخر جلد الجاموس حتى انفرى وانصدع لطفعة البعوضة ،

(١) البضة ، بالفتح وقد تكسر : القطعة من اللحم ، جمعها بضع بالفتح ، وكعب ، وصحاف ، وتمرث .

(٢) في الأصل : « يحل » .

(٣) القت : يابس القصفصة ، وللقصفصة ما يعرف في مصر بالبرسيم . في الأصل : « ألت » صوابه ما أثبت .

(٤) صياصي البقر : قرونها ، مفردا ضيحية .

(٥) علكة : شديدة .

(٦) في الأصل : « تستمرئها » .

(٧) الثلط ، بالفتح : الروث . س ، هـ : « ثلكا » صوابه في ط .

(٨) الربيث : الحبوس . وفي الأصل : « على ربيث » وهذا التصحيح للأب أنستاس .

وسخر^(١) جلد الحمار لطعنة الذباب ، وسخر الحجارة لجوف الظليم ،
والعظم لجوف الكلب - هو الذى سخر الصخر الصلب لأذنان الجراد ،
إذا أرادت أن تلتقى بيضها ، فإنها فى تلك الحال متى عمت ذنبا فى صاحى
صخرة^(٢) انصدعت لها . ولو كان انصداعتها من جهة الأسر^(٣) ، ومن قوة
الآلة^(٤) ، ومن الصدم^(٥) وقوة الغمز ، لانصدعت لما هو فى الحس أشد
وأقوى . ولكنه على جهة التسخير ، والمقابلات ، والخصائص .

وكذلك^(٦) عود الحلفاء ، مع دقته ورخاوته ولين انعطافه ، إذا نبت
فى عمق الأرض ، وتلقاه الآجر والخزف الغليظ ، ثقب ذلك ، عند نباته
وشبابه ، وهو فى ذلك عبقر نصير .

وزعم لى ناس من أهل الأردن ، أنهم وجدوا الحلفاء قد خرقت
جوف القار^(٧) .

وزعم لى أبو عتاب الجرار^(٨) ، أنه سمع الأكرة يُخبرون أنهم وجدوه
قد خرقت فلسا^(٩) بصريا .

(١) ط : « وسخر » صوابه فى س ، ه .

(٢) صاحى الصخرة : ظاهرها . س ، ه : « صاحى » صوابه فى ط .

(٣) الأسر ، بالفتح : القوة .

(٤) س : « الأيد » .

(٥) ط ، ه : « الصدم » صوابه فى س .

(٦) س : « ولذلك » .

(٧) القار : الزيت . ط : « القار » س : « سار » كذا . صوابهما فى ه .

(٨) ط : « الجرار » وأثبت ما فى س ، ه . وانظر ما سبق فى (٣ : ٣٤) .

(٩) الفلس : جزء من أجزاء الدرهم . وقد تحدث عنه المحقق الكبير الأب

انتاس ماري فى حواشى النقود العربية ٦٧ - ٦٨ . ط : « وقد قلع

فلسا بصريا » .

وليس ذلك لشدة الغمز وحدة الرأس ، ولكنه يكون على قدر ملاقة الطباع .

ويزعمون أن الصّاعقة تسقط في حانوت الصيّقل^(١) فتذيب السيوف بطبعها^(٢) ، وتدع الأغماذ على شبيه بحالها . وتسقط على الرجل ومعه الدراهم فتسبك الدراهم ، ولا يصيب الرجل أكثر من الموت .

والبحريون عندنا بالبصرة والأبلة التي تكون عليها الصّواعق^(٣) ، لا يدعون في صُحُون^(٤) دورهم وأعلى سطوحهم ، شيئاً من الصّفَر إلا رفعوه ؛ لأنها عندهم تنقض من أصل مخارجها ، على مقدار من محاذاة الأرض ، ومقابلة المكان ، فإذا كان^(٥) الصّفَر لها صاحياً ، عدلت إليه عن سنّها^(٦) .

وما أنكر ما قالوا . وقد رأيتهم يستعملون ذلك .

وقد يسقط النّوى^(٧) في تراب المتوضأ ، فإذا صُهرج نبت^(٨) ١٠٥ فإذا انتهى إلى الصّاروج أمسك . وإن كان الصّاروج رقيقاً فإن قير ، وجعل غلظه بقدر طول الإبهام ، نبت ذلك النّوى حتى يخرق ذلك القار .

(١) الصيّقل : شحاذ السيوف وجلأوها .

(٢) س : « وطبعها » .

(٣) في الأصل : « عنها الصّواعق » .

(٤) صحن الدار : وسطها .

(٥) في الأصل ، « كائت » .

(٦) السنن : الطريق . ط : « سنّها » . والوجه ما أثبت من س ، هـ .

(٧) في الأصل : « وقد تسقط النّواة » ، والسياق يقتضى ما كتبت .

(٨) صهرج المتوضأ : عمل بالصّاروج ، وهو النّورة أو أخلاطها .

(٩) أى جعل فوقه القار . ط : « وإن كان الصّارج » ، صوابه في س ، هـ .

هلورام رَجُلٌ خَرَّقَهُ بِمَسَارٍ أَوْ سِكَّةٍ^(١) ، لما بلغ إرادته حتى يشقَّ على نفسه .
والذى سَخَّرَ هذه الأمورَ القويَّةَ في مذهب الرأى وإحساس الناس ،
هو الذى سَخَّرَ القُمَّمُ ، والطَّيِّجَن ، والمرَجَل ، والطَّسْت ، لإبرة العقرب .
فما أَحْصَى عَدَدَ مَنْ أَخْبَرَنِي مِنْ^(٢) الحَوَّاثِينَ ، من أهل التَّجَارِب ، أنها رَجَّما
خَرَجَتْ مِنْ جُحْرِهَا فِي اللَّيْلِ لَطَلَبَ الطَّعْمِ^(٣) ، ولها نشاط وعَرَام^(٤) ،
فتضرب كلَّ مَالَقِيَتْ وَلَقِيَهَا : من حيوانٍ ، أو نباتٍ ، أو جماد .

وزعم لى خاقانُ بن صبيح - واستشهد المثنى بن بشر ، وما كان
يحتاجُ خبرُهُ إلى شاهدٍ ؛ لصدقه - أنه سمعَ في داره نَقْرَةً وقعتْ على قُمَّمٍ
- وقد كان سمع بهذا الحديث - فنهض^(٥) نحو الصوت ، فإذا هو بعقربٍ
فتعاورها هو والمثنى بنعلها^(٦) حتى قتلاها ، ثُمَّ دَعَوَا بِمَاءٍ فَصَبَّاهُ فِي الْقُمَّمِ
فِي عَشِيَّتِهِمَا ، وهو صحيحٌ لايسيلُ منه شيء .

فمن تعجَّبَ من ذلك فليصرفْ بَدِيًّا^(٧) تعجُّبه إلى الشيء الذى

(١) السكة : الحديدة . وأصلها حديدة المخرات ط : «سلة» ، وأثبت ما في
س ، ه .

(٢) في الأصل : «عن» .

(٣) ط ، ه : «الطعام» ، وما أثبت من س أشبه بلغة الجاحظ . والطعم ،
بالضم : الطعام .

(٤) العرام ، بضم اللين المهملة : الحدة والشدة . وهذه الكلمة محرفة في الأصل ،
فهي في ط ، س : «غرام» وه : «عزام» .

(٥) ه : «فناهض» ، صوابه في ط ، س .

(٦) التعاور : التداول والتناوب . س ، ه : «بنعلهما» وهو وجه جائز ، وأثبت
ما في ط .

(٧) بديا : أى بدما وأولا . وجاء في س : «بدما» .

تقذفه بذنبها^(١) العقربُ في بدن الإنسان والحمير والبغال ، فليفكر^(٢) في مقدار ذلك من القلة والكثرة . فقد زعم لي ناسٌ من أهل العسكر^(٣) أنهم وزنوا جرّارة^(٤) بعد أن ألسّعوها^(٥) فوجدوا وزنها على تحقيق الوزن على مقدار واحد . فإن كان الشيء المقذوف من شكل [الشيء] الحار ، فلم قصّرت النار عن مبلغ عمله ؟ ! وإن كان من شكل الشيء البارد فلم قصّر الثلج عن مبلغ عمله ؟ ! فقد وجب الآن أن السمّ ليس يقتل بالحرارة ، ولا بالبرودة إذا كان بارداً . ولو وجدنا فيما أردنا شيئاً بلغ مبلغ الثلج والنار لذكرناه .

فقد دلّ ما ذكرنا على أن جوف النعامة ليس يذيب الصخر الأملس بالحرارة ، ولكنه لا بدّ على كلّ حالٍ من مقدارٍ من الحرارة ، مع خاصّيات آخر ، ليست^(٦) بذات أسماء ، ولا تعرف إلا بالوهم في الجملة .

(١) ط ، هـ : « بدنها » س : « بدنها » ، ولعل الوجه ما أثبت .

(٢) كذا في س . وفي ط ، هـ : « فيفكر » .

(٣) هو عسكر مكرم ، بضم الميم وسكون الكاف وفتح المراء : بلد من نواحي خوزستان . قال الجاحظ عند ذكر الجرارات : « وهي تكون بعسكر مكرم وجنديسابور » . وقال الدميري عند ذكر الجرارات : « وهي عقارب صفار صفر على مقدار ورق الأنجدان . وتكون بعسكر مكرم » .

(٤) الجرارة : واحدة الجرارات . وهي ضرب من العقارب صفار تجرر أذناها وفي الأصل : « جرادة » تحريف . انظر للتنبيه السابق .

(٥) ألسعها : أي مكنوها من لسع حيوان . ط ، هـ : « التقوها » ، صوابه ما أثبت من س .

(٦) ط ، س : « ليسب » تصحيحه من هـ .

(علة قتل السم)

والسم يقتل بالكم والكيف والجنس . والكم : المقدار . والكيف :
الحل . والجنس : عين^(١) الجوهر وذاته .

وتزعم الهند أن السم إنما يقتل بالغرابة ، وأن كل شيء غريب
خالط جوف حيوان قتله . وقد أبى ذلك ناس فقالوا : وما باله يكون
غريباً إذا لاقى العصب واللحم ، وربما كان عاملاً فيهما جميعاً . بل ليس
يقتل إلا بالجنس ، وليس تحس النفس إلا بالجنس . ولو كان الذي يميت
حسهما إنما يميته لأنه غريب ، جاز أيضاً أن يكون الحساس إنما حس^(٢)
لأنه غريب . ولو كان هذا جائزاً لقل في كل شيء .

وقال ابن الجهم : لولا أن الذهب المائع ، والفضة المائعة ، يجمدان
إذا صارا في جوف الإنسان ، وإذا جمداً لم يجاوزا مكانهما - لكانا^(٣) ٦٠٦
من القوائل بالغرابة .

وهذا القول دعوى في النفس ، والنفس تضيق جداً . وما^(٤) قرأت
للقدماء في النفس الأجلاد الكثيرة . [و^(٥)] إنما يستدل ببقاء
تلك الكتب على وجه الدهر إلى يومنا هذا ، ونسخ الرجال لها أمة
بعد أمة ، وعمر بعد عمر ، على جهل أكثر الناس بالكلام . والمتكلمون

(١) في الأصل : « غير » ، وصوابه ما كتبت .

(٢) هي صحيحة . وفي القاموس : « وحست الشيء : أحسته » .

(٣) في الأصل : « لكان » . والوجه إلحاق ألف الاثنين .

(٤) لعلها : « وقد » .

(٥) ليست بالأصل .

يريدون أن يَعْلَمُوا كل شيء ، ويأبى الله ذلك . فهذا بابٌ من أعاجيب
الظلم .

باب آخر

وهو عندى أعجب من الأول

وهو ابتلاعهُ الجمرَ حتى ينفذَ إلى جوفه ، فيكونَ جوفه هو العامل
في إطفائه ، ولا يكونَ الجمرُ هو العامل في إحراقه .

وأخبرنى أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النّظام - وكنا لانتداب
بحديثه إذا حكى عن سماعٍ أو عيان - أنه شهدَ محمد بن عبد الله ، يلقي
الحجرَ في النار ، فإذا عاد كالجمر قذف به قدامه ، فإذا هو يبتلعه كما يبتلع
الجمر . وكنتُ قلت له : إنَّ الجمرَ سخيْفٌ سريعُ الانطفاء إذا لقي
الرطوبات ، ومتى أطبقَ عليه شيءٌ يُحوّلُ بينه وبين النّسيم خمد ، والحجر
أشدُّ إمساكاً لما يتداخله من الحرارة ، وأثقلُ ثِقَلًا ، وألزقُ لزوقاً
وأبطأ انطفاءً ، فلو أحميتَ الحجارة ! فأحماها ثم قذف بها إليه ، فابتلع
الأولى فارتبت به ، فلما ثنى وثلثَ اشتدَّ تعجبي له ، فقلت له : لو أحميت
أواقٍ الحديدِ ، ما كان منها رُبْعَ رطلٍ ونصف رطل ! ففعل ، فابتلعه ،
فقلت : هذا أعجبُ من الأول والثاني ، وقد بقيتُ علينا واحدة ، وهو أن
تَنظُرَ : أيسْتَمْرِي^(١) الحديدُ كما يستمرى الحجارة ؟ ولم يتركنا بعضُ السفهاء

﴿١﴾ يستمرى : يستسغ . وأصلها الهمز .

وأصحاب الحرق^(١) أن نتعرف ذلك على الأيَّام . وكنت عَزَمْتُ على ذبحه
وتفتيش جوفه وقانصته ، فلعل الحديد يكون قد بقي هناك لا ذائباً ولا خارجاً
فعمد بعضُ ندمائه إلى سِكِّين فأحسَى ، ثم ألقاه إليه فابتلعه ، فلم يجاوز
أعلى حلقه حتى طلعَ طرفُ السِّكين من موضع مَذْبَحِهِ ، ثم خرَّ ميئاً .
فَمَنَعْنَا بِحُرْقِهِ من استقصاء ما أردنا .

(شبه النعامة بالبعير وبالطائر)

وفي النُّعامة أنها لا طائر ولا بعير . وفيها من جهة المنسَمِ [والوظيف^(٢)]
والحَرَمَةِ^(٣) ، والشَّقِّ الذي في أنفه ، ما للبعير . وفيها من الرِّيش والجناحَيْنِ
والذَّنْبِ والْمِتْقَارِ ، ما للطائر . وما كان فيها من شكل الطائر أخرجها ونقلها
إلى البيض^(٤) ، وما كان فيها من شكل البعير لم يخرجها ولم ينقلها إلى
الوَلَدِ^(٥) . وسماها أهل فارس : « أَشْتَرُ مُرْغٍ »^(٦) ، كماَّهم قالوا : هو طائر وبعير . ١٠٧

(١) الحرق ، بالضم : الحرق وسوء التصرف .

(٢) الوظيف : مستدق الذراع والرجل من الخيل والإبل . وهذه الزيادة من س .
(٣) الحرمة ، بالتحريك : موضع الحرم من الأنف . وفي كل أنف خرمات ثلاث ،
ثنتان خارجتان عن العين واليسار ، والثالثة الوترية التي بين المنخرين . ط :
« الخزامة » ، وهي بالكسر : ما يوضع في خرمة الأنف ، وليست مرادة . س :
ه : « الخرامة » ، صوابه ما أثبت . وانظر العقد (٦ : ٢٣٧) .

(٤) البيض ، ككتب ، وبالكسر أيضاً : جمع بائض وببوض . والعبارة محرفة
في الأصل . ففي جميع النسخ : « وفيها إلى ما فيها من شكل الطائر » ، وبعد كلمة
« الطائر » في كل من ط ، ه : « حلقها » ، وفي س : « حلقها »
وهو تحريف جدمفضل ، وقد هداني إلى تصحيح العبارة ، ما تقتضيه المقابلة بين
هذه الجملة والجملة التي تتلوها .

(٥) الولد ، بالضم وكسك : جمع والد بمعنى والده . وفي اللسان : « وشاة والده
وولود : بينة الولاد . ووالد ، والجمع ولد » . وانظر تلج العروس . ط . ه :
« الواعر » ، وصوابه ما أثبت من س .

(٦) « أشتر » بضم الهيمزة والتاء ، ويقال أيضاً : « شتر » بحذف الهيمزة ونقل =

(شعر في شبه النعامة بالبعير والطائر)

وقال يحيى بن نوفل :

فَأَنْتَ كَسَاقِطٍ بَيْنَ الْحَشَايَا تَصِيرُ إِلَى الْحَيْثُ مِنَ الْمَصِيرِ^(١)
وَمِثْلُ نَعَامَةٍ تُدْعَى بَعِيرًا تَعَاطِمُهَا إِذَا مَا قِيلَ طِيرِي^(٢)
فَإِنْ قِيلَ أَحْمِلِي قَالَتْ فَإِنِّي . مِنْ الطَّيْرِ الْمُرَبَّةِ بِالْوُكُورِ^(٣)
ثُمَّ هَجَا خَالِدًا^(٤) فَقَالَ :

وَكُنْتَ لَدَى الْمُغِيرَةِ عَيْرَ سَوْءٍ تَصُولُ ، مِنَ الْخَافَةِ ، لِلزَّئِيرِ^(٥)

= الضمة إلى الشين : معناه البعير . ومرغ ، بالضم : معناه الطائر .

(١) جملة من يلزم الفراش ، ويقعد عما تقتضيه الشجاعة والرجولة . وجاء في حديث على « من يعذرفي من هؤلاء الضيافة ، يتخلف أحدهم يتقلب على حشاياه ! » . وقال عمرو بن العاص : « ليس أخو الحرب من يضع خور الحشايا عن يمينه وشماله » . الخور : اللينات . « تصير » هي في الحيوان (٧ : ٢٠) والبيان (٢ : ٢٦٦) : « يصير » .

(٢) تعاطمها : أى ادعاؤها العظمة والفوق على الطيور . وجاءت الرواية كذلك في الجزء السابع ، والبيان ، وأصل عيون الأخبار (٢ : ٨٦) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٨) . وروى : « تعاصينا » كما هي عند الديرى . وروى في اللسان (مادة نعم) : « تعاطمه » ، أى تعاطم البعير .

(٣) أرب الطائر بوكره : لزمه ولم يفارقه .

(٤) هو خالد بن عبد الله القسرى . وروى الجاحظ في البيان (١ : ١١٢) بيتين ليحيى بن نوفل في هجاء خالد بن عبد الله القسرى :

بَلِ السَّرَاوِيلِ أَمِنْ خَوْفٍ وَمِنْ وَهْلٍ وَاسْتَطْعَمَ الْمَاءَ لَمَّا جَدَّ فِي الْهَرَبِ
وَأَلْحَنَ النَّاسُ كُلَّ النَّاسِ قَاطِبَةً وَكَانَ يُولَعُ بِالتَّشْدِيقِ فِي الْخُطْبِ

(٥) المغيرة هذا هو المغيرة بن سميد ، صاحب فرقة المغيرة ، وهو متنبئ خرج في إمارة خالد بن عبد الله القسرى ، وكان يقول بإلاهية على ، وتكفير أبى بكر ، وعمر وسائر الصحابة إلا من ثبت مع على . وظفر به خالد بن عبد الله آخر الأمر ، فأحرقه وأحرق أصحابه في سنة ١١٩ من الهجرة . والعير : الحمار الوحشى =

لأعلاجِ ثَمَاسِيَةٍ وَعِلْجِ كَبِيرِ السُّنِّ ذِي بَصَرٍ ضَرِيرٍ ^(١)
 هَتَفَتْ بِكُلِّ صَوْتِكَ أَطْعِمُونِي شَرَاباً ؛ ثُمَّ بُلَّتْ عَلَى السَّرِيرِ ^(٢)
 وَإِنَّمَا قَيْسِلَ ذَلِكَ فِي النَّعَامَةِ ؛ لِأَنَّ النَّاسَ يَضْرِبُونَ بِهَا الْمَثَلَ لِلرَّجُلِ
 إِذَا كَانَ مِمَّنْ يَعْتَلُّ فِي [كُلِّ] شَيْءٍ يَكْلِفُونَهُ بَعْلَةً ، وَإِنْ اخْتَلَفَ ذَلِكَ
 التَّكْلِيفُ ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ : « إِنَّمَا أَنْتَ نَعَامَةٌ » ، إِذَا قِيلَ لَهَا أَحْمَلِي قَالَتْ : أَنَا طَائِرٌ ،
 وَإِذَا قِيلَ لَهَا طَيْرِي قَالَتْ : أَنَا بَعِيرٌ .

(قصة أذنى النعامة)

وَتَزَعُمُ الْأَعْرَابُ أَنَّ النَّعَامَةَ ذَهَبَتْ تَطْلُبُ قَرْنَيْنِ ، فَرَجَعَتْ مَقْطُوعَةً
 الْأَذْنَيْنِ ؛ فَلِذَلِكَ يَسْمُونَهُ « الظِّلِم » ^(٤) ، وَيَصِفُونَهُ بِذَلِكَ .
 وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو الْعِيَالِ ^(٥) الْهَذْلَى ذَلِكَ ، فَقَالَ :

= جعله عند ملاقاته للمغيرة كالعير ، إذا سمع زئير الأسد دفعت شدة الجبن والذعر إلى
 أن يهاجم هو الأسد ، مما ضاع من صوابه وطار من رشده ، وهذا معروف من
 طباع العير . والبيت محرف في الأصل وفي البيان أيضاً . فهو في الأصل :
 « عبد سوء تصول من الخفاقة للزئير » ، وفي البيان : « تبول من الخفاقة للزئير » .
 وصوابهما ما أثبت .

- (١) يشير إلى المغيرة وكبار أتباعه . والمرزباني حديث عن هذا البيت في الموشح ٢٣٥ .
- (٢) انظر لتوضيح هذا البيت ما سبق في (٢ : ٢٦٧ ص ١٠) والحواشي .
- (٣) الظليم ، أى المظلوم ، كقتيل وجريح . وانظر ما سيأتى في ٣٩٨ - ٣٩٩ . وجاء
 في هذا قول بشار : كما في محاضرات الراغب (٢ : ٢٩٨) :
 وكنت كالحقيق غدا يبتغى قرنا فلم يرجع بأذنين

وانظر مع هذا التذييل في آخر الجزء .

- (٤) أبو العيال ، شاعر من شعراء هذيل ، مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ،
 وأسلم فيمن أسلم من هذيل ، وتمر إلى خلافة معاوية . الأغاني (٢٠ : ١٦٧) .
 الجمحي : « كان رجلاً من هذيل يسكنان مصر — أحدهما يقال له بدر بن عامر
 والآخر يقال له أبو العيال بن أبي غنير . فيينا ابن أخ لأبي العيال قائم عند قوم =

وإِخَالٌ ^(١) أَنْ أَنْحَاكُم وَعِثَابُهُ ^(٢) إِذْ جَاءَكُمْ بِتَعْطُفٍ وَسُكُونٍ ^(٣)
يُمَسِّي إِذَا يُمَسِّي بِيْطَنٍ جَائِعٍ صَفَرٍ وَوَجْهِ سَاهِمٍ مَذْهُونٍ ^(٤)
فَغَدَا يُمُثُّ ^(٥) وَلَا يُرَى فِي بَطْنِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مُوزُونٍ ^(٦)
أَوْ كَالنَّعَامَةِ إِذْ غَدَتِ مِنْ بَيْتِهَا لِيُصَاغَ قَرْنَاهَا بِغَيْرِ أُذَيْنٍ ^(٧)
فَاجْتَثَتِ الْأُذْنَانِ مِنْهَا فَانْتَثَتِ صَلَمَاءُ لَيْسَتْ مِنْ ذَوَاتِ قُرُونٍ ^(٨)

= ينتفضلون إذ أصابه سهم فقتله . فخاصم في دمه أبو العيال ، وأنه اتهم به بدر ابن عامر ، أن يكون ضلعه مع القوم الذين يخاصمهم ، وخاف أن يعينهم عليه .
وقد قال بدر بن عامر يبرى نفسه بما قيل لأبي العيال وقرف به ، شعراً روى في (أشعار الهذليين) المطبوع في لندن ١٨٥٤ ، فأجابه أبو العيال مرة فرد عليه بدر أخرى ، وهكذا حتى تجاوبا عدة مرات . انظر أشعار الهذليين ص ١٣٦ .
وهذا الشعر الآتي هو المجاوبة الخامسة من أبي العيال الهذلي . وروى قصة الشعر أبو الفرج في الأغاني (٢٠ : ١٦٧) معزوة إلى الأصمعي وأبي عمرو . وفيها زيادة : أن ذيتك الرجلين الهذليين خرجا إلى مصر في خلافة عمر بن الخطاب . وهذا الاسم هو في الأصل : « أبو العباس » وصوابه ما ذكرت .

(١) س : « وأخاك » ، صوابه في ط ، هـ وبقيّة أشعار الهذليين .
(٢) في الأصل : « رعانة » ، تصحيحه من بقية أشعار الهذليين .
(٣) قال ابن حبيب : يقول : جاءكم متعطفا ساكنا يريكم أن باطنه صالح ، وهو باطن سيى .

(٤) ط : « يمشي إذا يمشي » صوابه في س ، هـ والمرجع المتقدم . والصفر بالكسر : الخالي الذي لا طعام فيه . ساهم : ضامر مهزول . وقد دهن وجهه ليرى الناس أنه مخصب وليخمدعهم عن سهومه وتغييره .

(٥) يمث : يرى على سمخته وجلده مثل الدهن . في الأصل : « يموت » ، وهو تحريف صوابه في بقية أشعار الهذليين . والرواية فيه : « يبرى يمث » .

(٦) مِثْقَال : مقدار . وحب الخردل من أصغر الحبوب . يريد مِثْقَال حبة خردل من طعام . وجعله موزونا مبالغة منه وإظهارا للمعنى .

(٧) بغير أذين : أى من غير أن يؤذن لها . في الأصل : « لتصاغ » ، ووجهه ما أثبت من بقية أشعار الهذليين .

(٨) اجتثت : قطعت من أصلها . والصلماء : المقطوعة الأذنين .

(تقليد الغراب للعصفور)

ويقولون : ذهبَ الغرابُ يتَعَلَّمُ مِشْيَةَ العُصْفُورِ^(١) ، فلم يتعلَّمها ، ونسيَ مِشْيَتَهُ ، فلذلك صارَ يحجِلُ ولا يَقْفِزُ قَفْزَانَ العُصْفُورِ^(٢) .

(مشى طوائف من الحيوان)

والبرغوث والجرادة ذاتُ قفْزٍ ، ولا تمشي مِشْيَةَ الدِّيكِ والصَّقْرِ والبازي ، ولكن تمشي مِشْيَةَ المَقْبِدِ أو المَحْجَلِ^(٣) [خِلْقَةً^(٤)] .

قال أبو عمران الأعمى^(٥) ، في تحوُّل قضاة إلى قحطان^(٦) :

- (١) الشعر الذي رواه للدميري يشير إلى أنهم زعموا أيضاً أنه رام تقليد القطاة . وهو :
إن الغراب وكان يمشي مشية فيما مضى من سالف الأجيال
حسد القطاة ورام يمشي مشياً فأصابه ضرب من العقاب
فأضل مشيته وأخطأ مشياً فلذلك سموه أبا المرقال
- (٢) هي صحيحة . يقال قفز يقفز قفزاً وقفزانا وقفازاً — بضم ففتحة خفيفة — وقفوزاً .
والأسير والأعراف : نقر العصفور ينتقر نقزاً ونقزانا .
- (٣) المحجل : الذي قيدت قوائمه . وفي الأصل : « الحجل » محرف .
- (٤) هذه الزيادة من س ، هـ . وهي في أصلها : « خلقته » .
- (٥) كذا في ط ، هـ ، وفي س : « أبو عمروان الأعمى » ، تحريف . واسمه يحيى بن سعيد .
كما في كتاب العقبة والبررة لأبي عبيدة ، في نوادر المخطوطات (٢ : ٣٥٢) :
- (٦) قضاة ، هو قضاة بن معد بن عدنان . وقد تحولت إلى حير فعدت في اليمن .
انظر المعارف ص ٢٩ . وقد أوضح ابن الكلبي سبب هذا التحول بأن قضاة
ليس ولداً شرعياً لمعد بن عدنان ، بل والده هو مالك بن حير من اليمن ، فلما توفي
والد قضاة تزوجت أمه — وكان اسمها عكبرة — بمعد بن عدنان ، فتبناه حينئذ
ونكح به ، فنسب إليه ، أي إلى معد ، في أول الأمر . ثم عاد النسب إلى حقيقة
فصار يعرف بقضاة بن مالك بن حير . انظر النص في الروض الأنف (١ : ١٦) .
وقد قال عمرو بن مرة يذكر هذا النسب :

نحن بنو الشيخ الهجان الأزهر قضاة بن مالك بن حير =

عَنْ نَزَارٍ (١) :

كَمَا اسْتَوْحَشَ الْحَيُّ الْمَقِيمُ فَفَارَقُوا أَلْ خَلِيطَ فَلَا عَزَّ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا
كِتَارَكَ يَوْمًا مِشِيَّةً مِنْ سَجِيَّةٍ لِأُخْرَى فَفَاتَتْهُ فَأَصْبَحَ يَحْجِلُ (٢)

(عظام النعامة)

١٠٨ ومن أعاجيبها أنها مع عِظَمِ عظامها ، وشِدَّةِ عذوبها ، لا مخ فيها .
وفي ذلك يقول الأَعْلَمُ الهذلي :

عَلَى حَتِّ الْبُرَايَةِ (٣) زَنَخَرِيٍّ أَلْ سَوَاعِدِ (٤) ظَلٌّ فِي شَرِي طِوَالِ (٥)
يعني ظليماً شبهه [به (٦)] عذو فرسه . والجت (٧) : السريع . والشري :

= للنسب المعروف غير المنكر في الحجر المنقوش تحت المنبر

وقال الكييت يعاتب قضاة في انتسابهم إلى اليمين :

علام نزلتم من غير فقر ولا خراء منزلة الحميل

والحميل : السبي يحمل من بلد إلى بلد .

(١) أى عن إخوانهم نزار بن معد بن عدنان . وفي الأصل : « بن نزار » وليس
شيئاً ؛ فان قحطان هو ابن عابر ؛ كما اتفقت على ذلك كتب الأنساب .

(٢) المشية ؛ بالكسر ؛ الهيئة من المشى . وقد فصل بين المتضامتين بالظرف ، وهو

جائز . وفي الأصل : « مشيه » والصواب ما أثبت ؛ لقوله : « أخرى »

أى لمشية أخرى . وانظر العقدة والبررة لأبي عبيدة ٣٥٥ .

(٣) حَت ، بجاء مفتوحة بعدها تاء مثناة . وفي الأصل : « حث » بالمشقة ، وهو

وهم وتحريف ، صوابه من اللسان (حثت ، زنخر ، برى) وحماة البحري

٦٦ حيث يتوسط البيت خمسة أبيات مروية هناك . س : « البرية » تحريف .

(٤) الزنخري : سيفسره الجاحظ . س : « ذنخري » ، صوابه بالزاي كما أثبت .

(٥) تقرأ بالكسر ، جمعاً لطويل . وبالضم ، مفرداً بمعنى الطويل . قال ابن جني

« يريد أنهن إذا كن طوالاً سترنه فزاد استيحاشه . ولو كن قصاراً لسرح بصره ،

وطابت نفسه ، فخفض علوه » .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) ط ، هـ : « الحث » س : « الحب » ، صوابهما بالمشقة . انظر التنبيه الثالث .

الحنظل . وبرأيته : قوته على ما يَبْزِيهِ من السَّير^(١) . والسَّواعد : مجارى مَخَّه
فى العظم وكذلك مجارى عروق الصَّرْع ، يقال لها السَّواعد .

قال : ونظنَّ أنَّما قيل لها ذلك لأنَّ بعضها يُسْعِدُ^(٢) بعضاً ؛ كأنَّه من
التَّعاون أو من المواساة^(٣) .

قال : والزَّمْخَرَى : الأجوف . ويقال : إنَّ قصب عظم الظَّليم لا مَخَّ
له . وقال أبو النجم :

* هاور يظلُّ المَخُّ فى هوائِهِ^(٤) *

وواحد السَّواعد : ساعد .

وقال صاحب المنطق : ليس المَخُّ إلَّا فى المَجْوْفَةِ^(٥) ، مثل عظم
الأسد .

وفى بعض عظامه مَخٌّ يسير . وكذلك المَخُّ قليلٌ فى عظام الخنازير ،
وليس فى بعضها منه شَيْءٌ البتَّة .

(بيض النعام وما قيل فيه من الشعر)

ومن أعاجيبها أنَّها مع عِظَم بيضها تكثرُ عدد البيض ، ثمَّ تَضَعُ
بيضها طولاً حتَّى لو مددت عليها خيطاً لما وجدت لها مِنْهُ^(٦) خُروجاً عن
الأخرى ، تُعطى كلُّ بيضةٍ من ذلك قسطه . ثمَّ هى مع ذلك ربَّما تركت

(١) ذهب ابن سيده فى تفسير هذا البيت إلى أن « حت البراية » بمعنى منحت الريش
لما ينفض عنه عفاؤه من الربيع . والبراية : النحاتة . وأنا أمتحسن ما ذهب إليه .

(٢) أسعده بمعنى أعانه . وفى ط ، هـ : « يساعده » ، وأثبت ما فى س .

(٣) ط ، هـ : « المساواة » ، والوجه ما أثبت من س .

(٤) فى القرطين (٢ : ٧٧) : * هاور تفضل الطير فى خوائهِ *

(٥) أى العظام المجوفة .

(٦) أى من الخيط . وفى الأصل : « منها » .

بيضا وذهبت تلتمس الطعام ، فتجد بيض أخرى فتحضنه . وربما حضنت
هذه بيض تلك ، وربما ضاع البيض بينهما .
وأما عند بيضها ورثاها فقد قال ذو الرمة :

أذاك أم خاضبٌ بالسّي مرتعه أبو ثلاثين أمسى وهو مُنقلبٌ^(١)
وفي وضعها له طولا وغرضا على خطٍ وسطرٍ ، يقول^(٢) :
ومّا بيّضتُ ذى لبْدٍ هجفٍ سقين بزاجلي حتى روينّا^(٣)
وضعن فكلهنّ على غرارٍ هجان اللون لم تفرع جنيّا^(٤)
بيت يحفهنّ بمرفقنيه ويلحفهنّ هفهافاً ونحينا^(٥)

(١) سبق الكلام على هذا البيت في ص ٣١١ . س : «أخاك» . هـ : «بالسّي» ط : «بالسّي» .
وكل ذلك محرف . س ، هـ : «فهو منقلب» .

(٢) القائل هو عمرو بن أحرر الباهلي ، كما سيأتي في ص ٣٤١ والكامل ٢٥
ليسك وحيون الأخبار (٢ : ٨٧) واللسان (هجف) .

(٣) حتى بالبد هنا الريش . والمجف ، بكسر ففتح : الطويل الضخم ، أو المن .
ط ، هـ : «نجف» س : «بنجف» ، صوابه من اللسان والمخصص
(٨ : ٥٥) . والزاجل ، بفتح الجيم ، ويقال بالهمز أيضاً : مايسيل من مؤخر
الظلم على البيض إذا حضنه . س : «بداجل» ، صوابه في ط ، هـ والمخصص
واللسان (هجف ، زجل) .

(٤) غرار ، بالكسر : أى حد واحد وقالب واحد . وأصل الغرار المثال الذى
يضرب عليه النصل فتخرج النصال متساوية متشابهة . والهجان : البيض اللون .
ولفظه بكسر الهاء يقال للواحد والجمع . و «لم تفرع» هكذا جاءت في الأصل ،
ورواية البرد : «قد وسقت» ، بمعنى حملت . ولعل سبب تحريف الأصل اشتباه
هذا البيت بيت عمرو بن كلثوم :

ذراعى حرة أدماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنيّا

فحدث فيه لذلك الوهم ثم التحريف . ثم إن العلامة المرسنى وهم أيضاً في شرح .
هذا البيت من الكامل (رغبة الأمل ١ : ١٤٧) فجعله في صفة نوق ، وإنما
هو في صفة بيض النعام .

(٥) لطفه ، من باب منع : غطاء بالحاف . هفهافاً ، يعنى به الجناح . ونحينا : أى =

وقال الآخر (١) :

تهوى بها مُكْرَبَاتٌ في مَرافِقِها قُتِلَ صِلَابٌ مَيَاسِيرٌ مَعَاجِيلُ (٢)
يَدَا مَهَاةٍ ، وَرَجُلَا خَاضِبٍ سَنَقِ كَأَنَّهُ مِنْ جَنَاهُ الشَّرَى مَخْلُولُ (٣)
هَيِّقِ هِجَفٍ وَزِفَانِيَّةٍ مَرَطَى زَعْرَاءُ ، رِيشُ جَنَاحِهَا هَرَامِيلُ (٤)

= تراكب ريشه بعضه فوق بعض . والبيت في الأصل :

تبيت تحفهن بمرفقها وتلفهن منهافا ثخيناً

والوجه ما أثبت ، إذ أن الضائر راجعة إلى الظلم . ورواية اللسان في مادة (هفف) : « يبيت يحفهن بقفقيه » . وفي مادة (قفف) : « فظل يحفهن بقفقيه » . وقفقا الظلم : جناحاه .

(١) هو الشباخ ، من قصيدة له في ديوانه ٢٧ - ٨٢ مطلعها :

بانت سعاد قدمع العين ملول وكان من قصر من عهدنا طول

(٢) تهوى بها : أي تسرع . والفسير عائد إلى الناقة في بيت سابق . والمكربات : المشدودات ، يعني أن أذرعها مشدودة بمرفقها . وقتل : جمع أقتل وقتلاء ، بمعنى مندحجة شديدة . ط ، هـ : « ملزمات » ، س : « مكربات » ، وهما تحريف ما أثبت .

(٣) المهابة : البقرة الوحشية . والخاضب : الظلم احمرت ساقه . والسق : الذي أصابه السق والبشم من الشبع . من جناه الشرى : أي من تناوله الخنظل ، وهو أطيب طعام عند النعام . يقال جنى الثمر يجنيه جنى ، بالتحريك . والمخلول ، هو الفصيل يجعل في لسانه عود لينعه من الرضاع . جعل الظلم ، في امتناعه عن الطعام ، مما شبع ، كالفصيل المخلول الذي لا يستطيع الرضاع . والبيت محرف في الأصل تحريفاً كبيراً ، في الأصل : « أشق » موضع « سنق » ، والأولى لا وجود لها في اللغة وتصحيحه من الديوان . س : « من حناه » هـ : « من حناه » صوابه في ط ، هـ والديوان

(٤) الهيق : الطويل . والمهقف : الطويل الضخم . وفي الديوان واللسان (هرمل) . والمخصص (٨ : ٥١) : « هزف » . والهزف : السريع . والزفانية ، بالكسر كما في القاموس (زفف) - السريعة . ط ، هـ : « زفانية » س : « زفانية » . محرفتان . وضبطت في المخصص ضبط قلم وكذا في الديوان بالفتح . والمرطى ، بفتحات : السريعة . وفي الأصل والديوان : « مرطا » صوابه في المخصص واللسان . (هرمل) . والزعراء : القليلة الريش . والريش الهراميل : المتفرقات . وفي الأصل : « هذا ميل » ، صوابه في الديوان والمخصص واللسان .

كأَنَّمَا مُنْثَى أَقْمَاعٍ مَا هَصَرَتْ مِنْ الْعِفَاءِ بِلَيْتَيْهَا ثَالِثُ^(١)
 تَرَوُّحًا مِنْ سَنَامِ الْعِرْقِ فَالتَّبَطَّا إِلَى الْقِنَانِ الَّتِي فِيهَا الْمَدَاخِيلُ^(٢)
 إِذَا اسْتَهْلًا بِشُؤْبُوبٍ فَقَدْ فُعِلَتْ بِمَا أَصَابَا مِنَ الْأَرْضِ الْأَفَاعِيلُ^(٣)
 فَصَادَفَا الْبَيْضَ قَدْ أَبَدَتْ مَنَاكِهَا مِنْهَا الرُّثَالُ ، لَهَا مِنْهَا سَرَائِيلُ^(٤)
 فَكَبَّابًا يَنْقُفَانِ الْبَيْضَ عَنْ بَشَرٍ كَأَنَّمَا وَرَقُ الْبَسْبَاسِ مَغْسُولُ^(٥)

- (١) يقول : كأن رؤوس مغارز الريش التي هصرته تلك النعامة وتزعته ، بشور ظاهرة . والليت ، بالكسر : صفحة العنق . في الأصل : « من الفقار » وتصحيحه من الديوان . والعفاء ، بالكسر : الريش . س : « بليديها » هـ : « بليها » بهذا الإهمال . وصوابهما في ط والديوان .
- (٢) تروحا : أى سارا في الرواح . وسنام العرق : أعلاه . والعرق ، بالكسر : الأرض المرتفعة ، أو الحبل الرقيق المستطيل من الرمل . س : « العرف » بالفاء ، وهو بالضم : الأرض المرتفعة . وأثبت ماقى ط ، هـ والديوان . والتبطا : توجهها . وللقنان : جمع قنة بالضم ، وهى الجبل السهل المستوى المنبسط على الأرض . وفي الأصل : « الفقار » وأثبت ماقى الديوان . والمداخيل : المداخل ، وعنى بها المداخل التي تحت الجرف ، التي تسمى الدحال . وفي الديوان : « المداخيل » بالحاء المهملة .
- (٣) أى إذا اشتدا في الجرى بدفعة منه فإنهما يخددان الأرض بمناسمهما . وأصل الاستهلال شدة انصباب المطر . والشؤبوب : الدفعة منه . في الأصل : « إذا استهل . . . » بما أصاب . . . » وصوابه ما أثبت موافقا لما في الديوان .
- (٤) أى رجدا البيض وقد أخرجت منه الفراخ الصغار مناكها ، وقد علاهن بعض قشر البيض ومائه ، فكان ذلك لمن كالسرايل . في الأصل : « فصادف » وصوابه ما أثبت من الديوان . وفي الديوان أيضا : « منه الرثال لها منه » وهما وجهان جائزان ؛ إذ أن كل جمع يكون بينه وبين واحد الحاء نحو يقر وبقرة ، فإنه يذكر ويؤنث . المصباح ص ٩٦٨ وهذا قول الزجاج . ولابن سيده تفصيل طيب في هذا المعنى . المختصص (١٦ : ١٠٠) .
- (٥) يقول : مالا إلى ذلك البيض ينزعان قشره عن بشر تلك الفراخ ، وكأن بشرها ورق ذلك النبات حين يغسل . مكان « عن بشر » في ط : « أعينها » وفي س : « عن » فقط ، وفي هـ : « عنها » وتصحيحه وإكماله من الديوان . والبشر : جمع بشرة ، يذكر ويؤنث ، كما في التنبيه السابق . والبسياس : نبت له أوراق متراكمة شقر . تذكرة داود . وفي الديوان : « كأنه ورق البسياس » .

(تشبيه القدر الضخمة بالنعامة)

والشُّعراء يشبّهون القِدْرَ الضَّخْمَةَ التي تكون بمنزِلِ العَظيمِ وأشباهِهِ
من الأجواد ، بالنعامة . قال الرَّمَّاحُ ، ابنُ مِيَادَةَ^(١) :

وقلت لها لاتعجلي كذلك تقرى الشوك مالم تردد^(٢)
إلى جامع^(٣) مثل النّعمة يلتقى عوازيه^(٤) فوق
جامع : يعنى القدر . وجعلها مثل النّعمة .

وقال ابن ميادة يمدح الوليد بن يزيد :

نتاج العشار المنقيات إذا شئت^(٥) روايدها مثل النّعام العواطف^(٦)

(١) هو الرماح بن أبرد . وهو المعروف بابن ميادة . وميادة : أمه . وهو مخضرم من شعراء
الدولتين . س ، هـ : « الرياحى ابن ميادة » ، صوابه في ط .

(٢) س : « يقرى » . ط : « مالم تردد » . وفي هذا البيت والذي بعده
نقص وتحريف .

(٣) ط : « جامل » ، وأثبت صوابه من س ، هـ . وفي اللقائوس : « وقدر جامع وجامعة
وجماع ككتاب : عظيمة » . وفي اللسان : « وقدر جماع وجامعة : عظيمة .
وقيل هي التي تجمع الجزور » .

(٤) س : « غواديه » ، هـ : « عوازيه » .

(٥) س ، هـ : « انتاج » صوابه في ط . والمنقيات : ذوات الشحم . والنقى ، بالكسر :
الشحم . وشتت : دخلت في الشتاء . ط : « إذا المنقيات شتت » ، هـ : « العشار إذا شتت »
س : « العشار إذا تثنت » ، وقد وجهته بما ترى .

(٦) الروايد : من ريد ربودا : أقام . وقد عني بهن القنود المقيمة على النار .
والعواطف : الحانيات على أولادها .

وقال (١) الفرزدق (٢) :

وقدر كحيزوم النعامة أحمشت (٣) بأجذال خشب زال عنها هشيمها (٤)

(الذئب والنعامة)

وضحك أبو كلدة (٥) حين أنشد شعر ابن النطاح (٦) ، وهو قوله :

* والذئب يلعب بالنعامة الشارد *

قال : وكيف يلعب بالنعامة والذئب لا يعرض لبيض النعامة وفراخه حين لا يكونان حاضرين ، أو يكون أحدهما ؛ لأنهما متى ناهضاه ركضه الذكر فرماه إلى الأنثى ، وأعجلته الأنثى فركضته ركضة تلقيه إلى الذكر فلا يزالان كذلك حتى يقتلاه أو يعجزهما هرباً . وإذا حاول ذلك منه أحدهما لم يقو عليه . قال : فكيف يقول :

- (١) قبل هذا في هـ : « فضحك أبو عبدة » ، وهي زيادة لاموضع لها .
 (٢) البيت في محاضرات الراغب منسوب إلى مفرس . وهو كذلك ليس في ديوان الفرزدق مع وجود أخواته في ص ٨٠٢ .
 (٣) حيزوم النعامة : ما استدار ببطنها وظهرها . ويقال أحش التدر وأحش بها : أشيع وتودها . ط ، هـ : « أحمشت » ، صوابه في س والبخلاء ١٩٠ وأمالى المرتضى (٤ : ٢٩) والخماسة (٢ : ٣٢٨) ، وأول البيت فيها : « غصوبيا » . جعل غليانها بمنزلة الغضب .
 (٤) الأجذال : جمع جذل ، بالكسر ، وهو أصل الشجرة . وفي الأصل : « أجفال » . تحريف ما أثبت من البخلاء ومحاضرات الراغب . ورواية أبي تمام والمرتضى : « بأجواز » أي أوساط . وهي أصلب الخشب وأبقى نارا . والحشيم : المتشيم . ط : « هشما » ، صوابه في س ، هـ وسائر المراجع . ط ، هـ : « منها » وأثبت ما في سائر المراجع .
 (٥) هذه العبارة ساقطة من هـ . وأبو كلدة سبق ذكره في (١ : ٢٣٤) .
 (٦) هو بكر بن النطاح ، سبقت ترجمته في (٣ : ١٩٦) .

* وَالذُّئْبُ يَلْعَبُ بِالنَّعَامِ الشَّارِدِ *

وهذه حاله مع النعام ؟ !

وزعم أن نعامتين اعتورتا ذئباً فهزمتاه^(١) ، وصعد شجرة ، فجالدهما ،
فخقره أحدهما ، فتناول الذئب رأسه فقطعه ، ثم نزل إلى الآخر
فساوره فهزمه .

(جُبْنُ الظِّلِمِ وَنِفَارُهُ)

والظِّلِمُ يُوصَفُ بِالْجُبْنِ ، وَيُوصَفُ بِالنَّفَارِ وَالتَّوْحُشِ .

وقال سَهْمُ بْنُ حَنْظَلَةَ^(٢) ، فِي هِجَائِهِ بَنِي عَامِرٍ :

إِذَا مَا رَأَيْتَ بَنِي عَامِرٍ رَأَيْتَ جَفَاءً وَنُوكًا كَثِيرًا^(٣)
نَعَامٌ تَجُرُّ بِأَعْنَاقِهَا وَيَمْنَعُهَا نُوكُهَا أَنْ تَطِيرًا^(٤)

(ضرر النعامة)

وَالنَّعَامَةُ تَتَخَذُهَا النَّاسُ فِي الدُّورِ^(٥) ، وَضُرُّهَا شَدِيدٌ ، لِأَنَّهَا رُبَّمَا
رَأَتْ فِي أُذُنِ الْجَارِيَةِ أَوْ الصَّبِيَّةِ قُرْطًا فِيهِ حَجَرٌ ، أَوْ حَبَّةَ لَوْلٍ ، فَتَخْطِفُهُ

(١) اعتورتاه : تداولناه . هـ : « فهربتاه » .

(٢) فِي الْإِصَابَةِ ٣٧٠٣ : « سَهْمُ بْنُ حَنْظَلَةَ بْنِ خَاتَمٍ - صَوَابُهُ حُلْوَانٌ - بْنُ خُوَيْلِدٍ
ابْنِ حَرَمَانَ - كَذَا - الْغَنَوِيُّ . قَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ : شَاعِرٌ شَامِي مُخَضَّرٌ » . وَذَكَرَهُ
صَاحِبُ الْمُؤْتَلَفِ وَالْمُخْتَلَفِ ١٢٦ .

(٣) النوك ، بِالْفَهْمِ وَالْفَتْحِ : الْحَمَقُ . وَفِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ : « وَنُوكًا كَثِيرًا » .

(٤) الرِّوَايَةُ فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ (٢ : ٨٧) : « تَمْدُ بِأَعْنَاقِهَا » . وَهَذِهِ أَجُودُ .

(٥) الدُّورُ : جَمْعُ دَارٍ . س : « تَتَخَذُ فِي الدُّورِ » .

١١٠ لتأكله . فكم أذن قد خرقتها ! وربما رأت ذلك في لَبَّة^(١) الصبي أو الصبيّة .
فتضربه بمنقارها ، وربما خرقت ذلك المكان .

(شعر في تشبيه الفرس بالظليم)

ومما يشبه به الفرسُ ممّا في الظليم ، قولُ امرئ القيس بن حُجر :
وخذ أسيلُ كالسِّنِّ وبركةُ كجُوجُو هَيْقٍ دفعه قد تموراً^(٢)
وقال عَقَبَةُ بن سَابِق^(٣) :

وله بركة كجُوجُو هَيْقٍ ولَبَانٌ مضرَجٌ بالخضابِ^(٤)
وقال أبو دُوَاد^(٥) الإيادي :

(١) اللبة ، بالفتح وتشديد الباء : موضع القلادة من الصدر .
(٢) البركة ، بالكسر : الصدر . والجُوجُو : الصدر أيضاً . والهيقي : الذكر من النعام .
والدف ، بالفتح : صفحة الجنب . وتمور : سقط منه النسيل أي الريش . وإنما يكون ذلك في أيام الربيع وجودة المرعى . ويحدث مثله أيضاً للحمار حيث يسقط عنه الشعر . انظر اللسان (مور) . والنعام في ذلك الوقت ينمو نمواً كبيراً . وقد سبق هذا البيت في (١ : ٢٧٢) وانظر ديوان امرئ القيس ٢٦٧ دار المعارف .
(٣) هو عَقَبَةُ بن سَابِق الهزاني ، شاعر من شعراء الأصمعيّات (٦ - ٧) . وفي الأصل : « عبدة بن شأس » ، وصوابه ما أثبت كما جاء باتفاق النسخ في الجزء الأول ص ٢٧٣ .

(٤) انظر لتفسير صدر هذا البيت ما سبق في تفسير البيت السابق . والرواية في الجزء الأول : « ولها » . واللبان ، بالفتح : وسط الصدر . مضرَج بالخضاب : ملطخ بالدم . وكان العرب إذا ساقوا الخيل على الصيد ، فالسابق منها إليه ينخضبون نحره بدم ما يمسكونه من الصيد ؛ علامة على أنه سباق غايات . بلوغ الأرب (٣ : ١٨) . وقد يكون المراد أن راكب هذا الجواد أو الفرس يعرض نفسه للمخاطر ؛ فيصيب فرسه نصيب من ذلك .

(٥) في الأصل : « أبو داود » وهو تحريف يتكرر كثيراً . والصواب ما أثبت . وترجمة أبي دواد تقدمت في (٣ : ٤٢٥) ، وهو أحد نداءات الخيل المحيدين .

يَمْشِي كَشْيَ نَعَامَتَيْنِ يُتَابِعَانِ أَشَقَّ شَاخِصٍ^(١)
وقال آخر^(٢) :

كَأَنَّ حَمَاتِهِ كُرْدُوسٌ فَحَلِ مَقْلَصَةٌ عَلَى سَاقِي ظَلِيمٍ^(٣)
وقال أبو دُوَادٍ الْإِيَادِيُّ :

كَالسَّيْدِ مَا اسْتَقْبَلْتَهُ وَإِذَا وَلَّى تَقُولُ مُلَمَّمٌ ضَرْبٌ^(٤)
لَأُمٍّ إِذَا اسْتَقْبَلْتَهُ وَمَشَى مُتَابِعاً مَا خَانَهُ عَقَبٌ^(٥)
يَمْشِي كَشْيَ نَعَامَةٍ تَبِعَتْ أُخْرَى إِذَا مَارَاغَهَا خَطْبٌ

القولُ فيما اشْتُقُّ له من البيض اسم

قال العَدَبِيُّ^(٦) الْكِنَانِيُّ : باضت البُهْمَى^(٧) : أى سقطت نِصَالَهَا^(٨)

(١) أَشَقَّ : يعنى ظليماً واسع ما بين الرجلين . والشاخص : المرتفع . وقد سبق البيت في (١ : ٢٧٤) .

(٢) في (١ : ٢٧٤) أنه خالد بن عبد الرحمن .

(٣) الحِماة : عضلة الساق . والكردوس ، بانضم : واحد الكراديس ، وهى رؤوس العظام . وفى الأصل : « نحل » ، صوابه ما أثبت من الجزء الأول ، ط ، هـ : « على شق » س : « على سق » ، صوابه ما أثبت من الأول .

(٤) السيد ، بالكسر : الذئب . والمللم : المجتمع المدور . والضرب : الخفيف اللحم .
(٥) اللأم : الشديد .

(٦) العَدَبِيُّ الْكِنَانِيُّ : أعرابي فصيح ، ذكره ابن النديم فى الفهرست ٤٧ ليدن ، ٧٠ مصر . وفى القاموس (مادة عَدَب) ، أن العَدَبِيَّ رجل كِنَانِي . وفى اللسان (مادة عَدَب) أيضاً : « ومنه سمي العَدَبِيُّ الأعرابي الكِنَانِي » . وفى الأصل : « العَدَبِيَّ » بالياء ، صوابه ما أثبت من المراجع المتقدمة .

(٧) البُهْمَى ، كحبل : نبت هيئته كالشعير ، ولكنه قصير . ويعرف أيضاً بالشوفان فى سوريا . وهو بالانجليزية : Wild - oat . عن معجم النبات ، وتذكره داود ، والقاموس .

(٨) النصال : جمع نصل ، وهو سنبلة البهي .

وباض الصَّيف ، وباض القيظ : اشتدَّ الحر وخرج كلُّ ما فيه - من ذلك .
وقال الأسديّ :

فَجِئْنَا وَقَدْ بَاضَ الْكَرَى فِي عَيُونِنَا ^(١) فَتَى مِنْ عُيُوبِ الْمُقْرِفِينَ مُسَلِّمًا ^(٢)
وقال أميَّة بن أبي الصَّلْتِ :

رَكِبْتُ بَيْضَةَ الْبَيَّاتِ عَلَيْهِمْ لَمْ يُحِسُّوا مِنْهَا سِوَاهَا نَذِيرًا ^(٣)
وقال الرَّاعِي ، يهجو ابن الرِّقَاع ^(٤) :

لَوْ كُنْتُ مِنْ أَحَدٍ يُهْجَى هَجَوْتُكُمْ
يا ابن الرِّقَاع ، ولكن لستَ مِنْ أَحَدٍ
تَأْتِي قُضَاعَةٌ لَمْ تَقْبَلْ لَكُمْ نَسَبًا وَابْنَا زَارٍ فَأَنْتُمْ بَيْضَةُ الْبَلَدِ
وفي المديح قولُ عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه : « أَنَا بَيْضَةُ الْبَلَدِ »
ومنه بيضة الإسلام . وبيضة القبة : أعلاها ، وكذلك الصَّوْمَعَةُ ^(٥) .
والبيض : قلانس الحديد .

- (١) الكرى : النوم والنعاس . في الأصل : « من عيوننا » . محرف .
(٢) في الأصل : « عيون المقرفين » والصواب ما أثبت . والمقرفين ، إن كسرت الراء كانت من أقرف الرجل : إذا كان هجيناً ، بأن تكون أمه عربية وأبوه غير عربي . وإن فتحت الراء كانت من أقرف الرجل غيره : وقع فيه وذكره بسوء .
(٣) البيات ، بالفتح : من بيت العدو القوم : قصدهم في الليل من غير أن يعلموا ، فيأخذهم بغتة . ط والديوان ٣٤ : « سراها » صوابه في س ، هـ .
(٤) هو عدى بن الرقاع . وكلثنا : « ابن الرقاع » ساقطة من س . وانظر الكلام على البيتين في الحيوان (٢ : ٣٣٦) واللسان (بيض) وثمار القلوب ٣٩٢ والعملة (٢ : ١٥٣) .
(٥) الصَّوْمَعَةُ ، كجوهرة : بيت للنصارى ، سمي بذلك لدقته في رأسه .

وقال أبو حية النُميرى^(١) :

وصدَّ الغانياتُ البيضُ عني وما إن كان ذلك عن ثَقَالِي^(٢) ١١١
 رأيتُ الشَّيبَ باضَ على لَدَائِي^(٣) وأفسدَ ما عَلَيَّ من الجمالِ^(٤) !
 وبَيْضُ الجُرْحِ والخَرَجِ والحَبْنِ^(٥) : الوعاء الذي يجمع فيه الصَّدِيدُ ،
 إذا خَرَجَ برئٌ وصلَحَ .

وقد يُسمُّون ما في بطونِ إناثِ السَّمَكِ بَيْضاً ، وما في بطونِ الجرادِ
 بَيْضاً ، وإن كانوا لا يَرَوْنَ قَشْراً يشتغلُ عليه ، ولا قَيْضاً يكونُ لما
 فيه حِضْنًا^(٥) .

والخِرْشاءُ : قشرة البيض إذا خَرَجَ ما فيه . وسلخ الحية يقال له
 الخِرْشاء .

(١) اسمه الهيثم بن الربيع ، ونسبته إلى نُمير بن عامر بن صعصعة ، وهو شاعر من
 مخضري الدولتين ، وقد ملح الخلفاء فيها جميعاً ، وكان مقصداً راجزاً من ماكنى
 البصرة ، وكانت به لوثة ، وكان من أجبن الخلق ، وله سيف يسميه : لعاب المنية ،
 ليس بينه وبين الخشبة فرق . توفي نحو سنة ١٦٠ . الشعراء ٧٤٩ والأغاني
 ١٥ : ٦١ . وفي الأصل : « النمرى » محرف .

(٢) الثَقَالِي : المباغضة . هـ : « ثَقَالِي » مصحفة .

(٣) لدائِي : جمع لدة ، بالكسر . واللدة : من يولد معك .

(٤) الحَبْنُ ، بالكسر : الدمل . ط : « الحَبْن » تصحيف سبق مثله في ٢ : ٣٣٦ ،
 وصوابه في س ، هـ .

(٥) القَيْضُ ، بالفتح : القشرة العليا اليابسة على البيضة . والحَضْنُ ، بالكسر :
 بمنى ما يحيط بالشئ . وأصله من حَضَنَ الجبل ، وهو ما يطيف به .

(شعر في التشبيه بالبيض)

وقال الأعشى في تشبيه اللّقاء^(١) الحسناء بالبيضة :

أو بيضة في الدّعص مكنونة أو دُرّة سيقّت إلى تاجر^(٢)

وقال في بيض الحديد :

كأن نعام الدوّ بأضّ عليهم إذا شام يوماً للصّريخ المندد^(٣)

وقال الأعشى :

أتتّنا من البطحاء يَبْرُقُ بَيْضُهَا وقد رُفِعَتْ نيرانها فاستقلت^(٤)

(١) في الأصل : « اللّقاء » ، وهي القصيرة الأنف الصغيرة . ولا وجه لها هنا . وما أثبت هو أقرب تصحيح للكلمة . واللقاء : الضخمة الفخذين في اكتناز واجتماع .

(٢) مكنونة في الدّعص : مخبأة في الرمل المستدير . ورواية الديوان ١٠٤ : « أو درة شيفت لدى تاجر » . وشيفت : جلّيت . وضبط « بيضة » و « درة » بالكسر ؛ لأن قبل البيت :

كدمية صور محرابها بمذهب في مرمر مائر

(٣) الدو : الفلاة . ورواية الديوان ١٣٢ : « إذا ريع شتى للصريخ المندد » . والبيت في صفة كتيبة . جعل البيض الذي يحسّ رموس الرجال شبيهاً ببيض النعام ؛ لكثرة . فإن كل نعمة تبيض نحو الثلاثين . ولذا يقال لها : أم ثلاثين . والظلم : أبو ثلاثين . وقبل البيت :

بلمومة لا ينفض الطرف عرضها وخيل وأرماع وجند مؤيد

فضمير « شام » عائد إلى الجند . وشام : نظر ، أو سل سيفه . والصريخ : صوت المستصرخ المستغيث . والمندد ، بضم الميم وفتح الدال المشددة ؛ الصوت المبالغ في رفعه وتشديده . ومنه قول طرفة : « لهجس خنى أو لصوت مندد » ، وفي الأصل : « الممدد » ، وصواب الرواية ما أثبت من الديوان .

(٤) في الأصل : « أتينا » صوابه من أمالي ابن الشجرى (٢ : ١٦٥ حيدر آباد) . ورواية الديوان : « أتهم » . س ، هـ وحاسة ابن الشجرى ٤١ : « تبرق » ط ، س : « بيضنا » صوابها في هـ وأمالي وحاسة ابن الشجرى وديوان =

وقال زيد الخيل :

كَأَنَّ نَعَامَ الدَّوِّ بَاضَ عَلَيْهِمْ فَأَخَذَاقُهُمْ تَحْتَ الْحَدِيدِ خَوَازِرُ^(١)

(استطراد لغوي)

قال : ويقال تَقَيَّضَتِ البَيْضَةُ ، والإِنَاءُ ، والقارورة ، تَقَيُّضًا^(٢) : إذا انكسرت فِلَقًا . فإذا هي لم تَتَفَلَّقْ^(٣) [فِلَقًا] وهي^(٤) متلازقة ، فهي منقَاضَةٌ انقِياضًا . وقِيضُ البَيْضَةِ : قشرتها اليابسة . وغِرْقَتُهَا : القشرة الرقيقة التي بين اللَّحْمِ وبين الصَّمِيمِ . قال : والصَّمِيمُ : الجلد .

= الأعشى ١٧٩ . ورواية المعجز في الديوان : « وقد رفعت راياتها فاستقلت » . ورواية ابن الشجري : « وقد بذخت فرسانها وأدلت » . والبيت من قصيدة للأعشى يذكر فيها وقعة ذي قار ، التي كانت بين العرب والفرس . وهو في صفة جيش الفرس وعظمته . وبعده (في رواية ابن الشجري) :
نثاروا وثرنا والمنية بيننا وهاجت علينا هبوة فتجلت
نحاسهم كأساً من الموت مرة وقد رفعت راياتهم فاستقلت
ومثله للأعشى في تعظيم شأن جيش الأعاجم حينئذ . (الأغاني ٢٠ : ١٤٠) :
لما أتونا كأن الليل يقدمهم مطبق الأرض تغشاها لهم صدف
بطارق وبنو ملك مرازية من الأعاجم في آذانها النطف
من كل مرجانة في البحر أحرزها تيارها ووقاها طينها الصدف
وظعننا خلفنا تجري مدامعها أكبادها وجلا بما ترى تجف
وانظر بقية الشعر فيها . ولوقعة ذي قار العقد (٣ : ٣٧٤) والعمدة (٢ : ١٦٩) والميداني (٢ : ٣٥٢) ومعجم البلدان .

(١) جمع خازر : وهو من ينظر بلحاظ عينيه ، ويكون ذلك عند ما يراد تحديد النظر . ورواية الشعراء ٢٢٠ : « وأعينهم تحت الحديد » . ورواية قدامة في نقد الشعر ٣٩ والأغاني ١٠ : ٤٤ : « وأعينهم تحت الحيلك » . ونسب في الأغاني لمعتمر بن أوس .

(٢) ط ، هـ : « نقيضاً » ، صوابه في س .

(٣) ط ، هـ : « تنفلق » .

(٤) ط ، هـ . « فهي » ، صوابه في س .

قال : ويقال غرقأت البيضة : إذا خرجت وليس لها قشر ظاهر غير الغرقئة (١) .

قال الرَّدَاد : غرقأت الدَّجاجةُ بيضها ، فالبيضة مُغْرَقَاةٌ (٢) . والخرشاء : القشرة الغليظة (٣) من البيضة ، بعد أن تُثَقَّب فيخرج ما فيها من البلل ، وجماعها الخراشي ، غير مهموز .

قال : وقال رَدَاد : خرشأ الحية : سلخها حين تنسلخ (٤) .
قال : وتغذى أعرابيٌّ عند بعض الملوك ، فدبَّت على حلقه قملةٌ ، فتناولها فقصعها بإبهامه وسبَّابته ، ثمَّ قتلها ، فقالوا له : ويلك ! ما صنعت ؟ ! فقال : بأبي أنتم وأمي ، ما بقي إلا خرشاؤها !
وقال المرقش :

إِنْ يَغْضَبُوا يَغْضَبُ لَذَا كَمَا يَنْسَلُّ مِنْ خِرْشَائِهِ الْأَرْقَمُ (٥)
وقال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ فِي بَيْضِ الْحَدِيدِ (٦) :

قال : ويقال في الحافر نزا (٧) ينزو . وأما الظلم [فيقال (٨)] قعا يقعو ، ١١٢

(١) كذا جاءت . والمعروف في المعاجم : « الغرقى » بالتذكير .

(٢) ط ، هـ : « غرقات » صوابه في س .

(٣) ط : « والخرشاء مغرقاة الجلدة الغليظة » ، هـ : « والخرشا الجلدة الغليظة » ، صوابهما في س .

(٤) ط ، هـ : « يسليخ جلدها » . وما أثبت من س أشبه .

(٥) الأرقم من الحيات : الذي فيه سواد وبياض . في الأصل : « خرشائها » ، صوابه من المفضليات ٢٤٠ والمقصود والمملود ٣٨ . وقد سبق البيت في ص ٣٤٠ . ط ، هـ : « تنسل » تصحيحه من س والمقصود .

(٦) بعد هذا بياض في الأصل . ولم اهتمد بعد إلى شعر لدريد في بيض الحديد .

(٧) في الأصل : « نزي » بالياء .

(٨) ليست بالأصل .

مثل البعير . يقال قاع يقوع قوعاً^(١) وقيعاً، وقعاً يقعو قعواً . فهذا مايسوون فيه بينه وبين البعير . ويقال : خفّ البعير ؛ والجمع أخفاف . ومنسّم البعير ، والجمع مناسم ؛ وكذلك يقال للنّعمة .

وقال الراعي :

ورجل كرجل الأخدرى يشيلها وظيف على خفّ النّعمة أروح^(٢)
وقال جران العود :

لها مثل أظفار العقاب ومنسّم أزج كظنبوب النّعمة أروح^(٣)
قال : والزّاجل^(٤) : ماء الظلم ؛ وهو كالكرّاض من ماء الفحل .
وأنشد لابن أحر^(٥) :

وما ييضات ذى لبدي هجف سقين بزاجل حتى رويناً^(٦)
وقال الطّرمّاح :

سوف تذنّيك من ليس سبتداً ة أمارت بالبول ماء الكراض^(٧)

(١) كذا على الصواب في هـ . وفي ط : « قيعا » و س : « قيعا » .
(٢) الأخدرى : الحمار الوحشي . يشيلها : يرفعها ويحملها . والوظيف : مستدق الذراع والساقي . ووظيف أروح : اتسع ما بينه وبين الوظيف الآخر .
(٣) السكري : « يقول : أظفارها كخالب العقاب . والمنسّم : طرف خف النّعمة . والأزج : المقوس . والظنبوب : أنف عظم الساق » . في الأصل : « أظفار الكناء » تصحيحه من ديوان جران العود ص ٦ . والبيت وجملة : « وقال جران العود » ساقطان من س .

(٤) يقال بالهمز وبغير الهمز .

(٥) ط ، هـ : « ابن أحر » ، صوابه في س . وانظر ما سبق في ص ٣٢٨ .

(٦) سبق شرحه في ص ٣٢٨ .

(٧) السبتداة : الناقة الجريئة لاتقر للفحل . ورواية الديوان ٨١ : « سبتاة » وما لغتان يقال بالتاء وبالذال . أمارت : أسالت . وماء الكراض : ماء جوفها =

وربما استعاروا المناسم . قال الشاعر :

توعدني بالسَّجن والآدات^(١) إذا عدت تأظبت أدات^(٢)

* تربط بالحبل أ كثر عات *

قال : ويقال لولد النعام : الرّأل ، والجمع رِئال ورثلان ؛ وحفّان .

وحفّانة للواحدة ، والجمع حفّان ؛ وحسكل . ويقال : هذا خيط نعام وخيطان^(٣) . وقال الأسود بن يعفر^(٤) .

وكأن مرجعهم مناقف حنظل لعب الرّئال بها وخيط نعام^(٥)

ويقال : قطع من نعام ، ورعلة من نعام .

= من ماء الفحل . س ، هـ : « سوف يدنيك » ، وأثبت ماني ط والديوان .

ط ، س : « أمارات » صوابه في هـ والديوان . والبيت من قصيدة للطرمح ، مطلبها :

قل في شط نهروان اغتاضى ودعاني هوى الميرون المراض

(١) كذا بالأصل :

(٢) كذا . وفي ط : « غدت » .

(٣) الخيط ، بالفتح ويكسر : الجماعة من النعام .

(٤) الأسود بن يعفر ، شاعر مقدم فصيح من شعراء الجاهلية ليس بالكثير . وكان ينادم

النعمان بن المنذر . ولما أسن كف بصره ، فكان يقاد . واسمه في أعاشي

العرب : أعشى بن نهشل . الأغاني (١١ : ١٢٨) والخزانة (١ : ٣٦٦ سلفية)

والمؤتلف والمختلف ١٦ . و (يعفر) بفتح الياء وضم الفاء . وقال يونس

سمعت رؤبة يقول : أسود بن يعفر بضم الياء - أي وبضم الفاء أيضاً - انظر

الصحاح (عفر) والخزانة والأغاني وابن سلام ١٢٢ . وهو على الوجه الأول

ممنوع من الصرف ، وعلى الآخر مصروف لزوال شبه الفعل عنه . ط : « يعقر »

صوابه في س ، هـ .

(٥) « مرجعهم » لها « مرجعهم » . ومناقف الحنظل : حيث ينقف أي يشق ليستخرج

حبه المهي بالهييد . يقول : قد صار موضع دارهم من وحشته مأوى للنعام .

وقال الأصمعيُّ : الرَّعْلَةُ : القِطْعَةُ مِنَ النَّعَامِ . وَالسَّرْبُ مِنَ الظُّبَاءِ
وَالْقَطَا . وَالْإِجْلُ (١) مِنَ الظَّلْفِ .

وقال طُفَيْلُ الْغَنَوِيِّ فِي بَيْضَةِ الْحَيِّ (٢) وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ :

ضَوَابِعُ تَنْوِي بَيْضَةَ الْحَيِّ بَعْدَمَا أَذَاعَتْ بَرِيْعَانِ السَّوَامِ الْمَغْرَبِ (٣)

قال : ويقال : للظلم إذا رعى في هذا النبات ساعة وفي هذا ساعة :
قَدْ عَقَّبَ يُعَقِّبُ تَعْقِيْبًا (٤) . وَأَنْشَدَنِي لَذَى الرُّمَّةِ :

أَهْلَاهُ آءٌ وَتَنُومٌ وَعُقْبَتُهُ مِنْ لَائِحِ الْمَرْوِ وَالْمَرْعَى لَهُ عُقْبٌ (٥)

قال : ويقال للرجل ، إذا كان صغير الأذنين لاصقتين بالرأس : أصمعي ،
وامرأة صمعاء . ويقال : خَرَجَ السَّهْمُ مَتَصَمِّعًا (٦) : إذا ابْتَلَّتْ قُدْذُهُ (٧) ١١٣

(١) الإجل ، بكسر الهمزة . س : « الأرجل » ، صوابه في ط ، هـ .

(٢) في الأصل : « الحلي » ، صوابه ما أثبت . انظر البيت الآتي وشرحه .

(٣) ضوابع : تمتد أصابعها في سيرها ، أي أعضادها . ط ، س : « صوائغ »

هـ : « صوائغ » صوابها من الديوان ١١ . تنوى : تقصد . ط ، هـ :

« تنبى » س « تنبى » صوابها من الديوان . وفي الأصل : « الحلي » موضع

« الحلي » تحريف أيضاً . وفي شرح ديوان طفيل : « وبيضة الحلي : معظهم »

أذاعت : فرقت . وريعان كل شيء : أوله . والسوام ، كسحاب : ما يمرح من

إبل وبقر وغنم ، ولا واحد له . والمغرب ، بتشديد الزاي المفتوحة : الذي عزّب

عن أهله لا يروح عليهم . ط ، س : « الشباب المغرب » هـ : « السقام المغرب » ،

تصحيفه من الديوان .

(٤) ط : « غضب يعضب تعضيْباً » صوابه في س ، هـ .

(٥) سبق شرح هذا البيت في ٣١٢ . ط ، هـ : « آء آء » بالتكرار . صوابه

في س .

(٦) ط : « أصمعي » هـ : « صمعاء » س : « صمعا » صوابه ما أثبت من القاموس

واللسان . ويدل له الاستشهاد الآتي .

(٧) قذذ السهم : جمع قذة بالغنم ، وهي ريشة السهم .

من الدَّم وانضمت . وقال أبو ذؤيب :

* سَهْمًا فَخَرَّ وَرِيشُهُ مُتَصَمِّعٌ ^(١) *

ويقال : أَتَانَا بِثَرِيدَةٍ مُصَمَّعَةٍ ^(٢) : إِذَا دَقَّقَهَا ^(٣) وَحَدَّدَ رَأْسَهَا ؛

ومصومة الرَّاهِبِ مِنْهُ ؛ لِأَنَّهَا دَقِيقَةُ الرَّأْسِ . وَفُلَانٌ أَصَمَعَ الْقَلْبَ : إِذَا كَانَ

ذَكِيًّا حَدِيدًا [مَاضِيًّا] . وقال طرفة :

لَعَمْرِي لَقَدْ مَرَّتْ عَوَاطِسُ جَمَّةٌ وَمَرَّ قُبَيْلُ الصُّبْحِ ظَبْيٌ مُصَمِّعٌ ^(٤)

أَرَادَ : مَاضِيًّا .

(شعر في البيض)

وقال الشاعر في بيضة البلد ^(٥) :

(١) عجز بيت في صفة صائد رى أَتَانَا بِهِمْ فَفَنَدَ فِيهَا بِرِيشِهِ ثُمَّ سَقَطَ . وصدره :

* فَرَى فَأَنفَذَ مِنْ نَحْوِ عَالِطِ *

في الأصل : « ريشة » ، وصوابه من اللسان (صمغ) وديوان الهذليين (١ : ٨) ،
والمفضليات ٤٢٥ حيث تجد القصيدة .

(٢) في الأصل : « متصمعة » صوابه من اللسان والقاموس . ويقال أيضاً :
« مصومة » كما في القاموس .

(٣) في الأصل : « رققها » بالراء . وليست مرادة ، والمراد دقة الرأس . وانظر
اللسان والقاموس (صمغ) .

(٤) البيت من أبيات ثلاثة قالها طرفة ، في أثناء رحلته المشهورة إلى عامل عمرو بن هند
بالبحرين ، وكان قد منحت له في الطريق ظباء وغناب . انظر ديوانه ٩ - ١٠ .
والمواطس : جمع عاطس ، وهو ما استقبلك من الظباء . ورواية اللسان (مادة
عطس) : « عواطيس » : جمع عاطوس ، وهي دابة يتشام بها . وفي مادة
(صمغ) : « عواطس » كما هنا . والمصمغ : بكسر الميم المشددة : الذهاب السريع
كما فسره الجاحظ . ويروى : « مصمغ » بفتح الميم المشددة ، وهو الأصغر
الأذنين . وفي الأصل بدل : « ومر » : « ومنى » تحريف ، صوابه ما أثبت من
اللسان في موضعيه والديوان .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من س . وانظر لبيضة البلد ماسبق في (٢ : ٣٣٦) .

أقبلت تُوضع بِكْرًا لا خِطَامَ لها حَسِبْتَ رَهْطَكَ عِنْدِي بَيْضَةَ الْبَلَدِ^(١)
 ويشبّه عظام جماجم الرؤوس بببيض النعام . وقال الأعرج القينبي^(٢) :
 بكينا بالرماح غداة طَرَقَ على قَتْلَى بناصفةٍ كِرامِ^(٣)
 جماجم غُودِرَت بِحمام عرق كَأَنَّ فَرَّاشَهَا بَيْضُ النِّعَامِ^(٤)
 وقال مقاتل بن طلّبة^(٥) :
 رأيتُ سحياً فاقدَ اللهَ بَيْنَهَا تَنِيكَ بِأَيْدِيهَا وَتَأَيُّ أُيُورُهَا^(٦)
 وقال السُّحَيْمِيُّ يردُّ عليه :
 مُقَاتِلُ ، بَشَّرَهَا بببيض نَعَامَةٍ وإن لم تبشِّرْها فأنْتَ أَمِيرُهَا
 وقال أبو الشَّيْصِ الخُزَاعِيُّ^(٧) في بيضة الخدر :

(١) البكر ، بالكسر : الناقة لم تحمل ، أو التي ولدت بطناً واحداً . والبكر أيضاً ولدها ذكراً كان أو أنثى . وأوضع الناقة يوضعها : جعلها تضع في سيرها ، أي . تعدو عدوا خفيفاً . وفي الأصل : « ترضع بكراً » ، وهو تحريف فكه .
 (٢) كذا . والمعروف في الشعراء : الأعرج المعنى ، نسبة إلى من طيس . واسمه عدى بن عمرو . ابن سويد . وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام . وهو القاتل : تركت الشعر واستبدلت منه إذا داعى صلاة الصبح قاما كتاب الله ليس له شريك وودعت المدامة والنداما
 معجم المرزبانى ٢٥١ والإصابة ٦٤٠٩ ، ٣٧١٣ . والأعرج المعنى شعر في . البيان (١ : ٢٤٦) .

(٣) ناصفة : موضع . س ، هـ : « بناصفة » ، صوابه في ط .
 (٤) الفراش ، بالفتح : كل عظم رقيق .
 (٥) هو مقاتل بن طلّبة بن قيس بن عاصم ، كفا في عيون الأخبار (٤ : ٩٦) . وطلّبة ، بالتحريك . انظر القاموس واللسان . هـ : « كلية » محرفة .
 (٦) سحيم : بطن من بني حنيفة . وفاقد الله بينها : جعل بعضهم يفقدون بعضها . ورواية . عيون الأخبار : « وتعيأ » موضع : « وتأبى » .
 (٧) اسمه محمد بن عبد الله بن رزين ، وهو عم دعبل بن علي الخزاعي . وكان معاصراً =

وأبرز الخلدُر من ثنيته بيضته وأعجل الرّوع نصل السّيف يُخترَطُ^(١)

فتمّ تفديك منّا كلُّ غانيةٍ والشّيعُ يفديك والولدان والشّمط^(٢)

وقال جحش بن نصيب :

كأنّ فلاق الهام تحت سيوفنا خذاريّف بيض عجل النقف طائرُه^(٣)

وقال مهلهل في بيضة الخلدُر :

وتجولُ بيضاتُ الخلدورِ حواسراً يمسحُنَ فضلَ ذوائبِ الأيتامِ^(٤)

وهو وما قبله يدلّان^(٥) على أنّهم لا يشبهون ببيض النعام إلاّ الأبقار .

قال الشاعر^(٦) :

= لأبي نواس ومسلم بن الوليد . وذكره الصفي في نسكت الحميان ٢٥٧ وذكر . أنه توفي سنة مائتين أو قبلها .

(١) الثني ، بالكسر : واحد الأثناء ، وهي الحافى والمعطف . وقد ثنى وأراد الجمع ، وهو معروف في كلامهم . س : « من ثنيته بيضة » ، صوابه في ط ، هـ . يُخترَطُ : أى يستل من غده . يقول : استعجل الخوف نصل السيف في حال اختراطه . في الأصل : « مخترط » . ولا يستقيم بها إعراب البيت . ففعل الوجه ما أثبت .

(٢) الشّمط ، بالضم : جمع أشمط وشمطاء . وهو من اختلط بياض رأسه بسواده . وقد ضم الميم للشعر ، وأصلها السكون .

(٣) الفلاق ، بالضم ، جمع فلاقة بالضم أيضا ، وهي القطعة . والهام : الرعوس . والخذاريّف : جمع خذروف بالضم ، وهي كل شئ مبعثر من شئ . س : « خذاريّف » صوابه في ط ، هـ . ونقف الطائر البيضة : ثقبها ليساعد الفرخ في الظهور .

(٤) حواسرا : كاشفات رموسهن . وفي الأصمعيات ١٧٦ : « عرض ذوائب » .

(٥) س ، هـ : « يدل » .

(٦) هو ذو الرمة ، كما في الخزائنة (٤ : ٤٥١ بولاق) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٩) وكتاب سيبويه (١ : ٥٦) .

وَبَيْضُ أَفْقِنَا^(١) بِالضُّحَى مِنْ مُتُونِهَا سَمَاوَةٌ بَيْضُ^(٢) كَالْحَبَاءِ الْمُقَوَّضِ^(٣)
هَجُومٌ عَلَيْهَا نَفْسُهُ ، غَيْرَ أَنَّهُ مَتَى يُرْمَ فِي عَيْنَيْهِ بِالشَّخْصِ يَنْهَضُ^(٤)
يَعْنَى بِالْبَيْضِ بَيْضُ النَّعَامِ . وَسَمَاوَةُ الشَّيْءِ : شَخْصُهُ . لِأَنَّ الظَّلِيمَ لَمَّا
رَأَاهُمْ فَزِعَ وَنَهَضَ . وَهَذَا الْبَيْتُ أَيْضاً يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ فَرُوقَةٌ^(٥) . ١١٤

وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ فِي بَيْضِ النَّعَامِ :

تَرَاهُ إِذَا هَبَّ الصَّبَا دَرَجَتْ بِهِ غَرَابِيبُ مِنْ بَيْضِ هَجَانٍ دَرَدَقُ^(٦)
قَالَ : وَالصَّبَا وَالْجَنُوبُ تَهَيَّانِ فِي أَيَّامِ يُبْسِ الْبَقْلِ ، وَهُوَ الْوَقْتُ الَّذِي

(١) كَذَا فِي س ، هـ . وَفِي ط : « فَلَقْنَا » . وَفِي مَخَاضِرَاتِ الرَّاعِبِ : « كَشَفْنَا » وَرَوَايَةُ
الْقَالِي (٢ : ٢٩٤) : « رَفَعْنَا »

(٢) كَذَا . وَلَعَلَّهَا : « هَيْق » وَهُوَ الظَّلِيمُ . وَرَوَايَةُ الْقَالِي : « جُون » بِمَعْنَى ظَلِيمٍ
أَسْوَدَ .

(٣) الْحَبَاءُ ، بِالسَّكْرِ : الْبَيْتُ مِنْ وَبَرٍ أَوْ صُوفٍ أَوْ شَعْرِ . س ، هـ : « كَالْحَبَاءِ »
صَوَابُهَا فِي ط ، وَالْمَخَاضِرَاتُ وَالْأُمَالُ . وَالْمُقَوَّضُ : الْمَهْدُومُ . وَجَمَلُهُ كَذَلِكَ حَيْثُ
حَضَنَهُ الْبَيْضُ وَرَقُودَهُ عَلَيْهِ .

(٤) هَجُومٌ عَلَيْهَا نَفْسُهُ : أَيْ يَهْجُمُ عَلَى الْبَيْضِ نَفْسُهُ وَيَلْقِيهَا حَاضِنًا لَهَا . وَقَدْ أَثَرْتُ الْبَيْضَ
هُنَا . وَاسْتَشْهَدَ بِهِ سَبْيُوهُ عَلَى إِعْمَالِ صِيغَةِ فَعُولٍ عَلَى اسْمِ الْفَاعِلِ . وَفِي الْأَصْلِ :
« هَجُومٌ عَلَيْنَا » وَصَوَابُهُ فِي الْمَصَادِرِ السَّابِقَةِ . وَرَوَى الْقَالِي وَسَبْيُوهُ : « بِالشَّيْخِ »
مَكَانَ : « بِالشَّخْصِ » ، وَهُمَا بِمَعْنَى . وَالشَّيْخُ وَالشَّيْخُ ، بِالْفَتْحِ ، وَبِالتَّحْرِيكِ ، لُغَتَانِ .
(٥) الْفَرُوقَةُ ، بِالْفَتْحِ : الْكَثِيرُ الْفَرْعِ ، يُقَالُ لِلْمَذْكَرِ وَالْمُؤَنَّثِ . وَلَهُ نَظَائِرُ فِي
الْمُزْهَرِ (٢ : ١٣٤) وَانْظُرْ شَوَاهِدَ ذَلِكَ فِي اللِّسَانِ (فَرْقَ) . وَفِيهِ أَيْضاً أَنَّهُ
يُقَالُ لِلْمُؤَنَّثِ « فَرْوَقٌ » بِزَعِ الْهَاءِ . وَفِي أَسْلِ الْكِتَابِ : « رَوْحُهُ » وَهُوَ
تَحْرِيفٌ لَا يَسْتَقِيمُ .

(٦) فِي الْأَصْلِ . « ذَرَفَتْ بِهِ » ، وَتَصْحِيحُهُ مِنْ دِيوَانِ ذِي الرُّمَّةِ ٣٩٨ وَمِنْ الشَّرْحِ
الْآتِي لِلْجَاحِظِ . وَ « دَرَدَقٌ » صِفَةٌ لِكَلِمَةِ « غَرَابِيبُ » فَهِيَ مَرْفُوعَةٌ . وَالْبَيْتُ
مِنْ قَصِيدَةِ لَذِي الرُّمَّةِ ، أَوَّلُهَا :

أَدَارًا يَجْزُوِي هَجْتَ لَعِينِ حَبْرَةٍ فَاءُ الْهَوَى يَرْفُضُ أَوْ يَتَرَقُّقُ

وَقَبْلَ الْبَيْتِ :

بِمَشْتَبِهِ الْأَرْبَاءِ يَرَى بَرْكَبَهُ يَبِيسُ الثَّرَى نَائِي الْمَنَاهِلِ أَخَوَقُ

يُثَقَّبُ النَّعَامُ فِيهِ الْبَيْضُ . يقول : درجت به رِثْلَانُ سَوْدٌ غَرَابِيبُ ، وهى
من بَيْضٍ هَجَانُ : أى بَيْضُ . والدَّرْدَقُ : الصَّغَارُ ، وهو من
صُغَرٍ (١) الرِّثْلَانُ .

(الحصول على بيض النعام)

قال طفيل بن عوف الغنوى (٢) ، وذكر كيف يأخذون بيض النعام :
عَوَازِبُ لَمْ تَسْمَعْ نُبُوحَ مَقَامَةٍ وَلَمْ تَرَ نَارًا تَمَّ حَوْلَ مَجْرَمٍ (٣)
سِوَى نَارِ بَيْضٍ أَوْ غَزَالٍ مُعَفَّرٍ أَغْنَى مِنَ الْخَنَسِ الْمُنَاحِرِ تَوَامٍ (٤)

- (١) جمع صغرى . وفى اللسان : « والصغرى تأنيث الأصغر ، والجمع الصغر . قال سيبويه :
يقال نسوة صغر ولا يقال قوم أصاغر ، إلا بالالف واللام » .
(٢) طفيل بن عوف الغنوى : شاعر جاهلى فحل ، قالوا : وهو أوصف العرب للخيال .
ويقال له : طفيل الخيل ، ويسمى أيضا : المحبر الغنوى . المؤلف ١٨٤ .
(٣) عوازب : عنى إبلا عوازب لا تروح على أهلها ، تبيت بالقفر . وقبل هذا البيت
بأربعة أبيات :

أرى إبلى عافت جدود فلم تذق بها قطرة إلا تحلة مقسم
والنبوح ، بالضم : أصوات الكلاب . والمقامة ، إِبَالْفَتْحُ : الحى المقيمون .
يريد : أصوات كلاب الحى المقيمين . تم حول مجرم : أى حول تام . س ، ه :
« بنوح » صوابه من الديوان ه ، ومما سبق فى (١ : ٣٤٨) . ه :
« حامة » موضع « مقامة » صوابه فى س ، ط والديوان . ورواية القالى :
« نُبُوحٌ مُقَامَةٌ » قال : « النبوح : أصوات الناس . والمقامة : حيث يقيم
الناس » ، ثم قال : « يقول : هذه الإبل عوازب ، لعزأرباها ، ترعى حيث شاءت
لا تمنع ولا تخاف ، فلم تسمع أصوات أهل مقامة ولم تر نارا سنة كاملة سوى
نار بيض نعام يصيبه راعيها فيشويه ، أو غزال يصيده » .

- (٤) معفر : مقتول ممرغ فى المعفر . س : « معقر » بالقاف . والأغن : الذى فيه
غنة ، وهو من صفة الظباء . وفى الأصل : « أغر » وصوابه من الديوان ،
والأمالى . والأخنس : القصير الأنف . والتوام : الذى ولد مع غيره . وذلك أشد
لفؤولته وصغر جسمه .

هذه إبلُ راعٍ معزِبٍ^(١) صاحب بوادٍ^(٢) وبدوةٍ ، لا يأتي المحاضر والمياه حيثُ تكون النيران^(٣) . وهو صاحب لبنٍ وليس صاحب بقلٍ ، فإنه لا ترى ناراً سوى نارٍ بيضٍ أو غزالٍ .

(نار الصيد)

وهذه النارُ هي النارُ التي يُصطاد بها الطَّيَّاء والرَّثْلان وبيض النعام^(٤) لأنَّ هذه كلها تعشى إذا رأتُ ناراً ، ويحدثُ لها فكرةٌ فيها ونظر . والصبيُّ الصغير كذلك . وأوَّلُ ما يعايبُ^(٥) الرضيعُ ، أوَّلُ ما يناغى ، المصباحُ^(٦) . وقد يعترى مثلُ ذلك الأسدُ ، ويعترى الضفدعُ ؛ لأنَّ الضفدعَ ينقُ ، فإذا رأى ناراً سكنت . وهذه الأجناس قد تغترُّ^(٧) بالنار ، ويُختالُ لهاها .

-
- (١) هـ : « معرب » ، صوابه في ط ، س .
 (٢) كتبت في الأصل بإثبات الياء . وهو جائز في العربية في حالة الوقف فقط . وفي كتاب سيبويه (٢ : ٢٨٨) : « وحدَّثنا أبو الخطاب ويونس أن بعض من يوثق بعربيته من العرب يقول : هذا غازی وراى وعى . أظهروا في الوقف ، حيث صارت في موضع غير تنوين » .
 (٣) ط ، هـ : « النيران » بالثاء . صوابه بالنون كما في س .
 (٤) تسح الجاحظ في التعبير ؛ فإن بيض النعام ليس بما يصطاد ، بل هو بما يطلب ويبحث عنه . وكان العرب يطلبون بيض النعام في أفاحيصها ومكائنها بالنار . جاء في ثمار القلوب ٤٦٢ ، عند الحديث عن (نار الصيد) : « ويطلب بها أيضا بيض النعام في أفاحيصها ومكائنها » .
 (٥) يعايب ، من المعايب ، وهي الملاعبة . وفي الأصل : « يعاتب » محرفة .
 (٦) المناغاة : المحادثة والملاعبة . و « المصباح » هي في ط ، هـ : « المصباح » صوابه في س .
 (٧) تغتر : تختدع ؛ فالأسد يرى النار فيستعظمها فتشغله عن السابلة ، وكذا الضفدع يشغل عن النقيق . ط ، س : « تغتر » ، صوابه في هـ .

(تشبيه الغيوم بالنعام)

وتوصف الغيوم المترامكة^(١) بأن عليها نعاماً . قال الشاعر^(٢) :

كَأَنَّ الرَّيَّابَ دَوَيْنَ السَّحَابِ نَعَامٌ تَعَلَّقَ بِالْأَرْجُلِ^(٣)

وقال آخر :

خَلِيلِي لَا تَسْتَسْلِمَا وَادْعُوا الَّذِي لَهُ كُلُّ أَمْرٍ أَنْ يَصُوبَ رِيحٌ

حَيًّا لِبِلَادٍ أَبْعَدَ الْمَحَلِّ أَهْلِهَا وَفِي الْعَظْمِ شَيْءٌ فِي شَطَاةٍ صُدُوعٌ^(٤)

بِمَنْتَضِكَ^(٥) عَرِ^(٦) النَّشَاصِ كَأَنَّهَا جِبَالٌ عَلَيْهِنَّ النَّسُورُ وَقُوعٌ^(٧)

(١) المترامكة : المتكاثفة . ط ، هـ : « المترامكة » تصحيحه من س .

(٢) هو عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، كما في اللسان (ريب) — عن الأصمعي — ومعجم الأدياء (١٦ : ٢٥٩) عن أبي عبيد . ونسبه الحصري في زهر الآداب (١ : ١٧٧) إلى حسان بن ثابت . والبيت منسوب في الكامل ٤٨٥ ، ٧٥٨ وكذا في شرح المفصليات ٢٤٨ (عن الأصمعي) إلى المازني . قلت : المازني الذي عنياه هو زهير بن عروة بن جلهمة المازني ، كما في الأغاني (١٩ : ٣٨٧) ، أو عروة بن جلهمة ، كما في اللسان . وقبله :

إِذَا اللَّهُ لَمْ يَسُقْ إِلَّا الْكِرَامَ فَاسْقِ وَجْوهَ بَنِي حَنْبَلٍ
أَجْشَ مَلْثَاغِزِرِ السَّحَابِ هَزِيزَ الصَّلَاصِلِ وَالْأَزْمَلِ
تَكَرَّرَهُ خَضْخَضَاتِ الْجَنُوبِ وَتَفَرَّغَهُ هَزَّةُ الشِّبَالِ

(٣) الرباب ، بالفتح : السحاب المتعلق .

(٤) الحيا : الحصب . وفي الأصل : « جنا » . والمحل : الجذب وانقطاع المطر .

والشظى : عظيم لاصق بالركبة . هـ : « شطاء » . س : « وفي الفطم في شطاء »

صدوع » وأثبت ما في ط . ولعل صوابه : « وَعَى الْعَظْمُ حَتَّى فِي شَطَاةٍ

صُدُوعٌ » ، أي وعى العظم من المحل حتى ظهرت الشقوق في شطاء . ووعى

العظم : انجبر على عثم ، أي التواء . وهو كناية عن الشدة . والبيت وسابقه

في الزهرة ٢٠٣ .

(٥) هـ : « بمنضك » س : « بمضك » وكلها صور محرفة . ولعلها « معتنك »

وأصله البعير يحبو حبواً ولا يقدر على السير . فيكون قد جعله معتنكاً لثقله وكثرة مائه .

(٦) كذا بالعين المهملة . ولعلها : « غر » .

(٧) النشاص ، بالفتح : السحاب المرتفع بعضه فوق بعض .

(استطراد لغوى)

وقال آخر :

وَضَعَ النَّعَامَاتِ الرَّجَالُ بِرَيْدِهَا مِنْ بَيْنِ مَخْفُوضٍ وَبَيْنِ مَظْلَلٍ^(١)
والنعائم في السماء^(٢) . والنعائم والنعامتان من آلات البئر^(٣) .
و [النعامة^(٤)] : بيت الصائد^(٥) .

وقال في مثل ذلك عروة بن مُرَّة الهللي^(٦) :

-
- (١) النعامة : ظلة أو علم يتخذ من خشب ، فربما استظل به وربما اهتدى به . المخصص (٥ : ١٣٥) . والرجال هنا فاعل (رفع) . والرید ، بالفتح : الحرف الناقص من الجبل . في الأصل : « برمدها » ، وتصحيحه من المخصص . وشبيهه بلفظه قوله : لا شيء في ريدها إلا نعائمها منها هزيم ومنها قائم باقي و « مظلل » هي في الأصل « مضلل » وصوابه في المخصص .
- (٢) هي منزلة من منازل القدر بها ثمانية نجوم أربعة منها في المجرة وتسمى الواردة ، وأربعة خارجة تسمى الصادرة .
- (٣) النعامتان : خشبتان يضم طرفاهما الأعلىان ويركز طرفاهما الأسفلان في الأرض ، أحدهما من هذا الجانب ، والآخر من ذاك الجانب ، يصنعان بحبل ويمد طرفا الحبل إلى وتدين مثبتين في الأرض ، أو حجرين ، وتعلق القامة أى البكرة بين شبعي النعامتين . قلت : فقد يضم إلى النعامتين ثلاثة فيصرون نعائم . في الأصل : « السر » وقد كشفت سر هذا التصحيح بما أثبت .
- (٤) ليست بالأصل .
- (٥) ط ، هـ : « الصيد » . صوابه ما أثبت من س .
- (٦) البيت الآتي منسوب في اللسان (سرب) إلى أبي خراش الهللي . وعروة وأبو خراش . أخوان ، من عشرة إخوة أبوهم مرة الهللي ، وكانوا جميعاً شعراء دهاة سراعاً لا يدركون عدوا . أما عروة فقتل في الجاهلية ورثاه أبو خراش بأبيات ضادية ، في الحاسة . وأما أبو خراش — واسمه خويلد بن مرة — فإنه أدرك زمان عمر ابن الخطاب ، وهاجر إليه ، وغزا مع المسلمين . ومات في زمن عمر . الأغاني (٢١ : ٣٨ — ٤٨) والإصابة ٢٤١ والشعراء والخزائن (١١ : ٤٠٠ : سلفية) .

وَذَاتِ رَيْدٍ كَزَنْقِ الْفَأْسِ مُشْرِفَةٍ طَرِيقَهَا سَرِبٌ بِالنَّاسِ مَجْبُوبٌ^(١)
 ١١٥ لم يَبْقَ مِنْ عَرْسِهَا إِلَّا نَعَامُهَا حَالَانِ مِنْهَزَمٌ مِنْهَا وَمَنْصُوبٌ^(٢)

(مسكن النعام)

وفي المثل : « ما يُجْمَعُ بَيْنَ الْأَرْوَى وَالنَّعَامِ »^(٣) ؛ لِأَنَّ الْأَرْوَى تَسْكُنُ
 الْجِبَالَ وَلَا تُسَهِّلُ^(٤) ، وَالنَّعَامُ تَسْكُنُ السَّهْلَ وَلَا تَرْتَقِي فِي الْجِبَالِ . وَلِذَلِكَ
 قَالَ الشَّاعِرُ^(٥) :

(١) الرِّيد : ما شَخَصَ مِنَ الْجِبَلِ : ط . « وَذَاتُ فَرْنَدٍ » س ، هـ : « وَذَاتُ
 زَنْدٍ » صَوَابُهُ مَا أُثْبِتَ مِنَ اللِّسَانِ ، وَانْظُرِ الْبَيْتَ السَّابِقَ . وَالزَّنْقُ ، بِالتَّحْرِيكِ :
 أَصْلُهُ أَسْلَةُ نَصْلِ السَّهْمِ . وَالْأَسْلَةُ : مُسْتَدَقُ النَّصْلِ . فَيَكُونُ قَدْ أَسْكَنَ النَّوْنَ
 لِمُضْرُوَّةِ الشَّعْرِ . وَالْمَعْنَى أَنَّ ذَلِكَ الرِّيدَ يَشْبُهُ حَدَّ الْفَأْسِ . ط ، هـ : « بِزَلْفٍ »
 س : « بِدَلْفٍ » . وَفِي اللِّسَانِ : « كَزَنْقِ الرِّخ » . وَصَوَابُ الْكَلِمَةِ مَا أُثْبِتَ .
 وَأَمَّا كَلِمَةُ « الرِّخ » فِي اللِّسَانِ فَصَوَابُهَا « الرِّج » . وَالْأَرْضُ الْمُشْرِفَةُ : الْعَالِيَةُ
 تَشْرَفُ عَلَى مَا حَوْلَهَا . وَالطَّرِيقُ السَّرِبُ - كَكَتَفَ - الَّذِي يَتَّبَعُ فِيهِ
 النَّاسُ . فِي الْأَصْلِ : « طَوِيلُهَا » تَصْحِيحُهُ مِنَ اللِّسَانِ . وَالْمَجْبُوبُ . كَأَنَّهُ الْمَهْدُ
 مِنْ قَوْلِهِمْ : سَتَامٌ مَجْبُوبٌ ، أَيْ مَقْطُوعٌ . ط ، س : « مَجْنُوبٌ » صَوَابُهُ فِي هـ .
 وَرَوَايَةُ اللِّسَانِ : « دَعْبُوبٌ » بضم الدال ، وَهُوَ الْمَذَلُّ الْوَاضِحُ الَّذِي يَسْلُكُهُ
 النَّاسُ

(٢) العرس ، بِالْفَتْحِ : حَائِطٌ يَجْعَلُ بَيْنَ حَائِطِي الْبَيْتِ الشَّتْوَى لَا يَبْلُغُ بِهِ أَقْصَاءَهُ ثُمَّ يَسْقِفُ
 لِيَكُونَ الْبَيْتُ أَدْفَأَ . وَالنَّعَامَةُ : الظِّلَّةُ . حَالَانِ أَيْ تِلْكَ النِّعَامَةُ لَهَا حَالَانِ فَيَبْغُضُ أَجْزَاءَهَا
 مِنْهَزَمٌ أَيْ مُتَكَمِّرٌ . تَقُولُ هَزَمْتَ الْقَرِيبَةَ فَانْهَزَمَتْ : إِذَا غَمَزَتْهَا فَتَطَامَنْتَ . وَمَنْصُوبٌ :
 أَيْ قَائِمٌ . انْظُرْ مِثْلَ هَذَا الْبَيْتِ فِي حَوَاشِي الصَّفْحَةِ السَّابِقَةِ . فِي الْأَصْلِ : « مَنْصُوبٌ »
 وَلِلْوَجْهِ مَا أُثْبِتَ .

(٣) نَصُّ الْمَثَلِ فِي الْمِيدَانِ (١ : ١٢٦) وَكُنَايَاتُ الْجُرْجَانِ ١١٨ وَالْمِيدَرِ : « تَكْلُمُ
 فَجَمَعَ بَيْنَ الْأَرْوَى وَالنَّعَامِ » . وَقَالُوا : أَيْ تَكْلُمُ بِكَلِمَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ . وَفِي اللِّسَانِ .
 « وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ : مَنْ يَجْمَعُ بَيْنَ الْأَرْوَى وَالنَّعَامَةِ ؟ ! » . وَالْأَرْوَى : جَمْعُ
 أَرْوِيَّةٍ ، أَوْ اسْمُ جَمْعٍ ، وَهِيَ أَنْثَى الْوَعُولِ .

(٤) أسهل : نَزَلَ فِي الْمَهْلِ مِنَ الْأَرْضِ .

(٥) هو مهلهل ، كَمَا فِي اللِّسَانِ (ظَهَرَ ، كَدَسَ) أَوْ عَبِيدُ بْنُ الْأَبْرَصِ ، كَمَا فِي مُخْتَصَرِ
 تَهْذِيبِ الْأَلْفَاظِ ١٧١ وَاللِّسَانِ (كَدَسَ) . وَالْبَيْتُ بِدُونِ نِسْبَةٍ فِي الْمُقَايِيسِ (كَدَسَ) .

وَنَحِيلٍ تُكَرِّدُسُ بِالذَّارِعِينَ كَشَى الوُعُولُ عَلَى الظَّاهِرَةِ^(١)
وقال كثير :

يَهْدَى . مَطَايَا كَالْحَنِيِّ ضَوَامِرًا بِنِيَاطٍ أَغْبَرَ شَاخِصَ الْأَمْيَالِ^(٢)
فَكَانَهُ إِذْ يَغْتَدِي مُتَسِمًا وَهَذَا فَوْهَدًا نَاعِقٌ بِرِئَالِ^(٣)

(شعر في التشبيه بالنعام)

وقال الأعشى ، في تشبيه النعام بما يتدلى من السحاب من قطع
الرَّباب :

(١) ط : « وتبلي » س ، هـ : « ونبل » ، صوابه من الحيوان (٦ : ٣٠٠)
والمختصص (١٠ : ٦٩) واللسان . وتكردس : تمشى مشية المقيد . ط :
« يكردس » س ، هـ : « مكردس » ، صوابهما من سادس الحيوان .
والرواية في المختصص واللسان والمختصر : « تَكْدَسُ » أى تتكدس . والتكدس :
أن يمشى الفرس كأنه مثقل . والدارع : لابس الدرع الحديدى . والظاهرة :
أعلى الجبل حيث يسكن الوعل . وفى الأصل : « الطاهر » صوابه من المختصص
واللسان والمختصر . وانظر ما سيأتى فى (٦ : ٣٠٠) .

(٢) الحنى : كفى : جمع حنية ، وهى القوس . جعلها كالقسي فى نحو لها . وانظر
الاستدراكات . ونياط المفازة : بعد طريقها . ط ، س : « نباط » صوابه فى هـ .
والأغبر : الطريق ذو الغبرة . شاخص : قائم . والأهيال : جمع ميل ، بالكسر ، وهو
المنار يبنى للمسافر فى أنشاز الأرض وأشرافها . وفى الأصل : « الأمثال » . ولا وجه له ،
صوابه ما أثبت .

(٣) تسنم الشيء : علاه . س : « متسما » صوابه فى ط ، هـ . والوهد ،
بالفتح : الأرض المنخفضة . فعنى تسنم الوهد : أشرف عليه من الأنشاز التى حوله .
ط : « وهد فوهد » س ، هـ : « وهلى فوهلى » صوابهما ما أثبت .
وناعق : هو من نعى الراعى بالغنم : دعاها وصاح بها . ط : « ناطق » تصحيحه من
س ، هـ .

يا هل ترى برقاً على الـ جَبَلَيْنِ يُعْجِبُنِي انْجِيَابُهُ (١)
 مِنْ سَاقِطِ الْأَكْنَافِ ذِي زَجَلٍ أَرَبُّ بِهِ سَحَابُهُ (٢)
 مِثْلِ النَّعَامِ مُعَلَّقًا لَمَّا زَقَا وَدَنَا رَبَابُهُ (٣)
 وَقَالَ وَشَبَّهَ نَاقَتَهُ (٤) بِالظَّلِيمِ :
 وَإِذَا أَطَافَ لِبَابِهِ بِسَدِيسِهِ (٥) وَمَسَافِرًا وَلَجَا بِهِ وَتَزَيَّدَا (٦)
 شَبَّهَتْهُ هِقْلًا يُبَارَى هِقْلَةً رَبْدَاءُ فِي خَيْطِ نَقَانِقٍ أَرَبْدَا (٧)

(١) ياهل : أى يا صاح هل . حذف المنادى ، كما جاء فى الكتاب : « ألا يا اسجدوا » فى قراءة الكسائى ، وكقوله :

يا لعنة الله والأقوام كلهم والصالحين على سيمان من جار
 برفع « لعنة » . ورواية الديوان ١٩٨ : « بل هل » . والجبلان ، هما جبل
 طيس : أجاً وسلمى . وانجياه : انكشافه . وىروى : « انتصابه » . وفى شرح
 الديوان : « الناصب من البرق ترى ضوءه ثابتاً » . ط ، س : « انجياه »
 تصحيحه من هـ والديوان .

(٢) من ساقط الأكناف : أى من سحب ساقط النواحي . وفى الأصل : « متساقط » .
 و « الأكناف » هى فى س : « الأكتاف » وصواب هذين التحريفين
 من الديوان . والزجل ، بالتحريك : الصوت . أرب به : أقام .

(٣) معلقاً ، فى موضع حال من النعام . فى الأصل : « معلق » ووجهه ما أثبت من
 الديوان . وانظر شبيه هذا المعنى فى البيت الذى سبق فى ص ٣٥٠ . زقا : صاح .
 وفى اللسان : « وكل صائح زاق » . وقد تعدوا ذلك إلى مالا يحس فقالوا : زقت
 البكرة » . ط ، هـ : « رقا » ولا وجه له ، وأثبت ما فى س . ورواية الديوان :
 « لَمَّا دَنَا قَرْدًا رَبَابُهُ » القرد : المجتمع . والرباب : ما تدلى من السحاب .

(٤) كذا . والوجه : « بعيره » أو « جملة » . كما يفهم من الشعر . انظر الديوان ١٥٢ .

(٥) رواية الديوان : « وَإِذَا يَلُوثُ لُغَامَهُ بِسَدِيسِهِ » و : « أطاف لغامه » .

(٦) كذا فى ط ، هـ . وفى س : « ومسافر دلجابه » ، وكلاهما محرف . ورواية الديوان :

« ثَنَى فَهَبٌ هِبَابُهُ وَتَزَيَّدَا »

(٧) الحقل ، بالكسر : الفتى من النعام . ط ، س : « شبهته صملاً » . والصعل ،
 بالفتح : الطويل من النعام . ورواية الديوان : « وكأنه هقل يبارى هقلة » .
 والربداء : الرمادية اللون ، أو السوداء . وروى فى الديوان : « رمداء » =

وذكر زهير^(١) الظليم وأولاده ، حتى^(٢) شبه ناقته بالظليم :
 كأنني وردني والقرباب وممرقي على خاضب الساقين أرعن نقنيق^(٣)
 رامي به حب الصَّحاري وقد رأي سماوة قشراء الوظيفين عوهق^(٤)
 تمنُّ إلى مثل الحباير جثم لدى سكن من قبضها المتفلق^(٥)
 تحطم عنها [قبضها] عن خراطم وعن حدق كالنبخ لم يتفلق^(٦)
 النبخ^(٧) : الجدرى^(٨) .

= أى رمادية اللون . والخيط ، بالفتح والكسر : جماعة النعام . ط ، س :
 « نبط » هـ : « نبط » تصحيحه من الديوان . والنقائق : جمع نقنق ونقنقة ،
 وهو الخفيف من النعام . فى الأصل : « تعانق » والوجه من الديوان . و « أربدا »
 صفة لخيط ، وجر بالفتحة لوزن أفعل . هـ والديوان : « أرمدا » وهما بمعنى .

(١) الصواب نسبته إلى كعب بن زهير فى قصة رواها أبو الفرج فى ١٥ : ١٤١ . وفى ديوان
 زهير ٢٤٥ أن زهيراً وكعباً اشتركا فيها .

(٢) لعلها : « حين » ، أو : « حيث » .

(٣) الردف ، بالكسر : الحقيبة ونحوها . والقرباب ، بالكسر : غمد السيف . ويرى :
 « والفتان » وهو غشاء الرجل . والممرق : ما يوضع فوق الرجل يقعد عليه الراكب . خاضب
 الساقين : ملى به ظليها احمرت ساقاه . والنقنق ، النافر أو الخفيف .

(٤) فى الديوان والأغاني : و « تراخي » ، أى تطاول . ط ، هـ : « وقد أرى » . وأثبت
 مافى س ، والديوان والأغاني ، والسماوة : أعلى شخص الشيء . والقشراء : البيئة .
 القشر ، وهو شدة الحمرة . أو القشراء : المتقشرة الساق لاريش عليها . والوظيف :
 مستدق الساق . وفى ط ، س : « الوظيفة » وهـ : « قشر الوظيفة » صوابه ما أثبت .
 والعوهق : الطويل : يستوى فيه الذكر والمؤنث . ط ، س : « عهق » هـ : « عهق »
 محرفتان عما أثبت .

(٥) فى الأصل : « ميل الجناحين » ، صوابه من الديوان والأغاني . والحباير : جمع
 حبارى ، يعنى فراخها . والجثم : الجائمة المقيمة فى موضعها . والسكن : حيث
 تسكن . وفى الأصل : « عن ييضها » ، صوابه من الديوان والأغاني . والقيض :
 قشر البيض .

(٦) التكملة من الديوان والأغاني . وفى ط ، هـ : « خراطم أصيح » . والنبخ : الجدرى .

س ، ط : « كالمخ » ، هـ : « كالمخ » ، صوابهما من الديوان والأغاني واللسان (نبخ) .

(٧) س : « السح » . ط ، هـ : « السح » ، محرفتان .

(٨) فى الأصل : « الجدرى » ، تحريف ما أثبت .

(النعامة فرس خالد بن نضلة)

وكان اسمُ فرس خالد بن نَضْلَةَ^(١) : « النّعامة » . قال :
تَدَارَكَ إِرْحَاءُ « النّعامة » حَنْثَرًا وَدُودَانَ أَدَّتُهُ إِلَى مُكْبَلًا^(٢)

(تشبيهه مشى الشيخ بمشى الرئال)

وقال عروة بن الورد^(٣) :

أليسَ ورأى أن أدبً على العصا فَيَأْمَنَ أعدائي وَيَسْأَمَنِي أهلي^(٤)
رَهِينَةً قَعَرَ البيتِ كلَّ عَشِيَّةٍ يُطِيفُ بِي الْوِلْدَانُ أَهْدِجُ كَالرَّأْلِ^(٥)

(١) خالد بن نضلة الأسدي ، فارس مشهور من فرسانهم ، وله ذكر في يوم النصار ؛
إذ كان رئيس أسد يومئذ . كامل ابن الأثير ١ : ٣٧٧ . س : « فضلة » صوابه
في القاموس (نعم) وكامل ابن الأثير ، والبيان ٣ : ٢٥٠ ، ٢٦٩ وبلوغ الأرب
٢ : ١١٨ . وقد قال البيت الآتي يذكر فيه أنه أسر حنثر بن الأضبط ، ودودان
ابن خالد . شرح المفضليات ٣٦٦ وبلوغ الأرب ٢ : ١١٨ .

(٢) الإرخاء : شدة العدو . ط : « أحساء » س ، هـ : « أرحاء » ، والوجه ما أثبت ،
كما في بلوغ الأرب . و « حنثراً » هي في الأصل : « جيداً » صوابه في بلوغ
الأرب . وانظر التنبيه السابق . وفي الأصل أيضاً : « أردته » صوابه ما أثبت .
وفي بلوغ الأرب : « ودودان أدت في الحديد » . مكبلا : مقيداً .

(٣) عروة بن الورد شاعر من شعراء الجاهلية ، فارس ، صعلوك ، جواد . وكان
يسمى عروة الصعاليك ، لجمعه إياهم ، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم .

(٤) يقول : أليس ورأى إن سالت الناس ، وتركت بخاطر التصعلك ، أن يلحقني
الكبر فاهون ويضجر مني أهلي ؟ ! فهو يحتاج للتصعلك بما ترى . س ، هـ :
« على الصفا » س : « ويأس بي » ، هـ : « ويأس أهاني » ، صواب ذلك
في ط والديوان ١٠٣ .

(٥) رهينة : أي ملازم لا يبرح . وهجج الشيخ في مشيته : قارب اخطو وأسرع من غير
إرادة . والرأل : فرخ النعام .

شَبَّهَ هَدَجَانَ ^(١) الشَّيْخَ الضَّعِيفَ فِي مَشِيَّتِهِ بِهَدَجَانَ الرَّألِ .

وَقَالَ أَبُو الزَّحَفِ ^(٢) :

أَشْكُو إِلَيْكَ ^(٣) وَجَعًا بِرُكْبَتِي وَهَدَجَانًا لَمْ يَكُنْ فِي مِشْيَتِي ^(٤)

* كَهَدَجَانَ الرَّألِ حَوْلَ الْهَيْقَتِ ^(٥) *

وَقَالَ آخَرُ ، وَلَسْتُ أَدْرِي أَيُّهُمَا حَمَلَ عَلَى صَاحِبِهِ :

أَشْكُو إِلَيْكَ وَجَعًا بِمِرْفَقِي ^(٦) وَهَدَجَانًا لَمْ يَكُنْ فِي خُلُقِي

* كَهَدَجَانَ الرَّألِ حَوْلَ النَّقْنَقِ *

وَلَمْ يَفْضَحْهُ إِلَّا قَوْلُهُ :

* أَشْكُو إِلَيْكَ وَجَعًا بِمِرْفَقِي *

لَأَنَّ الْأَوَّلَ حَكَى أَنَّ وَجْعَهُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَصِيبُ الشُّبُوحَ ، وَوَجَعَ

الْمِرْفَقِ مِثْلُ وَجَعِ الْأُذُنِ ، وَضَرْبَانِ الضَّرْسِ ، لَيْسَ مِنْ أَوْجَاعِ الْكِبَرِ

فِي شَيْءٍ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَشَبَّهَ بِهَذَا أَنْ » ، تَحْرِيفٌ مَا أَثَبْتُ .

(٢) أَبُو الزَّحَفِ ، سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي (٢ : ١٩٧) . وَفِي الْأَصْلِ : « أَبُو الْمَرْهَفِ » ،

مَحْرَفَةٌ . وَالرَّجَزُ فِي الشُّعْرَاءِ ٦٦٩ فِي تَرْجُمَةِ أَبِي الزَّحَفِ . وَقَدْ نَسَبَ فِي نَوَادِرِ

أَبِي زَيْدٍ ٢٥٥ إِلَى (ابْنِ عُلُقَةَ التَّيْمِيِّ) ، بِرَوَايَةٍ أُخْرَى . وَأَرَاهُ رَجَزًا آخَرَ

اتَّفَقَ خِطَابُ الْقَاتِلِينَ فِيهِ . وَهُوَ بَغِيرُ نَسَبَةٍ فِي أَمَالِي الْقَالِي (١ : ١٨٩) . وَنَسَبَ

فِي الْعَقْدِ (٢ : ٥٢) إِلَى أَعْرَابِي .

(٣) فِي الْعَقْدِ : « إِلَى اللَّهِ » .

(٤) فِي الشُّعْرَاءِ وَالنَوَادِرِ وَالْأَمَالِي : « مِنْ مِشْيَتِي » .

(٥) الْهَيْقَةُ : النِّعَامَةُ الطَّوِيلَةُ . وَقَدْ أَرَادَ : « الْهَيْقَةُ » فَصِيرُ هَاءِ التَّائِيَةِ ثَاءً فِي الْمُرُورِ

عَلَيْهَا . فِي الْأَصْلِ : « النَّقْنَقُ » وَلَا تَتَّفَقُ مَعَ الرَّجَزِ ، وَتَصَحِيحُهَا مِنَ اللِّسَانِ

(هَدَجٌ ، هَيْقٌ) وَسَائِرُ الْمَصَادِرِ الْمُتَقَدِّمَةِ مَاعِدَا الْعَقْدِ ، فَالرَّوَايَةُ فِيهِ أَشَدُّ تَحْرِيفًا .

وَرَدَى : « خَلْفَ » مَكَانَ « حَوْلَ » فِي جَمِيعِ الْمَصَادِرِ مَاعِدَا لِلْعَقْدِ .

(٦) الْمِرْفَقُ ، كَنْبَرٌ وَمَجْلَسٌ : مُوَصَلُ الذَّرَاعِ فِي الْعَقْدِ .

(شعر فيه ذكر النعامة)

وقال ابن ميادة ، وذكر بني نعامة من بني أسد - وقد كان قَطْرِيُّ
ابن الفجاءة يكنى أبا نعامة^(١) - :

فهل يَمْنَعُنِي أَنْ أُسِيرَ بِلَدَّةٍ نَعَامَةٌ ، مِفْتَاحُ الْخَازِي وَبَابُهَا
وهجا دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ رَجُلًا فَجَعَلَ الْبَيْضَةَ الْفَاسِدَةَ مَثَلًا لَهُ ، ثُمَّ أَلْحَقَ
النَّسْرَ بِأَحْرَارِ الطَّيْرِ وَكَرَامِهَا - وَمَا رَأَيْتُهُمْ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ لِلنَّسْرِ - فَقَالَ :
فَأَنِّي أَعْلَى رَغْمِ الْعَدُولِ لَنَازِلٌ بِحَيْثُ التَّقَى عَيْطُ وَبَيْضُ بَنِي بَدْرٍ^(٢)
أَيَا حَكَمِ السُّوءَاتِ لَا تَهْجُ وَأَضْطَجِعْ

فهل أَنْتَ إِنْ هَاجَيْتَ إِلَّا مِنْ الْخَضِرِ
وهل أَنْتَ إِلَّا بَيْضَةٌ مَاتَ فَرَخُهَا ثَوَتْ فِي سُلُوخِ الطَّيْرِ فِي بَلَدٍ قَفْرٍ^(٤)
حَوَاهَا بَغَاثٌ : شَرُّ طَيْرٍ عَلِمْتُهَا وَسَلَاءٌ لَيْسَتْ مِنْ عُقَابٍ وَلَا نَسْرِ^(٥)

(١) قطري ، بالتحريك : نسبة إلى موضع بين البحرين وعمان . وهي نسبة غير حقيقية ؛ فإن مولده بلد يقال له الأعدان . والفجاءة كذلك لقب لأبيه ، قالوا : قدم أهله فجاءة فلقب بذلك . واسم قطري جعونة ، واسم أبيه مازن . وأبو نعامة كنيته في الحرب ، ونعامة فرسه ، وكنيته في السلم أبو محمد . خرج قطري في زمن مصعب وكان بينه وبين الحجاج نضال مستمر طويل . وعثر به فرسه فاندقت فخله فمات وجيء برأسه إلى الحجاج سنة ٧٨ . وفيه يقول الحريري في المقامة السادسة : « فقلدوه في هذا الأمر الزعامة تقليد الخوارج أبا نعامة » . ابن خلكان والدميري وشرح التبريزي للحماسة .

(٢) كذا . ولعله : « غيظ » أو « عيص » اسما قبائل .

(٣) الخضر : اسم قبيلة . ط ، س : « الحصر » هـ : « الخضر » . ولعل صوابه ما أثبت .

(٤) سلوخ : جمع سلخ ، بالفتح ، وهو ما يسلخه الطائر من ريشه ، فهو يبطن به عشه ليضع فيه البيض . انظر ما سبق من القول في سلخ الطيور ص ٢٢٤ . س : « سلوخ » ، ولا وجه لها .

(٥) السلاء ، كرمان : ضرب من الطير أغبر طويل الرجلين »

(استطراد لغوى)

ويقال للأثني من ولد النعامة : قلوص ؛ على التشبيه بالنعام من الإبل .
وهذا الجمع ^(١) إلى ما جعلوه له من اسم البعير ، وإلى ما جعلوا له من الحف
والنيسم ، والحرمة ^(٢) ، وغير ذلك .

قال عنبرة :

تأوى له قُلُوصُ النُّعَامِ كَمَا أَوَتْ حِزْقُ يَمَانِيَّةٍ لِأَعْجَمَ طِمْطِمْ ^(٣)
وقال شَمَّاخُ بْنُ ضِرَارٍ ^(٤) :

* قلوص نعام زفها قد تمورا ^(٥) *

(وصف الرئال)

ووصف لبيد الرئال فقال :

(١) كذا . ولعلها : « يجمع » .

(٢) الحرمة ، بالتحريك : سبق شرحها في ص ٣٢١ . وفي الأصل :
« الخزامة » محرفة .

(٣) تأوى له : أى تلجأ إليه . والضمير عائد إلى الظلم ، المفهوم من قوله قبل هذا البيت :
وكأنما أقص الإكام عشية بقريب بين المنسين مسلم
وفي الأصل : « تأوى به » ، صوابه من المعلقة والسان (قلص) . والقلوص
الشابة من الرئال ، أى فراخ النعام . والحزق : الجماعات . والمراد بها جماعات
الإبل . لأعجم طمطم : أى لإهابة راعيها الأعجم الذى لا يفهم الكلام .

(٤) يصف ناقته ، من قصيدة له في ديوانه ٢٦ - ٣٤ .

(٥) الزف ، بالكسر : صفار الريش . س ، هـ : « زحها » محرفة . وتمور :
سقط . وصدر البيت :

* وقد أنعلتها الشمس نعلًا كأنه *

فأَضَحَّتْ قَدْ خَلَّتْ إِلَّا عِرَارًا وَعَزَقًا ، بَعْدَ أَحْيَاءِ حِلَالٍ (١)
١١٧ وَخَيْطًا مِنْ خَوَاضِبِ مُؤَلَّفَاتٍ كَأَنَّ رِثَالَهَا وَرَقٌ الْإِفَالِ (٢)

(قول في بيت لحسان)

وقال حسان بن ثابت ، رضى الله عنه (٣) :

لَعَمْرُكَ إِنَّ إِيَّاكَ فِي قُرَيْشٍ كَالِ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعَامِ (٤)

(١) العرار ، بكسر العين المهملة : صوت الظليم . يقال عرير عراراً ، وعار يعار معارة وعراراً . ط : « غراراً » ، صوابه في س ، هـ واللسان (عرر) . والعزف : صوت الرياح ، وقد يجعله العرب بزعمهم صوت الجن . وفي الأصل : « عرفاً » تصحيحه من اللسان . وأحيال حلال : أى أقوام مقيمون ، متجاورون . ينعت تلك الديار بعد ما دخل عنها أهلها .

(٢) الخيط بالفتح والكسر : بخامة النعام . والخواضب : الظلمان قد اجمرت سوقها . مؤلفات : ألقت الرمل . وفي الأصل : « مؤلفات » صوابه من الديوان . ورثالها : فراخها . والورق : جمع أوراق ، وهو مالونه كلون الرماد . والإفال : جمع أفيل ، كأمير ، وهو الفصيل من الإبل . وفي الأصل : « الإماك » بالميم ، محرفة .

(٣) يهجو أبا سفيان بن الحارث . والبيت أول أبيات أربعة في ديوانه ٤٠٧ - ٤٠٨ . وبعده :

فإنك إن تمت إلى قريش كذات البو جائلة المرام
وأنت منوط بهم هجين كما نيط السرائح بالخدام
فلا تفخر بقوم لست منهم ولاتك كاللثام . بنى هشام .
(٤) الإل : القرابة . والسقب : ولد الناقة ساعة يولد . ط : « الفيل » ، س : هـ : « السيف » صوابهما ما أثبت من الديوان ، والمخصص (٣ : ١٥١) وأمالى القالى (١ : ٤١) والأضداد ٣٤٦ . والرواية فيها جميعاً : « من قريش » وهناك بيت آخر يشبه هذا البيت . وهو :

وأشهد أن إلك من قريش كال الفيل من ولد الأتان

وصاحبه عبد الرحمن بن الحكم يقوله لمعاوية : كما في الحيوان (١ : ١٤٦) .
٧ : ٢٣٥) والخزاة (٢ : ٥١٨ بولاق) . أو صاحبه يزيد بن مفرغ ، كما في الشعراء ٣٢٢ والموشح ٢٧٣ . أو هو عبد الرحمن بن حسان : كما في العقد (٤ : ١٨٢) .

وقد عاب عليه هذا البيت ناسٌ ، وظنُّوا أنَّه أراد التبعيد ، فذكر
شيئين قد يتشابهان من وجوهٍ . وحسانٌ لم يردَّ هذا ، وإنما أراد ضَعْفَ
نَسبه في قُرَيْشٍ ، وأنه حينَ وَجَدَ أدنى نسبٍ^(١) انتحل ذلك النَّسب .

(النعامة ، فرس الحارث بن عباد)

وقال الفرزدقُ - وذكرَ الفرسَ الذى يقال له : « النعامة » ، وهو
فرسُ الحارث بن عُبَاد ، التى يقول فيها :

قرباً مَرَبِطَ النِّعَامَةِ مِنِّى لَقِحتُ حَرْبُ وائِلٍ عن حِيَالٍ^(٢)
وقولُ الفرزدقِ^(٣) :

تُرَيْلِكَ نُجُومَ اللَّيْلِ وَالشَّمْسُ حَيَّةٌ^(٤)

كِرَامُ^(٥) بَنَاتِ الحارثِ بنِ عُبَادٍ

نساءُ أبوهنَّ الأغرَّ ، ولم تَكُنْ من الحِتِّ فى أَجْبَهاها وهَدَادٍ^(٦)

(١) كذا بالأصل . ولعلها : « سبب » .

(٢) عن حِيَالٍ ، أى بعد حِيَالٍ . والحِيَالُ ، بالكسر : ألا تحمل الناقة بولاً . وقد قال
الحارث هذا الشعر لمناسبة تجددها فى (يوم قضة) من أيامهم .

(٣) يقوله للنوار زوجته ، وكان تزوج عليها امرأة من ولد الحارث بن عباد ، فقالت له :-
تزوجتها أعرابية دقيقة الساقين ! .

(٤) كذا رواية صدر البيت فى الموشح ١٠٤ والأغاني (١٩ : ٩) . وروى :
« أرتك » فى الأغاني (٨ : ٨٩) ، و : « أراها » فى الديوان ١٥٩ . يقول .
لها : إن بنات الحارث بن عباد يجلبن إليها الغيرة المفضة حتى يظلم عليها نهارها .
والعبارة مثل ، كما جاء فى قول طرفة (ديوانه ٦٥) :

إن تنوله فقد تمنعه وتريه النجم يجرى بالظهر

(٥) روى فى الديوان والموشح والأغاني (٨ : ٨٩) : « زحام » . وللمرزبانى كلام .
فى هذا اللفظ دقيق .

(٦) الحِتُّ ، بالضم ، وهَدَادٌ : قبيلتان من الأزد . ط : « من الأزد فى جاراتها
وهَدَادٌ » . ولعله تصرف من المصحح اعتمد فيه على رواية الأغاني (١٩ : ٩) =

أَبُوها الذي آوى النّعمة بعد ما أَبَتْ وَأَثَلُ في الحَرْبِ غَيْرَ تَمَادٍ (١)
 وقد مَدَحُوا بناتِ الحارثِ بنِ عبادِ هذا ، فمن ذلك قوله (٢) :
 جَاءُوا بِحَارِشَةِ الضُّبَابِ كَأَنَّهُمْ جَاءُوا بِنْتَ الحارثِ بنِ عُبَادٍ (٣)
 ويلحق (٤) هذا البيت بموضعه ، من قولهم : باضَ الصَّيْفُ (٥) ،
 وباضَ القَيْظُ (٦) . وقال مضرّس :
 بِلَمَاعَةٍ قَدْ بَاكَرَ الصَّيْفُ مَاءَهَا وباضت عليها شمسُه وحرائرُه (٧)

= لكن في س ، هـ : « من الحب في إحاطا » ، وتصحيح هذا التحريف من الديوان .

(١) أبوها ، يعني أبا زوجته . و « آوى النعمة » إشارة إلى قوله : قربا مرتبط النعمة . ط : « قاد النعمة » ويظهر أيضاً أنه اعتماد من المصحح على رواية الأغاني (١٩ : ٩) . ورواية الديوان : « أدنى » . والتماذي : اللجاجة . ووائل هو والد بكر وتغلب اللتين أشعلتا نار حرب البسوس ، فكانت إحداهما تحارب الأخرى .

(٢) في (٦ : ١٠٢) : وقائلة هذا الشعر امرأة من بني مرة بن عباد . ونحوه في ثمار القلوب ٢٣٩ - ٢٤٠ .

(٣) بحارشة الضباب : أي بامرأة تحرش الضباب ، أي تصيدها . وقد عدت هذه حرش الضباب لؤما ومسبة ، ولكن بعض العرب لا يرى في ذلك شيئاً . انظر تفصيل هذا الخلاف في (٦ : ٧٧ - ١١١) . أما بنت الحارث بن عباد فثقل في الكرم والشرف .

(٤) الكلام من مبدل هذا إلى نهاية بيت مضرّس ساقط من س . وربما دل هذا على أنه كلام دخيل من صنع أحد القراء . وكلمة « بموضعه » تشير إلى ما سبق في ص ٣٣٥ - ٣٣٦ .

(٥) في الأصل : وهو هنا ط ، هـ : « السيف » . وانظر ما سبق في ٣٣٦ .

(٦) في الأصل : « ومن باض القَيْظُ » ، وكلمة « من » مقحمة .

(٧) لماعة : أي فلاة يلمع فيها السراب . ط : « بداعية » صوابه في هـ ، واللسان (حرر) . وفي اللسان أيضاً : « قد صادف الصيف » . والحرائر : جمع حرور ، بالفتح ، وهو الحر . وباضت الشمس : أخرجت كل حرها . ورواية اللسان : « فاضت » .

(ابن النعمامة ، فرس خُزَز بن لُوذَان)

وابن النعمامة : فرس خُزَز بن لُوذَان^(١) . وهو الذى يقول لامرأته حين أنكرت عليه إيثاره فرسه باللبن :

كَذَبَ الْعَتِيقُ وَمَاءُ شَنْ بَارِدٌ إِنَّ كُنْتُ سَائِلَتِي غَبُوقاً فَاذْهَبِي^(٢)
إِنِّى لَأَخْشَى أَنْ تَقُولَ خَلِيلَتِي^(٣) هَذَا غِبَارُ سَاطِعٍ فَتَلَبَّبِ^(٤)

(١) خُزَز بزاين وبوزن عمر ، ابن لُوذَان ، بفتح اللام وبذال معجمة : شاعر قديم جاهل ، كما فى الخزانة (٣ : ١١ بولاق) . وفى الأصل : « حرز » ، صوابه فى القاموس (خُزَز ، لُوذ) والمؤتلف ١٠٢ ، والبيان (٣ : ٣١٧) . ونسبة الشعر الآتى إلى خُزَز ، مثلها فى الخزانة والبيان وأمالى ابن الشجرى (١ : ٢٦٠) . ونسب إلى منقرة فى المخصص (١٣ : ٢٠٦) والعقد (٢ : ٢٥٦) وحاسة ابن الشجرى ٨ وأماليه (١ : ٢٦١) .

(٢) هو مثل صادق من عناية العرب بخيلهم ، وإيثارهم لها على أنفسهم وعلى أزواجهم ولو أدى ذلك إلى النزاع مع الحرم . وقال فى مثل هذا ، الأعرج المعنى (الحماسة ١ : ١٣٠) :

أرى أم سهل ما تزال تفجع تلوم وما أدرى علام توجع

تلوم على أن أمنح الورد لقحة وما تستوى والورد ساعة يفزع

أم سهل : امرأته . والورد : اسم فرسه . ولقحة : أى لبن ناقة لقحة . وما تستوى : أى ما تستوى امرأته وذلك الفرس ساعة الفزع للحرب .

(٣) يقول لها : عليك بأكل العتيق ، وهو يابس التمر ، وبشرب الماء البارد الذى فى القرية الخلق ، ولا تتعرضى لغبوق اللبن ، وهو شربه بالعشى ؛ لأن اللبن خصصت به مهري الذى أنتفع به ويسلمنى وإياك من الأعداء . وكذب كذا ، وكذب عليك كذا : مثلاً غريبان من أمثلة الإغراء ، لكنه جاء مسموعاً كثيراً فى كلامهم . انظر اللسان (كذب) وأمالى ابن الشجرى والمزهر (١ : ٢٢٥) .

(٤) يعنى بحليلته زوجته . ط ، س : « خليلي » وتصح بالتصغير وإرادة النداء =

إِنَّ الْعَدُوَّ لَهُمْ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِنَّ يَأْخُذُوكَ تَكْهَلِي وَتَخْضَبِي^(١)
وَيَكُونُ مَرْكَبُكَ الْقَعُودَ وَحِدْجَهُ وَابْنُ النِّعَامَةِ يَوْمَ ذَلِكَ مَرْكَبِي^(٢)
(شعر في النعامة)

وقال أبو كبير الهذلي :

١١٨ وَضَعَ النِّعَامَاتِ الرِّجَالُ بِرَيْدِهَا يُرْفَعْنَ بَيْنَ مُشْعَشَعٍ وَمُهَلِّلٍ^(٣)
وقال ذو الإصبع العدواني :

وَلِي ابْنُ عَمٍّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقٍ مُخَالَفٌ لِي أَقْلِيهِ وَيَقْلِبُنِي^(٤)
أَزْرَى بِنَا أَنَّنَا شَالَتْ نِعَامَتُنَا فَمَخَالِنِي دُونَهُ بَلْ خِلَّتُهُ دُونِي^(٥)

= وأثبت ماني هـ والبيان واللسان (لب) . ورواية ابن الشجري في الحماسة :
« ظميتي » . والظمينة : المرأة . والغبار الساطع الذي تعني : هو ما يتطاير من
جري خيل العدو المغير . والتليب : التحزم بالسلاح وغيره .
(١) العدو ، من الكلمات التي تقال للواحد والاثنين والجمع ، والمثنى والمذكر ، بلفظ
واحد . روى ابن الشجري في الأمل : « أن يأخذوك » وقال : « موضعه نصب
بتقدير حذف الخافض ، أي في أن يأخذوك » . ثم قال : « قذفها بإرادتها أن تؤخذ
مسبية ، فلذلك قال : تكهلي وتخضبي » .

(٢) أي يملك الأعداء حين تسبين على القعود ، وهو الفصيل من الإبل . والحجج
بالكسر : مركب من مراكب النساء . يقول : وأما أنا فأركب للقضاء العدو
فرسي المسمى بابن النعامة . وقيل : أراد بابن النعامة باطن القدم ، وقيل أراد الطريق .
وأول الثلاثة أصحها .

(٣) « وضع » هي في الأصل : « وقع » و « بريدها » هي في ط ، س « بريدها » .
وفي هـ : « برمدها » . وانظر ما أسلفت من التحقيق في ٣٥١ . و « يرفعن »
هي في الأصل : « يدفن » . والمشعشع : المتفرق فيه فرج . والمهلل : المتقوس .
وانظر معجز البيت وشرحه فيما سبق ص ٣٥١ .

(٤) أي أبغضه ويبغضني .

(٥) شالت نعامة القوم : تفرقت كلمتهم وذهب عزهم ، أو لم يبق منهم إلا بقية . والبيتان
من قصيدة في المفضليات ١٥٩ - ١٦٤ .

وقال أبو دُوادٍ الإيادى في ذكر الصيد ، وذكر فرسه :

وأخذنا به الضرار وقلنا بحقير بنانه أضرار^(١)
خأتانا يسعى تفرش أم ال بيض شدا وقد تعالى النهار^(٢)
غير جعف^(٣) أوابد ونعام ونعام خالها أوتار^(٤)
في حوال العقارب^(٥) العمر فيها حين ينهض^(٦) بالصباح عذار^(٧)
ثم قال :

يتكشفن من صرائع ستّر قسّمت بينهنّ كأس عقرار^(١)
بين ربّداء كالْمِظَلَّةِ أفق وظليم مع الظليم حمار^(٢)
ومهاين حربين وريثال وسيوب كأنه أوتار^(٣)

(١) كذا جاء البيت محرفا في الأصل . س : « الضرا » . هـ : « فلسنا » موضع « وقلنا » . س : « بخقير » موضع : « بحقير » .

(٢) أم البيض ، عني بها النعامة . والتفرش : أن ترفرف بجناحيها . في الأصل : « وأنى يبتغى تفرس » ، صوابه في المعاني الكبير ٧٧٥ واللسان والمقاييس (فرش) .

(٣) كذا بالأصل .

(٤) كذا في ط . وفي س ، هـ : « في حوال القارب » ، محرفتان .

(٥) س ، هـ : « ينهض » .

(٦) ربّداء : أى نعامة رمادية اللون . والمظلة : بالكسر والفتح ، الكبير من الأخبية ، وقد جاء مثل هذا في قول ذى الرمة ص ٣١١ :

* شخت الجزارة مثل البيت سائر * .

وسياق مثله لذى الرمة ص ٣٦٨ . ط : « كالمصلة » س ، هـ : « كالمظلة » صوابه ما أثبت . والأفق ، بضمين : الرائع ، يقال للذكر والأنثى ، وقد سكن الفاء للشعر .

(٧) كذا في س ، هـ . وفي ط :

ومهاين حرس وريثال وسيوف كأنها أوتار

والنصان محرفان . وفي المعاني الكبير ٧٧٦ قطعة من البيت فقط « كأنه أوتار » .

بالشاء المشقة . قال ابن قتيبة : « قيل هو الثوب الأبيض المحشو ، وقيل : البرذعة » .

(شعر في تشبيه الناقة بالظلم)

ووصف علقمة بن عبدة ناقته ، وشبَّهها بأشياء منها (١) ثمَّ أطنب
في تشبيه إياها بالظلم :

تلاحظ السَّوطَ شِزْراً وهي ضامزة كما توجَّس طاورى الكَشْحَ مَوْشُومٌ (٢)
كأنَّها خاضب زُعرٌ قوائمه أجنى له باللَّوى شِرى وتَنُومٌ (٣)
يظلُّ في الحنظلِ الخطبان ينقفه وما استطفَّ من التَّنومِ مخدوم (٤)
قوه كشقَّ العصا لأياً تبينه أسك ما يسمع الأصوات مصلُوم (٥)
يكاد منسه يَحْتَلُّ مقلته (٦) كأنه حاذِرٌ للنَّخسِ مشهوم (٧)

- (١) كذا . وقد تكون هذه الكلمة زائدة ، وقد تكون أصيلة يتلوها كلام سقط .
(٢) نظر شِزْراً : أى يؤخر عينه . ضامزة ، بالزاي : أى ساكتة خائفة . س ، هـ والديوان ١٣٠ : « ضامزة » وما أثبت من ط ، والمفضليات ٣٩٩ أجود . والتوجس : التسمع للصوت الخفى . س ، هـ : « تزجر » ، محرف عما أثبت من ط ، والديوان ، والمفضليات . والموشوم : الذى فى ذراعيه خطوط . وعنى به الثور الوحشى . س ، هـ : « مرشوم » ، محرف .
(٣) الخاضب : الظلم قد احمرت ساقاه . والزعر : القليلات الريش . هـ : « زعر » . مصحفة . روى فى المفضليات : « قواده » . والشرى : الحنظل . والنوم : نبت . وأجنى : أى أدرك وأمكن من جنيه . س ، هـ : « أجنى » صوابه فى ط : والديوان وعيون الأخبار (٢ : ٨٧) والمفضليات ٣٩٩ حيث القصيدة .
(٤) الخطبان : بالضم والكسر : جمع خطبانة بالضم ، وهى الصفراء فيها خطوط خضر . فى الأصل : « الخطبان » صوابه فى الديوان والمفضليات واللسان (طفف) . ينقفه : يشقه ليستخرج له . واستطف : أى بدا للآخذ . والمخدوم : المقطوع هـ : « مخدوم » وأثبت ما فى ط ، س والمفضليات . ورواية الديوان : « مخدوم » وهو المقطوع قطعاً وحياً .
(٥) لأيا تبينه ، أى لا تبينه إلا بعد جهد ومشقة . ط : « لا يأتينه » . س ، هـ : « لا يأتينه » صوابه من الديوان والمفضليات . والأسك : الأصم . والمصلوم : الصغير الأذنين أو المقطوعهما .
(٦) المنم ، كجلس : طرف خف النعامة . يَحْتَلُّ مقلته : ينفذ فيها وينتظمها .
(٧) المشهوم : الفرع . س ، هـ : « موسوم » س : « حازم النحين » هـ : =

حتى تذكّر بيضاتٍ وهيَّجَهْ يومُ رذاذٍ ، عليه الرِّيحُ مَغْيُومٌ^(١)
 فلا تزيُّدُه في مَشْيِه نَفِيقٌ^(٢) ولا الزَّفِيفُ دُوين الشَّدِّ مَسْثُومٌ^(٣)
 يَأْوِي إلى حِسْكِ زَعْرِ حَوَاصِلِهَا^(٤) كأنَّه إذا بَرَّكْنَ جُرْثُومٌ^(٥)
 وضَّاعَةٌ كَعَصَى الشَّرْعِ جُوجُوهٌ كأنَّه بتناهى الرُّوضِ عُلْجُومٌ^(٦)
 حتى تَلَافَى وقرنُ الشَّمْسِ مرتفعٌ أَدْحَى عَرَسَيْنِ فِيهِ الْبَيْضُ مَرَكُومٌ^(٧)

= « حارم التبخر » تحريف ما أثبت من ط والديوان والمفصليات .

- (١) في المفصليات : « عليه الدجن » . هـ : « مغموم » .
 (٢) التزيد : الزيادة . والنفق ، كفرج : المنقطع . س : « لغوا » . س ، هـ :
 « ولا تزيد وفي مشيه » ، صوابه في ط والمصدرين السابقين .
 (٣) الزفيف : المشى السريع . دوين ، تصغير دون : أى أقل . في الأصل .
 « مَسْثُوم » صوابه في المصدرين السابقين . س ، هـ : « إلا الرفيف دون
 السك » ، محرف .
 (٤) الحسكل ، كزبرج : الصغير من ولد النعام . س ، هـ : « درحق » صوابها :
 « دردق » . في الديوان : « حرق » .
 (٥) الجرثوم : أصل الشجرة يجتمع إليه التراب . س ، هـ : « إذا ركن
 مرثوم » .
 (٦) الوضاع : الذى يعلو وضعا . والوضع : علو سريع من علو الإبل . وقد زاد.
 التاء للمبالغة ، كما جاءت في علامة ونسابة . والشرع ، بالكسر : جمع شرعة ،
 وهى وتر القوس أو العود . والجُوجُوه : الصدر . والتناهى : جمع ثنية ، وهى
 الأماكن المطمئنة لها من جوانبها ما يمنع الماء أن يخرج منها . والروض : جمع
 روضة . والعُلْجُوم : البعير الطويل المطلق بالقطران . ولعمري لقد دار حلقة على
 رأسه ، فشبه ناقته بالظلم ثم عاد فشبه الظلم بالبعير ، وقد دفعه إلى ذلك إفراطه
 في الاستطراد . س ، هـ : « وصاعده كقصى الترع » و « بتناهى الروس » صوابه
 ما أثبت من ط والمفصليات والديوان .
 (٧) تلاقى ، بالفاء : أى تدلرك . س ، والديوان : « تلاقى » صوابه في ط ، هـ والمفصليات .
 واللسان (عرس) . والأدحى : موضع بيض النعامة . وأراد بالعرسين الذكر والأنثى .
 س : « أرحى عرينين » محرف . ومركوم : راكب بعضه بعضاً . هـ :
 « محجوم » ، ولا وجه له .

١١٩ يَوْمِي إِلَيْهَا بِإِنْقَاضٍ وَنَقْنَقَةٍ كَمَا تَرَاظَنُ فِي أَفْدَانِهَا الرُّومُ^(١)
صَعْلٌ ، كَأَنَّ جَنَاحَيْهِ وَجُوجُوهُ بَيْتٍ أَطَافَتْ بِهِ خَرَقَاءُ مَهْجُومٍ^(٢)
تَحْفَهُ هِقْلَةً سَطْعَاءَ خَاضِبَةٍ تَجِيبُهُ بِزِمَارٍ فِيهِ تَرْنِيمٌ^(٣)

(رؤيا النعامة)

الأصمعيّ ، قال : أخبرني رجلٌ من أهل البصرة قال : أرسل^(٤)
شيخ من ثقيف ابنه فلانا - ولم يحفظ اسمه - إلى ابن سيرين ، فكلّمه
بكلام ، وأمّ ابنه هذا قاعدة ، ولا يظنُّ أنّها تفتن ، فقال له : يا بنيّ اذهب
إلى ابن سيرين ، فقل له : رجلٌ رأى أنّ له نعامةً تطحن . قال : فقلت له ،

(١) يومى إليها : يشير . س ، هـ : « يرحى » صواب هذه : « يوحى » كما في
الديوان والمفصليات . والإنقاض : صويت مثل النقر . والنقنقة : صوت كصوت
الدجاجة للبيض . وتراطن الروم : تكلموا برطاتهم . ويصح أن يكون حذف من
الفعل إحدى التاءين تخفيفاً ، فيكون أصله : تراطن . والأفدان : جمع فدن ،
بالتحريك ، وهو القصر المشيد . هـ : « أفرايها » س : « أقرأئها » ، صوابها
في ط والديوان والمفصليات .

(٢) الصعل : الصغير الرأس . والجوؤجؤ : الصدر . وخرقاء : أى ريح خرقاء لاتدوم
على حال في هبوبها . المخصص (٩ : ٨٧) . وفي الكامل ٤٤٩ : « والخرقاء :
التي لا تحسن شيئاً ، فهي تفسد ما عرضت له » ، وفي اللسان : « وقال المازني في قوله :
أطافت به خرقاء : امرأة غير صناع ، ولا لها رفق ، فإذا بنت بيتا انهدم سريعاً » .
وتفسير ابن سيده أجود وأقرب . والمهجوم : المهلوم . وهو من صفة البيت
الذي شبه به جناحي الظليم وجؤجؤه .

(٣) الهقلة : الفتية من النعام ، أو الطويلة الخرقاء . س ، هـ : « يحفه مقلّة » محرف .
والسطعاء : الطويلة العنق . س ، هـ : « صعقاء » محرفة . والزمار ،
بالكسر : صوت أنثى النعام .

(٤) س ، هـ : « أرسلنى » ، صوابه في ط .

فقال : هذا رجلٌ اشترى جاريةً فخبأها في بني حنيفة^(١) . قال : فجهت
أبي فأخبرته ، فنافرته أمي ، وما زالت به حتى اعترف أن له جارية
في بني حنيفة .

وما أعرفُ هذا التأويل . ولولا أنه من حديث الأصمعي مشهورٌ
ما ذكرته في كتابي .

(مسيلة الكذاب)

وأما قول الشاعر الهذلي في مسيلة الكذاب ، في احتياله وتمويهه
وتشبيه ما يحتمل به من أعلام الأنبياء ، بقوله :

بيضة قارورٍ ورأية شادنٍ وتوصيل مقصوص من الطير جادف^(٢)
قال : هذا شعرٌ أنشدناه أبو الزرقاء سَهْمُ الحشمي ، هذا [منذ^(٣)]
أكثرَ من أربعين سنة . والبيتُ من قصيدةٍ قد كان أنشدنيها فلم أحفظ منها
إلا هذا البيت .

فذكر أن مسيلة طاف ، قبل التنبئ ، في الأسواق التي كانت بين دور
العجم والعرب ، يلتقون فيها للتسوق والبياعات^(٤) ، كنحو سوق الأبلّة ،
وسوق بقة^(٥) ، وسوق الأنبار ، وسوق الحيرة .

(١) أي في بني حنيفة .

(٢) الجادف من الطير : ما يطير وهو مقصوص ، كأنه يرد جناحيه إلى خلفه ، كما يفعل
الملاح بمجدافيه . وفي الأصل : « جائف » ، ولا وجه له .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) في اللسان : « تسوق القوم : باعوا واشتروا » . س ، ه : « فيه » ه :
« السوق » ، محرفتان عما في ط . والبياعات : الأشياء التي يتبايع بها في التجارة .

(٥) بقة : اسم موضع قرب الحيرة كان ينزله جذيمة الأبرش . وفيه المثل : « بقة خلفت
الرأي » . ط ، ه : « لقة » س : « لقة » ، صوابه من معجم البلدان .

قال : وكان يلتبس تعلم الحيل والنيرجات^(١) ، واختيارات النجوم والمتنبئين . وقد كان أحكم حيل السدنة والحواء^(٢) وأصحاب الزجر والخط^(٣) ، ومذهب الكاهن والعياف^(٤) والساحر ، وصاحب الجن الذي يزعم أن معه تسايعة^(٥) .

قال : فخرج وقد أحكم من ذلك أموراً . فمن ذلك أنه صب على بيضة من خلٍ قاطع^(٦) — والبيض إذا أطيل إنقاعه في الخل لأن قشره الأعلى ، حتى إذا مددته استطال واستدق وامتد كما يمتد العلك ، أو على قريب من ذلك — قال : فلما تم له فيها ما حاول وأمل ، طوّلها ثم أدخلها قارورة ضيقة الرأس ، وتركها حتى جفت ويّست . فلما جفت

(١) كذا في الأصل . قال صاحب القاموس : « والنيرج ، بالكسر : أخذ كالسحر وليس به » ، وعقب عليه الشارح بقوله : « هكذا في سائر النسخ » ، والمنقول عن نص كلام الليث : النيرج ، بإسقاط النون الثانية . وجاء في المعارف ١٧٨ : « وكان صاحب نيرجات » فهما مذهبان في التعريب . وهو بالفارسية : « نيرفسك » .

(٢) السدنة : جمع سادن ، وهو خادم الكعبة ، أو خادم بيت الصنم . س : « السدانة » صوابه في ط ، هـ . والحواء : جمع حاور . انظر ما سبق في تحقيق هذه الكلمة في التلخيص الرابع من ص ٢٦٩ .

(٣) الخط : ضرب من ضروب الكهانة ، يأتي صاحب الحاجة إلى الحازي فيعطيه حلوانا ، فيقول : اقم حتى أخط لك . وبين يدي الحازي غلام له معه ميل له — أي قضيب — ثم يأتي إلى أرض رخوة ، فيخط الأستاذ خطوطاً كثيرة بالعجلة ، لتلا يلحقها العدد ، ثم يرجع فيمحو منها على مهل خطين خطين ، فإن بقي من الخطوط خطان فهما علامة قضاء الحاجة والنجاح ، وإن بقي واحد كان ذلك أمانة للخيبة ، وبينما الحازي يحو يقول الغلام للتفاؤل : ابني عيان ! أسرع اليان ! .

(٤) العياف ، من العياقة ، بالكسر : وهي زجر الطير ، والتفاؤل بأسمائها ، وأصواتها وعمرها .

(٥) هـ : « تابعة » ، أي جنية تتبعه .

(٦) خل قاطع : أي شديد الحموضة .

انضممت ، وكلما انضمت استدارت ، حتى عادت كهيتها الأولى . فأخرجها إلى مُجَاعَةَ^(١) ، وأهل بيته ، وهم أعراب ، وادّعى بها أعجوبةً ، وأنها جعلت له آية . فأمن به في ذلك المجلس مُجَاعَةُ^(٢) . وكان قد حمل معه ريشاً في لون ريش أزواج حمام ، وقد كان يراها في منزل مُجَاعَةَ مقاصيص . فالتفت ، بعد أن أراهم الآية في البيض إلى الحمام ، فقال لِمُجَاعَةَ : إلى كم ١٢٠ تعذب خلق الله بالقص ؟ ! ولو أراد الله للطير خلاف الطير أن لما خلقها أجنحةً ، وقد حرمت عليكم قص أجنحة الحمام ! فقال له مُجَاعَةُ كالمتمعت : فسئل الذي أعطاك في البيض هذه الآية أن يُنبت لك جناح هذا الطائر الذَّكَرُ السَّاعَةَ !

فقلت لسهم : أما كان أجود من هذا وأشبه أن يقول : فسئل الذي أدخل لك هذه البيضة فم هذه القارورة أن يخرجها كما أدخلها . قال : فقال : كأن^(٣) القوم كانوا أعراباً ، ومثل هذا الامتحان من مُجَاعَةَ كثير . ولعمري إن المتنبي ليخدع^(٤) ألفاً مثل قيس بن زهير^(٥) ، قبل أن يخدع

(١) هو مجاعة ، بضم الميم وتشديد الجيم ، ابن مرارة بن سلمى الحنفي البياهي ، صحابي جليل ، كان من رؤساء بني حنيفة ، وأسلم ووفد . الإصابة ٧٧١٦ . وقد ذكره المرزباني في المعجم ٤٧٢ . وأثبت له الجاحظ بلاغة في البيان (٤ : ٩٠) . وذكر المرزباني أنه عاش إلى خلافة معاوية .

(٢) حدث هذا قبل أن يسلم مجاعة ، فلا تناقض . وكان مجاعة من أسره خالد بن الوليد يوم البامة ، فوجهه إلى أبي بكر الصديق ، فقال مجاعة من أبيات :

أرى خالداً يقتلنا اليوم بذنب الأصيفر السكذاب
لم ندع ملة النبي ولا نحن رجعنا فيها على الأعقاب

(٣) ط ، هـ : « كان » ، وأثبت ما في س .

(٤) ط : « يخدع » .

(٥) هو قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي ، كان يلقب بقيس الرأي ؛ لجودة =

واحداً من آخر المتكلمين ، وإن كان ذلك المتكلم لا يشقُّ غبارَ قيس فيما قيسٌ بسبيله .

قال مسيلمة : فإن أنا سألتُ الله ذلك ، فانتبه له حتى يطير وأنتم ترونه ، أتعلمون أنى رسول الله إليكم ؟ قالوا (١) : نعم . قال : فإنى أريد أن أناجى ربى ، وللمناجاة خلوة ، فانهضوا عني ، وإن شئتم فأدخلوني هذا البيت وأدخلوه معي (٢) ، حتى أخرجهم إليكم الساعة وفى الجناحين يطير ، وأنتم ترونه ولم يكن القوم سمعوا (٣) بتغريز (٤) الحمام ، ولا كان عندهم باب الاحتياط فى أمر المحتالين . وذلك أن عبداً الكيس (٥) ، فإنه (٦) المقدم فى هذه الصناعة ، لو منعه السُّر والاختفاء . لما وصل إلى شىء من عمله جلّ ولا دقّ ؛ ولكان واحداً (٧) من الناس . فلما خلا بالطائر أخرج الريش الذى قد هيأه ، فأدخل طرف كل ريشة مما (٨) كان معه ، فى جوف ريش الحمام المقصوص ، من عند المقطع والقص . وقصَّب (٩)

= رأيه . وهو صاحب داحس التى راهن عليها حذيفة بن بدر صاحب الغبراء ، فلما سبق قيس تنازعا وشبت نار حرب داحس والغبراء فى الجاهلية .

- (١) فى الأصل : « قال » ، والوجه ما كتبت .
- (٢) ط : « فأدخلوه هذا البيت وأدخلوني معه » ، وأثبت ما فى س ، ه . ومؤداهما واحد .
- (٣) ط : « يسمعوا » ، وتصحيحه من س ، ه .
- (٤) تغريز الحمام : أى تغريز الريش فى جناحه . وأصله من تغريز النخل ، أى نقله من موضع إلى موضع . وهذا يقابل ما يعرف فى اصطلاح زراع مصر بالثتل ، بفتح الشين . ط : « بتغريز » ه : « بتغريز » ، وأثبت الصواب من س .
- (٥) كذا فى الأصل . وفى أنساب ابن الكلبي من اسمه عبيد بن مالك بن شراحيل بن المكيس . انظر تاج العروس (كيس) .
- (٦) ط : « فاته » س : « فاته » ، وصوابه فى ه .
- (٧) ط : « واجدا » .
- (٨) ط : « كما » ، وتصحيحه من س ، ه .
- (٩) قصب الريش : أنابيه . فى الأصل : « قضيب » بحرفة .

الرَّيشُ أَجْوَفُ ، وَأَكْثَرُ الْأَصُولِ حَدَادٌ وَصَلَاب . فلما وَفَى الطَّائِرَ ريشَهُ صَارَ فِي الْعَيْنِ كَأَنَّهُ بِرِذْوَنٍ مُوصُولُ الذَّنْبِ ، لَا يَعْرِفُ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ ارْتَابَ بِهِ . والحمام بنفسه قد كان له أصولُ ريشٍ ، فلما غُرِّزَتْ نَمَتْ (١) فلما أُرْسِلَهُ مِنْ يَدِهِ طَارَ . وَينبغي ألا يكونَ فَعَلَ ذَلِكَ بِطَائِرٍ قَدْ كَانُوا قَطُوه (٢) بعد أن ثبتَ عندهم . فلما فعل ذلك ازدادَ مَنْ كَانَ آمَنَ بِهِ بِصِيرَةٍ وَآمَنَ بِهِ آخَرُونَ لَمْ يَكُونُوا آمَنُوا بِهِ ، وَنَزَعَ مِنْهُمْ فِي أَمْرِهِ (٣) كُلُّ مَنْ كَانَ مُسْتَبْصِرًا فِي تَكْذِيبِهِ .

قال : ثُمَّ إِنَّهُ قَالَ لَهُمْ - وَذَلِكَ فِي مِثْلِ لَيْلَةِ مُسْكِرَةِ الرِّيَّاحِ مُظْلَمَةٍ فِي بَعْضِ زَمَانِ الْبُورَاحِ (٤) - إِنَّ الْمَلِكَ عَلَى أَنْ يَنْزِلَ إِلَى (٥) ، وَالْمَلَائِكَةُ تَطِيرُ ، وَهِيَ ذَوَاتُ أَجْنَحَةٍ ، وَلِحْيَةُ الْمَلِكِ زَجَلٌ وَخَشْخَشَةٌ (٦) وَقَعْقَعَةٌ ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ ظَاهِرًا فَلْيَدْخُلْ مَنْزِلَهُ ؛ فَإِنْ مِنْ تَأَمَّلَ اخْتِطَفَ بَصَرُهُ ! ثُمَّ صَنَعَ رَايَةً مِنْ رَايَاتِ الصَّيَّيَانِ الَّتِي تَعْمَلُ مِنَ الْوَرَقِ الصِّينِيِّ (٧) .

(١) انظر التنبيه (٤) من الصفحة السابقة .

(٢) كذا في الأصل ، بالطاء . وقد تكون : « قصوه » .

(٣) أى صار في مذهبه ، وصار في نصرته .

(٤) البوارح : الرياح الشدائد التي تحمل التراب ، وخصها بعضهم بما كان منها في القيظ .

(٥) أى على وشك أن ينزل على .

(٦) الخشخشة : صوت كصوت السلاح . هـ : « خشخشة » بمهملتين ، وليس لها وجه .

(٨) من خواص الورق الصيني النعومة والحسن والرفق والرقّة . انظر ثمار القلوب ٤٣١ . قال : « وذكر صاحب المسالك والممالك أنه وقع من الصين إلى سمرقند في سبى سبأه زياد بن صالح في وقعه أطلع - سنة ١٣٤ - من يصنع الكواغيد ثم كثرت الصنعة ، واستمرت العادة ، حتى صارت متجرا لأهل سمرقند » . وجاء في فهرست ابن النديم ٢١ ليهسك ٣١ مصر : « الورق الصيني ويعمل من الخشيش » .

١٢١ ومن الكاغد^(١) ، وتُجَعَلُ لها الأذنان والأجنحة ، وتعلّق في صدورهما

الجلجل^(٢) ، وترسل يوم الرّيح بالحيوط الطّوال الصّلاب .

قال : فبات القوم يتوقّعون نزول الملك ، ويلاحظون السّماء ، وأبطأ

عنهم حتّى قام جلّ أهل اليمامة ؛ وأطنبت^(٣) الرّيح وقويت ، فأرسلها ،

وهم لا يرون الحيوط ، والأليل لا يبين عن صورة الرّق^(٤) ، وعن دقّة

الكاغد . وقد توهّموا قبل ذلك الملائكة . فلمّا سمّعوا ذلك ورأوه تصارخوا

وصاح : من صرّف بصره ودخل بيته فهو آمن ! فأصبح القوم وقد أطبقوا

على نصرته والدّفْع عنه . فهو قوله :

بِبَيْضَةِ قَارُورٍ وَرَايَةِ شَادِنٍ وتوصيل مقصوص من الطير جادف^(٥)

فقلت لسهم^(٦) : يكون مثل هذا الأمر العجيب ، فلا يقول فيه شاعر ،

ولا يشيع به خبر ؟ قال : [أ^(٧)] وكلما كان في الأرض عجب ، أو شيء

(١) الكاغد ، بفتح الغين ، كلمة فارسية أصلها صيني ، بمعنى القرطاس الذي يكتب فيه .

والكاغد لغة فيه . والقرطاس أيضاً معربة من اليوناني : χαρτης وتنطق :

« خَارْطِيس » . انظر الألفاظ الفارسية لأدى شير ١٣٦ .

(٢) الجلجل : جمع جلجل ، يجيمين ، وهو الجرس الصغير . س : « الخلاخل » ، محرفة .

(٣) أطنبت الرّيح إطناباً : اشتدت في غبار . اللسان والقاموس . والكلمة محرفة في الأصل فهي في ط : « طلبت » ، وفي س ، هـ : « طابت » . أما الأولى فظاهرة التحريف ، وأما الثانية فإن معناها يناقض ما بعدها ، وهو « وقويت » إذ أن الرّيح الطيبة هي اللينة غير الشديدة .

(٤) الرق ، بالفتح ، ويكسر : الصحيفة البيضاء .

(٥) في الأصل : « جائف » . وانظر شرح هذه الكلمة وتحقيقها في ص ٣٦٨ حيث أنشد هذا البيت .

(٦) س : « لهم » محرفة . وسيترجم الجاحظ « سهما » في ص ٣٧٩ .

(٧) ليست بالأصل .

غريبٌ ، فقد وجبَ أن يشيع ذكرُهُ ، ويقالَ فيه الشُّعْرُ ، ويجعلَ زمانُهُ تاريخاً ! أَلَسْنَا معشَرَ العربِ نزعُمُ أن كسرى أبرويز ، وهو من أحرار فارسَ ، من الملوكِ الأعظم ، وسليلُ ملوكٍ ، وأبو ملوك ، مع خِزمه ورأيه وكماله ، خطبَ إلى النُّعمان بن المنذر ، وإلى رجلٍ يرضى أن تكونَ امرأتهُ ظئراً لبعض ولدِ كسرى ، وهو عامله ، ويسمُّيه كسرى عبداً ، وهو مع ذلك أحيمرُ أقيشرٌ ، إمّا من أشلاء قصي بن معد ، وإمّا من عُرض لحم . وهو الذي قالوا : تزوّجَ مومسةً - وهي الفاجرةُ ؛ ولا يقال لها مومسةٌ إلاّ وهي بذلك مشهورة - وعرفها بذلك ، وأقام عليها ، وهُجِيَ بها ولم يحفلُ بهجائهم . ومما زاد في شهرتها قصّة المرقش ^(١) . وناكها قرّة بن هُبيرة ^(٢) حين سباهَا . فعلم بذلك وأقامَ عليها ، ثمّ لم يرضَ حتّى قال لها : هل مَسَّكَ ؟ قالت : وأنت والله لو قدَرَ عليك لمَسَّكَ ! فلم يَرْضَ بها حتّى قال لها : صِفِيهِ لِي . فوصفَتْهُ حتّى قالت : كأنَّ شعرَ خديّهِ حَلَقُ الدَّرْعِ ! وبال على رأسه خلف بن نوالَةَ السكناني عامَ حجّ ، ونَصَرَهُ عدىُّ بنُ

(١) هو المرقش الأصغر ، واسمه ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك ، أو عمرو ابن حنظلة بن سعد بن مالك ، وهو ابن أخى المرقش الأكبر . واسمه عمرو - أو عوف - ابن سعد بن مالك . والمرقش الأصغر أشعر المرقشين وأطولهما عمراً . والمعروف أنه عشق فاطمة بنت المنذر ، أخت النعمان لا زوجه . وقصتهما في الأغاني (٥ : ١٨٣ - ١٨٤) . وفيها يقول - من قصيدة مفضلية مطلعها (انظر المفضليات ٢٤٤) - :

ألا يا أسلمى لا صرم لي اليوم فاطما ولا أبداً مادام وصلك دائماً
(٢) قرّة بن هُبيرة ، أحد بني قشير ، وفد على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأسلم به الإصابة ٧٠١٠ .

زيد بأحق سبب^(١) . وخطب أخوه المنذر إلى عبيدة بن همام ، فردّه
أقبح الردّ ، وقال^(٢) :

أتوني ولم أرض ما بيئتوا^(٣) وقد طرقتوني بأمرٍ نكر^(٤)
لأنكح أئمتهم من ذراً وهل ينكح العبد حرّاً حرّاً^(٥)

ثمّ مع ذلك خطب إليه كسرى بعض بناته فرغب بها عنه ، حتّى
كان ذلك سبباً حربته وعلةً لقتله - فهل رأيت شاعراً في ذلك الزمان
١٢٢ مع كثرة الشعراء فيه ، ومع افتخارهم بالذي^(٥) كان منهم في يوم جلّولى^(٦)
ويوم ذى قار ، وفي وقائع المثنى بن حارثة ، وسعد بن أبي وقاص - فهل
سمعت في ذلك بشعرٍ صحيحٍ طريف^(٧) المخرج ، كما سمعته في جميع مفاخرهم
مما لا يداني هذا المفخر^(٨) ؟ !

(١) نصره تنصيراً: أدخله في النصرانية . وانظر خبر تنصير عدى بن زيد للنعمان بن المنذر
في الأغاني (٢ : ٣٢ - ٣٣) .

(٢) البيتان بدون نسبة في الكامل ٤٦ : ليسك . ونسباً في اللسان (نكر) إلى الأسود
ابن يعفر .

(٣) ما بيئتوا : أى مادبروه وفكروا فيه ليلاً . هـ : « بينوا » ، محرفة .

(٤) جعل أخا المنذر عبداً ، فقال : وهل يزوج الحر عبداً مثل أخى المنذر حر مثل المرأة التى
خطبها . فى الأصل : « حراً بحر » ، وصوابه من الكامل .

(٥) س ، هـ : « فى الذى » .

(٦) المعروف : « جلولا » بالمد ، لكنها قد قصرت فى الشعر ، فنه قول التمتع
ابن عمرو :

ونحن قتلنا فى جلولا أثابرا ومهران إذ عزت عليه المذاهب

ويوم جلولا الواقعة أفنيت بنو فارس لما حوتها الكتاب

قال ياقوت : « فقصرها مرة ومدها أخرى » . وهى طسوج من طساسيج
السواد . وبها كانت الوقعة المشهورة على الفرس المسلمين سنة ١٦ وقاتلوا منهم
مائة ألف فيما يروون .

(٧) س ، هـ : « ظريف » بالمعجمة .

(٨) ط ، س : « المفتخر » .

ولقد خَطَبَ بَعْضُ إِخْوَتِهِ^(١) إلى رجالٍ من نِزار ، من غير أهل البيوتات ، فرغبوا عنهم .

وأمّ النعمان سَلَمَى بنت الصّائغ^(٢) : يهودى من أنباط الشام ، ثمّ كان نَجْلُهُ^(٣) لفعلٍ غير محمود .

وقد قال جبلة بن الأيهم^(٤) ، لحسان بن ثابت : قد دخلت على ورأيتنى ، فأين أنا من النّعمان ؟ قال : والله^(٥)

[فالنّعمان^(٦)] مع هذه المثالب كلّها قد رَغِبَ بنفسه^(٧) عن مصاهرة كِسْرَى ، وهو من أنبىء الكسور^(٨) . وكما^(٩) كان أبرويزُ أعظمَ خطراً .

(١) ط ، هـ : « إخوانه » . ولم يفصل صاحباً القاموس والمصباح بين الاثنين ، لكن جاء في اللسان : « وأكثر ما يستعمل الإخوان في الأصدقاء ، والإخوة في الولادة » .

(٢) اسمه عطية ، كما في الأغاني (٩ : ١٥٨) . وفي البيان (٣ : ٢٤٦) : « سلمى بنت عقاب » .

(٣) نجله ، أى ولادته . ط ، هـ : « نجله » ، صوابه في س .

(٤) هو جبلة بن الأيهم النّسائي ، آخر ملوك الغساسنة بالشام . أسلم ثم تنصر في أيام عمر بن الخطاب . وحديثه مع حسان معروف . الأغاني (١٤ : ٢) والعمدة (٢ : ١٧٨) والخزانة (٤ : ٢٩٧ — ٣٠٣ سلفية) . وفي الأصل : « خلف » محرف عما أثبت .

(٥) في الكلام نقص ، تقديره كما في الأغاني (١٤ : ٣) : « ... لفقاك خير من وجهه ، ولشمالك خير من يمينه ، ولأخصك خير من رأسه ، ولخطوك خير من صوابه ، ولصمتك خير من كلامه : ولأمك خير من أبيه ، ولخدمك خير من قومه » . كما أن صاحب الحديث (في الأغاني) هو عمرو بن الحارث الأعرج ، لاجبلة .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) س : « قد ترغّب بنفسه » .

(٨) الكسور : جمع كسرى : اسم لملك الفرس ، معرب « خُسْرَوُ » أى واسع

الملك . ويجمع كسرى أيضاً على أكاسرة ، وكسامرة ، وأكاسر ، انظر القاموس .

وجاء في س فقط : « الأكاسرة » . وكسرى الذى يعنيه الجاحظ ، هو كسرى أبرويز . وانظر (٧ : ١١٢) .

(٩) في الأصل : « وكلما » .

كَانَتْ أَنْفَتُهُ^(١) أَفْخَرَ لِلْعَرَبِ ، وَأَدْلَ عَلَى مَا يَدْعُونَ مِنَ الْعُلُوِّ فِي النِّسَبِ .
وَكَانَ الْأَمْرُ مَشْهُوداً ظَاهِراً ، وَمُرَدِّداً^(٢) عَلَى الْأَسْمَاعِ مُسْتَفِيزاً . فَإِذَا قَدْ
تَهَيَّأَ أَنْ يَكُونَ مِثْلُ هَذَا الْأَمْرِ الْجَلِيلِ ، وَالْمَفْخَرِ الْعَظِيمِ ، وَالْعَرَبُ أَفْخَرُ
الْأُمَمِ ، وَمَعَ ذَلِكَ قَدْ أَغْفَلُوهُ - فَشَأْنُ مُسَيْلِمَةَ أَحَقُّ بِأَنْ يَجُوزَ ذَلِكَ عَلَيْهِ .

وَأَنْشَدَنِي يَوْسُفُ لِبَعْضِ شُعَرَاءِ بَنِي حَنِيفَةَ ، وَكَانَ^(٣) يُسَمَّى مُسَيْلِمَةَ
وَيُكْنَى أَبَا شُمَامَةَ :

لَهْفَى عَلَيْكَ أَبَا شُمَامَةَ لَهْفَى عَلَى رُكْنِي شُمَامَةَ^(٤)
كَمْ آيَةٍ لِأَبِيهِمْ^(٥) كَالشَّمْسِ تَطْلُعُ مِنْ غَمَامَةِ

وَقَدْ كَتَبْنَا قِصَّتَهُ وَقِصَّةَ ابْنِ النَّوَّاحَةِ (فِي كِتَابِنَا الَّذِي ذَكَرْنَا فِيهِ فَصْلٌ
بَيْنَ النَّبِيِّ وَالْمُتَنَبِّئِ) وَذَكَرْنَا جَمِيعَ الْمُتَنَبِّئِينَ ، وَشَأْنَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ
عَلَى حَدِّثِهِ ، وَبِأَيِّ ضَرْبٍ كَانَ يَحْتَالُ ، وَذَكَرْنَا جُمْلَةَ أَحْتِيَالِهِمْ ،
وَالْأَبْوَابَ الَّتِي تَدُورُ عَلَيْهَا خَوَارِقُهُمْ^(٦) . فَإِنْ أُرِدْتَ أَنْ تَعْرِفَ هَذَا الْبَابَ
فَاظْلُبْ هَذَا الْكِتَابَ ، فَإِنَّهُ مُوجُودٌ .

(١) أَى أَنْفَةِ النِّعْمَانِ مِنْ مِصَاهِرَةِ كَسْرَى . ط ، هـ : « أَلْفَتَهُ » ، س : « الْفَتْنَةُ » .
وَالْأَوْضَحُ مَا أَثْبَتَ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَمُرُوداً » . وَلَا تَتَجَهَّ .

(٣) أَى كَانَ مُسَيْلِمَةَ .

(٤) فِي الْمَعَارِفِ ١٧٨ : « عَلَى رُكْنِي شَهَامَةَ » .

(٥) كَذَا . وَرَوَايَةُ الْمَعَارِفِ : « كَمْ آيَةٍ لَكَ فِيهِمْ » .

(٦) الْخَوَارِيقُ : يَرَادُ بِهَا تِلْكَ الْأَلَاغِيبُ الَّتِي يُلْجَأُ إِلَيْهِمُ الْمُشْعُودُونَ . وَاحِدَاهَا مَخْرَاقٌ .

قَالَ التَّبْرِيزِيُّ فِي شَرْحِ الْمَعْلَقَاتِ ٢٢١ : « قِيلَ الْخَوَارِيقُ : مَا مِثْلُ الشَّيْءِ وَلَيْسَ بِهِ

نَحْوُ مَا يُلْعَبُ بِهِ الصِّبْيَانُ » . وَانْظُرِ التَّنْبِيْهَ وَالْإِشْرَافَ ٢٤٠ س ١٩ وَالْحَيَوَانَ

(١ : ١٠) .

(هجاء النعمان)

وقد هجا عبدُ القيس بنُ خُفَافٍ البرُّجُمِيُّ^(١) ، النُّعْمَانُ بنُ المنذر ،
بني الجاهليَّةِ ، وذكر ولادة الصائغ^(٢) [له] فقال :

لَعَنَ اللهُ ثُمَّ ثَنَّى بِلَعْنِ ابْنِ ذَا الصَّائِغِ ، الظُّلُومَ الْجَهُولَا^(٣)
يَجْمَعُ الْجَيْشَ ذَا الْأَلُوفِ وَيَغْزُو ثُمَّ لَا يَرْزَأُ الْعَدُوَّ قَلِيلَا^(٤)

(سَهْمُ الحَنْفِي)

وكان سَهْمُ الحَنْفِيُّ يَلِي طَبْرِسْتَانَ^(٥) ، لمعن بن زائدة^(٦) ، مع حادثة
سنه يومئذ ، وكان له مروعةٌ وَقَدَرٌ في نفسه .

(١) عبد القيس بن خفاف البرجمي ، نسبة إلى البراجم : قبيلة من تميم . شاعر جاهلي ، وله
خبران مع حاتم الطائي والناطقة الذبياني . والخبر الأول في الأغاني (٧ : ١٤٥ - ١٤٦)
ومعجم المرزباني ٣٢٥ . وأما خبره مع الناطقة فهو أنه هو ومرة بن سعد بن قريع عملا
هجاء في النعمان على لسان الناطقة - وهما البيتان الآتيان مع ثالث متوسط بينهما - فأفسد
ذلك على الناطقة أمره عند النعمان . الأغاني (٩ : ١٥٨) . وقد ذكره المرزباني باسم
(قيس) حيث ذكره في من اسمه قيس . والمعروف عبد القيس كما في الأغاني
ونوادر أبي زيد ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢٦ والمفضليات ٣٨٣ والحجاسة (١ :
١١٣) . وفي الأصل : « عبد القيس خفاف » ، بإسقاط « بن » ، وصوابه ما أثبت .
ويقال فيه أيضاً : « عبد قيس » .

(٢) ط : « والده الصائغ » ، س : « ولادة الصائغ » ، صوابهما في هـ .

(٣) روى ابن قتيبة في الشعراء ١١٢، ١١٧ « قبح الله » . وروى هو وصاحب الأغاني
(٩ : ١٥٨) : « وارث الصائغ الجبان الجهولا » .

(٤) يرزؤه : ينقصه . ط : « يرزء » س : هـ « يرز » ، صوابهما ما أثبت من
الأغاني . والفتيل : الهنة التي في شق النواة . هـ ، س : « قليلا » . والأجود ما أثبت
من ط والأغاني .

(٥) طبرستان بفتح الطاء والباء وراء مكسورة : بلاد جنوبي بحر طبرستان ، المعروف أيضاً
ببحر الخزر . انظر خريطة الممالك الإسلامية .

(٦) معن بن زائدة الشيباني ، أحد أجواد العرب وفرسانهم . وكان في أيام بني أمية =

(كثرة الشعر وقلته في بعض قبائل العرب)

وبنو حنيفة مع كثرة عددهم ، وشدة بأسهم ، وكثرة وقائعهم ، وحسن العرب لهم على دارهم ونحومهم وسط أعدائهم ، حتى كأنهم وحدهم^(١) يعدلون بكرأكلها - ومع ذلك لم نر قبيلة قط أقل شعراً منهم . وفي إخوانهم ١٢٣ عجل قصيد ورجز ، وشعراء ورجازون . وليس ذلك لمكان^(٢) الخصب وأنهم أهل مدر ، وأكالو تمر^(٣) ؛ لأن الأوس والخزرج كذلك ، وهم في الشعر كما قد علمت . وكذلك عبد القيس النازلة قرى البحرين^(٤) ، فقد تعرف أن طعامهم أطيب^(٥) من طعام أهل اليمامة .

وثقيف أهل دار ناهيك بها خصباً وطيباً ، وهم وإن كان شعرهم أقل ، فإن ذلك القليل يدل على طبع في الشعر عجيب . وليس ذلك من

= منتقلا في الولايات، ومنقطعاً إلى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري ، أمير العراقيين ، فلما انتقلت الدولة إلى بني العباس ، وجرى بين أبي جعفر المنصور وبين يزيد ابن هبيرة ما جرى ، من محاصرة واسط ، أبلى مع يزيد بلاء حسناً . فلما قتل يزيد هرب معن خوفاً من المنصور ، ثم دخل معن في شيعة المنصور وصار من خواصه . وقتل معن بسجستان ، إذ كان والياً عليها ، ستة اثنين ، أو ثمان وخمسين ومائة . ورثاه مروان بن أبي حفصة بمرثية ، هي من عيون الشعر العربي . وفيات الأعيان والأغاني وتاريخ بغداد ٧١٢٧ .

(١) ط : « وأحدهم » ، صوابه في س ، ه .

(٢) ط : « المكان » ، صوابه في س ، ه .

(٣) أكالو تمر : أي لم نخيل يأكلون تمرها . ط : « أكالو تمر » ، وتصحيحه من س ، ه .

(٤) البحرين ، تلك البلاد الواقعة على بحر فارس . ط : « البحر » ، والوجه ما أثبت من س ، ه .

(٥) في الأصل : « أخيب » . وهو عكس المراد .

قَبِيلِ رِداءَةِ الغِذاءِ ، ولا من قِلَّةِ الحِصْبِ الشَّاعِلِ والغِنَى ^(١) عن النَّاسِ ؛
وإِنَّمَا ذلك عن قَدَرٍ ما قَسَمَ اللهُ لَهم من الحِظوظِ والغِرائِزِ ، والبِلادِ
والأعراقِ مكانَها .

وبنو الحارث بن كعب قبيلٌ شريفٌ ، يجرّون تجارِيَ ملوكِ اليمنِ ،
ومجارِيَ ساداتِ أعرابِ أَهْلِ نَجْدٍ ، ولم يكن لَهم في الجاهليَّةِ كِبيرٌ حَظٌّ
في الشعر . ولَهم في الإسلامِ شعراءٌ مفلِحُونَ .

وبنو بَدْرٍ كانوا مَفْحَمِينَ ^(٢) ، وكان ما أَطلق اللهُ به ألسنةَ العربِ ^(٣)
خيراً لَهم من تصييرِ الشعرِ في أنفُسِهِم .

وقد يَحْظَى ^(٤) بالشعرِ نَاسٌ ويَخْرُجُ ^(٥) آخَرُونَ ، وإن كانوا ^(٦) مثلَهم
أو فوقَهم . ولم تُمدَحْ ^(٧) قبيلةٌ في الجاهليَّةِ ، من قُرَيْشٍ ، كما مُدحت

(١) في الأصل : « والغنا » .

(٢) في القاموس : « المفحم ككرم : الميى ومن لا يقدر يقول شعراً » ، كذا
جاءت العبارة .

(٣) أى ما أَطلقَ به ألسنةَ الشعراءِ في مدحِهِم ، فن ذلك قولُ جاتمِ الطائي (الأغاني ١٦ : ١٠٤
والديوان ١١٦) :

إن كنت كارمة معيشتنا هاتا فحلى في بنى بدر
جنورتهم زمن النساد فنع م الحى في العوصاء واليسر
فسقيت بالماء النير ولم ينظر إلى بأعين خزر
الضاريين لدى أعنتهم والطاعنين وخيلهم تجرى
والخالطين نحيثهم بنصارهم وذوى الننى منهم بلى الفقر

وانظر مديح دريد بن الصمة لَهم في ٣٥٨ .

(٤) ط ، هـ : « يحظاه » ، س : « يخطاه » ، صوابها ما أثبت .

(٥) كذا في س ، ط ؛ وفي هـ : « يجرح » ، وربما كانت : « يحد » أى
يسوء حظه .

(٦) س ، هـ : « كان » ، صوابه في ط .

(٧) س ، هـ : « يمدح » .

مخزوم . ولم يتهياً من الشاهد والمثل لمادح في أحد من العرب ، ما تهيأ
لبنى بدر .

وقد كان في ولد زُرارة^(١) لصلبه ، شعر كثير ، كشعر لقيط^(٢)
وحاجب^(٣) وغيرهما من ولده . ولم يكن لحذيفة ولا حصن ، ولا عيينة
ابن حصن ، ولا لحمل بن بدر - شعرٌ مذكور .

(حظوة الخلفاء والولاة بالشعر)

وقد كان عبدُ العزيز بن مروانَ أخطى^(٤) في الشعر من كثير من
خلفائهم . ولم يكن أحدٌ من أصحابنا ، من خلفائنا وأئمتنا ، أخطى

(١) هو زُرارة بن عدس ، بضمين ، ابن زيد . جد جاهلي . بنوه بطن من بني دارم .
وكان حكيماً من قضاة تميم .

(٢) لقيط بن زُرارة ، شاعر فارس من فرسانهم ، وله خبر في يوم وحرخان ، وكان من
الرؤساء في يوم جبلة ، وقتل في ذلك اليوم وجعل يقول عند موته :

يأليت شعري عنك دختنوس إذا أتاك الخبر المرموس
أتخلق القرون أم تميم لابل تميم إنها عروس

دختنوس : بنته . وكان جبلة قبل الإسلام بتسع وخسين سنة . الأغاني .

(١٠ : ١٩ - ٤٤) . ط : « شعراء كلقيط » ، س : « شعراء كثيراً كشعر لقيط »
هـ : « شعراً كثيراً لقيط » ، وقد وجهت القول بما ترى .

(٣) وكان حاجب بن زُرارة من رؤساء يوم جبلة . وقد عاش إلى أن وفد على
الرسول وأسلم وبمته على صدقات بني تميم . وهو الذي رهن قوسه عند كسرى على
مال عظيم ووفى به . الإصابة ١٣٥٥ . وانظر قصة (قوس حاجب) في بلوغ
الأرب (١ : ١٢٥) فهي ممتمة . ومن رهن من العرب قوسه أيضاً ، سيار
ابن عمرو بن جابر الفزاري ، احتمل للأسود بن المنذر دية ابنه الذي قتله
الحارث بن ظالم ، ألف بغير ، وهي دية الملوك ، ورهنه بها قوسه . انظر العقد
(٣ : ٣١١ - ٣١٢) .

(٤) إشارة إلى المدائح الكثيرة الجيدة التي مدحه بها نصيب الشاعر ، وكذا عبد الله بن قيس .
الرقيات . ط ، س « أخطأ » ، هـ : « أخطأ » ، صوابهما ما أثبت من العمدة (٢ : ١٤٨)
حيث نقل عن الجاحظ نقلاً كاملاً .

في الشعر من الرشيد^(١) . وقد كان يزيد بن مزيد^(٢) وعنه^(٣) ، ممن أحظاه^(٤) الشعر .

وما أعلم في الأرض نعمة بعد ولاية الله أعظم من أن يكون الرجل ممدوحاً .

الصم من الحيوان

تقول العرب : ضربان من الحيوان لا يسمعان الأصوات . وذلك عام في الأفاعي والنعام .

واعتد من ادعى للنعام الصمم بقول علقمة :
فوه كشق العصا لائياً تبينه أسك ما يسمع الأصوات مصلوم^(٥)

(١) وأما هارون الرشيد فقد أظن في مدحه أبو العتاهية ، وإبراهيم الموصلي ، وإسحاق الموصلي ، ومروان بن أبي حفصة ، والعتابي ، وابن منذر ، وأشجع السلمي ، ومنصور النمرى ، ونصيب الأصغر وغيرهم . ط ، س : « أخطأ » ه : « أحظأ » . والوجه فيما ما كتبت .

(٢) يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني : أمير شجاع ، نديه هارون الرشيد لقتال الوليد ابن طريف الشاري الخارجي ، فقتله وعاد إلى أرمينية ، حيث كان والياً عليها . توفي سنة ١٨٥ .

(٣) عمه ، هو معن بن زائدة الشيباني ، الذي سبقت ترجمته في ص ٣٧٩ - ٣٨٠ .

(٤) حظي يزيد بن مزيد بمديح مسلم بن الوليد ومنصور النمرى . ورثاه أبو موسى التيمي بمرثية سمعها الرشيد فبكي بكاء اتسع فيه ، حتى لو كانت بين يديه سكرجة ملأها من دمعه . الأغاني (١٨ : ١١٦ - ١١٧) . وأما عمه فقد حظي بمديح مروان بن أبي حفصة ، ومطيع بن إياس ، وعلي بن خليل ، والحسين ابن مطير ، وغيرهم . في الأصل : « أحظأ » ، صوابه ما أثبت . وأحظاه : جعله ذا حظوة .

(٥) تقدم شرح هذا البيت في ص ٣٦٦ . ه : « يينه » . س : « أسد » ه : « أشد » كل منهما بدل « أسك » محرف .

قال (١) : ولا يصلح أن تكون « ما » في الموضع الذي ذكر (٢)
لأن ذلك يصير كقول القائل : التمر حلو ، والثَّلج بارد ، والنَّار حارَّة .
[و (٣)] لا يحتاج إلى أن يُخبر أن الذي يُسمَع هذا الصَّوت ؛ لأنه
لا مسموعَ إلا الصَّوت .

قال خصمه : فقد قال علقمة بن عبدة

حَتَّى تَلَا فِي وَقْرِنِ الشَّمْسِ مَرْتَعٌ أَدْحَى عِرْسَيْنِ فِيهِ الْبَيْضُ مَرَكُومٌ (٤)
يُوحِي إِلَيْهَا بِإِنْقَاضِ وَنَقْنَقَةٍ كَمَا تَرَاظَنُ فِي أَفْدَانِهَا الرُّومُ (٥)

ثم قال : ١٢٤

تَحْفَةُ هِقْلَةٍ سَفْعَاءِ خَاذِلَةٍ تَجِيئُهُ بِزِمَارٍ فِيهِ تَرْنِيمٌ (٦)
واحْتِجَّ مَنْ زَعَمَ أَنَّهَا تَسْمَعُ ، بقوله (٧) :

وَصَحْمٌ صِتَامٍ بَيْنَ صَمْدٍ وَرِجْلَةٍ وَبَيْضٌ ثَوَامٍ بَيْنَ مِيتٍ وَمِذْنَبٍ (٨)

(١) القائل هو الجاحظ ، ينقد البيت .

(٢) س : « في موضع الذي » ، مع حذف كلمة « ذكر » . ط : « في الموضع الذي ذكر » ، صوابهما ما أثبت من ه .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) سبق شرح هذا البيت في ص ٣٦٧ . س : « أرخى » ه : « أرخى » محرفتان .

(٥) سبق شرحه في ص ٣٦٨ . س : « في أفدائها » . وهي صحيحة ؛ فالأنداء : جمع النادى ، وهو مجتمع القوم . انظر اللسان . ه : « أبدائها » ، محرفة عن سابقتها .

(٦) سبق شرحه في ص ٣٦٨ . والسفعاء : السوداء . ه : « صفعاء » س : « صنعا » ، محرفتان عما في ط . وخاذلة : مقيمة على ولدها .

(٧) هو ابيد . اللسان (صحم) .

(٨) الصحم : جمع أصحم ، وهو ما في لونه غبرة . وقد عني بها الحمير ، كما في اللسان .

ط ، ه : « صخيم » س : « صخم » محرفتان . والصتام : جمع صتم ، بالفتح ، وهو الغليظ الشديد ، وفي الأصل : « صنام » بالنون . وفي اللسان : =

مَتَى مَا تَشَأْ تَسْمَعُ عِرَارًا بِقَفْرَةٍ يُجِيبُ زِمَارًا كَالْبِرَاعِ الْمُثْقَبِ^(١)
وقال الطَّرمَّاح :

يدعو العِرَارُ بِهَا الزُّمَارَ كَأَنَّهُ أَلِيمٌ تَجَاوَبُهُ النَّسَاءُ الْعُودُ^(٢)
قال : وصَوْتُ النِّعَامَةِ الذَّكَرُ : العِرَارُ^(٣) . وصوت الأنثى : الزُّمَارُ .
وأَنشَدَ الَّذِي زَعَمَ أَنَّهَا لَا تَسْمَعُ^(٤) ، قولَ أسامةَ بنِ الحارثِ
الهذليِّ^(٥) :

تَذَكَّرْتُ إِخْوَانِي فَبِتُّ مُسَهَّدًا كما ذَكَرْتُ بَوًّا مِنَ اللَّيْلِ فَاقِدُ^(٦)

-
- = « صِيَام » . وأثبت تصحيح ما في الأصل . و « صمد » بالفتح ، و « رجلة » بالكسر : موضعان . وفي الأصل : « بين خسر ورجله » تصحيحه من اللسان . ويض تضام : أى أزواج . والميث ، بالكسر : جمع ، يشاء ، وهى الأرض السهلة . والمذنب ، كقنبر : مسيل الماء .
- (١) العِرَارُ ، بالكسر : صياح الظليم . وفي الأصل : « عوارا » محرفة . والزمار ، بالكسر : صوت أنثى النعام . فى الأصل : « تجيب زمارا » ، صوابه ما أثبت . وسيعاد البيت فى ص ٤٠٠ .
- (٢) يدعو ، هنا ، بمعنى يجيب ، كما فى شرح الديوان ٨٩ . وفى الأصل : « العوار » صوابها فى الديوان . والألم : الذى أصابه الألم . يقال رجل ألم ووجع - كلاهما كفرح - وفى الأصل : « أيم » ، تصحيحه من الديوان .
- (٣) فى الأصل : « العوار » محرفة .
- (٤) فى الأصل : « الذى زعم الهذلى أنها لا تسمع » . وكلمة « الهذلى » مقحمة بلا ريب .
- (٥) ذكره المرزبانى فى معجمه وقال : مخضرم . الإصابتة ٤٤٢ .
- (٦) مسهد : من السهاد ، وهو الأرق . والبور : ولد الناقة . والفاقد : التى فقدت ولدها . س : « ذكر برأ » ه : « ذكرت برا » ط : « ذكرت بردا » وفى الجميع : « فاقدأ » بالنصب . وكل ذلك تحريف ، صوابه ما أثبت موافقا .
- باقى بقية أشعار الهذليين (٢ : ١٠٦) .

لعمرى لقد أمهلتُ في نهى خالدٍ عن الشامِ إِمَّا يَغْصِيْنُكَ خَالِدٌ^(١)
وَأَمَهَلْتُ في إخوانه فكَأَنَّمَا تَسْمَعُ بِالنَّهْيِ النَّعَامُ الْمَشْرَدُ^(٢)
وقال الذى زعم أنها تسمع : فقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ
لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾ . ولو عني أَنَّ عَمَاهُمْ كعمى العُمَيَّانِ ،
وصمَّهم كصمَّ الصُّمَّانِ ، لما قال : ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى
قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ . وإنما ذلك كقوله : ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا
تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ . وكيف تُسْمِعُ المدبرَ عنك ؟
ولذلك يقال : « إِنَّ الْحَبَّ يُعْمِى وَيُصِمُّ » . وقد قال الهذليُّ :

* تَسْمَعُ بِالنَّهْيِ النَّعَامُ الْمَشْرَدُ^(٣) *

والشارد النافر عنك لا يوصف بالفهم . ولو قال : تسمع بالنهى ،
وسكت - كان أبلغَ فيما يريد . وهو كما قال الله تعالى : ﴿وَلَا تُسْمِعُ
الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ . قال الرَّاجِزُ :
رِدَى رِدَى وَرَدَ قَطَاةٌ صَمًّا^(٤) كُدْرِيَّةٌ أَعْجَبَهَا بَرْدُ الْمَا^(٥)

(١) في الأصل : « خالداً » ، صوابه ما أثبت من اللسان . وفي الأصل أيضاً : « إلى
الشام » ، تصحيحه من اللسان (مهمل) وبقيّة أشعار الهذليين . وأول البيت في هـ :
« وإني قد أمهلت » . وأمهلْتُ : بالنت . يقول : إن عصافى فقد بالنت في نهيه .

(٢) تسمع : أى أصغى لسمع . ويروى : « يُسْمَعُ » . والنعام المشرّد لا يصغى إلا ريثماً
يشرد ، وذلك لنفوره وتوحشه . في الأصل : « المشرّد » ، وصوابه ما أثبت .

(٣) في الأصل : « المشرّد » . وانظر التنبيه السابق .

(٤) يخاطب ناقته . والرجز في الوساطة ٣٠١ حيث استشهد به على أن المتنبي سرق .
منه قوله : * ورود قطاصم تشايحن في ورد * وانظر الاستدراكات .

(٥) الكدرية : واحدة الكدرى ، وهو ضرب من القطا غير الألوان ، رقت
الظهور ، صفر الخلق . س ، هـ : « كدرية » ، تحريف طيب ، صوابه في ط -

أى لأنها [لا^(١)] تسمع صوتاً يثنيها ويرُدُّها^(٢) .

وأنشد قول الشاعر :

دَعَوْتُ خَلِيدًا دَعْوَةً فَكَأَنَّمَا^(٣) دعوت به ابن الطَّوْدِ أَوْ هُوَ أَمْرَعُ

والطَّوْدُ : الجبل . وابْنُهُ : الحجر الذي يَتَدَهَّدُهُ^(٤) منه ، كقوله^(٥) :

* كَجُلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ^(٦) مِنْ عَلِيٍّ *

وقال الرَّاجِزُ :

وَمَنْهَلٍ أَعْوَرَ إِحْدَى الْعَيْنَيْنِ^(٧) بَصِيرِ الْأُخْرَى وَأَصَمِّ الْأُذْنَيْنِ^(٨)

= والوساطة واللمان (صمم) وشرح محب الدين أفندي لشواهد الكشاف .
استشهد به الزخشي عند قوله تعالى : « ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا » من
سورة مريم .

(١) ليست بالأصل ، وبها يستقيم الكلام .

(٢) وفي اللسان : « لسكك أذنيها . وقيل لسممها إذا عطشت » ، ووجهه محب الدين أفندي
بأنها لا تسمع صوت القانص حتى تنفر . وهو تعليل جيد .

(٣) في اللسان (مادة طود) : « جليداً » . وفي أساس البلاغة : « كليباً ، س ،
ط : « وكأَنَّمَا » ، وأثبت ما في هـ واللسان والاساس .

(٤) يتدهده : يتدحرج . س ، هـ : « يدهذا » ، ولعل هذه الأخيرة محرفة عن
« يتدهدى » ، وهي لغة في يتدهده .

(٥) هو امرؤ القيس ، من معلقته . وصدره :

* مكر مفر مقبل مدبر معا *

(٦) ط : « السيد » ، وهو على الصواب في س ، هـ .

(٧) المنهل : منزل السفار على الماء . أعور إحدى العينين : أى فيه بُرآن
غاضت إحداهما .

(٨) بصير الأخرى : أى أن البئر الأخرى بها ماء . وفي الأصل : « بصيرة » تصحيحه

من اللسان (عور) . والرواية فيه : « بصير أخرى » . وأصم الأذنين : أى ليس

يسمع فيه صدى الصوت . في الأصل : « أصم » بدو واو ، وهي ضرورة لوزن الشعر .

والبيت من مشطور السريع .

١٢٥ كَأَنَّهُ كَانَ فِي ذَلِكَ الْمَهْلِ بَيْرَانٌ^(١) ، وَالْآبَارُ أَعْيُنٌ ، فَغَوَّرْتُ إِحْدَى الْبَيْرَيْنِ^(٢) وَتُرَكَّتِ الْآخَرَى .

وقوله : « أَصَمُّ الْأُذُنَيْنِ » يَمَّا^(٣) أَنَّ كَانَ عِنْدَهُ^(٤) فِي الْأَرْضِ فَضَاءً وَخَلَاءً^(٥) ، حَيْثُ لَا يَسْمَعُ فِيهِ صَوْتٌ ، جَعَلَهُ أَنَّ^(٦) كَانَ لَا يَسْمَعُ صَوْتًا أَصَمًّا ؛ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لِفَقْدِ الْأَصْوَاتِ .

(شاهد من الشعر لسمع النعامة)

قال : وقد قال الحارثُ بن حِلْزَةَ^(٧) قولاً يدلُّ على أنها تسمع^(٨) ،
حيث قال :

ولقد أَسْتَعِينُ يوماً على الهَمِّ إِذَا خَفَّ بِالشَّوَى الثَّوَاءُ^(٩)

(١) كذا جاءت في الأصل ، بتسهيل الهجزة .

(٢) كذا بالتسهيل .

(٣) ط : « لا » ، وصوابه في س ، هـ .

(٤) أي عند المهل .

(٥) في الأصل : « فضل و خلا » ، وصوابه ما أثبت .

(٦) أي لأن . وحذف الجار مطرد في مثل هذا . ط : « إذ » ، وأثبت ما في س ، هـ .

(٧) الحارث بن حلزة ، شاعر جاهل من بني يشكر . والأبيات الآتية من معلقته المشهورة ، التي قال فيها أبو عبيدة : « أجود الشعراء قصيدة واحدة جيدة طويلة ، ثلاثة نفر : عمرو ابن كلثوم ، والحارث بن حلزة ، وطرفة بن العبد » .

(٨) في الأصل : « لا تسمع » ، وهو خلاف المراد .

(٩) الشوى : المقيم . والثواء ، هكذا جاءت بالأصل . والصواب : « النجاء » ، وهي السرعة . وأما « الثواء » فهي قافية لمطلع المعلقة :

أَذْنَتْنَا بَيْنَهَا أَسْمَاءُ رَبِّ ثَاوٍ يَمِلُ مِنْهُ الثَّوَاءُ

يزفوف كأنها هِقْلَةٌ أُمُّ رِثَالٍ دَوِيَّةٌ سَفْعَاءُ^(١)
ثمَّ قال :

آنَسْتُ نَبَأَهُ وَأَفْزَعَهَا الْقُنَّاصُ عَصْرًا وَقَدْ دَنَا الْإِمْسَاءُ^(٢)
فَتَرَى خَلْفَهُنَّ مِنْ سُرْعَةِ الْمَشْيِ مَنِئِبًا كَأَنَّهُ إِهْبَاءُ^(٣)
ولو قال : « أَفْزَعَهَا »^(٤) الْقُنَّاصُ ولم يقل : « آنَسْتُ نَبَأَهُ » - والنَّبَأُ
الصُّوت - لَكَانَ لَكُمْ فِي ذَلِكَ مَقَالٌ^(٥) .

(شعر في معنى الصمم)

وقال امرؤ القيس :

وَصُمُّ صِلَابٌ مَا يَقِينُ مِنَ الْوَجَى كَأَنَّ مَكَانَ الرُّدْفِ مِنْهُ عَلَى رَالٍ^(٦)

(١) زفوف ، بالفتح : أى ناقة سريعة . والهقلة : النعامة . والرثال : أولادها .
دوية : منسوبة إلى الدور ، وهى الأرض المترامية الأطراف . والسفعاء : السوداء .
س : « صنعاء » هـ : « صفعاء » محرفتان . ورواية المعلقات : « سقفاء »
أى عالية .

(٢) آنست نبأه : أحست صوتا خفيا .

(٣) قال التبريزى : « خلفهن » : خلف الإبل ؛ لأن الناقة الموصوفة ، تسير مع غيرها ،
فحمل الضمير على المعنى . والمنين ، بالفتح : الغبار الدقيق . و « إهباء » روى
بالفتح : بمعنى للغبار المرتفع فى الجو . وروى بالسكون : مصدر أهبط يهبى إهباء :
أثار التراب .

(٤) فى الأصل : « أفزع » ، وهو مخالف لنص الشعر السابق .

(٥) فى الأصل : « فقال » ، والوجه ما أثبت .

(٦) يقول : وللك الفرس حوافر صم صلاب ما يضمنن فى ميرهن من الوجى . والوجى :

أن يجد الفرس فى حافره وجعاً يشتكيه ، من غير أن يكون فيه صدع أو غيره .

ط ، س : « تعبن » هـ : « تعين » ، صوابهما من الديوان ٦٦ واللسان

(وقى) . ط : « اللوجا » س ، هـ : « الرجا » صوابهما من المصدرين

السابقين . والردف : الذى تردفه ، ومكانه الذى يقعد فيه يسمى القطاة ، ويستحب =

ولأنما يعنى أنها مُصنَّعة غير جوفاء . وقال الآخر :
 قُلْ مَا بَدَأَ لَكَ مِنْ زُورٍ وَمِنْ كَذِبٍ حِلْمِي أَصَمُّ وَأُذُنِي غَيْرُ صَمَاءٍ
 يريد أن حلمه ليس بسخيف متخلخل ، وليس بخفيف سارٍ ، ولكنه
 مصمت . وقال الشاعر :

* وَأَسْأَلُ ^(١) مِنْ صَمَاءٍ ذَاتِ صَلِيلٍ *

ولأنما يريد أرضاً يابسة ، ورملة نشافة ، تسأل ^(٢) الماء : أى تريده
 وتبتلعه ؛ وهى فى ذلك صماء .

(ذكر الصُّمِّ فى القرآن الكريم)

وقد قال الله لناسٍ يسمعون : ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ^(١)
 وذلك على المثل . وقال : ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا
 لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ^(٢) . وذلك
 كله على ما فسرنا . وقال : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا

= إشرافها ؛ فلذلك شبهها بمجزر الرأل . والرأل ، أصله الهمز ، وخففه لمكان
 القافية . وقبل البيت :

سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا له حجبات مشرفات عل الفال
 (١) س ، هـ : « وأسل » ، صوابها فى ط . وهى من السؤال ، كما سيأتى فى شرح الجاحظ ،
 وكما فى اللسان . وصدر البيت فى اللسان :

* أَجَلٌ لَا ، وَلَكِنْ أَنْتَ الْأُمُّ مَنْ مَشَى *

(٢) ط ، هـ : « تسال » ، صوابه فى س .

(٣) الآية الثامنة عشرة من سورة البقرة .

(٤) الآية ١٧١ من سورة البقرة .

عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا^(١) ، وقال أيضا : ﴿ إِنَّمَا أَنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ^(٢) 》 .

(شعر في معنى الصمم)

وقال عنترة :

مَظَلَّلَنَا نَيْكِرُ^(٣) الْمَشْرِفِيَّةَ فِيهِمْ وَخَرَصَانُ صُمُّ السَّهْرِيِّ الْمُتَّقِفِ^(٤)

وقال العجير السلولي :

وَقَدْ جَذَبَ الْقَوْمُ الْعَصَائِبَ مُؤَخَّرًا فَفِيهِنَّ عَنْ صَلْعِ الرِّجَالِ حُسُورُ^(٥)

فَظُلُّ رِدَاءِ الْعَصَبِ مُلْقَى كَأَنَّهُ سَلَى فَرَسَ تَحْتَ الرِّجَالِ عَقِيرِ^(٥)

لَوْ أَنَّ الصُّخُورَ الصَّمَّ يَسْمَعْنَ صَلَقْنَا لَرُحْنَ وَفِي أَعْرَاضِهِنَّ فَطُورُ^(٦) ١٢٦

وقال زهير^(٧) :

(١) الآية ٧٣ من سورة الفرقان .

(٢) الآية ٤٥ من سورة الأنبياء ، وأصلها : « قل إنما . . . » .

(٣) المشرفية : ضرب من السيوف ، منسوب إلى مشارف الشام . والخرصان ، بالكسر والضم : جمع خرص بالضم ويكسر ، وهو سنان الرمح . والسهري من الرماح : هو الصليب العود . والمتقف : المعدل المسوى بالثقاف . هـ : « المتقب » تحريف ، صوابه في س ، هـ والديوان ١٦١ ، والرواية فيه :

فَظَلَّلْنَا نَيْكِرَ الْمَشْرِفِيَّةَ فِيهِمْ وَخَرَصَانُ لَدُنَّ السَّهْرِيِّ الْمُتَّقِفِ

(٤) حُسُور : انكشاف .

(٥) العصب ، بالفتح : ضرب من البرود . وفي الأصل : « نداء العصب » ، صوابه من مجالس ثعلب ٥٩٣ . والسلى بالتحريك : الجلدة التي يكون بها الولد . وتكتب بالياء . وفي الأصل بالألف . والعقير : التي عقرت ، أي قطعت قوائمها . وفي الأصل : « عتور » صوابه من المجالس . وفي البيت إقواء .

(٦) يقول : لو أن تلك الصخور سمعن صوتهما الشديد في تلك الحرب ، لرحن^(٦) وقد تشققت أعراضهن . والأعراض : الجوانب والنواحي . ورواية الأغاني (١١ : ١٥٠) :

لَرَأَى الْجِبَالُ الصَّمَّ يَسْمَعْنَ وَقَعَهَا لَدُنَّ وَقَدْ بَانَتَ بَيْنَ فَطُورِ

(٧) والبيتان ليسان في ديوان زهير .

لَيْتَنِي خَلَقْتُ لِلْأَبَدِ صَخْرَةً صَمَاءَ فِي كَيْدٍ^(١)
لَا تَشْكِي^(٢) شَرَّ جَارَتِهَا خَلَقْتُ غَلِيظَةً : الْكَبِيدِ
وَقَالَتْ جُمْلُ بِنْتُ جَعْفَرٍ :

بَنِي جَعْفَرٍ لَا سِلْمَ حَتَّى تَزُورَكُمُ بِكُلِّ رُدِينِي وَأَبْيَضَ ذِي أَثَرٍ^(٣)
وَحَتَّى تَرَوْا وَسْطَ الْبُيُوتِ مُغِيرَةً تُصِمُّكُمْ بِالضَّرْبِ حَاشِيَةَ الذُّعْرِ^(٤)
تَبِينُ لِيذِي الشَّلَكِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ دَرَى وَيُبْصِرُهَا لَا عَمَى وَيَسْمَعُ ذُو الْوَقْرِ^(٥)
وَقَالَ دَرِيدُ :

مَتَى كَانَ الْمَلُوكُ لَكُمْ قَطِينًا^(٦) عَلَى وِلَايَةِ صَمَاءَ مِثْنِي^(٧)
(مِثْلُ وَحْدَيْتٍ فِي الصَّمَمِ)

وَمِنَ الْأَمْثَالِ قَوْلُهُمْ : « صَمَّتْ حَصَاةٌ بِدَمٍ »^(٨) ، قَالَ : فَأَصْلُهُ أَنْ

- (١) كَيْدٌ ، بفتح فكسر : اسم جبل . في الأصل : « كَيْدِي » !
(٢) في الأصل : « تَشْكِي » ، وبذلك ينكسر الوزن ؛ إذ البيت من بحر المديد .
(٣) الرُدِينِي : الرمح المنسوب إلى امرأة تدعى رديئة ، كانت هي وزوجها شمهر يقومان القنأ
بخط حجر . وَعَنْتَ بِالْأَبْيَضِ : السيف . وَالْأَثَرُ ، بِالْفَتْحِ : فَرْدُ السِّيفِ . ط ، س :
« أَثَرٌ » هـ : « أَسْرٌ » ، صَوَاهِمَا مَا أَثْبِتَ .
(٤) مُغِيرَةٌ : أَيْ خِيْلًا مُغِيرَةً هَاجِمَةً بِأَرْبَابِهَا . ط : « خَاشِيَةُ الذُّعْرِ » . وَأَثْبِتَ صَوَابَهُ
مِنْ س ، هـ . وَلِلْعَرَبِ مِجَازٌ فِي مِثْلِ هَذَا . يَقُولُونَ : حَشَى الرَّجُلَ غِيظًا ، وَكِبْرًا ،
كَأَنَّ الْقَالَ الْمَرَارَ :

وَحَشَوْتُ الْغِيظَ فِي أَضْلَاعِهِ فَهُوَ يَمْشِي حِظْلَانًا كَالْبَنْقَرِ
وَكَمَا قَالَ الْمَسْعُودِيُّ :

وَلَا تَأْنِفَا أَنْ تَرْجِعَا . قَتَلْنَا فَا حَشَى الْإِنْسَانَ شَرًّا مِنْ الْكَبْرِ

(٥) تَبِينُ : تَظْهَرُ هِيَ . وَالْوَقْرُ ، بِالْفَتْحِ : ثَقُلَ الْأُذُنُ ، أَوْ ذَهَابَ السَّمْعُ كُلُّهُ .

(٦) الْقَطِينُ : تَبِعَ الرَّجُلُ وَمَالِيكَهُ وَخَدَمُهُ .

(٧) كَذَا جَاءَ هَذَا الشَّطْرُ .

(٨) يَضْرِبُ مِثْلًا فِي الْإِسْرَافِ فِي الْقَتْلِ وَكَثْرَةِ الدَّمِ . الْمِيدَانِي (١ : ٣٥٩) .

يَكْثُرُ الْقَتْلُ وَسَفْكُ الدِّمَاءِ ، حَتَّى لَوْ وَقَعَتْ حَصَاةٌ عَلَى الْأَرْضِ لَمْ يُسْمَعْ لَهَا صَوْتُ ؛ لِأَنَّهَا لَا تَلْقَى صَلَابَةَ الْأَرْضِ .

وقد جاء في بعض الحديث : « إِذَا كَانَتْ تِلْكَ الْمَلَا حِمٌّ بَلَغَتْ الدِّمَاءُ الثَّنَّ (١) » ، يَعْنِي ثُنْثُنَ (٢) الْخِيلِ ، وَهُوَ الشَّعْرُ الَّذِي خَلْفَ الْحَافِرِ .

(صَمْتُ السَّيْفِ)

وَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ (٣) :

وَيَنْذِي نَخْوَةَ الْمُخْتَالِ عَنِّي جُرَّازُ الْحَدِّ ضَرْبَتُهُ صَمُوتٌ (٤)
لَأَنَّ السَّيْفَ إِذَا مَرَّ فِي الْعِظَمِ مَرًّا (٥) سَرِيعًا فَلَمْ يَكُنْ لَهُ صَوْتُ - كَانَ فِي مَعْنَى الصَّامِتِ (٦) .

(١) الثَّنَّ ، بضم الثاء وفتح النون : جمع ثنة ، بضم الثاء وتشديد النون ؛ الشعرات التي في مؤخر راس الدابة . ط ، هـ : « السن » س : « الس » ، صوابهما ما أثبت ، موافقا لما جاءت في أمثال الميداني في أثناء الكلام على المثل السابق . وانظر : « بلغت الدماء الثنن » في أمثال الميداني (١ : ٨٣) . والملاحم : جمع ملحمة ، بالفتح ، وهي الحرب ذات القتل الشديد .

(٢) ط ، هـ : « سن » س : « بين » محرفتان . وانظر التنبيه السابق .

(٣) هو الزبير بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ؛ سيد كريم وشاعر محسن . . وكان من رجال قريش في الجاهلية . وهو أكبر أعمام الرسول الكريم العشرة . وهو القائل :

ولولا الحس لم يلبس رجال ثياب أعزة حتى يموتوا

المؤتلف (١٣٠ - ١٣١) والمعارف ٥٢ والروض الأنف (١ : ٧٨) . .

(٤) ينبى : يبعد . ونخوة المختال : تكبر المتكبر وتعظمه . وسيف جراز الحد ، بضم الجيم :

ماضيه وناقذه . وانظر ما سيأتى في (٦ : ٤٣٧) . ورواية اللسان (صمت) :

وينى الجاهل المختال عني رفاق الحد ضربته صموت

وأنشده عن ثعلب على هذه الصورة :

ويذهب نخوة المختال عني رقيق الحد ضربته صموت

(٥) ط ، س : « مر » ، صوابه في هـ .

(٦) وقيل : لرسوبه في الضريبة ، وإذا كان كذلك قل صوت خروج الدم . . انظر اللسان .

(شعر في مجاز الصمم)

يقول ابن ميادة :

متى أدع في قيس بن عيلان خائفاً إلى فزعٍ تركبُ إلى خيولها^(١)
بلمومة كالطودِ شهباء فيلقٍ رذاحٍ يصمُّ السامعين صليلها^(٢)
لأنَّ الصَّوت إذا اشتدَّ جدًّا لم يُفهمَ معناه ، إنَّ كان صاحبه أراد أن
ينخبِر عن شيء . ومتى كثرت الأصواتُ صارت وَغى^(٣) ، ومنع بعضها بعضاً
من الفهم . فإذا لم يفهمها^(٤) صار في معنى الأصمِّ ، فجاز^(٥) أن يسمَّى
بإسم الأصمِّ .

وعلى ذلك قال الأضبط بن قريع ، حين آذوه^(٦) بنو سعدٍ فتحوَّل من
جوارهم في آخرين فأذوه ، فقال : « بِكَلِّ وادِ بَنُو سَعْدِ »^(٧) .

(١) المراد بالخيول هنا الفرسان الذين يركبون الخيول . ومنه في الحديث : « يا خيل
الله اركبى » . انظر البيان (٢ : ٢٧) . ويصح أن تقرأ « تركب » بالبناء للمفعول
فلا يكون فيها مجاز .

(٢) ملمومة : أى كتيبة عظيمة مجتمعة . والطود : الجبل العظيم . والشهباء : البيضاء ،
لسا فيها من بياض السلاح . والكتيبة الفيلق : الكثيرة السلاح . والرذاح ،
بالفتح : الكثيرة الفرسان الثقيلة السير لكثرتها .

(٣) الوغى : الصوت والجلبة في الحرب . ط ، س : « رغاء » ، وإنما للرغاء ، بالضم : صوته
ذوات الخف . هـ : « وحا » ، صوابها ما أثبت .

(٤) س : « نفهمها » ، صوابه في ط ، هـ .

(٥) س ، هـ : « لجاز » !

(٦) كذا في س ، هـ . على لغة أكلوه البراغيث . ط : « آذاه » .

(٧) سبق المثل في (١ : ٣٥٨) و (٣ : ١٠٤) .

وقال جبران العود :

وَقَالَتْ لَنَا وَالْعِيسُ صُعْرٌ مِنَ الْبُرَى وَأَخْفَاهَا بِالْجَنْدَلِ الصَّمُّ تَقْدِيفُ^(١)

(قول منكر صمم النعام)

وقال الذي ينكر صمم شئ من الخلق : اعتلتم في صمم النعام بقول

فرهير :

[أَصَكَّ مُصَلِّمِ الْأُذُنَيْنِ أَجَنَى لَهُ بِالسِّيِّ تَنُومٌ وَآءُ^(٢)]

وبقول أوس بن حجر :

وَيَنْتَهَى ذَوَى الْأَحْلَامِ عَنِّي حُلُومُهُمْ وَأَرْفَعُ صَوْتِي لِلنَّعَامِ الْخَزَمِ^(٣) ١٢٧

يريد خرق^(٤) أنفه ، وهو في موضع الحرمة^(٥) من البعير .

وأما قوله : « وَأَرْفَعُ صَوْتِي لِلنَّعَامِ » فإنما خص بذلك النعام لأنها

تَجْمَعُ الشُّرُودَ وَالنَّفَارَ ، إلى الموق وسوء الفهم . ولو قال : وأرفع صوتي

للحمير والدواب لكان كذلك . والمصلحة : الشك التي ليس

لآذانها حجم .

(١) العيس ، بالكسر : الإبل الخالصة البيضاء . صعر من البرى : مرائل من جذب البرى :

جمع برة ، وهي الحلقة توضع في أنف البعير . والجندل : الحجارة .

(٢) هذا البيت ليس بالأصل . وبه يلتئم الكلام ويتم . وقد أثبتته اعتماداً على ما سياتي

في ص ٣٩٨ .

(٣) المراد بالأحلام هنا ، الألباب والعقول . وفي اللسان : « والخزم من نعت النعام ، قيل

له مخزم لثقب في منقاره » . وعجز البيت في المقاييس (خزم) .

(٤) في الأصل : « عرض » . وانظر التلبيه السابق .

(٥) في موضع الحرمة ، أى ذلك الخرق بمكانة الحرمة ، شبيه بها . والحرمة ، بالتحريك ،

سبق شرحها في ص ٣٢١ . في الأصل : « الخزامة » . ولا تصح ، فإن الخزامة هي

الحلقة التي توضع في الحرمة . وانظر ما سبق في ص ٣٢١ .

(رد عليه)

قال : [قول^(١)] الذى زعم أنها ليست بصماء لا يجوز ؛ لأن الدوابَّ تسمع وتفهم الزجر ، ونجيب الدعاء . بل لو قال : وأرفع صوتى للصخور والحجارة ، كان صواباً ، وكان ليرفع صوته معنى ؛ إذ^(٢) كان الرفع والوضع^(٣) عند الصخور سواءً . وليس كذلك الدوابُّ . ولو كان إنما جعله مصداً ، وجعل آذان النعام مصلومةً ؛ لأنه ليس لآذانها حجم فالطير كله كذلك إلا الخفاش^(٤) . وكلُّ شئٍ يبيض من الحيوان فليس لها حجم آذان . ففى قصدهم بهذه الكلمة إلى النعام ، بين جميع ما ليس لأذنيه حجم ، دليل على أن تأويلكم خطأ . قال علقمة بن عبدة :

فوه كشقَّ العصا لأياً تبينه أسك ما يسمع الأصوات مصلوم^(٥)

وقالت كبشة بنت معديكرب^(٦) :

-
- (١) ليست بالأصل . وبمثلها يستقيم الكلام .
 (٢) فى الأصل : « إذ لو » . وكلمة « لو » لوجه لوجودها .
 (٣) أى رفع الصوت ووضع . والوضع بمعنى التخفيض .
 (٤) س : « لا الخفاش » ط : « الأنخفاش » . وأثبت الوجه من هـ .
 (٥) كذا على الصواب فى هـ . وفى س : « لأياً يبينه » ، و ط : « الا يأتينه » ومسبق شرحه فى ٣٦٦ ، وإنشاده كذلك فى ٣٨٣ .
 (٦) كبشة ، هى أخت عمرو بن معديكرب . وكذلك جاءت النسبة فى حماسة أبى تمام (١ : ٧١) والبحرئى ٣٠ وأما القالى (٢ : ٢٢٦ ، ٣ : ١٩٠) والشعراء ٣٣٥ والخزانة (٣ : ٧٧ بولاق) . ونسبت فى لباب الآداب ١٨٢ إلى ربحانة أخت عمرو بن معديكرب . قال التبريزى : « كبشة اسم مرتجل علماً . وليس بتأنيث كبش لأن ذلك لا مؤنث له من لفظه ، إنما هى نعمة » . وقد قالت الشعر حينما قتل أخوها عبد الله ، ولم يأخذ عمرو بثأره ، بل أخذ دية أخيه ، فغضبت هى وقالت الشعر تحفضه على الأخذ بالثأر ، فى أسلوب حسن بديع .

وَأَرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ إِذْ حَانَ يَوْمُهُ إِلَى قَوْمِهِ أَلَّا تَغْلُوا لَهُمْ دِمِي^(١)
 وَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُمْ إِفَالًا وَأَبْكَرًا وَأُتْرَكَ فِي بَيْتٍ بِصُعْدَةٍ مُظْلِمٍ^(٢)
 جَدَعْتُمْ بَعْدَ اللَّهِ أَنْفَ قَوْمِكُمْ^(٣) بَنِي مَازِنٍ أَنْ سُبَّ رَاعِي الْخَزْمِ^(٤)
 فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَتَأَرَوْا لِأَخِيكُمْ فَشَوْا بِأَذَانِ النَّعَامِ الْمَصْلَمِ^(٥)
 فلو كانت إنما تريد أنه ليس لمسامعها حجج ، كانت الدنيا لها معرضة .

وقال عنبرة :

(١) تغلوا : تخونوا . كذا جاءت الرواية في هـ . وفي س : « ألا تغلوا » بحرفة .
 وفي ط : « لا تعقلوا » ، ومعناه لا تأخذوا بدل دمي عقلا . والعقل ، بالفتح :
 الدية . وهي رواية الحماسة وأمالى القالي (٢ : ٢٢٦) ولباب الآداب . وروى في الأمالى
 (٣ : ١٩٠) : « ألا تغلوا » . وفي حماسة البحتري : « ألا يعلوا » تحريف
 رواية هـ .

(٢) الإفال : جمع أفيل ، وهو من أولاد الإبل ما أتى عليه سبعة أشهر أو ثمانية . والأبكر :
 جمع بكر بالفتح ، وهو ولد الناقة . وصعدة : مخلاف من مخاليف اليمن . وجعلت قبره
 مظلماً لما يزعمون من أن المقتول إذا ثاروا به أضاء قبره ، فإن أهدر دمه أو قبلت ديته
 أظلم . التبريزي . وإنما ذكرت الإفال والأبكر ، والديات لا تكون منها ، لما أرادت
 من معنى تحقير الدية .

(٣) جدعتم : قطعتم . أنف : جمع أنف . والمراد : أذلتهم قومكم . ورواية الأمالى :
 « قومه » ، وفي الخزانة : « سيد قومه » .

(٤) بني مازن ، أي يابني مازن . والخزم ، كذا جاء هنا بإعجام الحاء والزاي . وكذا في الأمالى .
 لكن ضبطه صاحب الخزانة بتشديد الزاي المفتوحة والحاء قبلها مهملة . ومهما يكن فهو ،
 كما قالوا — : رجل من بني مازن ، كان له عبد يرعى ، وجلس عبد الله مع بني مازن
 فشرب ، فتغنى ذاك العبد الحبشي بشعر ، فيه تشبيب بامرأة من بني زبيد ، فلطمه عبد الله
 وسبه ، فنادى الحبشي : يا مازن ! فقاموا إلى عبد الله فقتلوه . عن الأمالى والأغاني
 (١٤ : ٢٢) . والرواية في الأغاني :

أبقتل عبد الله سيد قومه بنو مازن أن سب راعي الخزم

(٥) هـ : « لم تغلوا » بحرفة . وروى : « لم تأرأوا واتديتم » و : « لم تغلوا واتديتم » .
 و : « لم تأرأوا بأخيكم » .

وكانما أقصر الإكام عَشِيَّةً بِقَرِيبِ بَيْنِ الْمُنْسِمِينَ مُصَلِّمٌ^(١)
 تأوى له حِزْقُ النِّعَامِ كما أَوَتْ حِزْقُ يَمَانِيَّةٍ لَأَعْجَمَ طَمَطَمٍ^(٢)
 ولو كان عنرة إنما أراد عدم الحجم ، لقد كانت الدنيا له معرضة .
 وقال زهير :

بَارِزَةُ الْفَقَارَةِ لَمْ يَخْنِهَا قِطَافٌ فِي الرِّكَابِ وَلَا خِلَاءٌ^(٣)
 كَأَنَّ الرَّحْلَ مِنْهَا فَوْقَ صَعَلٍ مِنَ الظُّلَمَانِ جُوجُوهَ هَوَاءٍ^(٤)
 أَصْلَكَ مُصَلِّمَ الْأُذُنَيْنِ ، أَجْنَى لَهُ بِالسَّيِّئِ تَنُومٌ وَآءٌ^(٥)

(رد منكر صمم النعام)

قال القوم : فإننا لا نقول ذلك ، ولكن العرب في أمثالها تقول : إِنَّ
 النِّعَامَةَ ذَهَبَتْ تَطْلُبُ قَرْنَيْنِ فَقَطَعُوا أُذُنَيْهَا^(٦) . ليجعلوها مثلاً في الموقِ
 وسوء التدبير . فإذا ذكر الشاعرُ الظَّليمَ ، وذكر أنه مُصَلِّمُ الْأُذُنَيْنِ ،

(١) يقول : كأنما أكر الإكام بظلم قريب بين المنسمين . والمنسم ، كجلس :
 الظفران المقدمان في الحف . وقرب المنسمين مما يجعل الحف صلباً . و « بين »
 تقرأ بالجر . ورواها بعض اللغويين بالنصب على تقدير « ما » ، وهو وجه
 ضعيف .

(٢) سبق شرح هذا البيت في ص ٣٥٩ .

(٣) الفقارة ، بالفتح : واحدة فقار الظهر ، بالفتح أيضاً . آرزة : متداخلة مدبجة .
 س : « يارزة » ، هـ : « الفقارة لم يجبها » ، صوابه في ط وديوان
 زهير ٦٧ واللسان (أرز ، قطف ، خلأ) والمخصص (٧ : ١٦٢) والمقصود
 ٣٨ . والقطاف : اسم من قطفت الدابة تقطف - من يابى ضرب ودخل - :
 أساءت السير وأبطأت . والخلأ ، بالكسر : مصدر خلأت الناقة تخلأ : حرنت
 من غير علة .

(٤) جوجوه هواء : أى صدره فارغ لاقب فيه ، فهو كالمدعور يسرع العدو هرباً .

(٥) الأصك : المتقارب العرقوين . وأجنى الشجر : أدرك . والتنوم والآء : نباتان .

(٦) انظر ما سبق في ٣٢٣ .

فإنما يريد هذا المعنى . فكثير ذلك حتى صار قولهم : مصلم الأذنين ، مثل قولهم صكّاء . وسواء قال صكّاء ، أو قال نعامة ، كما أنه سواء قال خنساء . أو قال مهاة ونعجة وبقرة وظبية ؛ لأن^(١) الظباء والبقر كلها فطس خنس . وإذا سمّوا امرأة خنساء فليس الخنس والفطس يُريدون ، بل كأنهم قالوا : مهاة وظبية . ولذلك قال المسيّب بن علس^(٢) في صفة الناقة :

صكّاء ذعلبة إذا استقبلتها حرج إذا استدبرتها هلواع^(٣)

فتفهّم هذا البيت ، فإنه قد أحسن فيه جدًا .

والصكّاء في الناس ، والاصطكاك في رجل الناقة عيب^(٤) . فهو لم يكن ليصفها بما فيه عيب^(٥) ، ولكنّه لا يفرق بين قوله [صكّاء ، وبين

(١) من مبدا : « قال صكّاء » إلى هنا ، ساقط من هـ .

(٢) المسيّب ، كعظم ، بهذا ضبطه صاحب القاموس والأنباري في شرح المفضليات ٩٢ ، جاء فيها : قال مؤرج : إنما لقب زهير بن علس بالمسيّب ، حين أوعد بني عامر بن ذهل ، فقامت له بنو عامر بن ضبيعة : قد سيناك والقوم ! وضبطه صاحب الخزائن بصورة اسم الفاعل . واسمه زهير بن علس كما تقدم . وهو جاهل لم يدرك الإسلام . انظر الخزائن (٣ : ٢١٧ سلفية) .

(٣) الذعلبة ، بكسر الهمزة واللام : الناقة السريعة . والحرج : الجسم الطويلة . والهلواع : ذات النزق والخفة . وهكذا ورد البيت في الأصل : وصواب إنشاده ، كما في اللسان (ملح) والمفضليات ١٦ :

صكّاء ذعلبة إذا استدبرتها حرج إذا استقبلتها هلواع
إذ أن جسامتها وطولها ونزقها ، إنما تبين عند الاستقبال . وقبل
هذا البيت :

قتل حاجتها إذا هي أعرضت بخيصة سرح اليمين وساع
(٤) كذا في ط . وفي س : « واصطكاك رجل الناقة » . وفي هـ : « واصطكاك رجل الناقة » . وهذه محرفة .
(٥) كذا على الصواب في ط ، س . وفي هـ : « فلم يكن يصفها » . الخ .

تَقُولُهُ (١) [نعامة (٢) ، وكذلك لا يفرقون بين قولهم : أعلم ، وبين قولهم :

بَعِيرٌ (٣) . قال الراجز :

إِنِّي لِنِ أَنْكَرَ أَوْ تَوَسَّماً أَخُو خَنَائِرَ يَقُودُ الْأَعْلَمَا (٤)

كأنه يقول : يقودُ بعيراً . وهو كقول عنزة :

وَحَلِيلِ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجْدَلًا تَمْكُو فَرِيصَتُهُ كَشِدْقِ الْأَعْلَمِ (٥)

(ردّ مدعى الصّم)

فَقَالَ مَنْ ادَّعَى لِلنَّعَامِ الصَّمَّ : أَمَّا قَوْلُكُمْ : مِنَ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ النُّعَامَ

تَسْمَعُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

* تَدْعُو النَّعَامُ بِهِ الْعِرَارُ (٦) *

وقوله :

مَتَى مَا تَشَأْ (٧) تَسْمَعُ عِرَارًا بِقَفْرَةٍ يَجِيبُ زِمَارًا كَالْبِرَاعِ الْمُثْقَبِ

وقوله (٨) :

أَنْتِ نَبَاءَةٌ وَأَفْزَعُهَا الْقَنْصُ عَصْرًا وَقَدْ دَنَا الْإِنْسَاءُ

فليس ذلك أراد . وقد يراك الأخرسُ مِنَ النَّاسِ — والأخرسُ أصمٌ —

(١) . ليست هذه الزيادة بالأصل . وبها يلتئم الكلام .

(٢) . هذه ساقطة من س .

(٣) . في الأصل : « نعم » . تحريف ، انظر له السطر الرابع .

(٤) . الخناير : الدواهي . والرجز رواه الجاحظ مرة أخرى في (٦ : ٤١٢) .

(٥) . انظر ما أسلفت من شرح هذا البيت ونقده في (٣ : ٣٠٩) . هـ : « وحليل » بالخاء المعجمة .

(٦) . سبق البيت بتمامه في ٣٨٥ برواية أخرى .

(٧) . في الأصل : « متى تأتينا » . وصوابه مما سبق في ٣٨٥ .

(٨) . هو الحارث بن حلزة اليشكري ، من معلقته . وانظر ص ٣٨٩ .

فيُعرف ماتقول ، بما يرى مِنْ صُورَةِ حَرَكَتِكَ^(١) ، كما يعرف معانيك من إشارتك ، ويدعوك ويطلبُ إليك بصوتٍ ، وهو لم يسمعْ صوتك قطُّ فيقصدُ إليه ، ولكنه يريد تلك الحركة ، وتلك الحركة تولّد الصوت ، أرادَه هو أو لم يردَه^(٢) . وَيُضْرَبُ فيصيح ، وهو لم يقصدُ إلى الصّياح ، ولكنه متى أدار لسانَه في جَوْبَةٍ^(٣) الفم بالهواء الذي فيه ، والنفس الذي يُحضِرُه جَماع الفم^(٤) ، حدث الصوت . وهذا إنما غايته الحركة فيعرف صورة تلك الحركة .

والآخرس يرى^(٥) النَّاس يصفقون بأيديهم ، عند دعاء إنسانٍ ، أو عند الغضب والحدِّ^(٦) ، فيعرف صورة تلك الحركة ؛ لطول ترّدادها على عينيهِ ، كما يعرف سائر الإشارات . وإذا تعجّبَ ضربَ يديهِ كما يضربون . فالتّعامّة تعرف^(٧) صورة إشارة الرّثلان وإرادتها ، فتعقل^(٨) ذلك ، وتجاوبها بما تعقل عنها من الإشارة [والحركة] ، وغدت^(٩) لحركتها أصواتٌ . ولو كانا يسمعان لم تزد حالهما^(١٠) في التفاهم على ذلك .

(١) في الأصل : « حركة » .

(٢) س ، هـ : « أم لم يردَه » .

(٣) الجوبة : الحفرة . والمراد باطن الفم . س : « حوجة » . ط ، هـ : « حوجة » ، وأثبت ما سبق في مثل هذا الموضع في (١ : ٧٠) مطابقاً لما في نسخة كوبريلي .

(٤) الجماع ، كerman : مجتمع الأصل .

(٥) ط : « والآخرس من يرى » . هـ : « والآخر من يرى » ، صوابهما ما أثبت من س .

(٦) الحد ، بفتح الحاء : الحدّة والغضب . وفي الأصل ، « الجد » بالجيم ، محرف .

(٧) ط : « تعرق » ، صوابه في س ، هـ .

(٨) س : « فتفعل » ، صوابه في ط ، هـ .

(٩) س : « ويحدث » .

(١٠) س : « حالتهما » .

(شَمُّ النِّعَامَةِ)

والعرب تقول : « أَشَمُّ مِنْ نِعَامَةٍ » و : « أَشَمُّ مِنْ ذَرَّةٍ » . قال الزجاج :

* أَشَمُّ مِنْ هَيْقٍ وَأَهْدَى مِنْ جَمَلٍ^(١) *

وقال الحرّمازى ، فى أرجوزته :

* وهو يَشْتَمُّ اشْتِمَامَ الهَيْقِ^(٢) *

قال : وأخبرنا ابن الأعرابى أن أعرابياً كلم صاحبته ، فرآه لا يفهم عنه

ولا يسمع كلامه فقال : « أَصْلَخُ كَصَلَخِ^(٣) النِّعَامَةِ ! »

(شَمُّ الْفَرَسِ وَالذُّئْبِ وَالذَّرِّ)

وقد يكون الفرسُ فى الموكب وخلفه ، على قاب غلوتين ، حَجْرٌ أو

رَمَكَةٌ^(٤) ، فَيَتَحَصَّنُ^(٥) تحتَ رَاكِبِهِ ، من غير أن تكونَ صَهْلَتٌ :

والذُّئْبُ يَشْتَمُّ وَيَسْتَرُوحُ مِنْ مِيلٍ ، وَالذَّرَّةُ تَشْتَمُّ مَا لَيْسَ لَهُ رِيحٌ ، مِمَّا

لَوْ وَضَعْتَهُ عَلَى أَنْفِكَ مَا وَجَدْتَ لَهُ رَائِحَةً وَإِنْ أُجِدَّتِ التَّشْتُمُ ، كَرَجُلٍ

(١) سبق هذا البيت فى ١٣٣ . والهيق ، بالفتح : الظليم . وأهدى ، من الهداية . وذلك أنه يعرف مكان الماء فى الصحراء ، فيعجه إليها بنفسه .

(٢) سبق البيت فى ١٣٣ .

(٣) الصلخ ، بالتحريك : الصمم وذهاب السمع . والوصف منه أصلخ . قال :

لَوْ أَبْصَرْتَ أَبْكُمْ أَعْمَى أَصْلَخَا إِذَا لَسِمَى وَاهْتَدَى أَنَى وَخَى

وفى اللسان : « وَإِذَا دَعَى عَلَى الرَّجُلِ قِيلَ : صَلَخًا كَصَلَخِ النِّعَامَةِ ! » . ط :

« أَصْلَمُ كَصَلَمٍ » ، صوابه فى س ، ه .

(٤) الحجر ، بكسر الحاء : الأنثى من الخيل . والرَمَكَةُ ، بالتحريك : البرفونة . تتخذ للنسل .

(٥) يتحصن : تبدو منه أمارات الذكورة . وقد سبق نحو هذا التعبير فى (٢ : ١٤١ س ٨) .

ط ، س : « فَيُشَخِّصُ » وليس بذلك . والأوفق ما أثبت من ه والبيان (٢ : ٢٥٧) .

الجرادة تَنْبِذُهَا^(١) من يدك في موضعٍ لم ترفيه ذرة قط ، فلا تلبث أن ترى
الذرة إليها كالحيط الأسود الممدود .

وقال الشاعر ، وهو يصف استرواح الناس :

وجاء كمثل الرّأل يتبع أنفه^(٢) لعقبه من وقع الصّخور قعاقع^(٣)
فإن الرّأل يشتم^(٤) رائحة أبيه وأمه والسّبع والإنسان من مكان بعيد .
وشبهه به رجلاً جاء يتبع الريح فيشتم .

(استطراد لغوى)

وقال الآخر :

والمرء لم يغضب لمطلب أنفه أو عرسه لكريمة لم يغضب^(٥)
ومطلب أنفه : فرج أمه ؛ لأنّ الولد إذا تمت أيامه في الرحم ، فلا
مكانه^(٦) وكرهه ، وضاق به موضعه ، فطلب بأنفه موضع المخرج ممّا
هو فيه من الكرب ، حتّى يصير أنفه ورأسه على فم الرحم ، تلقاء فم المخرج .
فالأناء^(٦) والمكان يرفعانه في تلك الجهة ، والولد يلتبس تلك الجهة بأنفه

(١) نبذ ، من باب رمى : بمعنى ألق ورمى . ط : هـ : « ينفذها » ، صوابه في س وفي أمثاله
الميداني (١ : ٣٥١) حيث نقل كلام الجاحظ ولم يصرح بذلك .

(٢) الرأل : فرخ النعام . هـ : « لعقبه » محرفة .

(٣) س : « يشم » .

(٤) كذا جاء . وروى صدره في كنايات الجرجاني ٢٧ : « من كان لا يغضب لمطلب
أنفه » ، وكنايات الثعالبي ٧ : « وإذا الكريم أضاع مطلب أنفه » ، واللسان
(أنف) : « وإذا الكريم أضاع موضع أنفه » . وعجزه عند الجرجاني « من
أمه أو عرسه » ، والثعالبي : « أو عرسه لكريمة » أي كما عند الجاحظ . واللسان :
« أو عرضه لكريمة » .

(٥) قلاه ، كرماء ورضيه ، قلى وقلاءً ومقلية : أبغضه وكرهه غاية الكرامة .

(٦) الأناء ، بالفتح : أن يحين الشيء .

ولولا أنه يطلبُ الهواءَ من ذاته ، ويكرهُ مكانَهُ من ذاته ، ثم خرج إلى عالمٍ آخرَ بخلافِ عالمه الذي رُبِّي فيه ، لماتَ ؛ كما يموت السمكُ إذا فارقه الماء . ولكنَّ الماءَ لما كانَ قابلاً لطباعِ السمك [غاذياً^(١)] لها ، والسمكُ^(٢) [مريداً له ، كان في مفارقتهِ له عطْبُهُ . وكان في مفارقة الولد لجوفِ البطن واغتذائه فضلاتِ الدَّم ، [مَلاً يَنْقُضُ^(٣)] شيئاً من طباعهِ وطباعِ المِكان الذي كان له مرَّةً مَسْكناً . فلذلك قال الشاعر الجاهلي :

والمرءُ لم يغضب لمطلبِ أنفه أو عِرسه لكريةٍ لمْ يغضبِ^(٤)

يقول : متى لم يَحْمِ فرجَ أمِّه وامراته ، فليس يَمُنَّ يغضب من شيء

يؤول إليه .

(قول المتكلمين في صمم الأخرس)

١٣٠ وزعم المتكلمون أنَّ الأخرسَ أصمٌ ، وأنه لم يُوتَ من العجز عن المنطق لشيءٍ في لسانه ، وليكنَّه إنما أتى في ذلك ؛ لأنه حين لم يسمع صوتاً قطُّ ، مؤلفاً أو غير مؤلف ، لم يعرف كيفيته فيقصدَ إليه . وأنَّ جميع الصُّمِّ ليس فيهم مُصَمَّت^(٥) ، وإنما يتفاوتون^(٦) في الشَّدَّةِ واللَّيْنِ ، فبعضهم يسمع الهدَّة والصَّاعقة ، ونهيق^(٧) الحمار إذا كان قريباً منه ،

(١) س : « عارها » صوابه في هـ .

(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) ليست بالأصل : وبمثلها يتم الكلام .

(٤) سبق هذا البيت في ٤٠٣ . وموضع عجزه في كل من ط ، هـ كلمة : « البيت » .

(٥) مصمت : أي تام الصمم خالصه .

(٦) في الأصل : « يتقاربون » .

(٧) ط ، هـ : « ونهيق » ، وإنما النهيق للغراب واليوم . وصوابه في س .

والرَّعد الشديد ، لا يسمعُ غير ذلك . ومنهم من يسمع السرار^(١) ، وإذا رفعت له الصَّوت لم يسمع . ومتى كلَّمته وقرت الشَّكَاية^(٢) في أذنه ، فهم عنك كلَّ الفهم . وإن تكَلَّمْتُ على ذلك المقدار في الهواء ، ولم يكن ينفذ في قناة تحصره وتجمعه ، حتَّى تُؤدِّيَه إلى دماغه - لم يفهمه .

فالأصمُّ في الحقيقة إنَّما هو الأخرس ، والأخرس إنَّما سُمِّي بذلك على التشبيه والقراية . ومتى ضربَ الأصمُّ من النَّاس إنساناً أو شيئاً غيره ، ظنَّ أنه لم يبالغ ، حتَّى يسمع صوت الضربة . قال الشاعر^(٣) :

أشارَ بهم لَمَعَ الأصمُّ فأقبلوا عرَّانين ، لا يأتيه للنَّصر مُخلِبٌ^(٤)
وقال الأسديُّ :

وأوصيكمُ بطِعَانِ الكَمَاةِ فَقَدْ تعلمونَ بأنَّ لا خلُوداً^(٥)

(١) السرار ، بالكسر : مصدر ساره يساره : حدثه في أذنه .

(٢) كذا في ط . وفي س : « وطرت السكابة » ، هـ : « وطرت الشكاية » .

(٣) هو بشر ، كما في اللسان (صمم) . يعني بشر بن أبي خازم . وهو شاعر جاهل قديم . وبشر بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة . وخازم بالخاء والزاي المعجمتين . الخزانة (٤ : ٣٣٦ سلفية) .

(٤) في اللسان : « ويقال للنذير إذا أنذر قوما من بعيد ، وألح لهم بثوبه : ألح بهم لمع الأصم . وذلك أنه لما كثرت إلماعه بثوبه كان كأنه لا يسمع الجواب ، فهو يديم اللع » . وعرانين الناس : وجوههم وسادتهم وأشرفهم ، أخوذ من عرَّنين الأنف ، وهو رأسه . والمخلب : من يعين المرء من غير قومه . يقول : هو لا يعينه أحد من غير قومه . في الأصل : « مخلب » وتصحيحه من اللسان (حلب) . ويروى أيضاً : « مجلب » بالجيم ، كما في اللسان (صمم) . وفي اللسان (جلب) : « وأجلبه : أعانه » . والرواية بالخاء المهملة أجود وأصح . وقبل البيت :

وينصره قوم غضاب عليكم متى تدعهم يوما إلى الروع يركبوا

(٥) رواية اللسان (صمم) : « فأوصيكم » . وقبل هذا البيت :

فأبلغ بني أسد آية إذا جثت سيدهم والسودا

وَضَرْبُ الْجَمَاجِمِ ضَرْبُ الْأَصِّ مَّ حَنْظَلٌ شَابَةٌ يَجْنَى الْهَبِيدَا^(١)
وقال الهذلي^(٢) :

فَالطَّعْنُ شَغْشَغَةٌ وَالضَّرْبُ مَعْمَعَةٌ ضَرْبُ الْمُعْوَلِ تَحْتَ الدِّيمَةِ الْعَصْدَا^(٣)
وإنما جعله تحت الدِّيمَةِ ؛ لأنَّ الأغصانَ والأشجارَ تصيرُ الدَّنَّ
وأَعْلَكَ ، فيحتاج الذي يضربُ تلكَ الأصولَ قبلَ المطرِ ، إلى عشرِ ضَرْبَاتٍ
حتى يقطعَ ذلكَ المضروبَ ؛ فإذا أصابه المطرُ احتاجَ إلى أكثرَ من ذلك .

(١) وضرب الجماجم : أى وأوصيكم بضرب رؤوس الأعداء . والأصم الذى عنى ، هو الظليم
من النعام . وشابة : موضع بتجد . وفى الأصل : « شانه » ، وصوابه من اللسان (شوب
وصم) . والهبيد : حب الحنظل ، وهو أحب طعام إليه . وفى الأصل : « الوليدا »
وهو تحريف . وفى اللسان : « هيدا » .

(٢) هو عبد مناف بن ربيع الجربى ، شاعر جاهلى من شعراء هذيل . و (ربيع) بكسر الراء
بعدها باء موحدة ساكنة . والجربى ، كقريش : نسبة إلى جريب ، كقريش ، وهو
بطن من هذيل . والبيت من قصيدة ذكر قصتها البغدادى فى الخزانة (٣ : ١٧٢ بولاق)
وهى اثنا عشر بيتا . وقد نسب صاحب العمدة : (١ : ٢٠١) البيت إلى أبى كبير
الهذلى . وليس بذلك . وقد نسب العسكرى فى ديوان المعانى (٢ : ٥٥) إلى عبد
مناف بن ربيع . صوابه « ربيع » كما فى الخزانة واللسان (شغشغ ، هقع ، عول ،
عصد) . وفى اللسان (عول) : « قال ابن برى : الصحيح أن البيت لساعدة بن
جؤية الهذلى » .

(٣) الشغشغة بغينين معجمتين : تحريك السنان فى المطعون ليتمكن منه . وفى الخزانة :
« شغشغة » . وفى الأصل وديوان المعانى : « شعشة » ، وهما تحريف ما أثبت من اللسان
والتخصص (٥ : ١٣٥) والعمدة . والمعنة : شدة الحرب والجد فى القتال . والمعنة
أيضاً : الدمشقة ، وهى عمل فى عجل . ط ، هـ : « مقعة » وأثبت ما فى س . والرواية
فى جميع المصادر : « هيقة » . والهيقة : صوت السيوف . والمعول ، بكسر الواو
المشددة : الذى يتخذ العالة ، وهى شجر يقطعه الراعى أو الراعى فيستظل به من المطر .
العصد ، بالتحريك : ما قطع من الشجر .

(تحقيق معنى شعري)

وأنشدني يحيى الأغر^(١) :

كَضَرْبِ الْقَيُونِ سَبِيكَ الْحَدِيدِ يَوْمَ الْجَنَائِبِ ضَرْباً وَكَيْدًا^(٢)
فلم أعرفه ، فسألتُ بعضَ الصَّيَاقِلَةِ فقال : نعم ، هذا بَيِّنٌ معروف .
إِذَا أَخْرَجْنَا الْحَدِيدَةَ مِنَ الْكَبِيرِ فِي يَوْمِ شَمَالٍ^(٣) ، واحتاجت في القطع
إلى مائة ضربة ، احتاجت في قطعها يومَ الجنوب إلى أكثر من ذلك ،
وإلى أشد من ذلك الضرب ؛ لأنَّ الشَّمالَ يُبَسِّسُ وَيَقْصِفُ ، والجنوب
يَرْطُبُ وَيَلْدُنُ .

(الأخرس)

والإنسان أبداً أخرسٌ ، إذا كان لا يسمع ولا يتبين الأصوات التي
تخرج من فيه ، على معناه^(٤) . ويقال في غير الإنسان ، على غير ذلك .
قال كثير :

أَلَمْ تَسْأَلِ يَا أُمَّ عَمْرٍو فَتُخْبِرِي سَلِمْتَ وَأَسْقَاكَ السَّحَابُ الْبَوَارِقُ ١٣١
بُكْيَا لَصَوْتِ الرَّعْدِ خُرْسٌ رَوَائِحِ وَنَعْقٍ وَلَمْ يُسْمَعْ لَهُنَّ صَوَاعِقُ^(٥)

(١) هـ : « الأغر » .

(٢) القيون : جمع قين ، بالفتح ، وهو الحداد . والجنائب : جمع جنوب ، وهي الرياح التي
تقابل الشمال . والوكيد : الشديد الصائب .

(٣) أي يوم ربيع شمال .

(٤) أي على المعنى الحقيقي للأخرس .

(٥) هـ : « روائج » بدل : « روائح » . ونعق ، كذا وردت . وانظر ديوان كثير (١ : ١٤٠)

وتقول العرب : « ما زلت تحت عين خرساء » . والعين : السحابة
تبقى ألياماً تمطر . وإذا كثرت ماؤها وكثُف ، ولم يكن فيها مخارق لم
تمدح ببرد (١) .

(سرعة الضوء وسرعة الصوت)

ومتى رأيت البرق سمعت الرعد بعد . والرعد يكون في الأصل قبله
ولكن الصوت لا يصل إليك في سرعة البرق ؛ لأن البارق والبصر أشد
تقارباً من الصوت والسمع . وقد ترى الإنسان ، وبينك وبينه رحله فيضرب
بعضاً إما حجراً ، وإما دابةً ، وإما ثوباً ، فترى الضرب (٢) ثم تمكث وقتاً
إلى أن يأتيك الصوت .

(السحابة الخرساء)

فإذا لم تصوت السحابة لم تبشر بشيء ، و [إذا (٣)] لم يكن لها رز (٤)
سميت خرساء .

(الصخرة الصماء)

وإذا كانت الصخرة في هذه الصفة سميت صماء . قال الأعشى :
وإذا تجيء كتيبة ملومة
مكروهة يخشى الكمأة نزالها
وعلى غير هذا المعنى قال كثير :
كأنى أنادى صخرة ، حين أغرضت ،
من الصم لو تمشى بها العضم زلت

(١) انظر الاستدراكات .

(٢) س : « الضربة » .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) الرز ، بالكسر : الصوت تسمعه من بعيد ، أو الصوت مطلقاً .

ومن هذا الشكل قولُ زهير :

وتَنُوفَةٌ عَمِيَاءٌ لَا يَجْتَازُهَا إِلَّا الْمَشِيعُ ذُو الْفُؤَادِ الْهَادِي^(١)
قَفَرٍ هَجَعْتُ بِهَا ، وَلَسْتُ بِنَائِمٍ ، وَذِرَاعُ مُلْقِيَةِ الْجِرَانِ وَسَادِي^(٢)
وَوَقَعْتُ بَيْنَ قُتُودِ عَنَسٍ ضَامِرٍ لِحَاظَةِ طَفْلِ الْعَشِيِّ سِنَادِ^(٣)
فَجَعَلَ التَّنُوفَةَ عَمِيَاءَ^(٤) ، حِينَ لَمْ تَكُنْ بِهَا أُمَارَاتُ .

(الزَّيَابَةُ)

ودَابَّةٌ يُقَالُ لَهَا الزَّيَابَةُ^(٥) ، عَمِيَاءٌ [صَمَاءٌ^(٦)] ، تُشَبِّهُ الْفَأْرَةَ ؛ وَلَيْسَتْ .

(١) المشيع ، بفتح الياء المشددة ؛ الشجاع ؛ لأن قلبه لا يخذله ، فكأنه يشيعه . والفؤاد الهادي : المهتدي ، أو الذي يهدي صاحبه .

(٢) قفر ، يقال أرض قفر ، ومفازة قفر وقفرة أيضاً . فهي مما يوصف به المؤنث ، صفة لتنوفة . والمجوع ، هنا ، بمعنى الاضطجاع ، نوماً كان ، أو غير نوم . المخصص (٥ : ١٠٤) . وملقية الجران ، حتى بها ناقته . ألقت جراتها : وضعت باطن عنقها على الأرض ، تستريح بذلك . ومثل هذا البيت في معناه قول الآخر (الخزائن ٤ : ٨٠ بولاق) :

يأرب سار بات ماتوسدا إلا ذراع العنس أو كف اليدا

(٣) القتود : جمع قتد ، بالتحريك ، وهو أداة الرجل . والعنس ، بالفتح وبالنون الساكنة : الناقة الصلبة . ووقعت ، هنا ، كأنه من الوقعة ، بالفتح : وهي النوم في آخر الليل . وطفل العشي : آخره عند غروب الشمس واصفرارها . وإنما تسكّر اللحظ في ذلك الوقت . لما يداخلها من الحنين إلى ولدها ، فتتجمل الأوبة ويظهر نشاطها . والسناد ، بالسكون : الشديدة الخلق ، قال ذو الرمة :

بحالية حرف سناد يشلها وظيف أزج الخطو ظمآن سهوق

وفي الأصل : « سنادي » ، والوجه ما أثبت .

(٤) في الأصل : « عيبا » ، تحريف .

(٥) الزيابة بفتح الزاي ، بعدها باء موحدة . ط ، س : « الزيابة » هـ : « الزيابة » ، صوابهما ما أثبت .

(٦) ليست بالأصل . وأثبت ماتقتضيه المقارنة الآتية .

بالخلد ؛ لأنَّ الخُلْدَ أعمى وليس بأصم .

والزَّبَابُ^(١) يكون في الرَّمْل .

وقال الشاعر^(٢) :

وَهُمْ زَبَابٌ حَائِرٌ لَا تَسْمَعُ الْآذَانُ رَغْدًا^(٣)

(الأعمى من ولد الحيوان)

وكلُّ مولودٍ في الأرض يُولد أعمى ، إن كان تأويل العمى^(٤) أنه

لا يُبصر إلا بعد أيام . فنه ما يفتح عينيه بعد أيامٍ كالجُرْوِ^(٥) ؛ إلا أولادَ

الدجاج ؛ فإنَّ فراخها تخرجُ من البيض كاسية كاسية .

(شعر فيه محجون)

وقال أبو الشَّمَقِ - وجعل الأثر أعمى أصمٌ على التشبيه - فقال :

فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَاتَرَ الطَّرْفِ ضَبَاحِكًا وَصَوْتُ لَهُ بِالْحَارِثِ بْنِ عُبَادٍ

(١) ط ، هـ : « الزباب » ، صوابه في س .

(٢) هو الحارث بن حلزة ، كما في عيون الأخبار (٢ : ٩٥ - ٩٦) :
واللسان (زب) .

(٣) أى لا تسمع آذانهم صوت الرعد . والبيت محرف في الأصل س ، هـ : « فهو
زباب » ط : « فهو ذباب » ، وفي الجميع : « لا يسمع » و هـ : « الأذائل »
مكان : « الآذان » وأثبت صحة الرواية من الحيوان (٥ : ٢٦٠) وحيون
الأخبار واللسان .

(٤) س : « أعمى » . هـ : « لعمى » وهذه محرفة . وأثبت ما في ط .

(٥) الجرو ، مثله : ولد الكلب والأسد والسباع . ط ، هـ : « كالجرذ » س :
« كالجرذ » ، صوابها ما أثبت . وفي (٢ : ٢٨٨) : « وجرو الكلب يكون أعمى
عشرة أيام وأكثر . وقد يعرض شيبه بذلك لكثير من السباع » .

بأصْلَعٍ مِثْلِ الْجُرُوجِ جَهْمٍ غَضَنْفَرٍ مَعَاوِدِ طَعْنٍ جَائِفٍ وَسِنَادٍ^(١)
أَصَمٍّ وَأَعْمَى يُنْغِضُ اللَّهْرَ رَأْسَهُ يَسِيرُ عَلَى مَيْلٍ بَغِيرِ قِيَادٍ^(٢) ١٣٢

(قول لمن زعم أن النعامة تسمع ، ورد عليه)

و [قال] مَنْ زَعَمَ أَنَّ النَّعَامَةَ تَسْمَعُ : يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ طَرْفَةَ :
هَلْ بِالدِّيَارِ الْغَدَاةُ مِنْ خَرَسٍ أَمْ هَلْ بِرَبْعِ الْجَمِيعِ مِنْ أَنْسٍ^(٣)
سِوَى مَهَاةٍ تَقْرُو أَسْرَتَهُ وَجُودٌ يَرْتَعِي عَلَى كُنُسٍ^(٤)
أَوْ خَاضِبٍ يَرْتَعِي بِهَيْقَلَتِهِ مَتَى تَرُعُهُ الْأَصْوَاتُ يَهْتَجِسُ^(٥)
فَقَدْ قَالَ طَرْفَةُ كَمَا تَرَى :

* مَتَى تَرُعُهُ الْأَصْوَاتُ يَهْتَجِسُ *

وَقَالَ الْآخَرُ : جَوَابُنَا فِي هَذَا هُوَ جَوَابُنَا فِيمَا قَبْلَهُ .

-
- (١) الطعن الجائف : الذى يصل إلى الجوف .
(٢) أنغض رأسه : حركه إلى أسفل وأعلى . فى الأصل : « ينفض » بالفاء ، وأراها محرفة .
ط ، س : « على مهل » ، وأثبت ما فى هـ ، وهو أجود .
(٣) الأنس ، بالتحريك : الحى المقيمون . س : « جرس » موضع : « خرس » تحريف .
(٤) المهابة : البقرة الوحشية . تقرو : تقصد . والأسرة : جمع سر ، بالكسر ، وهو من الوادى : أفضل موضع فيه . والجؤذر : ولد البقرة الوحشية . وفيه مع الهمز لغتان : الجؤذر بضم الجيم والذال ، وبضم الجيم وفتح الذال . وانظر سائر اللغات فى القاموس . والكنس ، بضمين : جمع كناس ، بالكسر ، وهو بيت الوحش كما فى فقه اللغة ٣٠٤ طبع الحلبي . وفى شرح التبريزى للمعلقات ١٣٠ : « وهو شئ يتخذ الظباء ، تجذب أغصان الشجرة ، فتقع إلى الأرض ، فيصير فيها وبين ساق الشجرة مدخل تستظل به » .
(٥) الخاضب : الظليم احمرت ساقاه . يرتعى بهقلته : يرعى مع أنثاه الفتية . يهتجس : فى القاموس : « هجسه : رده عن الأمر فانهجس » . ونحوه فى اللسان . فلعل يهتجس ويهتجس فعلا ن مطاوعان لهجسه ، وإن لم تذكر المعاجم أولها .

(فكاكة)

وروى الهيثم بن عدي ، وسمعه بعض أصحابنا من أبي عبيدة ، قال :
تضارط أعرابيان عند خالد بن عبد الله ^(١) ، أحدهما تميمي والآخر أزدى ،
فضرط الأزدى ضرطة ضئيلة ، فقال التميمي :

حَبَقْتُ عَجِيفًا مُحْتَلًّا وَلَوْ أَنِّي حَبَقْتُ لَأَسْمَعْتُ النَّعَامَ الْمَشْرَدَا ^(٢)
فَرَّ كَمَرُ الْمَنْجَنِيقِ وَصَوْتُهُ يَبْدُ هَزِيمَ الرَّعْدِ ، بَدْءًا عَمْرَدَا ^(٣)

(مَنْ لَقَبَهُ : نَعَامَةً)

وزعم أبو عمرو الشيباني عن بعض العرب ، أن كلَّ عربيٍّ [وأعرابيٍّ]
كان يلقَّب نعامَةً ، فإنما يلقَّب بذلك لشدة صَمَمِهِ . وأنه سأله عن الظليم :
هل يسمع ؟ فقال : يَعْرِفُ بأنفه وعينه ، ولا يحتاج معهما إلى سَمْعٍ .
وَأَنْشَدَنِي :

فَجِئْتُكَ مِثْلَ الْهَقْلِ يَشْتُمُ رَأْلَهُ وَلَا عَرَفَ إِلَّا سَوْفَهَا وَشَمِيمُهَا ^(٤)

(١) هو خالد بن عبد الله القسري .

(٢) للعجيف : المهزول . ولم يذكر في اللسان والقاموس بمادة (عَجَف) . والمحتل ، بالحاء
المهملة بعدها مثلثة مفتوحة : الهزيل . وفي الأصل : « مجتلا » بحرف .

(٣) المنجنيق ، وتكسر الميم : آلة ترمى بها الحجارة ، مؤنثة وقد تذكر ، فارسيها : من
جه نيك ، أي أنما أجودني . يبدُ : يغلب ويفوق . وهزيم الرعد : صوته . والبَدْءُ ،
بالفتح : أصل معناه السيد والشاب العاقل . وبدءا : حال ثانية من ضمير « مر » . ط ،
س : « بدء » هـ : « بداء » محرفتان عما أثبت . والعمرد ، كعملس : الطويل . وانظر
نحو هذا المعنى في (٦ : ٤٦٩) .

(٤) العرف ، بالفتح : الريح طيبة أو غير طيبة . والسوف ، بالفتح : الشم . وفي
ط ، هـ : « شومها » س : « ثومها » . وهما كلمتان محرفتان لا تنبضان بمعنى .
والوجه ما أثبت .

وزعم أَنَّ لَقَبَ بِيهْس^(١) نَعَامَةٌ ، وَأَنَّهُ لَقَبٌ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ فِي خَلْقِ
نَعَامَةٍ ، وَكَانَ شَدِيدَ الصَّمَمِ مَائِقًا^(٢) . فَأَنْشَدَ لَعْدَى بْنُ زَيْدٍ^(٣) :
وَمِنْ حَذَرِ الْأَيَّامِ مَاحِزٌ أَنْفُهُ
قَصِيرٌ وَخَاضَ الْمَوْتَ بِالسَّيْفِ بِيهْسُ^(٤)
نَعَامَةٌ لَمَّا صَرَّعَ الْقَوْمُ رَهْطَهُ تَبَيَّنَ فِي أَثْوَابِهِ كَيْفَ يَلْبَسُ^(٥)
وَقَالَ الْمُتَنَخِّلُ الْهَذَلِيُّ^(٦) ، وَذَكَرَ سَيِّفًا :
مُتَّخَبُ اللَّبِّ لَهُ ضَرْبَةٌ خَدْبَاءُ كَالْعَطِّ مِنْ الْخِذْعِلِ^(٧)

(١) بيهس : رجل من بني قزادة بن ذبيان . وله حديث وقصة في الأغاني (٢١ : ١٢٢ —
١٢٤) ، ونقلها عنه صاحب الخزانة في (٣ : ٢٧٢ — ٢٧٣ بولاق) . وذكره الميداني
في مثل : « ثكل أرامها ولدا » .
(٢) مائقا : أى أحق . والموق بالضم والفتح : الحق . هذا . وقد زعم أبو الفرج أنه إنما
سمى نعامة بقوله :

فَلَا طَرْقَنَ قَوْمًا وَهُمْ نِيَامٌ وَأَبْرُكُنْ بِرُكَّةِ النَّعَامَةِ

(٣) الحق أن قائل الشعر هو المتليس الغسبي ، من قصيدة في ديوانه المخطوط ، وكا في الأغاني
وحاسة أبي تمام (١ : ٢٦٨) والبيحري ١٩ وأمثال الميداني (١ : ١٢٨ ، ٢١٦)
ومروج الذهب (١ : ٢٩٢) والخزانة ، ومعاهد التنصيص (١ : ٢٤٨) . وقد ذكر
الجاحظ البيهسي في البيان (٤ : ١٧) ولم ينسبهما .
(٤) قصة قصير متداولة في الكتب . وانظر المراجع المتقدمة . واسمه قصير بن سعد اللخمي .
ورواية البيان : « ولاقى الموت بالسيف » ، والمروج ، والأغاني ، والخزانة ، والميداني :
« ورام الموت » . رام : طلب .
(٥) المتنخل ، بكسر الخاء المشددة ، اسم فاعل من تنخل ، لقب مالك بن عويمر الهذلي شاعر
من شعراء هذيل . وهو جاهل كما في الخزانة (٤ : ١١٠ سلفية) . وفي الشعراء من
يقال له : (المتنخل السعدي) ذكره الآمدي في المؤتلف ١٧٩ .
(٦) متخَبُ اللَّبِّ : أى متزعزِعُ العقل ، فهو في هوجه كالجنون . ورواية اللسان :
(خذعل) : « تتخَبُ اللَّبِّ » . والخدباء ، بفتح الخاء : الهوجاء . وفي الأصل :
« خدباء » ، تصحيحه من اللسان . كالعط من الخذل : أى كالشق من ثوب الخذل
وهو بكسر الخاء والعين : المرأة الحمقاء ، أو ثياب من آدم يلبسها الرعن =

يقول : هذا السَّيفُ أهْوَجُ لَأَعْقُلُ له . والحَدَبُ^(١) في هذا الموضع :
الهَوَجُ^(٢) ، وتهاوى الشيءُ لَا يَتَأَلَّكُ . ويقال للسَّيفِ : لَا يُبَالِي مَا لَقِيَ ..

(شعر في النعام والتشبيه به)

وقال الأعشى في غير هذا الباب :

كَحَوْصَلَةِ الرَّأْلِ فِي جَرِيهَا إِذَا جُلِيَتْ بَعْدَ إِقْعَادِهَا^(٣)

« كحوصلة الرأل » يصف الخمرَ بالخمرة . جلّيت : أخرجت ؛ وهو ١٣٣

مأخوذ من جَلَوَ العروس القاعدة ، إِذَا قَعَدَتْ عَنِ الطَّلَبِ^(٤) . ومثله
في [غير^(٥)] الخمر قولُ علقمة :

تَأْوَى إِلَى حِسْكِلِ حُمُرِ حَوَاصِلِهِ كَأَنَّهُنَّ إِذَا بَرَّكُنْ جُرْثُومُ^(٦)

وقال الأخنس بن شهاب^(٧) :

تَظَلُّ بِهَا رَبْدُ النِّعَامِ كَأَنَّهُا إِمَاءٌ تُزَجَّى بِالمَسَاءِ حَوَاطِبُ^(٨)

= لتتحل عبثهم وحقهم . ط ، هـ : « الخزعل » صوابه بالذال ، كما في
س ، واللسان .

(١) في الأصل : « الحلب » بالحاء ، صوابه بالمعجمة .

(٢) الهوج ، بالتحريك : الحق والرعوثة . هـ : « الهلج » صوابه ما أثبت من
س ، ط .

(٣) في جريها : أى عند سيلانها وتدفقها من فم الدن . والرأل : فرخ النعام . وحوصالته
حمراء ؛ لتجردها من الريش .

(٤) أى عن أن يطلبها الأزواج .

(٥) ليست بالأصل ، ولا يصح الكلام بدونها .

(٦) سبق هذا البيت وشرحه في ص ٣٦٧ .

(٧) الأخنس بن شهاب ، شاعر جاهلي قبل الإسلام بغير . الخزانة (٣ : ١٦٩ بولاق) .
نقلا عن شرح المفضليات ٤١٠ .

(٨) الربد : جمع أريد وربداء ، وهو ما في لونه غبرة . والإماء : جمع أمة ، بالتحريك .
وهي المملوكة . والحواطب : اللاتي يجمعن الخطب . ونخص المساء ؛ لأن الإماء =

تَرْجِي : تَذْفَعُ^(١) ؛ وذلك أَنَّهُ يَثْقُلُ حِمْلُهَا فَيَمْشِي مِشْيَةَ النَّعَامَةِ .

وقال الرَّاجِزُ^(٢) :

وَإِذَا الرِّيحُ تَرَوَّحَتْ بِعَشِيَّةٍ رَتَكَ النَّعَامُ إِلَى كَثِيفِ الْعَرْفَجِ^(٣)

وَالرَّتْكَ : مَشَى سَرِيعًا . يَقُولُ تَبَادَرُ إِلَى الْكَثِيفِ^(٤) تَسْتَرُ بِهِ^(٥)

مِنَ الْبَرْدِ . وقال :

• رَتَكَ النَّعَامَةِ فِي طَرِيقِ حَامٍ^(٦) •

= المحتطبات يرجعن فيه إلى أهاليهن وقد أعين ، فهن يمشين على تودة . انظر شرح :
المفضليات . ورواية المفضليات : « بالمشي » مكان : « بالمساء » .

(١) في الأصل : « ترفع » ، صوابه من اللسان وشرح المفضليات ٤١١ . ويرى :
« تَرْجِي » بنزع إحدى التامين .

(٢) كذا ، وصوابه : « الشاعر » . وهو الحارث بن حلزة البشكري ، من قصيدة مفضلية .
٢٥٥ أولها :

طرق الخيال ولا كليله مدح مدحا بأرحلنا ولم يتمرج
(٣) كذا أنشد الجاحظ هذا البيت . وتفسيره الآتي يشهد لصحة هذا النص عنده هو ،
وكذا صحة ما ضبطت به البيت . لكن صواب الرواية والضبط ، هو كما في
المفضليات ٥٢٦ :

وَإِذَا اللَّقَاحُ تَرَوَّحَتْ بِعَشِيَّةٍ رَتَكَ النَّعَامُ إِلَى كَثِيفِ الْعَرْفَجِ .

وبعده :

أَلْفَيْتَنَا لِلضَّيْفِ خَيْرَ عِمَارَةٍ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَبَنٌ فَعَطْفُ الْمَدْمَجِ .

اللقاح : الإبل ، وأحدما لقوح ، بالفتح . تروحت بعشية : سارت في آخر
النهار راجعة إلى مأواها . رتك النعام : أى مثل رتك للنعام . والرتك ، بالفتح
والتحريك : مقاربة الخطو . والكثيف : الملتف . وأما الكثيف ، بالنون ، فهو حظيرة .
تعمل من شجر تأوى إليها الإبل . والعرفج : شجر .

(٤) س : « الكثيب » محرف . وفي الكلام نقص ، لعله « الكثيف من العرفج » .

(٥) س : « تستر به » . ولعلها صحيحة . وقالوا : انعرب الوحشي : دخل في كناه .

(٦) طريق حام : أى حى رمله مما ضربت فيه الشمس . وهو أشد لرتك النعامة .

(استقبال الظليم للريح)

وليسَ لقولٍ مَنْ زعمَ أنَّ الظليم إذا عدا استقبلَ الرِّيحَ [وإنما ذلك
تخافةً أن تكونَ الرِّيحُ من خلفه فتسكبته ^(١) - معنىً ؛ لأننا نجدُهم يصفون
جميع ما يستدعونهُ ^(٢) باستقبال الرِّيحِ] . قال عبدة بن الطيب ، يصف
الثور :

مستقبل الرِّيحِ يهفُو وهو متركٌ لسانهُ عن شمالِ الشَّدقِ مَعْدُولُ ^(٣)
ووصف الذَّيْبَ طُفيلُ الغنَوَى ، فقال :

كسيدر الغضا العادي أضلَّ جراءةً على شرفٍ مُستقبلِ الرِّيحِ يلحَب ^(٤)

(١) تسكبته : تصرعه لوجهه ، كبته يكبته كبناً فانكبث . ومن ذهب هذا المذهب
شارح ديوان طفيل ص ٢٣ قال : « وكل دابة أو ضامر إذا جرت استقبلت الريح ،
لأنها إذا استدبرتها كسبتها وألقها » .

(٢) كذا بالأصل . ولعلها : « يستسرعونهُ » ، أى يعدونه سريعاً . وقد علل الأمر
صاحب اللسان بقوله : « وامتخر الفرس الريح واستمخرها : قابلها بأنفه ؛
ليكون أروح له » .

(٣) يهفو : يشتد عدوه . قال بشر بن أبي خازم يصف فرساً :

يُشَبِّهُ شَخْصُهَا وَانْحِيلُ تَهْفُو هُفُوءًا ظِلٌّ فَتَخَاءُ الْجَنَاحِ

وابترك : انتحى على أحسد شقيه في عدوه . ط : ه : ه مشتبك « س :
« مشترك » صوابهما من المفضليات ١٤٠ . والشَّدقُ هـ في س : « السدق » هـ :
« السدف » صوابهما في ط والمفضليات . وأول البيت في كل من ط ، هـ :
« يستقبل » وأثبت رواية س والمفضليات .

(٤) اليد ، بالكسر : الذئب . والغضا : نيت تاجاً إليه الذئاب . وذئاب الغضا
أخبت الذئاب . ط : « العاوى » هـ : « العارى » ، صوابهما في س . ورواية الديوان :
« الغادى » . أضلَّ جراءة : فقد أولاده ، فهو يسرع في عدوه مجتهداً لبيح
عنها . والشرف : الأرض العالية . ورواية الديوان : « عللاً شرفاً » . يلحَب : =

(استطراد)

ويُلْحَق^(١) بموضع ذكر الضرب الشديد ، قولهم في المثل : « ضَرْبَنَاهُمْ
ضَرْبَ غَرَائِبِ الْإِبِلِ » . قال أبو حية :

جَدِيرُونَ يَوْمَ الرَّوْعِ أَنْ يَخْضِبُوا الْقَنَا

وَأَنْ يَتْرَكُوا السَّكْبَشَ الْمُدْجَجَ ثَاوِيَا^(٢)

ضَرْبَنَاهُمْ ضَرْبَ الْحَسَامِ غَرَائِبِ

وإذا جاءك عطاشا لعسا حراراً ضواريًا^(٣)

وإذا جاءت عطاشاً قد بلغ منها العطش واليبس ، قيل : جاءت نَصِلٌ

= يمر مرا سريعاً . وفي الأصل : « يلهث » ، ضوايه ما أثبت . والبيت من قصيدة بائية
لطفيل ، أولها :

تَأْوَبَنِي هَمٌّ مِنَ اللَّيْلِ مُنْصِبٌ وَجَاءَ مِنَ الْأَخْبَارِ مَا لَا أَكْذِبُ

وهو قد نمت بالبيت الذي أنشده الجاحظ فرسا شبهه بالذئب . وقبل البيت :

كَأَنَّ عَلَى أَعْرَافِهِ وَلِجَامِهِ سَنَا ضَرَمَ مِنْ عَرْفَجٍ يَتْلَهُبُ

«(١) الكلام من هنا إلى قوله في الصفحة الآتية : « وزعم ابن أبي العجوز » ، استطراد
من الجاحظ لاملاقة له بالكلام السابق .

«(٢) القنا : الرماح . يخضبونها : أى يلعاء الأعداء . والسكبش : القائد ، أو الرئيس .

المدجج : ذو السلاح . ثاويا : مقتولا . هـ : « الكيس » س : « الكيس »

س ، هـ : « المحدد » مكان : « المدجج » ، هـ : « قاويا » . وصواب
رواية البيت من ط .

«(٣) هذا البيت ساقط من س . هـ : « وإذا جاءت » . وهو كلام محرف بشياً ،

لم أجد له مرجعاً يعين على تحقيقه .

أجوافها صليلا . قال الراعي :

فَسَقَوْا صَوَادِي يَسْمَعُونَ عَشِيَّةً لِّلْمَاءِ فِي أَجْوَافِهِنَّ صَلِيلًا

قال : وأنشدنا أبو مَهْدِيَّة ، لمزاحم العُقَيْلِي (١) :

غَدَتُ مِنْ عَلَيْهِ بَعْدَ مَا تَمَّ ظِمُّوْهَا تَصِيلٌ ، وَعَنْ قَيْضِ بَزِيرَاءَ مَجْهَلٌ (٢)

قال : الزِّرَاءُ (٣) : المكان الغليظ .

وقال آخر (٤) :

أَلَمْ تَعْلَمْ يَ أُمَّ حَسَّانَ أَنَّنِي إِذَا عَبْرَةٌ نَهْنَهْتُهَا فَتَجَلَّتْ (٥)

١٣٤ رَجَعْتُ إِلَى صَدْرِ كَجَرَّةٍ حَنْمٍ إِذَا قُرِعَتْ صِفْرًا مِنَ الْمَاءِ صَلَّتْ (٦)

(١) هو مزاحم بن عمرو ، شاعر بلوى إسلامي ، صاحب قصيد ورجز ، كان في زمن جرير والفرزدق ، وكان جرير يصفه ويقرظه ويقدمه . الأغاني (١٧ : ١٥٠) .

(٢) أى أقامت مع فرخها حتى عطشت وطلبت الماء ، فطارت لذلك عند تمام ظمها . والظم ، بالكسر : ما بين الشربين أو الوردتين . وروى في الكامل والمختصر (١٤ : ٥٧) : « تم خمسا » . وهو بالكسر : ورود الماء في كل خمسة أيام . قال أبو حاتم : ولم يرد أنها تصبر عن الماء خمسة أيام ، إنما هذا للإبل لا للطير ، ولكنه ضربه مثلا . ابن السيد في الاقتضاب ٢٤٨ . وقد تكلم كثير من العلماء في هذا البيت ، في دخول : « من » على « على » . انظر أدب الكاتب ٣٨٣ وابن سيده (١٤ : ٥٧) والبغدادى (٤ : ٢٥٣ بولاق) واللسان (صلل) . ط : « بعدما » تحريف . والقيض ، بالفتح : قشر البيضة الأعلى . والزيراء ، بالكسر والفتح : ما غلظ من الأرض . هـ : « من قبض بزيراء » محرف . قال أبو حاتم : قلت للأصمعي : كيف قال : غدت من عليه ، والقطاة إنما تذهب إلى الماء ليلا ، لا غدوة ؟ فقال : لم يرد الغدو ، وإنما هذا مثل للتعجيل . والعرب تقول : بكر إلى العشية ، ولا بكور هناك .

(٣) هـ : « الزيراء » ، محرف .

(٤) هو عمرو بن شأس ، كما في اللسان (حتم) والأغاني (١٠ : ٦١) . وعمرو ابن شأس شاعر مخضرم ، أدرك الإسلام وهو شيخ كبير . شرح التبريزي للحماسة (١ : ١٤٩ بولاق) .

(٥) أم حسان هى زوجه . والعبرة ، بالفتح : القدعة . نهنها : كفها . تجلت : ظهرت . وفي الأغاني : « فتخلت » ، والأولى أقوى وأطيب .

(٦) الحنم : جرار خضر تضرب إلى الحمرة ، وقد يقال للخزف كله حنم . =

(اختبار أمير المؤمنين المنصور لأحد الحوَّاء)

وزعم ابن أبي العجوز الحوَّاء ، أَنَّ الْأَفَاعِيَّ صُمُّ ، فلذلك لا تجيبه
الرُّقَى ، ثُمَّ زعم لي في ذلك المجلس^(١) أَنَّ أمير المؤمنين المنصور ، أراد
امتحان رُقَى حَيَّةٍ^(٢) وَأَنَّ يتعرَّفَ صِحَّتَهَا من سُقْمِهَا ، وَأَنَّهُ أَمَرَ^(٣) فصاغوا
له أَفْعَى من رِصَاص ، فجاءت ولا يَشْكُ النَّاظِرُ فيها ؛ وَأَنَّهُ أَمَرَ^(٤)
بإلزاقها في موضعٍ من السَّقْفِ ؛ وَأَنَّهُ أَحْضَرَهُ وقال [له] : إِنَّ هذه الأفعى
قد صارت في هذه الدَّارِ ، وقد كَرِهْتُهَا لمَكَانِهَا ؛ فَإِنْ احْتَلَّتْ لي بِرُقِيَّةٍ ،
أو بما أَحْبَبْتُ^(٥) أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ . قال : إِنْ أَرَدْتُ أَنْ آخِذَهَا هَرَبْتُ^(٦)
ولكن أَرْقِيهَا حتى تنزل ! فرقاها فلما رآها لا تتحرَّكُ زادَ في رَفْعِ صوته
وَأَلْقَى قِنَاعَهُ ، فلما رآها لا تتحرَّكُ نَزَعَ عِمَامَتَهُ وزادَ في رَفْعِ صوته ،
فلما رآها لا تتحرَّكُ نَزَعَ قَلَنَسُوتَهُ وزادَ في رَفْعِ صوته . فلما رآها
لا تتحرَّكُ نَزَعَ ثِيَابَهُ ، وزادَ في رَفْعِ صوته^(٧) ، حَتَّى أَزِيدَ^(٨) ، وتَمَرَّغَ

= انظر اللسان والنهاية . صفراً من الماء : خالية منه . وجعل صدره كالجرة من
الحنتم ، في صلابتها وشدتها .

(١) بدل هذا الكلام من أول الفقرة في س : « زعم ابن أبي العجوز في
ذلك المجلس » .

(٢) س ، هـ : « جده » ط : « جد » ، صوابها ما أثبت . وانظر ٤٢٠ س ٢ .

(٣) ط ، هـ : « فأمرهم » .

(٤) ط ، هـ : « ثم أمر » .

(٥) ط ، هـ : « أحست » ، صوابه في س .

(٦) س : « فعلت » .

(٧) الكلام من مبدأ : « وألقى قناعه » إلى هنا ساقط من س .

(٨) ط ، س : « أريد » . هـ : « أزيد » ، صوابها ما أثبت . وأزيد بمعنى ظهر

منه الزيد على جانبي الشفتين .

فى الأرض ، فلما فعل ذلك سال ذلك الرصاصُ وذاباً ، حتى صار بين أيديهم ، فأقرَّ عند ذلك المنصورُ بجودة رقيته .

فقلت له : ويلك ! زعمتَ قبيلُ أنَّ الأفاعيَّ لا تجيب الرُّقى ؛ لأنها لاتسمع ، وهى حيوان ، ثمَّ زعمتَ أنَّها أجابت ، وهى جماد ! !

(شعر وخبر فى تقار النعامة)

وقال الشاعرُ :

ورَبِّدَاءَ يَكْفِيهَا الشَّمِيمُ وَمَالُهَا سِوَى الرَّبْدِ مِنْ أَنْسٍ بِتِلْكَ الْمَجَاهِلِ
يَخْبِرُ أَنَّ النَّعَامَةَ لَا تَسْتَأْنِسُ بِشَيْءٍ مِنَ الْوَحْشِ ، وَأَنَّ الشَّمَّ يَغْنِيهَا فِي فَهْمِ
مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ .

وهى مع ذلك إذا صارت إلى دور النَّاسِ ، فليس معها من الوحشة منهم ، على قدر ما يذكرون .

وفى الوحش ما يأنس ، وفيها^(١) ما لا يأنس . وقال كثيرٌ :

فَأَقْسَمْتُ لَا أَنْسَاكَ مَا عِشْتُ لَيْلَةً وَإِنْ شَحَطْتُ دَارٌ وَشَطَّ مَزَارُهَا^(٢)
وَمَا اسْتَنَّ رَقْرَاقُ السَّرَابِ وَمَا جَرَتْ بِيضُ الرُّبَا أَنْسِيَّهَا وَنَوَارُهَا^(٣)

(١) س : « ومنها » .

(٢) شحطت : بعدت . وشط مزارها : بهد .

(٣) استن السراب : اضطرب . والسراب ، كسحاب : ما يرى على وجه الأرض كأنه ماء وليس به ، وهو يبدو فى الفلوات فيخدع السفر يظنونه ماء . وفى الكتاب « كسراب بقية يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً » . وقد علله العلماء بما يكون من الانعكاسات الضوئية ، فتظهر صورة السماء فى صفحة الأرض ، أو تبدو صورة النخيل البعيدة ، فى وضع مقلوب يخدع الناظر ، فيحسبها ظلالاً مرتسمة فى ماء . والآتى من الحيوان ، يقال بفتح الحزرة والنون ، نسبة إلى الأنس =

ووصف بلاداً قفاراً^(١) غير مأنوسة فقال :

ما تَرَى العَيْنُ حَوْلَهَا مِنْ أُنَيْسٍ قُرْبَهَا غَيْرَ رَابِدَاتِ الرِّئَالِ^(٢)
خَصَّهَا بِالذِّكْرِ ؛ لِأَنَّهَا أَنْفَرُ وَأَشْرَدُ ، وَأَقْلُ أَنْسَاءَ مِنْ جَمِيعِ الْوَحْشِ .
وقال الأحيمر^(٣) : كُنْتُ آتِي الطَّبِيَّ حَتَّى آخُذَ بِذِرَاعِيهِ ؛ وَمَا كَانَ شَيْءٌ
مِنْ بِهِائِ الْوَحْشِ يَنْسَكُرُنِي إِلَّا النَّعَامُ^(٤) .

وَأَنْشَدَ قَوْلَ ذِي الرُّمَّةِ :

وَكُلُّ أَحَمٍّ الْمُقْلَتَيْنِ كَأَنَّهُ أَخُو الْإِنْسِ مِنْ طُولِ الْخَلَاءِ الْمَغْفَلِ^(٥)

= والأنسة بالتحريك في كل منهما بمعنى الائتناس . ويقال بكسرهما نسبة إلى الإنس .
بالكسر ، وهم بنو آدم . ويقال بنفسها نسبة إلى الأنس ، بالضم ، وهو ضد
الوحشة . وأول هذه اللغات أضعفها . وقد أعاد الضمير في « أنسها » إلى الحيوان .
ولم يذكره ، ولكنه مفهوم ضمناً . والنوار ، بالفتح : النافر الذي لا يستأنس
من الحيوان . والرواية في ديوان كثير (١ : ٩١) : « وحشياً ونوارها » .

(١) س : « أقفارا » .

(٢) الرابدات : المقيمات . ربد ربودا : أقام . والرئال : جمع رآل ، بالفتح ، وهو ولد
النعام . وفسرت « الرابدات » في شرح ديوان كثير (١ : ١٤٨) بأنها « صفة بمعنى
الربد جمع ربداء ، وهي التي في سوادها نقط بيض أو حمراء » . ولعل ما فسرت به أقرب
إلى الاشتقاق . فليس في المعاجم التي بأيدينا « رابد » بمعنى « أربد » .

(٣) سبقت ترجمته في (١ : ١٣٣) . والخبر في العقد (٤ : ٢٣٨) وعيون الأخبار
(٢ : ٨٨) .

(٤) كذا أورد الجاحظ الخبر مقتضياً ، وهو بتمامه ، كما في عيون الأخبار (٢ : ٨٨)
« كنت حين خلعتي قومي ، وأطل السلطان دمي ، وهربت وترددت في البوادي
ظننت أني قد جزت نخل وبار ، أو قريب منها . وذلك أني كنت أرى النوى
في رجع الذئاب . وكنت أغشى الظباء وغيرها من بهائم الوحش فلا تنفر مني ؛
لأنها لم تر أحداً قبلي . وكنت أمشي إلى الطيبي السمين فأخذه ؛ وعلى ذلك رأيت
جميع تلك الوحوش ؛ إلا النعام ؛ فإني لم أره قط إلا نافرأ فرعا » .

(٥) أحم : أسود . والمقلة ، بالضم : حلقة العين . لا وأراد به الطيبي . والخلاء المغفل :
الذي لا علامة فيه ولا أثر . وضبط « كل » بالنصب ؛ لأن قبل البيت كلمة
في الديوان ٥٥٥ :

(نِفَارُ الْوَحْشِ وَهَرَبُهَا مِنَ الصَّحَارَى)

١٣٥ يدلّ على ذلك في قدرٍ ما شاهدنا أنّهم يخرجون إلى الصحارى
الأغفال^(١) ، التي لم يُذعر صيدها ، ولا يطوّها الناس ، فيأتون الوحشَ
فوضى كَمَلًا ، ومعهم كلابُهم وفهودُهم تتلوى^(٢) بأيديهم ، فيتقدّمون إلى
المواضع التي لو كانوا ابتدعوا الصيّدَ مِنْ جَهْتِهَا لأخذوا ما أخذوا . فإذا نفرت
وحوشُ هذه الأرض ، ومرّت بالأرضِ المجاورة لها ، نفرت سُكَّانُ
تلك الأرضِ مع هذه النّوافر ، ولا تعودُ تلك الصحارى إلى مثل ما كانت
عليه ، مِنْ كَثَرَةِ الْوَحْشِ حيناً .

ومتى لم تنفّرْها الأعرابُ بالكلابِ والقِيِيّ ، ونَصَبَ الحبائل ، رتعت
يقربهم ، ثمّ دنت منهم أولاً فأولاً ، حتى تطأ أكنافَ بيوتهم .
وهي اليوم في حَيْرٍ^(٣) المعتصم بالله^(٤) والوائق بالله^(٥) على هذه الصّفة .

= دعت مية الأعداد فاستبدلت بها
وبعده سبعة أبيات ، ثم :

وكل موشاة القوائم نعمة لها ذرع قد أحرزته ومطلق
تريع له ريع الهجان وأقبلت لها فرق الآجال من كل مقبل
ثم البيت : « وكل أحمر المقلتين » .

(١) الأغفال : التي لاعلامه فيها ولا أثر .

(٢) س : « ملوى » ا .

(٣) الخير ، بالفتح : البستان ، أو الموضع المظمن الوسط المرتفع الحروف . ومثله
الحائر . جاء في اللسان : « وبالبصرة حائر الحجاج ، معروف ، يابس لاماء فيه .
وأكثر الناس يسميه الخير ، كما يقولون لعائشة : عَيْشَةُ . يستحسنون التخفيف
وطرح الألف » . في ط ، س : « حيز » هـ : « حد » صوابهما ما أثبت .

(٤) المعتصم بالله ، هو محمد بن هارون الرشيد ، بويج بالخلافة سنة ٢١٨ بعد وفاة
المأمون ، وهو فاتح عمورية . وأول من أضاف من الخلفاء اسمه إلى اسم الله تعالى .
توفي بسامرا سنة ٢٢٧ .

(٥) الوائق بالله ، هو هارون بن محمد بن هارون الرشيد ، فهو ابن المعتصم . وله
بعد أبيه سنة ٢٢٧ وتوفي بسامرا سنة ٢٣٢ .

(هجرة الأطباء إلى الناس)

وخبرني إبراهيم بن السندي^(١) قال : خبرني عبد الملك بن صالح ، وإسحاق بن عيسى ، وصالح صاحب الموصيل ، أن خالد بن برمك ، بينا هو على سطح من سطوح القرى مع قحطبة^(٢) ، وهم يتغذون^(٣) ، وذلك في بعض منازلهم^(٤) ، حين فصلوا من خراسان إلى الجبل . قال : وبين قحطبة وبين الأعداء مسيرة أيام وليال . قال : فينا خالد يتغذى معه وذلك حين نزلوا وبهم كلال السير ، وحين علقوا على دوابهم^(٥) ، ونصبوا خدورهم^(٦) ، وقربوا سفرهم^(٦) .

(١) هو إبراهيم بن السندي بن شاهك ، يروى عنه الجاحظ كثيراً . وأبوه السندي ابن شاهك ، كان يل الجسر بن بغداد للرشييد . انظر الجهشيارى ٢٢٦ - ٢٣٧ . وقد نعت الجاحظ إبراهيم بأنه « مول أمير المؤمنين » . الرسائل ٤٧ ساسي .

(٢) قحطبة بن شبيب الطائي ، صحب أبامسلم الخراساني وكان شريكه في إقامة الدعوة العباسية بخراسان ، وقاد جيوش أبي مسلم فكان مظفراً ، غرق في الفرات سنة ١٣٢ حين ابتدأت الخلافة العباسية هـ : « قرطبة » محرفة . وقحطبة ، بفتح القاف والطاء .

(٣) أي يتناولون الغذاء ، بالفتح ، وهو طعام الغدوة ، بالضم ، وهي البكرة ، أو ما بين الفجر وطلوع الشمس . س : « يتغذون » بالذال المعجمة .

(٤) بعد هذا في س : « وذلك حين نزلوا وبهم كلال السير » ، وهو كلام مقحم سيأتي في موضعه قريباً .

(٥) في اللسان : « والعليق : القضم يعلق على الدابة . وعلقها : علق عليها » . والقضم : الشmir . ولا تزال هذه العبارة حية عندنا في مصر ، يستعملها سواس البهائم . هـ : « علقوا على دوابهم » محرفة .

(٦) السفر : جمع سفرة ، بالضم ، وهي طعام المسافر ، وتقال لتلك التي تبسط ويؤكل عليها ، والتي يوضع فيها طعام المسافر .

قال : فنَظَرَ خالِدٌ إلى الصَّحراءِ ، فرأى أَقَاطِيعَ الظُّبَاءِ قد أَقْبَلَتْ من جهة الصَّحَارَى ، حتى كادت تَخَالِطُ العَسْكَرَ ، فقال لِقَحْطَبَةَ : أَيُّهَا الأمير ! نَادِ فِي النَّاسِ : « يَا خَيْلَ اللَّهِ ارْكَبِي ^(١) » ؛ فَإِنَّ العَدُوَّ قد حَثَّ إِلَيْكَ السَّيْرَ ، وعَامَّةُ أَصْحَابِكَ لن يَسْرِجُوا وَيُلْجِمُوا قبل أن يروا سَرَاعَانَ الخَيْلِ ^(٢) . فقام قَحْطَبَةُ مَذْعُوراً ، فلما لم ير شيئاً يَرُوعُهُ ، وَلَمْ يَرَ غُبَاراً قال لخالد : ما هذا الرَّأْيُ ! قال : أَيُّهَا الأمير ! لا تَتَشَاغَلْ بِي وبِكَلَامِي ، وَنَادِ فِي النَّاسِ ^(٣) . أما تَرَى أَقَاطِيعَ الوَحْشِ قد أَقْبَلَتْ ، فارتقت ^(٤) مواضعها حَتَّى خَالَطَتِ النَّاسَ ؟ ! إِنَّ وَرَاءَهَا جَمْعاً عَظِيماً ^(٥) ! . قال : فوالله ما أَلْجَمُوا وَأَسْرَجُوا ^(٦) حَتَّى رَأَوْا سَاطِعَ الغُبَارِ ، وَلَا تَلَبَّسُوا ^(٧) وَتَسْلُحُوا حَتَّى رَأَوْا الطَّلِيعَةَ ^(٨) . فما التَّأَمُّوا حَتَّى اسْتَوَى أَصْحَابُ قَحْطَبَةَ على ظُهُورِ خَيْولِهِمْ . ولولا نَظْرَةُ خالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ وَفِرَاسَتُهُ ، لَقَدْ كانَ ذلكَ الجَيْشُ اصْطُلِمَ ^(٩) .

(١) روى الجاحظ هذا الحديث في أول ما اختاره « من كلام الرسول ، مما لم يسبقه إليه عربي ، ولم يشاركه فيه عجمي ، ولم يدع لأحد ، ولا ادعاه أحد ، مما صار مستملاً ومثلاً سائراً » . البيان (٢ : ١٥) .

(٢) سرعان الخيل ، بالتحريك ، ويسكن : أوائلها . وفي الأصل : « وغاية أصحابك أن يسرجوا » ، صوابه من ابن أبي الحديد (٣ : ٤١٣) .

(٣) كذا في هـ . وفي س : « ناد في الناس » بإسقاط الواو . ط : « ونادى في الناس » محرفة .

(٤) كذا بدون ذكر الواو قبله ، على الاستئناف . وفي ابن أبي الحديد بالواو .

(٥) س : « فظيماً » . وفي ابن أبي الحديد : « وإن ورائها لجمعاً كثيفاً » .

(٦) أي وضعوا اللجم والسروج على الخيل .

(٧) تلبسوا ، لبسوا ثياب الحرب .

(٨) طلوعة الجيش : أولهم . س : « الطليعة » .

(٩) اصطلم الجيش ، بالبناء للمفعول : أييد ، واستؤصل .

(قصة في قوّة الشم)

وكان إبراهيم [بن^(١)] السّندى يحدثنا من صدق حسّ أبيه في الشمّ ،
بشيء ما يحكى مثله إلا عن السّباع والذرّ والنّعام . وزعم أن أباه قال ذات
يوم : أجد ريح بول فأرة ! ثمّ تشمّم وأجال أنفه في المجلس ، فقال : هو
في تلك الزّاوية ! فنظروا فإذا على طرف البساط من البلبل بقدر الدرهم ،
أو أوسع شيئاً ، فقبضوا أنّه بول فأرة .

٩٣٦

قال : وشهدته مرّة وأشرّاطه^(٢) قيام على رأسه في السّماطين^(٣) ،
فقال : أجد ريح جورب عفين منّين ! فتشمّمنا بأجمعنا ، فلم نجد شيئاً ،
ثمّ تشمّم وقال : انزعوا خفّ ذاك . فنزعوا خفّه ، فكلّما مدّ الذّارع له
شيئاً بدا من لفافته . فما زال النّتن يكتفّ ويزداد ، حتّى خلع خفّه ونزعّه
من رجله ، فظهر من نتن لفافته ما عرف به صدق حسّه . ثمّ قال : انزعوا
الآن أخفافكم بأجمعكم ، فلا بدّ من ألا يكون في جميع اللّفاف منّين
غير لفافته ، أو تكون لفافته أنتنها ، فنزعوا ، فلم يجدوا في جميعها لفافة
منتنة غيرها .

وأنشدوا :

غزا ابن عمير غزوة تركت لنا ثناء كتنن الجورب المنخرق^(٤)

(١) ليست بالأصل . وانظر ما سبق في التنبيه الأول من ص ٤٢٣ .

(٢) الأشرط : الحرس ، مثله ما جاء في قول حسان (اللسان : شرط) :

في ندائى بيض الوجوه كرام نهوا بهم هجمة الأشرط

(٣) السّماطين : مثنى سباط ، بالسّكسر ، وهو الصف من الناس .

(٤) ابن عمير هذا ، اسمه عبد الله بن عمير ، كما سبق في (١ : ٢٤٠) . وفيه وفي

ثمار القلوب ٤٨٦ : « تركت له » . ورواية الوساطة ٢٩٩ : « لها » .

(أقوى درجات التشمم)

وليس الذى يُحكى من صدق الحسِّ فى الشمِّ - عن بعض الناس ،
 عن النعام والسَّباع ، والفأر والذَّرَّ ، وضروبٍ من الحشرات - من شكل
 مناطق^(١) به القرآن العظيم ، من شأن يعقوب ويوسف عليهما الصلاة والسلام
 حين يقول تعالى : ﴿ قَالَ أَبَوْهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تَفَنِّدُونَ .
 تَحَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لِنِى ضَلَالِكِ الْقَدِيمِ ﴾ . وكان هذا من يعقوب بعد أن قال
 يوسفُ : ﴿ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي
 بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ . ولذلك قال : ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبَوْهُمْ إِنِّي
 لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تَفَنِّدُونَ ﴾ ، ثمَّ قال : ﴿ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ
 أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ .

وإنما هذا علامةٌ ظهرتْ له خاصة ؛ إذ كان النَّاسُ لا يشتُمون
 أرواحَ أولادِهِمْ^(٢) إذا تباعدوا عن أنوفهم ، وما فى طاقة الحصان الذى يجدُ
 ريحَ الحجرِ ممَّا يجوزُ الغلوتين والثَّلاث^(٣) . فكيف يجدُ الإنسانُ وهو
 بالشَّام ريحَ ابنه فى قبضه ، ساعةَ فصلٍ من أرض مصر ؟ ! ولذلك قال :
 ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

= والثناء ، بتقديم المثلثة : ما تصف به الإنسان من مدح أو ذم ، وخص به بعضهم

المدح ، ورواية الوساطة وثمار القلوب : « الجورب المتزق » .

(١) كذا فى س : وفى ط ، هـ : « مناطق » .

(٢) الأرواح ، هنا : جمع ريح ، بالكسر ، وهى بمعنى الرائحة .

(٣) أى ولا يشتُمون ما فى طاقة الحصان . . الخ . والحجر ، بالكسر : أنى الخيل .

يجوز : يزيد . والغاوة ، بالفتح : قدر رمية بسهم ، وانظر ما سبق من الكلام على تشم

الحصان فى ٤٠٢ وكذا (٢ : ١٤١) .

(بعض المجاعات)

وقد غَبَرَ موسى وهو يَسِيرُ أَرْبَعِينَ عَاماً^(١) ، لا يَذُوقُ ذَوَاقاً^(٢) . وجاع أهل المدينة في تلك الحَطْمَةِ^(٣) ، حتى كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يَشُدُّونَ الْحَجَرَ عَلَى بُطُونِهِمْ ، من الجُوعِ والجَهْدِ . وكان النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ - يقول : « إِنِّي لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ ، إِنِّي أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي ، يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي » .

(حِجَابٌ فِي ذَبْحِ الْحَيَوَانَ وَقْتْلِهِ)

وَرَجَالٌ مِمَّنْ يَنْتَحِلُ الْإِسْلَامَ ، يُظْهِرُونَ التَّقَدُّرَ مِنَ الصَّيْدِ ؛ وَيَرَوْنَ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْقَسْوَةِ . وَإِنَّ أَصْحَابَ الصَّيْدِ لَتُؤَدِّيهِمُ الضَّرَاوَةُ الَّتِي اعْتَرَتْهُمْ

(١) غبر : مكث . س ، هـ : « وهو يسرى » . والوجه ما أثبت من ط . والسرى لا يكون إلا بالليل . و « عاما » صوابه « يوما » . انظر الاستدراكات .

(٢) الذواق ، بالفتح : المأكول والمشروب . وفي الحديث : « لم يكن يذم ذواقا » . فقال بمعنى مفعول من الذوق ، يقع على المصدر والاسم . وما ذقت ذواقاً : أى شيئاً .

(٣) الحطمة ، بالفتح والضم : الجذب والسنة الشديدة ، كأنها تحطم كل شيء . وكان النبي صلى الله عليه وسلم ، قد دعا على مضر فقال : « اللهم اشد وطأتك على مضر وابعث عليهم سنين كسئ يوسف » . فتتابع عليهم الجدوبة والقحط سبع سنين ، حتى أكلوا القد والعظام والعلهز . فقال ذلك الجذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وبدعائه عوقبوا ، حتى شد وشد المسلمون على بطونهم الحجارة من الجوع . تأويل مختلف الحديث ٢٦٩ ، ٣١٨ والتجريد الصريح للزبيدي (١ : ٧١) وثمار القلوب ٣٧ . وفي صحيح البخاري : « فأخذتهم سنة حصت كل شيء » . عمدة القاري (٧ : ٢٧ - ٢٨) . وقد كان هذا الأمر في مكة قبل الهجرة ، لا في المدينة كما ذكر الجاحظ . عمدة القاري (٧ : ٤٦ س ١٣) .

مِنْ طُرُوقِ الطَّيْرِ فِي الْأَوْكَارِ ، وَنَصَبَ الْحَبَائِلَ لِلظُّبَاءِ ، الَّتِي تَنْقُطِعُ عَنِ
الْحِشْفَانِ (١) حَتَّى تَمُوتَ كَهَزْلًا وَجُوعًا ، وَإِشْلَاءِ السَّبَّاحِ عَلَى بَهَائِمِ الْوَحْشِ .
١٣٧ وَسَتْسَلِمُ (٢) أَهْلُهَا إِلَى الْقَسْوَةِ ، وَإِلَى التَّهَاوُنِ بِدَمَاءِ النَّاسِ .

وَالرَّحْمَةُ شَكْلٌ وَاحِدٌ . وَمَنْ لَمْ يَرْحَمْ الْكَلْبَ لَمْ يَرْحَمْ الظُّبْيَ ،
وَمَنْ لَمْ يَرْحَمْ الظُّبْيَ لَمْ يَرْحَمْ الْجَذَى ، وَمَنْ لَمْ يَرْحَمْ الْعُصْفُورَ لَمْ يَرْحَمْ
الصَّبْيَ . وَصَغَارُ الْأُمُورِ تَوْدِي إِلَى كِبَارِهَا .

وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَتَهَاوَنَ بِشَيْءٍ مِمَّا يُوْدِي إِلَى الْقَسْوَةِ يَوْمًا مَّا ..
وَأَكْثَرُ مَا سَمِعْتُ هَذَا الْبَابَ ، مِنْ نَاسٍ مِنَ الصُّوفِيَّةِ ، وَمِنَ النَّصَارَى ،
لِمُضَاهَاةِ النَّصَارَى سَبِيلَ الزَّنَادِقَةِ ، فِي رَفْضِ الذَّبَائِحِ ، وَالْبُغْضِ لِإِرَاقَةِ
الدَّمَاءِ ، وَالزُّهْدِ فِي أَكْلِ اللَّحْمَانِ .

وَقَدْ - كَانَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ - عَلَى الزَّنَدِيقِ أَلَّا يَأْتِيَ ذَلِكَ فِي سَبَّاحِ الطَّيْرِ ،
وَذَوَاتِ الْأَرْبَعِ مِنَ السَّبَّاحِ . فَأَمَّا قَتْلُ الْحَيَّةِ وَالْعَقْرَبِ ، فَمَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُمْ .
الْبَتَّةَ أَنْ يَقِفُوا فِي قَتْلِهِمَا طَرَفَةً عَيْنٍ ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ لَا تَخْلُو مِنْ أَنْ تَكُونَ
شَرًّا صِرْفًا ، أَوْ يَكُونَ مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ مَغْمُورًا بِمَا فِيهَا مِنَ الشَّرِّ . وَالشَّرُّ شَيْطَانٌ .
وَالظُّلْمَةُ عَدُوُّ النُّورِ . فَاسْتَحْيَاءُ الظُّلْمَةِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَى إِمَاتَتِهَا ، لَا يَكُونُ
مِنْ عَمَلِ النُّورِ . بَلْ قَدْ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ رَحْمَةُ النُّورِ لِكُلِّ خَلْقٍ وَالنَّاسِ ،
إِلَى اسْتِنْقَاذِهِمَا مِنْ شُرُورِ الظُّلْمَةِ .

(١) الْحِشْفَانُ : جَمْعُ غَرِيبٍ لِلْخَشْفِ ، بِتَثْنِيتِ الْخَاءِ ، وَهُوَ وَلَدُ الظُّبْيَةِ عِنْدَ مَا يَتَحَرَّكُ
لِلْمَشْيِ . وَلَمْ أَرِ هَذَا الْجَمْعَ فِي مَعْجَمٍ ، وَجَمَعَهُ فِي اللِّسَانِ وَالْقَامُوسِ عَلَى « خَشْفَةٍ » .
بِكَسْرِ فَتْحٍ .

(٢) أَيْ ، وَسَتْسَلِمُ الضَّرَاوَةَ . فِي الْأَصْلِ : « سَتْسَلِمُ » بِدُونِ وَارٍ . وَالْمُرَادُ بِالسَّبَّاحِ هُنَا الْحَيَوَانُ
الْمَفْتَرَسُ مِنَ الْوَحْشِ وَالطَّيْرِ ، كَالْكِلَابِ وَالْفُهُودِ وَالْبَزَاةِ .

وكما ينبغي أن يكون حسناً في العقل استحياء النور والعمل في تخليصه والدفع عنه - فكذلك ينبغي أن يكون قتل الظلمة وإماتها ، والعون على إهلاكها ، وتوهين أمرها - حسناً .

والبهيمة التي يروون أن يدفعوا عنها أيضاً ممزوجة (١) ، إلا أن (٢) شرها أقل . فهم إذا استبقوها فقد استبقوا الشرور المخالطة لها .

فإن زعموا أن ذلك إنما جاز لهم ؛ لأن الأغلب على طبايعها النور فليغتفروا في هذا الموضع إدخال الأذى على قليل مافيها من أجزاء الشر (٣) كما اغتفروا مافي إدخال الروح والسرور (٤) على مافي البهيمة من أجزاء الظلمة لدفعهم عن البهيمة ؛ إذ كان أكثر أجزائها من النور .

وإنما ذكرت ما ذكرت ؛ لأنهم قالوا : الدليل على أن الذي أنتم فيه ، من أكل الحيوان كل يوم من (٥) الذبائح ، مكروه عند الله ، أنكم لم تروا قط ذبائح (٦) الحيوان ولا قتالي (٧) الإنسان ، ولا الذين لا يقتاتون إلا اللحمان يفلحون (٨) أبدا . ويستغنون (٩) ؛ كنهجو صيادي السمك وصيادي الوحش (١٠) وأصناف الجزارين والقصابين ، والشواتين والطهائين

(١) أي مزوج فيها الخير بالشر .

(٢) س : « لأن » ، صوابه في ط ، ه .

(٣) في الأصل : « الخير » ، والصواب عكسه ، كما يقتضي الكلام .

(٤) الروح ، بالفتح : الرحمة . و « السرور » هي في أصلها « الشرور » مصحفة .

(٥) ط : ه : « ومن » . والوجه حذف الواو كما في س .

(٦) ه : « ذبائح » محرفة . ط : « ذابح » وأثبت ما في س لملائته نسج الكلام .

(٧) ط فقط : « قتال » .

(٨) س ، ه : « لا يفلحون » . والوجه إسقاط « لا » كما في ط .

(٩) في الأصل : « ولا يستغنون » .

(١٠) جاءت كلمة « صياد » في الموضعين : « صيادي » بحذف الياء الآخرة . والوجه إثباتها .

والفهادين^(١) والبيازرة^(٢) والصقارين والكلابين ؛ لا ترى أحداً منهم صار إلى غنى ويُسَرِّ ، ولا تراه أبداً إلا فقيراً مُحَارَفاً^(٣) ، وعلى حالٍ مشبهةٍ بحاله الأولى .

وكذلك الجلادون ، ومن يضربُ الأعناق بين يدي المُلوك . وكذلك ١٣٨ أصحابُ الاستخراج^(٤) والعذابِ ، وإن أصابوا الإصابات ، وجميع أهل هذه الأصناف .

نعم وحتى ترى بعضهم وإن خرج نادراً خارجياً ، ونال منهم ثروة وجاهاً وسلطاناً ، فإمّا أن يُقتَلَ ، وإمّا أن يُغتَصَبَ^(٥) نفسه بميتة عاجلة ، عند سروره بالثروة ؛ أو يبعث الله عليه الحق^(٦) فلا ينمو له شيء ، وإمّا ألا يجعل من نسلهم عقباً مذكوراً ، ولا ذكراً نبياً وذُرِّيَّةً طيِّبةً مثل الحجاج بن يوسف ، وأبي مسلم^(٧) ، ويزيد بن أبي

(١) الفهاد : الذي يصطاد بالفهد ؛ ذاك الحيوان .

(٢) البيازرة ، بتقديم الزاى : جمع يزار . وبيزار : معرب بازيار ، الفارسية ، وهو القائم بأمر البازى . انظر الصحاح واللسان . ط : « البيازة » ه : « البيارزة » س : « البيازرة » ، محرفات عما أثبت . وقد جاءت على الصواب فى ص ٤٣٥ .

(٣) المحارف ، بفتح الراء : المخلوود المحروم .

(٤) انظر للاستخراج ، وهو استصفاء أموال المختلمين ، حواشى البيان ٢ : ٤٣ ، ١٦٦ .

(٥) ط ، ه : « يغصب » ، وأثبت ما فى س .

(٦) الحق ، بالفتح : النقصان ، وذهب البركة . س : « الحو » .

(٧) يعنى أيا مسلم الخراسانى . وهو عبد الرحمن بن مسلم ، القائد المشهور ، الذى قام بتأسيس الدولة العباسية ، توفى سنة ١٣٧ وله من العمر سبع وثلاثون سنة ، قتله أبوجعفر المنصور .

مسلم^(١) ومثل أبي الوعد^(٢) ، ومثل رجالٍ ذكروهم لانحِبُّ أن نسميهم .
 قال : فإنَّ هؤلاء مع كثرة الطُّرُوقَةِ^(٣) وظُهُورِ القُدْرَةِ ، مع كثرة
 الأنسال ، قد قَبَّحَ الله أمرهم ، وأُحْمَلَ أولادهم . فهم بين مَنْ لم يُعْقِبْ ،
 أو بَيْنَ مَنْ هُوَ في معنى مَنْ لم يُقْعَب .
 فقلت للنَّصارَى بدياً : كيف كان النَّاسُ أَيَّامَ الحُكْمِ بما في التَّوراةِ
 أَيَّامَ^(٤) موسى وداودَ ، وهما صاحبا حُرُوبٍ وقَتْلِ ، وسِبَاءٍ وذبائِحَ ؟ ! نعم .
 حتى كان القُربان كُله أو عامَّتُهُ حيواناً مذبوحاً ، لذلك سَمَّيْتُم بيت المَذْبَحِ .
 ولَسْنَا نسألُكم عن سيرة النَّصارَى اليومَ ، وَلَكِنَّا نسألُكم عن دينِ
 موسى وحُكْمِ التَّوراةِ ، وحُكْمِ صاحب الزُّبور . وما زالوا عندكم إلى أن
 أنسكروا رُبُوبِيَّةَ المسيح ، على أَكْثَرِ من حالنا اليومَ في الذبائِحِ .
 وأنتم في كثيرٍ من حالاتكم تُغْلُون علينا السَّمَكَ حتَّى نتوخَّى أَيَّاماً
 بأعيانها ، فلا نشترى السَّمَكَ إلا فيها ؛ طلباً للإمكانِ والاستِرخَاصِ
 وهى يومُ الخميس ، ويومُ السبت ويومُ الثَّلاثاء ؛ لأنَّ شرائكم في ذلك

(١) يزيد بن أبي مسلم ، هو يزيد بن دينار الثَّقَفِي ، كان مولى الحجاج بن يوسف وكتابه ،
 ولما حضرت الحجاج الوفاة استخلفه على الخراج بالعراق ، فلما مات أقره الوليد بن
 عبد الملك . وقال الوليد في شأنه : « مثلي ومثل الحجاج وابن أبي مسلم ، كرجل ضاع منه
 درهم فوجد ديناراً ! » . قتل يزيد سنة ١٠٢ . وفيات الأعيان (٢ : ٢٧٦ - ٢٧٧) .
 وفي س ، ط : « يزيد بن مسلم » . هـ : « زيد بن مسلم » ، صوابهما ما أثبت . وسيأتي
 على الصواب في ص ٤٣٥ - ٤٣٦ .

(٢) كذا جاء . ولم أجد له تعريفاً .

(٣) الطُّرُوقَةُ ، بالفتح : المرأة ، والزوجة .

(٤) س : « وأيام » .

«لَيَوْمٍ يَقِيلُ . عَلَى أَنْكُمْ تُكْثِرُونَ مِنَ الذَّبَائِحِ فِي أَيَّامِ الْفِصْحِ»^(١) وهل
تَدْعُونَ أَكْلَ الْحَيَوَانِ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً ، وساعاتٍ مَعْلُومَةٍ ؟ !

فإذا كانت الحُرْفَةُ وَالْمَحَنُ إنما لَزِمَا الْقَصَّابِينَ وَالْجَزَّارِينَ وَالشَّوَّائِينَ ،
وَأَصْنَافَ الصَّيَّادِينَ ، من جهة العقوبة - فأنتم شركاء صيَّادِي السَّمَكِ
خَاصَّةً ؛ لأنَّكُمْ آكَلُ الْخَلْقِ لَهُ ، وأنتم أيضاً شركاء الْقَصَّابِينَ فِي عَامَّةِ
الدَّهْرِ . فلا أنتم تَدِينُونَ لِلْإِسْلَامِ فتعرفوا ما عليكم ولكم ، وفصل^(٢)
مابين الرَّحْمَةِ وَالْقَسْوَةِ ، وما الرَّحْمَةُ ، وفي أيِّ موضعٍ يكونُ ذلك القتلُ
رَحْمَةً ؟ فقد أجمعوا على أَنَّ قَتْلَ الْبَعْضِ إحياءٌ لِلْجَمِيعِ ، وأنَّ إِصْلَاحَ
النَّاسِ فِي إِقَامَةِ جَزَاءِ الْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ . ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾^(٣) .

وَالْقَوْدُ حَيَاةٌ . وهذا شيءٌ تَعْمَلُ بِهِ الْأُمَمُ كُلُّهَا ، غَيْرَ الزَّانِدَةِ .
وَالزَّانِدَةُ لَمْ تَكُنْ قَطُّ أُمَّةً ، وَلَا كَانَ لَهَا مُلْكٌ وَمَمْلَكَةٌ ، وَلَمْ تَزَلْ
بَيْنَ مَقْتُولٍ وَهَارِبٍ وَمَنَافِقٍ . فلا أنتم زَانِدَةٌ . ولا ينكر لمن كان ذلك
مَذْهَبَهُ أَنْ يَقُولَ هَذَا الْقَوْلَ .

فأنتم لَادَهْرِيَّةٌ^(٤) ، وَلَا زَنَادِقَةٌ ، وَلَا مُسْلِمُونَ ؛ وَلَا أَنْتُمْ رَاضُونَ
بِحُكْمِ اللَّهِ أَيَّامَ التَّوْرَةِ .

١٣٦. فَإِنْ كَانَ هَذَا الْحُكْمُ قَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ - وَهُوَ عَدْلٌ - فَلَيْسَ بَيْنَ
الزَّمَانَيْنِ فَرْقٌ .

(١) الْفِصْحُ ، بِالْكَسْرِ : عِيدٌ لِلنَّصَارَى . انظر الْقَامُوسَ وَبَلُوغُ الْأَرْبِ . (١ : ٣٥٧)
وَالْتَنْبِيهِ وَالْإِشْرَافَ ١٠٨ ، ١٢٣ وَالْإِسْتِدْرَاكَاتِ .

(٢) فَصْلٌ : أَيُّ فَرْقٍ . فِي الْأَصْلِ : « فَضْلٌ » ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ يَتَكَرَّرُ .

(٣) هـ : « وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ » . وَهُوَ مَبْنِيٌّ مِنَ الْكَاتِبِ .

(٤) سبق شرح هذه الكلمة في ص ٧٩ - ٨٠ .

وَبَعْدُ فَإِنَّا نَجِدُكُمْ تَأْكُلُونَ السَّمَكَ أَكْلًا ذَرِيعًا ، وَتَتَقَدَّرُونَ مِنَ
اللَّحْمَانِ ! أَفَلَا نَسَمَكُ لَا يَأْلَمُ الْقَتْلَ ، أَمْ لِأَنَّ السَّمَكَ لَمَّا قَتَلْتُمُوهُ بَلَا سِكِّينَ
لَمْ يُحْسَ (١) قَتْلُهُ ؟ ! فَالْجَمِيعُ حَيَوَانٌ ، وَكُلُّ مُقْتُولٍ يَأْلَمُ ، وَكُلُّ يُحْسٍ .
فَكَيْفَ صَارَ أَكْلُ اللَّحْمِ قَسْوَةً ، وَأَكْلُ السَّمَكِ لَيْسَ بِقَسْوَةٍ ؟ ! .
وَكَيْفَ صَارَ ذَبْحُ الْبَهَائِمِ قَسْوَةً ، وَلَا تَكُونُ تَفْرِقَةُ مَا بَيْنَ السَّمَكِ وَالْمَاءِ حَتَّى
تَمُوتَ (٢) قَسْوَةً ! وَكَيْفَ صَارَ ذَبْحُ الشَّاةِ قَسْوَةً وَصَيْدُ السَّمَكِ بِالسِّنَانِيرِ
الْمَذْرَبَةِ الْمُعَقَّفَةِ (٣) لَيْسَ لَهَا شَعَائِرُ تَخَالِفُ الْعُقَافَ الْمَنْصُوصَ (٤) فِي جِهَاتِهَا .
وَكَيْفَ وَهِيَ وَإِنْ لَمْ تَنْشَبْ فِي أَجْوَافِهَا ، وَتَقْبِضُ عَلَى مَجَامِعِ أَرْوَاحِهَا ، لَمْ تَقْدِرْ
عَلَى أَخْذِهَا ؟ !

وَكَيْفَ صَارَ وَجَعُ اللَّبَّةِ (٥) مِنَ الْجَزُورِ أَقْسَى مِنْ ضَرْبِ النَّبَائِلِ (٦) ؟ !
أَمْ كَيْفَ صَارَ طَعْنُ الْعَيْرِ (٧) بِالرُّمَحِ ، وَنَصَبُ الْحَبَائِلِ لِلظُّبَاءِ ، وَإِرْسَالُ
الْكِلَابِ عَلَيْهَا أَشَدُّ مِنْ وَقْعِ النَّبَائِلِ (٨) فِي ظَهْرِ السَّمَكِ ؟ !

-
- (١) ط : « يحسن » ، صوابه في س ، ه .
(٢) المراد بالتفرقة الصيد . تموت : أى تموت السمك . س فقط : « يموت » بالياء .
وكل جائز .
(٣) المذربة : المحدة . والمعقفة : الملوية .
(٤) كذا جاءت العبارة محرفة في الأصل . بيد أنه في ط : « العقاب » مكان
« العقاف » .
(٥) وجع اللبة : طعنها بالسكين . واللبة ، بالفتح : المنحر ، أى موضع النحر . س ،
ه : « وجاه » ، ولم أجده إلا بمعنى لا يلائم هذا الموضع . ط : « وجأ » محرفة .
ط : « اللبة » ، صوابها في س ، ه .
(٦) كذا في ط ، ه . وفي س : « النبائل » بهذا الإهمال .
(٧) العير ، بالفتح : الحمار الوحشي .
(٨) كذا . ولعلها : « النبيل » : جمع نيل ، بمعنى السهام .

ولأنكم تكثرون قولكم : لا نأكل شيئاً فيه دم أيام صومنا ،
خلّسكم دم ، ولا بدّ لجميع الحيوان من دمٍ أو شيءٍ يشاكل الدم ، فما وجه
اعتلائكم بالدم ؟! الآن^(١) كل شيء فيه دم فهو أشدُّ الماء ؟ فكيف نعلم ذلك ؟
وما^(٢) الدليل عليه ؟

فإن زعمتم أن ذلك داخل في باب التعبّد والمصلحة ، لا في باب
القياس والرحمة والقسوة ، فهذا باب آخر . إلا أن تدعوا أن ذوات الدماء^(٣)
أقوى للأبدان ، وآشر^(٤) للنفوس ، فأردتم بذلك قلة الأثر وضعف البدن .
فإن كان ذلك كذلك فقد ينبغي أن يكون هذا المعنى مستبيناً في آكلي السمك
من البحريين^(٥)

وأما ما ذكرتم من ملازمة الحرفة لهؤلاء الأصناف ، فإن كل من
نزلت صناعته ، ودق خطر تجارته ، كذلك سبيله .

وأحلّ الكسب كلّهُ وأطيبهُ عند جميع الناس سقى الماء ، إمّا على
الظّهر ، وإمّا على دابة . ولم أر سقاءً قط بلغ حال اليسار والثروة . وكذلك
ضراب اللّبن ، والطّيّان والحراث . وكذلك ما صغّر من التّجارات
والصّناعات .

ألا ترون أن الأموال كثيراً ما تكون عند الكتاب ، وعند أصحاب
الجوهر ، وعند أصحاب الوشي والأنماط^(٦) ، وعند الصيّافقة

(١) في الأصل : « ألا أن » .

(٢) في الأصل : « وأما » .

(٣) يعني بذوات الدماء : ماسوى السمك . وفي الأصل : « دواب الماء » .

(٤) آشر : أفعل من الأشر بالتحريك ، وهو المرح والنشاط . في الأصل : « أسر »
وانظر السياق .

(٥) في الأصل : « في أكل السمك من البحريين » ، محرفة .

(٦) الأنماط : ضرب من البسط .

والحنّاطين^(١) ، وعند البصريين^(٢) . والجلّابُ أبدا^(٣) ، والبيازرة^(٤) أيسر ممّن يبتاع منهم .

وجُمِلُ الأموالِ حقٌّ^(٥) بأن تُربحَ الجُمْلُ من تفريق الأموال . وكذلك سبيل القصاب والجزّار ، والشوّاء ، والبازيار^(٦) ، والفهاد .

وأما ما ذكرتم من انقطاع نسل القساة ، وخول^(٧) أولادهم ، كانقطاع نسل فرعون ، وهامان ، ونمرود^(٨) ، وبُحْت نصر^(٩) ، وأشباههم ، فإن الله يقول : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ .

١٤٠

وإن شئتم أن تعدّوا من المذكورين بالصلاح أكثر من هؤلاء ممّن كان عقيماً أو كان ميناثاً^(١٠) ، أو يكون ممّن نبت لهم أولاد سوء عقوهم في حياتهم ، وعرضوهم للسب بعد موتهم — لو جدتموهم .

وعلى أنى لم أنصِبْ نفسي حرباً للحجاج^(١١) بن يوسف ، ويزيد

(١) الحنّاط : بائع الحنطة ، وهى بالكسر : البر .

(٢) كذا .

(٣) المراد بالجلّاب : من يجلبون الرقيق والعبيد للتجارة فيها . و « أبدا » كذا فى الأصل ، وقد تكون صحيحة . أو لعلها « أثري » من التراء ، وهو الغنى واليسر .

(٤) سبق الكلام على البيازرة فى ص ٤٣٠ .

(٥) هى صحيحة . يقال : هو حق بكذا ، أى جدير به . انظر القاموس .

(٦) البازيار : من يتمهد البازى ويعتنى به . وفى الأصل : « البازبار » مصحفة .

(٧) النكلام من مبدل : « وجمل الأموال حق » إلى هنا ، ساقط من هـ .

(٨) نمرود ، بالضم : جبار من الجبابرة ، ظهر إبراهيم عليه السلام فى زمنه . وانظر الاستدراكات .

(٩) هو ذاك الطاغية المشهور الذى خرب بيت المقدس . ولى ملك بابل سنة ٦٠٦ قبل الميلاد .

(١٠) كذا بالياء ، وأصلها الحمز ، والمثنى : من لا يولده إلا الإناث .

(١١) الحرب : المحارب . ولعله يريد بذلك : مدافعاً عن الحجّاج ، وانظر ما سبق فى ٤٣٠ .

ابن أبي مسلم^(١) ، أخرى بهما^(٢) ، وهما عندي من أهل النار . ولكني عرفت مغزاكم .

وعلى أنكم ليس القصابين أردتم ، ولكنكم أردتم دين المسلمين .

وقد خرج الحجاج من الدنيا سليماً في بدنه ، وظاهر نعمته ، وعلى مرتبته من الملك ، ومكانه من جواز الأمر والنهي^(٣) .

فإن كان الله عندكم سلمه وعاقب أولاده ، وكان ذلك دينكم فإن هذا قول إن خاطبتم به الجبرية^(٤) فمسي أن تتعلقوا منهم بسبب ، فأما من صحح القول بالعدل^(٥) فإن هذا القول عنده من الخطأ الفاحش الذي لا شبهة فيه .

(شعر في القانص وفقره)

وكان مما أنشدوا من الدليل على أن القانص لا يزال فقيراً — قول
ذی الرمة :

(١) سبقت ترجمته في ص ٤٣١ .

(٢) كذا بالأصل . ولعله : « أتحدى بهما » ، فيكون مراده أنهما لا يصلحان لأن يتحدى بهما ، أو يدافع عنهما .

(٣) جوار الأمر والنهي : نفوذهما .

(٤) الجبر ، هو نفي الفعل حقيقة عن العبد ، وإضافته إلى الرب تعالى . والجبرية أصناف . فالجبرية الخالصة هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً . والجبرية المتوسطة التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة . فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثرًا ما في الفعل ، وسمى ذلك كسباً ، فليس بجبري . والمعتزلة يسمون من لم يثبت للقدرة الحادثة في الإبداع والإحداث استقلالاً — جبرياً . الملل والنحل (١ : ١٠٨) .

(٥) يعني المعتزلة ، وهم يسمون أهل العدل . يقولون : إن الله منزّه أن يضاف إليه =

حَتَّى إِذَا مَا لَهَا فِي الْجَدْرِ وَاتَّخَذَتْ شَمْسُ النَّهَارِ شُعَاعاً يَبِينُهَا طِبْبٌ^(١)
وَلَا حَ أَزْهَرُ مَشْهُورٌ بِنُقْبَتِهِ كَأَنَّهُ حِينَ يَغْلُو عَاقِرًا هَبٌ^(٢)
هَاجَتْ بِهِ جَوْعٌ طَلَسُ مُخَصَّرَةٌ شَوَازِبُ لَاحَهَا التَّقْرِيبُ وَالْحَبِيبُ^(٣)
جَرْدٌ مُهَرَّتَةٌ الْأَشْدَاقِ ضَارِيَةٌ مِثْلُ السَّرَاحِينِ فِي أَعْنَاقِهَا الْعَذَبُ^(٤)

= شر وظلم ، وفعل هو كفر ومعصية ؛ لأنه لو خلق الظلم كان ظلماً ، كما لو خلق العدل كان عادلاً . الملل والنحل (١ : ٥٦) .

(١) لها : غفل . يعني ثورا وحشياً . والجدر ، بالفتح : نبت رملي . والشعاع ، بالضم : ضوء الشمس الذي تراه عند ذرونها كأنه الحبال أو القضبان مقبلة عليك . والطيب ، كعنب : جمع طبة ، بالكسر ، وهي الطريقة من طرائق الشعاع . وأصل الطبة السير الذي يخرز به . س : « إذا رابها » هـ : « إذا نأها » ، محرفتان صوابهما في ط والديوان ٢٣ ، وجمهرة أشعار العرب ١٨٣ ، واللسان (طيب) . س ، هـ « في الجدر وانحدرت » تصحيحه من الديوان واللسان . وفي اللسان : « وانحدرت » محرفة . ط والجمهرة : « بالجدر » وهي صحيحة . س ، ط : « قيب » هـ : « طنّب » ، صوابهما في الديوان والجمهرة واللسان .

(٢) لاح : ظهر ، وأشرق . س ، هـ : « ناب » محرفة . وأثبت ما في ط والديوان وجمهرة أشعار العرب واللسان (نقب) . والأزهر : الأبيض . وأراد به الصبح . والنقبة ، بالضم : اللون . في الجمهرة : « معروف بنقبتيه » . يعلو عاقراً : أي يرتفع في رملة لا تنبت شيئاً ، شبهت بالعاقرة من الناس : الرجل والمرأة اللذين لا يلدان ، وقد شبه الصبح بلهب النار . جاء في جمهرة أشعار العرب : « منهم من يقول إنه يعني الفجر ، ومن يقول إنه يعني به الثور » .

قلت : ممن جعله يعني الثور صاحب اللسان ، فإنه قال : « يصف ثوراً » .

(٣) يقول : أولعت بذلك الثور كلاب جائعة ، في لونها غبرة إلى سواد ، قد ضمرت خواصرها . ط وجمهرة أشعار العرب : « هاجت به عوج » وفي الجمهرة والديوان : « زرق مخصرة » . والشازب ، بالزاي : الضامر اليابس . س : « شواذب » بالذال ، مصحفة . لاحها : هزلها وغيرها . والتقريب والحبيب : ضربان من العدو . وفي الديوان : « التفريث والجنب » . التفريث : التجويع . والجنب بالتحريك : أن يشتد عطش الحيوان حتى تلتزق رثته بجنبه . وأصله في الإبل .

(٤) جرد : جمع أجرد ، وهو القليل الشعر . وفي الديوان واللسان (عذب) : =

وَمَطْعَمُ الصَّيْدِ هَبَالٌ لِبُغْيَتِهِ أَلْنَى أَبَاهُ بِذَلِكَ الْكَسْبِ يَكْتَسِبُ^(١)
مَقْزَعٌ أَطْلَسُ الْأَطْمَارِ لَيْسَ لَهُ إِلَّا الضَّرَاءُ وَإِلَّا صَيْدَهَا نَشَبُ^(٢)
فَانْصَاعَ جَانِبُهُ الْوَحْشَى وَأَنْكَدَرَتْ

يلحبن لا يأتلى المطلوب والطلب^(٣)

قال : فجعله كما ترى مقزعا أطلس الأطار ، وخبر أن كلابه نشبه ،
وأنه ألنى أباه كذلك .

وأنشدوا في ذلك قول الآخر :

= « غصف » . مهرة الأثداق : واسعتها . والسراحين : الذئاب ، واحدها
سرحان ، بالكسر . والعذب : سيور تشد في أعناق الكلاب ، واحدها
عذبة ، بالتحريك .

(١) مطعم الصيد : أى رجل طعمته وحرفته الاصطياد ، فهو مرزوق منه . ومطعم ، بضم الميم
وفتح العين ، قال امرؤ القيس :

مُطْعَمٌ لِلصَّيْدِ لَيْسَ لَهُ غَيْرَهَا كَسْبٌ عَلَى كِبَرِهِ

هبال ، من الاهتبال ، وهو سرعة الأخذ . والبغية ، بالضم : الطلبة . والطلبة
بفتح ، فكسر : ما يطلبه المرء . س ، هـ : « هتاك لنقبتة » محرفة . وفي جمهرة
أشعار العرب : « هباش لبغيته » . ألنى أباه ، يقول : هو صائد ابن صائد ،
فذلك أمهر له .

(٢) مقزع : خفيف الشعر . أطلس : أغبر . والأطمار : جمع طمر بالكسر ، وهو
الثوب الخلق البالى . والضراء ، بالكسر : جمع ضرو بالكسر أيضاً ، وهو
الضارى . عني بها الكلاب . وصيدها : أى ماتصيده الكلاب من الوحش . والنشب ،
بالتحريك : المال .

(٣) انصاع : ذهب سريعا . جانبه : أى على جانبه . والجانب الوحشى : الأيمن من الدابة ،
وقيل الأيسر . انكدرت : أى انقضت . وضميره الكلاب . يلحبن : يسلكن
طريقا لاحبا ممهدا . أو يمررن مرأ سريعا . لا يأتلى : أى لا يترك جهدا ولا يخفض من
جريه . والمطلوب ، عني به الثور . والطلب ، بالتحريك : جمع طالب ، وهو من
نادر الجمع . وقد أراد به الكلاب . س ، هـ : « واتصلت بحيث لا يأبأ »
تحريف ما أثبت من ط والديوان وجمهرة أشعار العرب ، واللسان (صوع ،
لحب ، طلب) .

وَأَعَصَمَ أَنْسَتَهُ الْمَنِيَّةُ نَفْسَهُ . رَعَى النَّبْعَ وَالظَّيَّانَ فِي شَاهِقٍ وَعَرٍ (١)
 مَوَارِدُهُ قَلَّتْ تَصَفَّقَهُ الصَّبَا بَنِيْقٍ مُزِلٍ ، غَيْرُ كَذِرٍ وَلَا نَزِرٍ (٢)
 قَرَّتُهُ السَّحَابُ مَاءَهَا ، وَتَهَدَّلَتْ عَلَيْهِ غُصُونُ دَانِيَاتٍ مِنَ السَّمْرِ (٣)
 أُتِيحَ لَهُ طَلْحٌ إِزَاهُ بِكَفِّهِ هَتُوفٌ وَأَشْبَاهُ تُخِيرُنَ مِنْ حَجَرٍ (٤)
 أَبُو صَبِيَّةٍ لَا يَسْتَدِيرُ إِذَا شَتَا لَقُوحًا ، وَلَا عَنَزًا ، وَلَيْسَ بِذِي وَفَرٍ (٥)

(١) أعصم : يعنى وعلا بإحدى يديه بياض . س : « وأعظم » مصحفة . أنسته المنية نفسه ، أى أعماه قدر الموت عن الحذر . والنبع والظيان : من أشجار الجبال . وفى الأصل : « الثبت والظيان » محرف .

(٢) القلت : نقرة فى الجبل تمسك الماء . تصفقه : تضربه . والصبا : ريح شرقية . والنيق ، بالكسر : أعلى موضع فى الجبل . مزل : تزلق عليه الأقدام ولا تثبت . س : « مزك » . وغير كدر ، صفة للقلب . وقد أسكن الدال للشعر .

(٣) تهدلّت : تدلت . والسمر : نبات ، وهو بضم الميم . وأسكنها للشعر .
 (٤) أُتِيحَ لَهُ : أى قدر . والطلح ، بالكسر : المعسى . أراد صائداً . وإزاه : أى سبب عيشه . والإزاه ، بكسر الهمزة والمد ، وقصره الشعر . فى الأصل : « أذاه » مصحفة .
 والهتوف : القوس المرنة المصوتة . قال الشنفرى :

هتوف من الملّس المتون يزينا رصائع قد ليطت إليها ومحمل

وقال الشباخ :

هتوف إذا ما جامع الطبى سهمها وإن ريع منها أسلمته للنوائز
 ط ، س : « ختوف » هـ : « حتوف » صوابها ما أثبت . وأشباه :
 أى سهام متشابهة طبعّت على غرار واحد . وحجر ، بالفتح : قصبة اليمامة ،
 تنسب إليها للسهام والنصال ، قال الراعى :

تَوَخَّى حَيْثُ قَالَ الْقَلْبُ مِنْهُ بِحَجَرِي تَرَى فِيهِ اضْطِمَارًا

أى فصل منسوب إلى حجر . أبو حنيفة : « وحدائد حجر مقلمة فى الجودة » .

وقال رؤبة :

حَتَّى إِذَا تَوَقَّدَتْ مِنَ الزَّرَقِ حَجَرِيَّةٌ كَالْجَمْرِ مِنْ سَنِّ الدَّلَقِ

(٥) يقول : له صبية ، فهو يسعى جاهداً ليحصل على ما يقتوتهم به من صيد . والقوح =

١٤١ لَهُ زَوْجَةٌ شَمْطَاءٌ يَنْدُرُجُ حَوْلَهَا فَطِيمٌ تُنَاجِيهِ ، وَآخِرُ فِي الْحِجْرِ (١)
 مُشَوَّهَةٌ لَمْ تَعْبَ طَيِّبًا وَلَمْ تَبْتَ تَقْتَرِ هِنْدِيًّا بِلَيْلٍ عَلَى بَحْمَرٍ (٢)
 مُحَدَّدَةٌ الْعُرْقُوبِ ثَلَمَ نَابِهَا تَعْرِقُهَا الْأَوْذَارُ مِنْ فَقَرِ الْحُمْرِ (٣)
 مُسَفَّعَةٌ الْخَدَّيْنِ ، سَوْدَ دِرْعِهَا تَقْدُرُهَا بِاللَّيْلِ ، وَالْأَخَذَ بِالْقِدْرِ (٤)
 كَغُولِ الْفَلَاةِ لَمْ تَخْضِبْ بِنَانِهَا وَلَمْ تَنْدُرِ مَازِيَّ الْخِرَائِدِ بِالْمِصْرِ (٥)
 فَأَرْسَلَ سَهْمًا أَرْهَفَ الْقَيْنُ حَدَّهُ فَأَنْفَذَ حِضْنِيهِ فَخَرَّ عَلَى النَّحْرِ (٦)

- = بالفتح : الناقة الحلوب . يقول : ليس له لقوح فيستدرها . واختار الششاء لما أنه وقت المجهود والعسر عندهم . وإنما يخلصون في الربيع . ط : « يستدرا » . صوابه في س ، هـ . الوفير ، بالفتح : الغنى .
- (١) أي في حجرها . والشمطاء : التي يخالط سواد شعرها بياض . وهو يصور بذلك كثرة عيال الصائد .
- (٢) لم تعب طيباً : لم تهينه ولم تخلطه . يقال عبأ الطيب يعبؤه ، من باب منع : صنمه وخططه . فأصله الهمز كما رأيت ، فلما سهلها بالألف ، مامله كالمعتل . والهندي : أراد به العود الهندي الذي يتبخر به . والتقتير : تهيج القطار ، وهو بالضم : ريح البخور .
- (٣) العرقوب ، بالضم : عصب غليظ فوق عقب الرجل . ثلم نابها : كسر حرفه . والتمرق : أكل ما على العظم من اللحم . والأوذار : القطع الصغيرة من اللحم . وفي الأصل : « الأوزار » صوابه بالذال كما أثبت . والفقر ، كمنب : جمع فقرة ، بالكسر ، وهي الواحدة من عظام الصلب . هـ : « نقر » محرفة . والحمر ، أصله الحمر بضمين : جمع حمار . عني ما يصطاده زوجها من حمر الوحش . وسكن الميم لضرورة الشعر .
- (٤) مسفعة : مسودة . هـ : « مسفعة » محرفة . والدرع ، بالكسر : القميص . والتقدر ، مثل معناه الطبخ في القدر ، ولم يذكره صاحبها اللسان والقاموس . وفي اللسان : « قدر القدر يقدرها ويقدرها قدراً » . واقتدر أيضاً بمعنى قدر . ط ، س : « تقدرها » ، وأثبت ما في هـ .
- (٥) الزى ، بالكسر : الهيئة . والخرائد : جمع خريدة ، وهي البكر لم تمس ، أو المحفرة الطويلة السكوت ، الحافضة الصوت ، المستترة .
- (٦) القين ، بالفتح : الحداد . أنفذ حضنيه : خرق جنبه . والحضن ، بالكسر : الجنب . والنحر ، بالفتح : أعلى الصدر .

(مَسْأَلَةُ الْمَنَائِيَّةِ)

كان أبو إسحاق يسأل المَنَائِيَّةَ ^(١) ، عن مسألة قَرِيبَةِ الْمَأْخِذِ قاطعة ، .
وكان يزعم أنها ليست له .

وذلك أَنَّ الْمَنَائِيَّةَ تَزْعَمُ أَنَّ الْعَالَمَ بِمَا فِيهِ ، من عشرة أجناس : خمسة
منها خيرٌ ونورٌ ، وخمسةٌ منها شرٌ وظلمة . وكلُّها حاسةٌ وحارّة .

وَأَنَّ الْإِنْسَانَ مَرْكَبٌ مِنْ جَمِيعِهَا عَلَى قَدَرِ مَا يَكُونُ فِي كُلِّ إِنْسَانٍ
من رُجْحَانٍ أَجْنَسِ الْخَيْرِ عَلَى أَجْنَسِ الشَّرِّ ، [وَرُجْحَانٍ ^(٢)] أَجْنَسِ الشَّرِّ ^(٣) .
الشَّرِّ عَلَى أَجْنَسِ الْخَيْرِ .

وَأَنَّ الْإِنْسَانَ وَإِنْ كَانَ ذَا حَوَاسٍ خَمْسَةٍ ^(٤) ، فَإِنَّ فِي كُلِّ حَاسَةٍ مَتُونًا ^(٥)
من ضِدِّهِ من الْأَجْنَسِ الْخَمْسَةِ . فَمَتَى نَظَرَ الْإِنْسَانُ نَظْرَةَ رَحْمَةٍ فَتِلْكَ النَّظْرَةُ
من النُّورِ ، ومن الخير . وَمَتَى نَظَرَ نَظْرَةَ وَعِيدٍ ، فَتِلْكَ النَّظْرَةُ من الظُّلْمَةِ .
وكذلك جميع الحَوَاسِ .

وَأَنَّ حَاسَةَ السَّمْعِ جِنْسٌ عَلَى حِدَةٍ ، وَأَنَّ الَّذِي فِي حَاسَةِ الْبَصَرِ من
الخير والنُّورِ ، لَا يَعِينُ الَّذِي فِي حَاسَةِ السَّمْعِ من الخيرِ وَلَكِنَّهُ لَا يَضَادُّهُ ^(٦) ،

(١) الْمَنَائِيَّةُ : أَتْبَاعُ مَا فِي . انظر ما سبق ص ٨١ . وقد أسهب القول ابن النديم في تفصيل
مذهبه . الفهرست ٣٢٧ - ٣٣٧ ليسك ٤٥٦ - ٤٧٢ مصر .

(٢) لَيْسَتْ بِالْأَصْلِ . وَبِهَا يَصْلَحُ الْكَلَامُ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « فَاحْتَاجَ » . وَوَجْهُهُ مَا أُثْبِتَ .

(٤) كَذَا . وَهِيَ صَحِيحَةٌ ؛ فَإِنَّ الْمَعْلُودَ إِذَا وَصَفَ بِالْعَدَدِ جَازَ فِي الْعَدَدِ الْمَطَابِقَةِ وَعَلَيْهَا .
الصبيان ٤ : ٦١ .

(٥) كَذَا فِي الْأَصْلِ .

(٦) ط ، هـ : « يَضَارُهُ » بِالرَّاءِ . وَأُثْبِتَ مَا فِي س .

ولا يُفاسدُهُ ، ولا يمنعُه . فهو لا يعينه ^(١) لكان الخِلاف والجِئس ، ولا يعين عليه ؛ لأنَّهُ ليس ضِدًّا .

وأنَّ أجناسَ الشرِّ خِلافٌ لأجناسِ الشرِّ ، ضِدٌّ لأجناسِ الخير . وأجناسُ الخيرِ يخالفُ بعضها بعضاً ولا يضادُّ . وأنَّ التَّعاونَ والتَّأدي ^(٢) لا يقعُ بين مختلفيها ، ولا بين متضادِّها ^(٣) ، وإنما يقعُ بين متفقها .

قال : فيقال للمنانى : ما تقول في رجل قال لرجلي : يا فلان ، هل رأيت فلانا ؟ فقال المستول : نعم قد رأيته . أليس السَّامعُ قد أدَّى إلى الناظرِ ، والناظرُ قد أدَّى إلى الدَّائقي ؟ ! وإلَّا فلم قال اللسانُ نَعَمْ ! إلَّا وقد سَمِعَ الصَّوتَ صاحبُ اللسانِ ؟ !

وهذه المسألة قصيرة كما ترى ، ولا حيلةَ له بأن يدفعَ قولهُ .

(مُسَاءَلَةُ زَنْدِيقِ)

ومسألةٌ أخرى ، سأل عنها أميرُ المؤمنين ^(٤) الزَّندِيقَ الذي كان يكنى بأبي عليٍّ ، وذلك عندما رأى من تطويلِ مُحَمَّدِ بْنِ الْجَهْمِ ^(٥) وعجزِ العُتْبِيِّ ^(٦) وموهِ فهِم ^(٧) القاسمِ بنِ سَيَّارٍ ^(٨) ، فقال له المأمون : أسألكَ عن حَرفين

(١) س : « يعينه » ومع إسقاط « لا » . ه : « لا يعينه » . وصوابهما ما أثبت من ط .

(٢) التأدي : التعاون . وفي الأصل : « التأدي » ولا يستقيم به المعنى .

(٣) س ، ه : « مضادها » .

(٤) يعني الخليفة « المأمون » كما سيأتى في الكلام .

(٥) هو محمد بن الجهم البرمكي ، الذي أسلفت ترجمته في (٢ : ٢٢٦) .

(٦) هو محمد بن عبد الله العتبي . وقد تقدمت ترجمته في (١ : ٥٤) .

(٧) في الأصل : « وسوقهم » وهو تحريف .

(٨) القاسم بن سيار ، ذكره الجاحظ في الرسائل ٢٤ سامي ، فيمن كانوا يغشون دار الخلافة . وأجرى له ذكراً في ٢٦ ، ٢٧ من الرسائل .

فقط . فخبّرني : هل ندمتُ مَسِيءَ قَطٍّ على إساءته ، أو نكون نحنُ لم نندمُ على شيءٍ كان مِنَّا قَطٍّ ؟ ! قال : بل ندم كثيرٌ من المسيئين على إساءتهم . ١٤٢
قال : فخبّرني عن الندم على الإساءة ، إساءةٌ أو إحسان ؟ قال : إحسان .
قال : فالذي ندم هو الذي أساء أو غيره ؟ قال : الذي ندم هو الذي أساء .
قال : فأرى صاحب الخير هو صاحب الشرِّ ، وقد بطل قولكم : إن الذي ينظر نظراً الوعيد غيرُ الذي ينظر نظراً الرحمة . قال : فإني أزعّم أن الذي أساء غيرُ الذي ندم : قال : فندم على شيءٍ كان منه أو على شيءٍ كان من غيره ؟ فمقطعه (١) بمسألته ، ولم يتبَّ ولم يرجع ؛ حتى مات ، وأصله الله نارَ جهنم .

(شعر في هجو الزنادقة)

وقد ذكر حمادُ عجردُ ناساً في هجائه لعمارة (٢) ، فقال :

لو كنتُ زنديقاً ، عمارُ ، حبوتني أو كنتُ أعبدُ غيرَ ربِّ محمدٍ (٣)
أو كنتُ عندك أو تراك عرفتني كالنضر أو ألفتُ كابن المقعد (٤)
أو كابن حمادٍ ربيثة دينكم جبل وما جبل الغوى بمُرشدٍ (٥)
لكنتني وخذتُ ربِّي مُخلصاً فجفوتني بغضاً لكلِّ موحد

(١) قطعه : أي غلبه بالحجة وأسكته .

(٢) في الأصل : « لبشار » ، ونص الشعر والتعقيب عليه ، يوجب ما أثبت .

(٣) عمار ، أي ياعمار . وحذف جواب (كنت) الثانية لدلالة جواب الأولى .

(٤) هـ : « أو تراك عرفتني » .

(٥) الربينة : الطليعة ، وعين القوم . والغوى : الفصال . ط ، هـ : « القوى »

ووجهه ما أثبت من س .

وَحَبَّوتْ مَنْ زَعَمَ السَّمَاءُ تَكُونَتْ

والأرضَ خالقتها لها لم يمهّد^(١)
والنَّسَمَ مثلَ الزَّرْعِ أَنْ حَصَادُهُ مِنْهُ الْحَصِيدُ وَمِنْهُ مَا لَمْ يُحْصَدِ^(٢)
وحمّادُ هذا أشهرُ بالزَّنْدَقَةِ مِنْ عُمَارَةَ بْنِ حَرْبِيَّةِ^(٣) ، الذي هجّاه
بهذه الأبيات .

وأما قوله :

وَحَبَّوتْ مَنْ زَعَمَ السَّمَاءُ تَكُونَتْ . . . (البيت)

فليس يقول أحد : إِنَّ الْفَلَكَ بِمَا فِيهِ مِنَ التَّدْبِيرِ . تَكُونُ بِنَفْسِهِ
وَمِنْ نَفْسِهِ ! فَجَهْلُ^(٤) حمّادٍ بهذا المقدارِ مِنْ مَقَالَةِ الْقَوْمِ^(٥) . كَأَنَّهُ عِنْدِي
مِمَّا يَعْرِفُهُ مِنْ بَرَاءَتِهِ السَّاحَةِ^(٦) . فَإِنْ كَانَ قَدْ أَجَابَهُمْ فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ
مَقْلَدِيهِمْ .

(١) الأرض عطف على السماء .

(٢) أى : وحبوت من زعم النسم . . الخ . والنسم ، بالتحريك : جمع نسمة ، بالتحريك . والنسمة : الإنسان . وقد أسكن السين لضرورة لشعر . وفي الأصل : « النسم » تحريف ما أثبت . وجاء في الأغاني (١١ : ٧١) في أثناء الحديث عن عمارة بن حمزة ، الذي هو هنا : عمارة بن حربية : « وكان له نديم يعرف بمطيع ابن إياس ، وكان زنديقاً مأبونا . وكان له نديم آخر يعرف بالبقل . وإنما سمي بذلك ؛ لأنه كان يقول : الإنسان كالبقلة ، فإذا مات لم يرجع » . فهذا النص يفسر ما جاء في البيت ، ويدل على التصحيح الذي أثبت .

(٣) كذا ورد هذا الاسم في الأصل ، بحاء مهملة بعدها راء وباء موحدة تحتية تملؤها ياء مشناة تحتية . وفي الأغاني (١١ : ٧١) : « عمارة بن حمزة » . وأما المرتضى (٩٠ : ١) نقلاً عن الجاحظ « عمارة بن حمزة » .

(٤) في الأصل : « فجعل » .

(٥) يبنى بالقوم ههنا الزنادقة .

(٦) كذا في ط . وفي س : « من براءة الساحة » ، وفي هـ : « مما نعرفه من برأته الساحة » وكل محرف .

وهجأ حمادُ بن الزُّبرقان^(١) ، حماداً^(٢) الراوية فقال :

نَعَمْ الْفَتَى لَوْ كَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ وَيَقِيمُ وَقْتَ صَلَاتِهِ حَمَادُ
هَدَلْتُ مَشَافِرَهُ الدَّنَانُ فَأَنْفُسُهُ مِثْلُ الْقُدُومِ يَسْنُهَا الْحَدَادُ^(٣)
وَابْيَضَ مِنْ شَرْبِ الْمَدَامَةِ وَجْهُهُ فَبَيَاضُهُ يَوْمَ الْحَسَابِ سَوَادُ
فَقَدْ كَانَ^(٤) كَمَا تَرَى :

هَدَلْتُ مَشَافِرَهُ الدَّنَانُ فَأَنْفُهُ مِثْلُ الْقُدُومِ (البيت)
فَقَدْ رَأَيْتُ جَمَاعَةً مِّنْ يُعَاقِرُونَ الشَّرَابَ ، قَدْ عَظُمَتْ أَنْفُهُمْ^(٥) .
وَصَارَتْ لَهُمْ خِرَاطِيمٌ ، مِنْهُمْ رَوْحُ الصَّائِغِ^(٦) ، وَعَبْدُ الْوَاحِدِ صَاحِبُ الْوُلُؤَى^(٧)

(١) نسبه صاحب الأغاني (٦ : ١٦٢) إلى أبي النول، وكان حماد قد عاب شعراً له .
وانظر الخزانة (٤ : ١٣٢ بولاق) والمخصص (١٧ : ٦) والمقد (٤ : ٣٢١)
وأمال المرتضى (١ : ٩١) وديوان المعاني (١ : ٣١٤) والشعراء ٧٥٤ .

(٢) في الأصل : « حماد » .

(٣) الدنان : جمع دن ، بالفتح ، وهو من الأوعية التي يحفظ فيها الخمر ، وهو خزفي مستطيل
مقير لا يقعد إلا أن يحفر له . والقُدوم ، بالفتح : قدوم النجار ، مؤنثة . في المخصص :
« نفخت مشافره الشمول » ، والمرتضى : « بسطت مشافره الشمول » ، والعسكري :
« هدلت مشافره المدام وأنفه » . والمدام والشمول : الخمر .

(٤) لعلها : « قال » .

(٥) آنف : جمع أنف . س ، هـ : « أنفهم » بالافراد . وهو جائز . والعرب
يقيمون الواحد مقام الجمع . وفي الكتاب : « ثم يخرجكم طفلاً » أي أطفالاً .
و : « لا نفرق بين أحد منهم » ، والتفريق لا يكون إلا بين اثنين ، فالمعنى لا نفرق
بينهم . و : « وإن كنتم جنبا » . انظر سر العربية ٣٣٩ الحلبي ، وحواشي الحيوان
(٢ : ٤٠٣) .

(٦) لعله : « أبو روح الصائغ » . انظر (٣ : ٤٣٥) .

(٧) كذا وردت كتابة هذا الاسم بواوين في الأصل وفي سائر المراجع القديمة . والوؤى ،
هو الحسن بن زياد ، الذي تقدمت ترجمته في (١ : ٥٢) .

وجماعة من نَدَّمان^(١) حمَّاد بن الصَّبَّاح ، وعبد الله أخو نهر^(٢) ابن عسكر
وناس كثير^(٣) .

ويدلُّ على ذلك من المناقرة قولُ جريرٍ للأخطل :

١٤٣ وشربتَ بعد أبي ظهير وابنه سكرَ الدَّنانِ كأنَّ أنفَكَ دُمْلُ^(٤)

وكان منهم يونس بن فروة^(٥) . وفي يونس يقول حمَّاد عجرد :

أما ابنُ فَرَوَةَ يُونسُ فكَأَنَّهُ مِنْ كِبَرِهِ أيرُ الحمارِ القائمُ^(٦)
ما النَّاسُ عِنْدَكَ غيرُ نَفْسِكَ وَحَدَّها وَالْخَلْقُ عِنْدَكَ ما خَلَكَ بِهِائِمُ^(٧)
إِنَّ الَّذِي أَصْبَحْتَ مَفْتُوناً بِهِ سِزُولُ عَنكَ وَأَنْفُ جَارِكَ رَاغِمُ
فَتَعْضُ مِنْ نَدَمٍ يَدَيْكَ عَلَى الَّذِي فَرَطْتَ فِيهِ ، كَمَا يَعْضُ النَّادِمُ

(١) الندمان ، بالفتح : التذم على الشراب . والمراد هنا جماعة الندامى . وفي اللسان : « وقد يكون الندمان واحداً وجمعاً » . ومثله في القاموس .

(٢) هو فقط : « هز » . وكلمة : « أخو » هي في الأصل : « أخا » .

(٣) في الأصل : « وناساً كثيراً » ، صوابه ما أثبت .

(٤) السكر ، بالتحريك : الخمر ، أو نبيذ يتخذ من التمر ، أو كل مسكر .

(٥) يونس بن فروة ، ويقال ابن أبي فروة . وجاء بالأخيرة في لسان الميزان (٢ : ٣٥٣ ، ٦ : ٣٣٤ ، ٣٣٥) وكذا أُمالي المرتضى (١ : ٩٠) نقلاً عن الجاحظ . وما في الشعر يرجع التسمية الأولى . وجاءت التسمية الأولى أيضاً في جمع الجواهر ٢٠٩ في أثناء رسالة للخوارزمي ، والعمدة (٢ : ١٨٥) والطبرى (١٠ : ٥٠) .

(٦) في الأصل : « من كفره » وهو تحريف ، صوابه في عيون الأخبار (١ : ٢٧٢) ، والعمدة ، وجمع الجواهر . وفي جمع الجواهر أيضاً : « ذاك الحمار » .

(٧) في عيون الأخبار والعمدة : « والناس » موضع : « والخلق » . والبيت سابق من س .

فلقد رَضِيتَ بِعُصْبَةِ آخِيَتِهِمْ وَإِخَاهُ لَكَ بِالْمَعْرِفَةِ لَازِمٌ^(١)
فَعَلِمْتُ حِينَ جَعَلْتَهُمْ لَكَ دَخْلَةً^(٢) أَنِّي لِعَرَضِكَ فِي إِخَائِكَ ظَالِمٌ
(ذكر بعض الزنادقة)

وكان حمادُ عجرد^(٣) ، وحماد الراوية^(٤) ، وحمادُ بن الزُّبرقان^(٥) ،
ويونسُ بن هارون^(٦) ، وعلى بن الخليل^(٧) ، ويزيد بن الفيض^(٨) ، وعُبادَةُ
وجميل بن محفوظ^(٩) ، وقاسم^(١٠) ، ومطيع^(١١) ، ووالبة بن الحباب ، وأبانُ .

(١) وإخاهم ، أراد : وإخاؤهم ، أي صحبتهم : قصر الكلمة لشعر . ط : « أوخاهم »
تصحيحه من س ، هـ .

(٢) دخلة الرجل ، بتثنية الدال : بطانته .

(٣) حماد عجرد ، بالإضافة ، هو حماد بن عمر بن يونس ، شاعر مشهور ، وهو من مخضرمي
الدولتين : الأموية والعباسية ، ولم يشتهر إلا في العباسية . وكان بينه وبين يشار أهاج
فاحشة . توفي سنة ١٦١ وقيل ١٦٨ أوقتل سنة ١٥٥ .

(٤) حماد الراوية ، هو حماد بن أبي ليلى ، عرف بكثرة روايته لشعر والخبر ، وكان يصنع
فيهما . ولد سنة ٩٥ وتوفي سنة ١٥٥ .

(٥) حماد بن الزُّبرقان ، ذكره ابن حجر في لسان الميزان (٢ : ٣٤٧) ، وهو من
اتهم بالزندقة .

(٦) كذا في الأصل ، وهو كذلك في الأوراق المصولة ١٠ قسم أخبار الشعراء . وقد نقل عن
الجاحظ ولو أنه لم يصرح بذلك . وقد يكون : « يونس بن فروة » الذي تقدمت
ترجمته قريباً .

(٧) هو رجل من أهل الكوفة ، مولى لمعن بن زائدة ، وكان يماشر صالح بن عبد القدوس ،
لا يكاد يفارقه ، فاتهم بالزندقة . وله أخبار مع المهدي والرشيدي . انظر الأغاني (١٣ :
١٨ — ١٣) .

(٨) ذكره صاحب لسان الميزان .

(٩) كذا في الأصل وأما المرتضى والأغاني (١٦ : ١٤٣) فنقلوا عن الجاحظ .
والأوراق ١٠ قسم أخبار الشعراء . وعند ابن حجر في لسان الميزان : « حميد بن
محفوظ » . في رسم خاص . ولعله تصحيف عليه .

(١٠) في أمالي المرتضى : « قاسم بن زنفرة » .

(١١) هو مطيع بن إياس الكناني ، من مخضرمي الدولتين ، كان ظريفاً خليماً . وله = .

ابن عبد الحميد^(١) ، وعمارة بن حريية^(٢) ، يتواصلون ، وكأنهم نفس واحدة . وكان بشار ينسكرك عليهم .

ويونس^٣ الذي زعم حماد عجرد أنه قد غر نفسه بهؤلاء ، كان أشهر بهذا الرأي منهم ، وقد كان كتب كتاباً للملك الروم في مثالب العرب ، وعيوب الإسلام ، بزعمه^(٣) .

(هجائية في أبان والزنادقة)

وذكر أبو نواس أبان بن عبد الحميد اللأحق ، وبعض هؤلاء ، ذكر
إنسان يرى لهم قدراً وخطراً ، في هجائية لأبان^(٤) ، وهو قوله :
جالست يوماً أباناً لا ذرّ ذرّ أبان
ونحن حفر رواق الـ أمير بالنهر وان^(٥)

= ونشأ بالكوفة . وأخباره مسهبة في الأغاني (١٢ : ٧٥ - ١٠٣) .

(١) أبان بن عبد الحميد اللأحق ، شاعر من طراف الشعراء . نقل للبرامكة كتاب كليله ودمنة فجعله شعراً ، ليسهل حفظه عليهم ، فأعطاه يحيى عشرة آلاف دينار ، والفضل خمسة آلاف دينار ، ولم يعطه جعفر وقال : ألا يكفيك أن أحفظه فأكون راويك ؟ ! .

(٢) في الأغاني ولسان الميزان : « عمارة بن حمزة » ، وما في أوراق الصولي يوافق ما أثبت من الأصل .

(٣) زاد في أمالي المرتضى : « فأخذ منه مالا » .

(٤) ذكر مسبب هذا المجهاد ، أبو الفرج في الأغاني (٢٠ : ٧٣) قال : « كان يحيى بن خالد للبرمكي قد جعل امتحان الشعراء وترتيبهم في الجوائز ، إلى أبان بن عبد الحميد ، فلم يرض أبو نواس المرتبة التي جعله فيها أبان ، فقال يهجو بذلك » .

(٥) حضر ، هنا بمعنى قربه وبمحضر منه . وانتصب على الظرفية . وأصله بتحريك الحاء الضاد . وسكن الضاد للشعر . ويقال أيضاً حضرة ، بالفتح . قال :

فشلت يداه يوم يحمل راية إلى نهشل والقوم حضرة نهشل =

- حَتَّى إِذَا مَا صَلَاةُ الْـ أُولَى أَتَتْ لِأَوَانٍ^(١)
 فَقَامَ ثُمَّ بِهَا ذُو فَصَاحَةٍ وَبَيَّانٍ^(٢)
 فَكَلَّ مَا قَالَ قَلْنَا إِلَى انْقِضَاءِ الْأَذَانِ^(٣)
 فَقَالَ : كَيْفَ شَهِدْتُمْ بِذَا ، بَغِيرِ عَيَانٍ ؟^(٤)
 لَا أَشْهَدُ الدَّهْرَ حَتَّى تَعْبَيْنَ الْعَيْنَانِ !
 فَقُلْتُ : سُبْحَانَ رَبِّي ! فَقَالَ : سُبْحَانَ مَا نِي !^(٥)
 فَقُلْتُ : عَيْسَى رَسُولٌ فَقَالَ : مِنْ شَيْطَانٍ !^(٦)
 فَقُلْتُ : مُوسَى كَلِيمُ الْـ مَهِيمِنِ الْمَنَانِ^(٧)

١٤٤

= والذواق ، بالكسر : مقدم البيت ، أو سقف في مقدمه . ط ، س :
 « ونحن وحضروا » ، وتصحيحه من الديوان ١٨٠ وأوراق الصولى (قسم أخبار
 الشعراء ١١) .

« (١) صلاة الأولى ، عني بها الصبح . لأوان : أى لأوانها ووقتها . س ، ط : « الأذان » ،
 وأثبت ما في الديوان ، والأوراق ، والأغاني . وفي هـ والخزائن (٣ : ٤٥٨ بولاق)
 نقلا عن الأغاني : « لأذان » ، وإخاها تحريفاً .

« (٢) أى قام بصلاة الصبح مؤذنا لها ، رجل ذو فصاحة وبيان . فالمراد الأذان ،
 لا الصلاة .

« (٣) أى كلما قال المؤذن قولاً رددوه بعده .

« (٤) بذا : أى بقول المؤذن : « أشهد ألا إله إلا الله » ، « أشهد أن محمداً رسول الله » . بغير
 عيان : بغير معاينة ومشاهدة .

« (٥) ماني : صاحب دين المانوية الزنادقة . انظر ما كتبت عنهم في ص ٨١ .

« (٦) في الأصل : « من شيطاني » ، صوابه من الديوان والأوراق . وقد أراد أنه قال :
 رسول من شيطان !

« (٧) المنان : اسم من أسماء الله تعالى ، أى المعطى ابتداء . وفي الأصل : « المنان » ، تصحيحه
 من الديوان والأوراق .

فقال : ربُّكَ ذُو مُقَدِّ لَمَةٍ إِذَا وَلِسانِ ؟
 فَنفْسُهُ خَلَقَتْهُ أَمَّ مَنْ ؟ ! فَقُمْتُ مَكَانِي
 عَنْ كَافِرٍ يَتَمَرَّى بِالْكَفْرِ بِالرَّحْمَنِ (١)
 يَرِيدُ أَنْ يَتَسَوَّى بِالْعُصْبَةِ الْمُجَّانِ
 بِعَجْرَدٍ وَعُبَادٍ وَالْوَالِيِّ الْهَجَّانِ (٢)
 وَقَاسِمٍ وَمُطِيعٍ رِيحَانَةِ النَّدْمَانِ (٣)

وَتَعَجَّبِي مِنْ أَبِي نَوَاسٍ ، وَقَدْ كَانَ (٤) جَالِسَ الْمُتَكَلِّمِينَ أَشَدُّ مِنْ تَعَجَّبِي
 مِنْ حَمَّادٍ ، حِينَ يَحْكِي عَنْ قَوْمٍ مِنْ هَؤُلَاءِ قَوْلًا لَا يَقُولُهُ أَحَدٌ (٥) . وَهَذِهِ قُرَّةُ (٦)
 عَيْنِ الْمَهْجُوِّ . وَالَّذِي يَقُولُ : سَبْحَانَ مَانِي ، يَعْظُمُ أَمْرَ عَيْسَى تَعْظِيمًا شَدِيدًا (٧)

(١) يَتَمَرَّى : يَتَزَيَّن . يَقُولُ : هُوَ يَتَخَذُ الْكَفْرَ زِينَةً لَهُ . وَبِئْسَ الزَّيْنَةُ ! . ط
 وَالْأَوْرَاقُ : « يَتَمَرَّى » بِمَعْنَى يَشْكُ ، وَلَيْسَ لَهُ وَجْهٌ صَالِحٌ . وَأَثْبَتَ مَا فِي س
 وَالِدِيَّانَ . وَفِي هـ : « مَتَمَرَّى » تَحْرِيفٌ مَا فِي س . وَبَيْنَ هَذَا الْبَيْتِ وَسَابِقِهِ
 بَيْتَانِ فِي الدِّيَّانِ ، هُمَا :

وَقُلْتُ رَبِّي ذُو رَحْمَةٍ وَذُو غُفْرَانٍ
 وَقُمْتُ أُسْحَبُ ذَيْلِي عَنْ هَازِيٍّ بِالْقُرَّانِ

(٢) فِي الصَّفْحَةِ ٤٤٧ ، مِنْ اسْمِهِ : « عِبَادَةٌ » ، فَلَعَلَّهُ هُوَ بِمَدِّ تَغْيِيرٍ يَسِيرٌ ، لَمَّا يَقْتَضِيهِ
 الشَّمْرُ . أَمَّا الْوَالِيُّ فَهُوَ وَالِيَةُ بْنُ الْحَبَابِ . شَاعِرٌ مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ،
 هَاجِيَ بِشَارًا وَأَبَا الْعَتَاهِيَةِ فَلَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا ، وَفَضَحَاهُ . وَهُوَ أَسَازُ أَبِي نَوَاسٍ .
 الْأَغَانِي (١٦ : ١٤٢) .

(٣) سَبَقَ تَفْسِيرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ فِي ص ٤٤٦ .

(٤) س : « وَدُو كَانَ » .

(٥) إِشَارَةٌ إِلَى مَا سَبَقَ فِي ص ٤٤٣ .

(٦) هـ : « قُوَّة » تَحْرِيفٌ .

(٧) هَذَا مَا فُهِمَ الْجَاهِظُ . وَيُؤَيِّدُهُ مَا وَرَدَ فِي فَهْرِسْتِ ابْنِ النَّدِيمِ ٣٢٨ لَيْسَكَ ٥٨ :
 مَصْرُ : « زَعَمَ مَانِي أَنَّهُ الْفَارَقْلِيْطُ الْمُبَشِّرُ بِهِ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ » . وَاسْتَخْرَجَ مَانِي =

فكيف يقول : إنه من قبَلِ شيطان ؟ !

وأما قوله : « فَنَفْسُهُ خَلَقَتْهُ أُمٌّ مِنْ » فَإِنَّ هَذِهِ مَسْأَلَةٌ نَجْدُهَا ظَاهِرَةٌ عَلَى
الْأُسْنِ الْعَوَامِّ . وَالْمُسْكَلَمُونَ لَا يَحْكُونَ هَذَا عَنْ أَحَدٍ .

وفى قوله : « وَالْوَالِئِيُّ الْهَيْجَانُ » دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ مِنْ شَكْلِهِمْ .

والعجب أَنَّهُ يَقُولُ فِي أَبَان : إِنَّهُ ثَمَّنَ يَتَشَبَّهُ بِعَجْرَدٍ وَمُطِيعٍ . وَوَالِبَةٍ
ابْنِ الْحَبَابِ . وَعَلَى بْنِ الْحَلِيلِ . وَأَصْبَغُ (١) - وَأَبَانُ فَوْقَ مَلَأِ الْأَرْضِ
مِنْ هَوْلَاءِ . وَلَقَدْ كَانَ أَبَانُ ، وَهُوَ سَكْرَانُ ، أَصَحَّ عَقْلاً مِنْ هَوْلَاءِ وَهُمْ
صَحَاءُ (٢) . فَأَمَّا اعْتِقَادُهُ فَلَا أُدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ فِيهِ ؛ لِأَنَّ النَّاسَ لَمْ يُوْتُوا
فِي اعْتِقَادِهِمُ الْخَطَأَ الْمَكْشُوفَ ، مِنْ جِهَةِ النَّظَرِ (٣) . وَلَكِنْ لِلنَّاسِ تَأْسٌ
وَعَادَاتٌ ، وَتَقْلِيدٌ لِلآبَاءِ وَالْكِبَرَاءِ ، وَيَعْمَلُونَ عَلَى الْهَوَى ، وَعَلَى مَا يَسْبِقُ
إِلَى الْقُلُوبِ ، وَيَسْتَنْقِلُونَ التَّحْصِيلَ ، وَيُهْمِلُونَ النَّظَرَ ، حَتَّى يَصِيرُوا
فِي حَالٍ مَتَى عَاوَدُوهُ وَأَرَادُوهُ ، نَظَرُوا بِأَبْصَارِ كَلِيلَةٍ (٤) ، وَأَذْهَانِ مَدْخُولَةٍ ،
[وَ] مَعَ سُوءِ عَادَةٍ . وَالنَّفْسُ لَا (٥) تَجِيبُ وَهِيَ مُسْتَكْرَهَةٌ . وَكَانَ

= مَذْهَبُهُ مِنَ الْمَجُوسِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ . لَكِنْ جَاءَ فِي الْفَهْرَسْتِ أَيْضاً مَا يُؤَيِّدُ مَا فِيهِمْ
أَبُو نَوَاسٍ . فِيهِ : « وَمَا يَنْتَقِصُ سَائِرُ الْأَنْبِيَاءِ فِي كِتَابِهِ ، وَيُزَيَّرُ عَلَيْهِمْ ،
وَيُرْمَى بِالسُّكُوبِ ، وَيُزَعَمُ أَنَّ الشَّيَاطِينَ اسْتَحُوذَتْ عَلَيْهِمْ ، وَتَكَلَّمَتْ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ
بَلْ يَقُولُ فِي مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ : إِنَّهُمْ شَيْاطِينُ ! فَأَمَّا عَيْسَى الْمَشْهُورُ عِنْدَنَا وَعِنْدَ
النَّصَارَى ، فَيُزَعَمُ أَنَّهُ شَيْطَانٌ » الْفَهْرَسْتُ ٤٦٨ مِصْر . فَالظَّاهِرُ أَنَّ مَرْدَ ذَلِكَ
الْخِلَافِ إِلَى مَا فِي أَقْوَالِ مَا فِي مِنَ التَّنَاقُضِ وَالتَّنَافُرِ .

(١) لَمْ يَذْكُرْ هَوْلَاءَ بَحِيماً فِيمَا رَوَاهُ الْجَا حِظُّ مِنَ الْقَصِيدَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، فَلَعَلَّهُ سَقَطَ مِنْهَا شَيْءٌ .
وَانْظُرِ الدِّيَوَانَ وَالْأَوْرَاقَ حَيْثُ تَجِدُ زِيَادَةً فِي الشَّعْرِ .

(٢) الْعَصَاةُ : جَمْعُ صَاحٍ ، مِنْ صَحَا يَصْحُو . س : « أَحْصَاءُ » ، صَوَابُهُ فِي ط ، هـ
وَالْأَوْرَاقُ ١٢ قِسْمُ أَخْبَارِ الشُّعْرَاءِ .

(٣) ط ، هـ : « النَّظِيرُ » ، صَوَابُهُ فِي س .

(٤) كَلِيلَةٌ : ضَعِيفَةٌ . س : « قَلِيلَةٌ » تَحْرِيفٌ . وَفِي الْأَصْلِ : « وَنَظَرُوا » .

(٥) س : « لَّا » .

يقال : « العقل ^(١) إذا أكره ^(٢) عَمِي » . ومتى عَمِيَ الطَّبَاعُ ^(٣) [و] جَسَأَ وغلظ وأهمل ، حتَّى يألف الجهل ، لم يكد ^(٤) يفهم ما عليه وله . فلهذا وأشباهه قاموا على الإلف ، والسَّابِق إلى القلب .

(شعر لحماة عجرد)

وقال حمادُ عَجْرَدُ :

اعْلَمُوا أَنَّ لُودَى ثَمْنَا عِنْدِي ثَمِينًا
لَيْتَ شِعْرِي أَيْ حُكْمٍ قَدْ أَرَاكُمْ تَحْكُمُونَا
أَنْ تَكُونُوا غَيْرَ مُعْطِي نَ وَأَنْتُمْ تَأْخُذُونَا ^(٥)
ابْنِ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ فِي اسْتِ هَذَا الدِّينِ دِينَا ^(٦)

١٤٥

وما رأيت أحداً وضع لقمان بن عاد في هذا الموضع . غيره ! وقال
حمادُ عَجْرَدُ في بشار :

يَا ابْنَ الْخَيْثَةِ إِنَّ أُمَّ لَمْ تَكُنْ ذَاتَ اكْتَامٍ ^(٧)
وَتَبَدَّلْتَ ثَوْبَانِ ذَا الْـ أَيْرِ الْمَضْبَرِّ وَالْعُرَامِ ^(٨)

(١) ط ، هـ : « الطفل » ، صوابه في س .

(٢) في الأصل : « كره » .

(٣) الطَّبَاع ، بالكسر : الطبع والسجية .

(٤) ط ، هـ : ولم يكد « بإثبات الواو قبلها ، صوابه في س .

(٥) ط : « تأخذون » ، صوابه في س ، هـ .

(٦) ابن : أمر من بنى يبنى . ط ، س : « أين » وصوابه في هـ . ولقمان :

أى يالْقَمَان ، حذف حرف النداء .

(٧) أى كانت تجاهر بفسقها .

(٨) ثوبان : رجل اتهمت أم بشار به . وفيه أيضاً يقول حماد عجرد (الحيوان

ثَوْبَانٌ دَقَاقَ الْأَزْزِ بَارَوَاتِ حَسَامٍ^(١)
عَسْرُدُ كَقَائِمَةِ السَّرِّ بِرٍ يُبِيلُهَا عِنْدَ الرُّطَامِ^(٢)
وَأَتَتْ سُمَيْعَةَ بَعْدَهَا بِالمَصْئَلَاتِ الْعِظَامِ^(٣)
أَخْتِ لَمْ كَانَتْ تَكَا بِرٌ أَنْ تُسَافِحَ مِنْ قِيَامِ^(٤)
وَقَالَ حَمَادٌ بِذِكْرِ بَشَارٍ .

غَزَالَةُ الرَّجْسَةِ أَوْ بَنَتَا سُمَيْعَةَ النَّاعِبَةِ الْفَهْرَا^(٥)
وَقَالَ وَذَكَرَ أُمِّهِ^(٦)

أَبْنَى غَزَالَةَ يَا بَنِي جُشْمِ اسْتَهَا لِيَحْقُقْكُمْ أَنْ تَفْرَحُوا لَا تَنْجَزُوا^(٧)
(حَمَادٌ عَجْرَدٌ وَبَشَارٌ)

وما [كان] ينبغي لبشارٍ أن ينظرَ حماداً من جهة الشعر وما يتعلقُ

-
- = يابن اللقي نشرت عن شيخ صبيها لأير ثوبان ذي الهامات والمعبر
يقول : تبدلت ثوبان بزوجه . ط : « ثوبين » ، تحريف صوابه
في س ، ه .
(١) ط : « دقاقا » صوابه في س ، ه . ط : « الازار » وأثبت ما في س ،
ه ، وهما محرفان . س : « يدتها أرزب خام » وأثبت ما في ط ، ه .
على تحريفهما .
(٢) للعرد ، بالفتح : الصلب الشديد . ط : « كقائمة السير » صوابه في س ، ه .
يبيلها : يجعلها تبسول . ط ، س : « يسلمها » ووجه ما أثبت من س .
والرطام : أن يخالطها مستوعبا . ه : « الركام » صوابه في ط ، س .
(٣) ضبطت « سماعة » بهيئة التصغير في س . والمصئلات : السواهي .
(٤) تكابر ، هي في ط : « لكابر » محرفة .
(٥) كذا جاء البيت .
(٦) أي أم بشار . ط ، س : « وقال ذو الرمة » وهو تحريف لاجرم .
(٧) أبني ، أي يابني . والجشم ، كعرد : الجوف : ط ، ه : « ياجشم »
ولا كاله من س .

بالشعر ؛ لأن حماداً في الحضيض ، وبشّاراً مع العيوق^(١) . وليس في الأرض
مولدٌ قرّوى يُعدُّ شعره في المحدث إلا وبشّارٌ أشعرُ منه .

(شعر في هجو بعض الزنادقة)

وقال أبو الشمقمق في جميل بن مخفوظ^(٢) :

وهذا جميلٌ على بغله وقد كان يعدو على رجله
يرُوحُ ويغدو كأيّبرِ الحمارِ ويرجعُ صيفراً إلى أهله^(٣)
وقد زعموا أنّه كافرٌ وأنّ التّزندقَ من شكليه
كأنى به قد دعاه الإمامُ وأذن ربك في قتليه

(غلو أبي نواس في شعره)

وأما أبو نواس فقد كان يتعرّضُ للقتلِ بجهده . وقد كانوا يعجبون

من قوله :

كيف لا يُدْنِيكَ مِنْ أَمَلٍ مَنْ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ نَفَرِهِ^(٤)

(١) العيوق ، بفتح العين ، وتشديد الياء المضمومة : نجم أحمر مضى في طرف الهجرة
الأيمن ، يتلو الثريا لا يتقدمها . يضرب به المثل في العلو .

(٢) سبقت ترجمته في ٤٤٧ .

(٣) ط : « يروح ويغدو » صوابه في س ، هـ . صيفراً : خالي اليدين .

(٤) من نفره : من قومه وأنصاره : هـ : « نقله » تحريف . والبيت من قصيدة
رائية مشهورة مطلعها :

أيها الكتاب من عفره لست من ليلي ولا سمره

يملح بها العباس بن عبيد الله بن أبي جعفر المنصور . الديوان ٦٦ . وقد أثار
هذا البيت ضجة كبيرة بين الأدباء ، فأخذوا عليه قوله : « من رسول الله من
نفره » . انظر الكامل ٢٢٤ - ٢٣٥ ليسك والعقد (٣ : ٤٣٦ - ٤٣٧) =

خلما قال :

فأحبيب قريشاً لحبِّ أحمدِها واشكُرُ لها الجزلَ من مواهبها^(١)
جاء بشيء غطى على الأول .
وأنكروا عليه قوله :

* لو أكثر التَّسْيِيح ما نَجَّاه *

= حيث تجد النقد والاعتذار له . وفي الموشح ٢٧٩ أن أبا علي الضير ، أحد رواة أبي نواس قال : « أنشدني أبو نواس في العباس بن عبيد الله ؛ مديحه الذي يقول فيه :
كيف لا يدنيك من أمل من رسول الله من نفره
فعلمت أنه كلام رديء مستهجن . موضوع في غير موضعه ، وأنه مما يعاب به ؛
لأن من حق الرسول صلى الله عليه وسلم أن يضاف إليه ، وألا يضاف إلى أحد . فرأى ذلك في وجهي ، فقال لي : ويلك ! إنما أردت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم من القبيل الذي هو منه ، كما قال حسان :

وما زال في الإسلام من آل هاشم دعائم عز لا ترام ومنفخر
بها ليل منهم جعفر وابن أمه علي ومنهم أحمد المتخير
فقال : منهم ، كما قلت من نفره . أي من نفر الذين العباس منهم ، فاتهمب
من هذا ؟ ! » . قال أبو علي : « فعلمت أن هذا ضرب من الاحتيال » . وقد
روى هذا الخبر في أخبار أبي نواس ١٦١ - ١٦٢ وزاد في آخره : « ولكنه
قد أحسن المخرج منه » . وفي الصناعتين ١١٣ نظائر لهذا الخطأ .

(١) رواية الديوان ١٥٧ : « أحبيب » بقطع الهزة وإسقاط الفاء : أمر من أحب
يجب . ورواية الجاحظ هنا تخرج على لغة ضعيفة . وفي اللسان عن الفراء ، أن
حبيته لغة . وفيه أيضاً : « وكره بعضهم : حبيته ، وأنكر أن يكون هذا البيت
لفصيح » . وفيه : « وحكى سيويه : حبيته وأحبيته بمعنى » . وفي الصناعتين ١١٣ :
« وأحبيب » . والبيت من قصيدة جيدة لأبي نواس يفتخر فيها بتقحطان ويهجو
عدنان ، وقد أبدع في صنعتها إبداعاً ، وأنى بطريف حقاً . ولكن هذه القصيدة
جلبت إليه شؤماً بما حبسه الرشيد وأطال من حبسه . ومطلعها :

ليست بدار عفت وغيرها ضربان من قطرها وجاصبها
ونبها يقول :

فأهج زاراً وافر جلدها واهتك الستر عن مثالبها

فلما قال :

١٤٦ يا أحمَد المرتجى في كُلِّ نائبةٍ قُم سَيِّدِي نَعَصِرْ جَبَّارَ السَّمَوَاتِ (١)
 غَطَى هذا على الأول (٢) . وهذا البيت مع كُفْرِهِ مُقْبِتٌ جداً . وكان
 يُكْثِرُ في هذا الباب (٣) .

(خطأ أبي نواس في شعره)

وأما سوى هذا الفن فلم يعرفوا له من الخطأ إلا قوله :
 أَمَسْتَخِيرَ الدَّارِ هَلْ تَنْطِقُ أَنَا مَكَانَ الدَّارِ لَا أَنْطِقُ (٤)
 كَانَهَا إِذْ خَرَسَتْ جَارِمٌ بَيْنَ ذَوَى تَفْئِيدِهِ مُطْرَقُ (٥)
 فعابوه بذلك ، وقالوا : لا يقول أحد : لقد سكنت هذا الحجر ، كَانَهُ

(١) أحد هذا ، هو أحمد بن أبي صالح ، كان أبو نواس يعمشه . أخبار أبي نواس ١٤٥ .
 وأبيات القصيدة فيها ، وفي ديوانه ٢٤٩ - ٢٥٠ . وقبله :

فَقَلْتُ وَالْقَلِيلُ يَجْلُوهِ الصَّبَاحُ كَمَا يَجْلُو التَّيْسُ عَنْ غُرِّ الثَّيَّاتِ

(٢) في الأصل : « الأول » . وانظر مثل هذا التعقيب في الصفحة السابقة .
 و « غطى » رسمت بالألف في هذا الموضع . وسابقه في كل من ط ، هـ وهو
 رسم قديم . وأثبت ما في س .

(٣) أي كان أبو نواس يكثر من القول في مثل المعنى السابق . وما قال في ذلك .
 (الصناعتين ١١٣) :

تَنَازَعَ الْأَحْمَدَانِ الشُّبَّةَ فَاشْتَبَهَا خَلْقًا وَخُلُقًا كَمَا قَدْ الشَّرَاكَانِ

قال العسكري : « فزعم أن ابن زبيدة مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في خلقه وخلقه » .

(٤) ط : « أخبر الديار » س : « أَمَسْتَخِيرَ الديار » هـ : « يَأْمَسْتَخِيرَ الديار » .
 ولعل صوابه ما أثبت . وعجز البيت هكذا ورد بالأصل .

(٥) الجارم : الجاني . والتفئيد ، المراد به : اللوم والعذل . والتفئيد : التشكيب والتعجيز
 وتخطيء الرأي وتضعيفه . والبيت عند العسكري في الصناعتين ٦٨ .

إنسان ساكت ، وإنما يُوصَفُ خَرَسُ الإنسانِ بِخَرَسِ الدَّارِ ، وَيُشَبَّهُ صَمَمُهُ بِصَمَمِ الصَّخْرِ .

وعابره بقوله ، حين وصف عَيْنَ الأسدِ بالبحوظِ ، فقال :
كَأَنَّمَا عَيْنُهُ إِذَا التَّهَيَّتْ بَارِزَةً الْجَفْنِ عَيْنٌ مَخْنُوقٌ^(١)
وَهُمْ يَصِفُونَ عَيْنَ الْأَسَدِ بِالغَوُورِ . قال الرَّاجِزُ :
كَأَنَّمَا يَنْظُرُ مِنْ جَوْفِ حَجَرٍ^(٢) .

وقال أبو زبيد^(٣) :
كَأَنَّ عَيْنِيهِ فِي وَقَبَيْنِ مِنْ حَجَرٍ قَبِيضًا اقْتِيَاضًا بِأَطْرَافِ الْمَنَاقِيرِ^(٤)
ومع هذا فإننا لا نعرف بَعْدَ بَشَارٍ أَشْعَرَ مِنْهُ^(٥) .
وقال أبو زبيد :

وَعَيْنَانِ كَالْوَقَبَيْنِ فِي مَلءِ صَخْرَةٍ تَرَى فِيهِمَا كَالْجَمْرَتَيْنِ تَسْعَرُ^(٦)

(قصة راهبين من الزنادقة)

وحدثني أبو شعيب القلالُ ، وهو صُفْرِيُّ^(٧) ، قال : رهبان الزنادقة

- (١) هـ : « والمخنوق » وأثبت ما في ط ، س والصناعتين ١١٥ .
(٢) في الصناعتين : « من خرق حجر » .
(٣) هو أبو زبيد الطائي ، الذي تقدمت ترجمته في (١ : ٣٥٢) .
(٤) الوقب ، بالفتح : النقرة في الصخر . قبضا : شقا وحفرا . اقتياضا : استئصالا .
في الأصل : « قبضا اقتناضا » بحرف ، صوابه في الصناعتين ١١٥ . والمناقير : جمع منقار ، وهو حديدة كالنفاس ينقر بها .
(٥) منه : أي من أبي نواس . وحق هذا التعقيب أن يكون بعد البيت الآتي .
(٦) في الصناعتين : « في قلب صخرة » يرى فيها « .
(٧) الصفري ، بالضم ، ويكسر : واحد الصفرية . وهم فرقة من الخوارج ، نسبوا إلى زياد بن الأصفر ، أو عبدة بن صفار ، أو إلى صفرة ألوانهم ، أو لخلوهم من =

..سَيَّاحُونَ^(١) ؛ كَانَهُمْ^(٢) جعلوا السَّيَّاحَةَ بدلَ تَعْلُقِ النَّسْطُورِيِّ^(٣) في المطامير .
و [مُقَامٌ^(٤)] الْمَلِكَانِيُّ^(٥) في الصَّوَامِعِ . وَمُقَامُ النَّسْطُورِيِّ

= للدين . انظر القاموس . وتفصيل مذهبهم في الفرق ٧٠ - ٧١ والملل والنحل
(١ : ١٨٣ - ١٨٤) . والأرجح نسبتهم إلى زياد بن الأصفر ، كما في الفرق
والملل . ط : « صغرى » صوابه في س ، هـ .

(١) السَّيَّاحَةُ : الذهاب في الأرض للعبادة ، وانظر ماسياني من قول الجاحظ .

(٢) ط ، هـ : « لَانَهُمْ » وأثبت ما في س .

(٣) في القاموس : « النسطورية » بالضم وتفتح : أمة من النصارى تخالف بقيتهم .
وهم أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمن المأمون ، وتصرف في الإنجيل
بحكم رأيه ، وقال : إن الله واحد ذو أقانيم ثلاثة . وفي الفصل (١ : ٤٩) :
« وهذه الفرقة غالبية على الموصل والعراق وفارس وخراسان . وهم منسوبون إلى
نسطور ، وكان بطريركا بالقسطنطينية » . وقد أخطأ صاحب القاموس ؛ فإن
نسطور ، أو نسطورس كان قبل الهجرة لا في زمن المأمون كما زعم . وقد ذكر
المسعودي في التنبيه والإشراف ١٢٧ أن السهودس الثالث بمدينة أفسيس قرر
لنسطورس والتبرؤ منه ونفيه ، فسار إلى صعيد مصر فأقام ببلاد أخميم والبلينا
ومات بقرية يقال لها سيفلح » . وقد كان اجتماع ذلك السهودس في سنة ٤٣١
الميلادية ، كما جاء في كتاب تاريخ الأمة للقبطية ، تأليف لجنة التاريخ القبطي (الحلقة
الثانية ١١٦) . ، وكما جاء في معجم القرن العشرين : (Nestorian) . وصاحب
القاموس المحيط المتوفى سنة ٨١٧ هـ قد تابع في خطئه هذا ، ما ذكره الشهرستاني
صاحب الملل والنحل المتوفى سنة ٥٤٨ هـ ، حيث قال في (٢ : ٦٤) : « النسطورية
أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون » . وانظر رد ابن الأثير عليه في السكامل
(١ : ١٩١) . وقد تولى نسطورس بطريركا سنة ٤٢٨ م . فينبه وبين ظهور الإسلام
نحو ١٨٣ سنة .

(٤) ليست بالأصل . وبها يلتزم الكلام .

(٥) الملكاني : واحد الملكانية ، ويقال ملكاني وملكانية ، كما في مفاتيح العلوم ٢٣
وملكي وملكية كما في التنبيه والإشراف ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ،
١٣٦ . وفي مفاتيح العلوم : « وهم منسوبون إلى ملكاء . وهم ألقابهم » . يعني
أقدم النصارى . وفي الملل والنحل (٢ : ٦٢) : « الملكانية أصحاب ملكا الذي
ظهر بالروم واستولى عليها » . والحق أن الملكانيين منسوبون إلى « ملكا » =

في المطامير (١) .

قال : ولا يسيحون إلا أزواجا . ومتى رأيت منهم واحداً فالتفت
رأيت صاحبه (٢) « والسياحة عندهم ألا يبيت أحدهم في منزل ليلتين . قال :
ويسيحون على أربع خصال : على القدس ، والطهر ، والصدق ، والمسكنة .
فأما المسكنة ، فإن يأكل من المسألة (٣) ، ومما طابت به أنفس الناس له
حتى لا يأكل إلا من كسب غيره الذي عليه غرمة ومأثمه . وأما الطهر
فترك الجماع . وأما الصدق فعلى ألا يكذب . وأما القدس فعلى أن يكتف
ذنبه ، وإن سئل عنه .

قال : فدخل الأهواز منهم رجلان ، فضى أحدهما نحو المقابر للغائط
وجلس الآخر بقرب حانوت صائغ ، وخرجت امرأة من بعض تلك القصور
ومعها حق (٤) فيه أحجار نفيسة ، فلما صعدت من الطريق إلى دكان
الصائغ زلقت فسقط الحق من يدها ، وظلم لبعض أهل تلك الدور يتردد ٦٤٧
فلما سقط الحق وبأينه الطبق (٥) ، تبدد ما فيه من الأحجار ، فالتقم

= « ومعناه » الملك بالسريرية . والمراد بهم : أتباع مذهب قياصرة الروم ، الذي يسمى
أيضاً المذهب الخلقيدوني ، الذي أقره المجمع الملقود في خلقيدونية سنة ٤٥١ م . انظر تاريخ
الأمة القبطية (الحلقة الثانية ص ٩١ - ٩٣) .

(١) المراد بالمطامير : أماكن تهيأ تحت الأرض . وهي في أصلها القنوى : حفر أو أماكن
تحت الأرض ، يطمر فيها الطعام والمال ، أي يخبأ . والمطمورة أيضاً : السجن تحت
الأرض . انظر اللسان .

(٢) س : « ترى صاحبه » .

(٣) أى سؤال الناس الطعام . س : « فأنه » مكان : « فأن » .

(٤) الحق ، بالضم : وعاء من الخشب ، ومثله الحققة ، بالضم أيضاً . وقد يكون الحق جمعاً
لحققة ، كما في اللسان والقاموس . لكن المراد هنا المفرد قطعاً .

(٥) الطباق ، بالتحريك : غطاء كل شيء . وفي الحديث : « حجاب النور » ، لو كشف
طبقة لأحرقت سباحات وجهه كل شيء أدركه . سمي طبقاً لأنه يطابق ويساوى
ما هو غطاء له .

ذلك الظليم أعظم حَجَرٍ فيه وَأَنْفَسَهُ^(١) ، وذلك بِعَيْنِ السَّائِحِ^(٢) ؛ ووثبه الصَّائِغُ وغلَّمانه فجمعوا تلك الأحجارَ ، وَنَحَّوْا النَّاسَ^(٣) وصاحوا بهم فلم يَدْنُ منهم أحدٌ ، وفقدوا ذلك الحجرَ ، فصرخت المرأةُ ، فكشفَ القَوْمُ وتناحوا^(٤) ، فلم يصيبوا الحجرَ ، فقال بعضهم : والله ما كان بقربنا إلا هذا الرَّاهِبُ الجالسُ ، وما ينبغي أن يكون إلا معه ! فسألوه عن الحجر فكرِه أن يخبرهم أنه في جوف الظليم فيذبح الظليمُ ، فيكون قد شارك في ذم بعض الحيوان ، فقال : ما أخذتُ شيئاً ! وبحشوه وفتشوا كلَّ شيء معه وألحوا عليه بالضرب ، وأقبل صاحبه وقال : اتقوا الله ! فأخذوه وقالوا^(٥) دفعته إلى هذا حتَّى غيَّبه ! فقال : ما دفعتُ إليه شيئاً ! فضرَبوهما ليقرَّ^(٥) فيئنا هما كذلك إذ مرَّ رَجُلٌ يَعْقِلُ ، ففهم عنهم القِصَّةَ ، ورأى ظليماً يتردَّدُ فقال لهم : أكان هذا الظليمُ يتردَّدُ في الطريق حين سقط الحجر ؟ قالوا : نَعَمْ . قال : فهو صاحبكم . فعوضوا أصحاب الظليم ، وذبحوه وشقُّوا عن قانصته ، فوجدوا الحجر وقد نَقَصَ في ذلك المقدار من الزَّمانِ شبيهاً بِشَطْرِهِ^(٦) ، إلا أنها أعطته لونها صارَ الذي استفادوه من جهة اللونِ أربحَ لهم من وزنِ ذلك الشَّطرِ أن لو كان لم يذهب .

ونارُ القانصةِ غيرُ نارِ الحجرِ^(٧) .

(١) العين ، بالفتح : المعاينة . ومنه قولهم في المثل : « تطلب أثراً بعد عين » . انظر أمثال الميداني في هذا الرسم .

(٢) نحوا : أبعدوا . ط : « نحو الناس » صوابه ، في س ، هـ .

(٣) تناحوا : المراد بها تباعدوا . ط : « تناجوا » بالجيم ، صوابها في س ، هـ .

(٤) ط ، س : « وقال » صوابه من هـ .

(٥) في الأصل : « لموتاً » . وفي الجماهر للبيروني ٤١ : « فضرَبوا ضرب التقرير » .

(٦) أي قريباً من نصفه .

(٧) أي النار التي تفتح من الحجر .

القول في النيران وأقسامها

ونحنُ ذاكِرُونَ جَمَلًا في القول في النيرانِ وأجناسها ، ومواضعها ، وأىُّ شَيْءٍ منها يضافُ إلى العَجَم ، وأىُّ شَيْءٍ منها يضافُ إلى العَرَب . ونُخَبِّرُ عن نيرانِ الدِّياناتِ وغيرِ الدِّياناتِ . وعَمَّنْ عَظَمَها وعَمَّنْ اسْتَهَانَ بِهَا . وعَمَّنْ أَفْرَطَ في تعظيمها حتَّى عَبَدَهَا . ونُخَبِّرُ عن المواضعِ التي عَظُمَ فيها مِنْ شَأْنِ النَّارِ .

(نار القربان)

فمن مواضعها التي عَظُمَتْ بِهَا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جعلها لِبَنِي إِسْرَائِيلَ في موضعِ امتحانِ إخلاصهم ، وتَعَرُّفِ صدقِ نِيَّاتهم ؛ فكانوا يَتَقَرَّبُونَ بِالْقُرْبَانِ . فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ ^(١) مُخْلِصًا نَزَلَتْ نَارٌ مِنْ قِبَلِ السَّمَاءِ حَتَّى تُحِيطَ بِهِ ^(٢) فَتَأْكُلَهُ ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ كَانَ صَاحِبُ الْقُرْبَانِ مُخْلِصًا فِي تَقَرُّبِهِ . وَمَتَى لَمْ يَرَوْهَا وَبَقِيَ الْقُرْبَانُ عَلَى حَالِهِ . قَضَوْا بِأَنَّهُ كَانَ مَدْخُولَ الْقَلْبِ فَاسِدَ النِّيَّةِ . وَلِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا إِلَّا نُدْوَ مِنْ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ ٩٤٨ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالْأَذَى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ^(٣) ﴾ .

والدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ قَدْ كَانَ مُعْلُومًا ، قولُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ :

(١) « فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ » ساقطة من هـ .

(٢) أى بالقربان . وفي الأصل : « حَم » ، تحريف .

(٣) الآية ١٨٣ من آل عمران .

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ ﴾ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ سَتَرَ عَلَى عِبَادِهِ ، وجعل بيان ذلك في الآخرة . وكان ذلك التدبير مصلحة ذلك الزمان^(١) ، ووفق^(٢) طبائعهم وعملهم . وقد كان القوم من المعاندة والغاوة على مقدار لم يكن لينجح^(٣) فيهم ويكمل لمصلحتهم إلا ما كان في هذا الوزن . فهذا باب من عظم شأن النار في صدور الناس .

ومما زاد في تعظيم شأن النار في صدور الناس^(٤) قول الله عز وجل : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى . إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ^(٥) أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هَدًى . فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى . إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ . وقال عز وجل : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ^(٦) إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ . فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . وكان ذلك مما زاد في قدر النار في صدور الناس .

(١) في ثمار القلوب ٤٥٥ نقلا من الجاحظ : « وكان ذلك التدبير مصلحة في ذلك الأمر » .

(٢) ط : « ووافق » ، وأثبت ما في هـ و ثمار القلوب .

(٣) ط : « ينجح » .

(٤) الكلام من قوله : « قول الله عز وجل » إلى هنا ، ساقط من س .

(٥) في الأصل : « بنجر » وهو تحريف شنيع . والآية هي العاشرة من سورة طه .

(٦) ط ، هـ : « فقال لأهله امكثوا » س : « وقال لأهله امكثوا » . وهو تحريف كبير كسابقه . والآية هي السابعة من سورة النمل . وقد سبق مثل هذا التحريف في القرآن ، في ص ٨ و ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٣١٠ . وانظر تحقيق النصوص لعبد السلام هارون ص ٤٥ .

ومن ذلك نار إبراهيم صلى الله عليه وسلم . وقال الله عز وجل : ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ . قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ ثم قال ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ فلما قال الله عز وجل : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ كان ذلك ممَّا زاد في نباهة النار وقدرها في صدور الناس .

باب آخر

(تنويه القرآن الكريم بشأن النار)

وهو قوله عز وجل : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا ، فَإِذَا أَذْتُمْ مِنْهُ تُوْقِدُونَ ﴾ (١) .
والنار من أكبر الماعون (٢) ، وأعظم المرافق . ولو لم يكن فيها إلا أن الله عز وجل قد جعلها الزاجرة عن المعاصي ، لكان ذلك ممَّا يزيد في قدرها ، وفي نباهة ذكرها .

وقال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ . ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴾ (٣) ، ثم قال : ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴾ (٤) . فقف عند قوله : ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا ﴾ -

(١) الآية ٨٠ من سورة يس .

(٢) الماعون : ما ينتفع به . في الأصل : « من أكثر الماعون » .

(٣) الآيتان ٧١ ، ٧٢ من سورة الواقعة .

(٤) الآية ٧٣ من سورة الواقعة .

فإن كنت بهذا القول مؤمناً فتذكر ما فيها من النعمة أولاً ثم آخرها ، ثم توهم مقادير النعم وتبصريفها .

١٤٩ وقد علمنا أن الله عذب الأمم بالغرق ، والرياح ، وبالخاصب (١) ، والرجم (٢) ، وبالصواعق ، وبالحسف (٣) ، والمسح ، والجوع ، والنقص من الثمرات ، ولم يبعث عليهم نارا ، كما بعث [عليهم (٤)] ماء وريحا وحجارة . وجعلها من عقاب الآخرة ، ونهى أن يحرق بها شيء من الهوام وقال (٥) : « لا تعذبوا بعذاب الله » . فقد عظمها كما ترى .

فتفهم - رحمتك الله - فقد أراد الله إنهاكك .

وقال الله تعالى للثقلين (٦) : ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ . فجعل الشواظ والنحاس ، وهما النار والدخان ، من الآية . ولذلك قال على نسق الكلام : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ، ولم يعن أن التعذيب بالنار نعمة يوم القيامة ، ولكنه أراد التحذير بالخوف والوعيد بها (٧) ، غير إدخال الناس (٨) فيها ، وإحراقهم بها .

(١) الخاصب : ريح شديدة تحمل التراب والحصباء . وقيل : هو ما تنثر من دقاق البرد والثلج ، أو الريح التي تقلع الحصباء .

(٢) الرجم ، بضمتين : النجوم التي يرمى بها .

(٣) الحسف : تغييب الشيء في باطن الأرض . وفي الكتاب في شأن قارون : « فحسفنا به وبداره الأرض » .

(٤) الزيادة من س ، هـ : وثمار القلوب ٤٥٤ .

(٥) أى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم . والحديث الآتي رواه أبوداود والترمذي والحاكم في المستدرک . انظر الجامع الصغير ٩٨٣٠ .

(٦) الثقلان ، بالتحريك : الجن والإنس .

(٧) كذا في س . وفي ط ، هـ : « والخوف والمواعيد بها » .

(٨) في الأصل : « النار » ، ووجه ما أثبت .

(شعر في بعض النبات)

وقال المرار بن منقذ^(١) :

هَوكَانْ أَرْحُلْنَا بِجَوِّ مُحْصَبٍ بِلَوَى عُنَيْزَةٍ مِنْ مَقِيلِ التُّرْمُسِ^(٢)
فِي حَيْثُ خَالَطَتِ الْخَزَامَى عَرَفَجَا يَأْتِيكَ قَابَسٌ أَهْلَهَا لَمْ يُقْبَسِ^(٣)
أَرَادَ خِصْبَ الْوَادِي وَرُطُوبَتَهُ . وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ لَمْ تَقْدَحْ عِيدَانُهُ ،
فَإِنْ دَخَلَهَا^(٤) مُسْتَقْبَسٌ لَمْ يُورِ نَاراً .

وقال كُثَيْرٌ :

لَهُ حَسْبٌ فِي الْحَيِّ ، وَارٍ زِنَادُهُ عَفَارٌ وَمَرْخٌ حَثَّةُ الْوَرَى عَاجِلُ^(٥)

(١) المرار بن منقذ ، ذكره صاحب المؤتلف ١٧٦ ، ويعرف أيضاً بالمرار الخطلي ، وهو الذي سمي بجرير إلى سليمان بن عبد الملك فهاج الهجاء بينه وبين جرير . معجم المرزبان ٤٠٩ . والبيتان الآتيان سبقا في (٣ : ١٢١) .

(٢) ط ، هـ : « أَرْحُلْنَا » صوابه في س . ط : « مُحْصَب » وأثبت ما في س ، هـ والبيان (٣ : ٣٤) . وما في ط رواية المخصص (١٠ : ١٢٣) . وانظر ما سبق من شرح البيت في (٣ : ١٢١) .

(٣) في الأصل : « الْخَزَامَا » بالألف . وانظر ما سبق من الكلام على هذا البيت في (٣ : ١٢١) .

(٤) انظر ما سبق من تعقيب الجاحظ في (٣ : ١٢١) . ولعل : « دَخَلَهَا » : « حَكَمَهَا » أو « قَدَحَهَا » .

(٥) وار : متقد . والزناد : جمع زناد ، أو الزناد مفرد كالزناد ، عن كراع ، وهو ذاك الذي يقتدح به . وهي كناية عن السكرم وغيره من الخصال الحمودة . ط ، س : « واري » صوابه في هـ والمخصص . حثه : أراد : جعل بإشماله . وفي الأصل « حثه » تحريف صوابه في المخصص (١١ : ٢٧) . وصدره في المخصص : « لَمْ حَسِب » . وما قيل في مثل هذا المعنى ، قول الأعشى :

زَنَادُكَ خَيْرُ زَنَادِ الْمَاوِكِ خَالَطَ فِيهِنَ مَرَخَ عَفَارَا

وَلَوْ بَتَ تَقْدَحُ فِي ظِلْمَةِ حِصَاةٍ يَنْبِيعُ لَأَوْرِيَتْ نَارَا

والعفار والمرخ ، من بين جميع العیدان التي تُقَدَحُ ، أكثرها في ذلك وأسرعها .

قال : ومن أمثالهم : « في كُلِّ الشَّجَرِ نَارٌ ، واستمجد المرخ والعفار (١) » .

(نار الاستمطار)

ونار أخرى ، وهي النار التي كانوا يَسْتَمْطِرُونَ بها في الجاهليَّة الأولى ؛ فإنهم كانوا إذا تتابعت عليهم الأزمات (٢) ورَكَدَ عليهم البلاء ، واشتدَّ الجَدْبُ ، واحتاجوا إلى الاستمطار ، اجتمعوا وجمعوا ما قدروا عليه من البقر ثمَّ عقدوا في أذنابها وبين عراقيبها ، السِّلَعِ والعُشَرِ (٣) ، ثمَّ صعدوا بها في جبلٍ وعريٍّ (٤) ، وأشعلوا فيها النيرانَ ، وضجُّوا بالدُّعاء والتضرُّع . فكانوا يرونَ أنَّ ذلك من أسباب السُّقيا . ولذلك قال أُمَيَّةٌ :

سَنَةُ أَزْمَةٍ تَخِيلُ بَالِنَا سِرَّ تَرَى لِلْعِصَاهِ فِيهَا صَرِيرًا

(١) استمجد : أسرع الوردى ؛ فهو في منحه النار بسرعة ، شبيه بمن يكثر من المطاء طلباً للمجد . ط ، س : « استمجد » هـ : « استمجر » صوابهما في اللسان وأمثال الميداني . (٢ : ١٨) والمخصص (١١ : ٢٧) والخزانة (١ : ١٥٩ ، ٢ : ٨٦ ، ٤ : ٤٦ بولاق) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٨) .

(٢) الأزمات ، بالتحريك : جمع أزمة بالفتح ، وهي الشدة . وفي الأصل : « الأزمان » محرفة .

(٣) السِّلَع ، بالتحريك ، والعشر بضم ففتح : ضربان من الشجر ، كان العرب يأخذون حطبهما للغرض الذي ذكره الجاحظ .

(٤) وروى عكسه ، أي أنهم كانوا يحدرونها من الجبال . انظر شرح شواهد المغنى ٣٤٧ .

- إِذْ يَسْفُونَ بِالذَّقِيقِ وَكَانُوا قَبْلُ لَا يَأْكُلُونَ شَيْئاً فَطِيراً^(١)
وَيَسُوقُونَ بَاقِرًا يَطْرُدُ السَّمَ لَ مَهَازِيلَ خَشِيَةً أَنْ يَبُورَ^(٢)
عَاقِدِينَ النَّيْرَانَ فِي شُكْرِ الْأَذِّ نَابٍ عَمْدًا كَيْمَا تَهْجِجَ الْبُحُورُ^(٣)
فَاشْتَوَتْ كُلُّهَا فَهَاجَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ هَاجَتْ إِلَى صَبِيرٍ صَبِيرًا^(٤) ١٥٠
فَرَأَاهَا الْإِلَهِ تُرْشِمَ بِالْقَطِّ وَ أَمْسَى جَنَابُهُمْ مَمْطُورًا^(٥)
فَسَقَاهَا نَشَاصُهُ وَاكْفَ الْغَيْ مِثِّ مِنْهُ إِذْ رَادَعُوهُ الْكَبِيرُ^(٦)
سَلَعَ مَا وَمِثْلُهُ عُشْرُ مَا عَائِلٌ مَا وَعَالَتِ الْبِنَقُورُ^(٧)

(١) سفت السويق والدواء ونحوهما ، بكسر الفاء الأولى ، أسف ، بفتح السين .
والباء في : « بالدقيق » زائدة . أى يسفون الدقيق . انظر أدب الكاتب
٣٩٧ والاقتضاب ٤٥٦ . والفطير : ما عجل خبزه من ساعة ، ولم يترك
حتى يختمر .

(٢) الباقر : البقر . ورواية اللسان (عيل) : « ويسوقون باقر السهل للطود » وهي رواية
الآلوسي في بلوغ الأرب (٢ : ٣٠١) عن ابن الكلبي . مهازيل : نحاف ، هزلتها
الأزمة . يبور : يهلك ، أى الباقر . س : « تبورا » .

(٣) الشكر : جمع شكير ، وهو الشعر القصير بين الشعر الطويل . ط : « عهدا » مكان « عمدا »
ه : « عداء » ، صوابها ما أثبت من س . وهاجت البحور : أثارتها . يقال : هاجه
وأهاجه . وروى في اللسان (ثكن) وبلوغ الأرب : « في ثكن الأذنان » .

(٤) كلها : أى كل الأذنان ، أو كل الباقر . والصبير : السحاب يثبت يوما وليلة ولا
يبرح ، كأنه يصبر أى يحبس .

(٥) ضمير رآها للأرض المفهومة من الكلام . وأرشت الأرض : بدا نبتها . في الأصل
والديوان : « ترسم » ولا وجه له . والقطر ، بالفتح : المطر .

(٦) النشاص ، بالفتح : السحاب المرتفع . والغيث الواكف : المطر الهائل . وفي
الأصل : « فسقاها نشاطه واكف النبت » تحريف . منه : أى من النشاص .
وفي الأصل : « منهم » صوابه من ديوان أمية ٣٦ . ه : « إذ رأى دعوة »
وفي الديوان : « إذا وادعوه » . وأرى كل ذلك محرفا . وشعر أمية مفعم
بالتحريف والتصحيف .

(٧) السلع والعشر مضي ضبطهما وتفسيرهما . والكلمة الأخيرة من البيت حكاية من =

هكذا كان الأصمعي ينشد هذه الكلمة ، فقال له علماء بغداد :
صنفت ، إنما هي البيقور ، مأخوذة من البقر .

وأنشد (١) القحذي (٢) للورل الطائي (٣) :

لَا دَرُّ دُرٍّ رَجَالٍ خَابَ سَيْبُهُمْ يَسْتَمْطِرُونَ لَدَى الْأَزْمَاتِ بِالْعُشْرِ (٤)
أَجَاعِلُ أَنْتَ بَيْقُورًا مُسْلَعَةً ذَرِيعَةً لَكَ بَيْنَ اللَّهِ وَالْمَطَرِ (٥)

= الجاحظ لتصحيف الأصمعي ، كما سيأتي . والرواية : « البيقورا » بمعنى البقر ،
كما نبه وكما في اللسان (بقر ، عيل) والديوان . ويقال عال للشيء فلانا : ثقل عليه .
للقاموس . يقول : أثقلت البقر بما حلت من السلع والعشر . انظر اللسان (عيل)
وأنشد البيت صاحب اللسان مرة ثالثة في (عيل) بعد أن قال : « وعال عيل » :
أَيِّ أَحْمَلُ » فكانه جمل « عالت » مرة أخرى من المعالة . والبيت استشهد
به ابن هشام في المغنى على زيادة « ما » ثلاث مرات . وقد نقل السيوطي في المزهرة
(٢ : ٢٢٣) ما كتبه الجاحظ هنا عن تصحيف الأصمعي . وفيه : « النيقورا » .
وليس أحد الصحيفين يأول في الإثبات من صاحبه . ونقل الآلوسي في بلوغ
الأرب (٢ : ٣٠١) أن تصحيف الأصمعي هو : « وغالت البيقورا » بالعين
المعجمة .

(١) ط : « فأنشد » صوابه في س ، هـ .

(٢) القحذي هو الوليد بن هشام القحذي ، كما في البيان (١ : ٦١ ، ٢ : ٢٥٤) .
وفي لسان الميزان (٦ : ٢٢٨) . « قال ابن حبان في الطبقة الثالثة من الثقات : الوليد بن
هشام بن قحزم ، أبو عبد الرحمن القحذي ، من أهل البصرة ، يروى عن جرير بن
عثمان . حدثنا عنه أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمعي . مات سنة اثنتين وعشرين
ومائتين » . والقحذي ، بفتح القاف بعدها حاء مهملة ساكنة وذال معجمة مفتوحة :
نسبة إلى جده قحزم ، كما رأيت . وفي الأصل : « القحذي » بالذال ، تصحيف ،
صوابه من المصدرين السابقين .

(٣) كذا في الأصل واللسان (بقر) نقلا عن الجوهرى ، حيث أنشد البيتين . وفي اللسان
(سلع) : « الورك » .

(٤) س ، هـ : « لدى الأزمان » ، صوابه في ط واللسان (بقر ، و سلع) .

(٥) مسلعة : وضع في أذنانها وبين عراقيها السلع . والسلع ، بالتحريك : نبت .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال بَقَر ، وَبَقِير . وَيَقُور ، وِباقر^(١) . ويقال للجماعة منها :
تطيع وإجل . وكُور^(٢) . وأنشد^(٣) :
فسكنتهم بالقول حتى كأنهم بواقر جُلح أسكنتها المراتع^(٤)
وأنشد^(٥) :
ولا شَبُوبٌ مِنَ الثيران أفرده عَنْ كُورِهِ كَثْرَةُ الإغراء والطرد^(٦)

- (١) زاد عليه في اللسان : باقور وبقورة . وكلها أسماء جمع .
(٢) إجل ، بالكسر . وكور ، بالفتح . وفي الصحاح : « والكور أيضاً : الجماعة الكثيرة من الإبل وجمله أبو ذؤيب في البقر أيضاً » .
(٣) البيت الآتي لقيس بن عيزارة الهذلي ، كما في اللسان (جلع) . وله ترجمة في منجم المرزبانى ٣٢٦ . والمعيزة أمه ، وهو قيس بن خويلد .
(٤) جلع : جمع أجلع وجلحاء ، وهو الذى لا قرن له . أسكنها : جعلتها تسكن . وفي اللسان (جلع) : « سكنها » ، وروى في (بقر) : « أسكنها » . وفي سب : : « أمكنها » .
(٥) البيت الآتي لأبي ذؤيب الهذلي ، كما في ديوان الهذليين ١ : ١٢٤ واللسان (كور) . وقبله ، وهو أول القصيدة :

تَأَلَّه يَبْقَى عَلَى الْإِيَّامِ مُبْتَقِلٌ جَوْنُ السَّرَاةِ رَبَّاعٌ سِنَّهُ غَرْدٌ

يقول : تأله لا يبق على الأيام مبتقل : أى الذى يرعى البقل . جون السراة : أسود الظهر . غرد : مصوت .

- (٦) أى : ولا يبق شبوب . والشبوب ، كصبور : الغام الشباب . ومثله الشبب ، بالتحريك . والمشب ، بضم الميم وكسر الشين . ورواية الجوهري : « ولا مشب » . وهى كذلك رواية ابن سيده (٨ : ٣٣) . وفي (٨ : ٤٢) : « ولا شبوب » . وقد ضبط في اللسان : « ولا شَبُوبٌ » بالبناء على الفتح وهو خطأ ، فإنه مطلق على : « مبتقل » في البيت السابق في التنبيه السالف . أفرده عن كوره : جعله مفرداً من جماعته وشرده . وروى في اللسان : « من كوره » : والإغراء : =

(نار التحالف والحلف)

ونار أخرى ، هي التي توقد عند التحالف ، فلا يعقدون حلفهم إلا عندها . فيذكرون عند ذلك ^(١) منافعها ، ويدعون إلى الله عز وجل ، بالحرمان والمنع من منافعها ، على الذي ينقض عهد الحلف ، ويخيس بالعهد ^(٢) .

ويقولون في الحلف : الدّم الدّم ، والهدم الهدم ^(٣) (يحركون الدال في هذا الموضع) لا يزيده ^(٤) طلوع الشمس إلا شداً ، وطول الليالي إلا مداً ، ما بل البحر صوفة ^(٥) ، وما أقام رضوى في مكانه ^(٦) . (إن كان جبلهم رضوى) .

= أى إغراء الكلاب الصائحات به . والطرء ، بالتحريك ، مثل الطرد بالفتح : المطاردة ومزاولة الصيد . هـ : « من النيران » محرف . وفي الأصل : « كثرة الأعداء » ، صوابه من اللسان والخصم والصباح .

(١) هـ : « عند ذكر » .

(٢) خاس بالعهد : أخلفه ونقضه .

(٣) الهدم ، بالسكون ، وبالتحريك : إهدار دم القتيل . والمعنى : إن طلب دمكم فقد طلب دمننا ، وإن أهدر دمكم فقد أهدر دمننا . وقيل : الهدم ، بالتحريك : القبر . أى قبرنا قبركم . أى لا تزال معكم حتى نموت عندكم . وللعبارة تفاسير أخر مذكورة في اللسان ، وكلها جيد .

(٤) أى لا يزيده الحلف .

(٥) في الأصل : « وما بل البحر صوفة » والواو مقحمة . والصوفة : واحدة الصوف .

وصوف البحر : شيء على شكل هذا الصوف الحيواني . ويروى : « ما بل بحر صوفة » ، كما في اللسان (صوف) .

(٦) رضوى ، بالفتح : جبل بالمدينة .

وكلُّ قومٍ يذكرون جبلهم ، والمشهور من جبالهم .
 وربما دَنَوْا منها حتى تكاد تحرقهم ^(١) .
 ويهولون على من يُخافُ عليه الغدرُ ، بحقوقها ومنافعها . والتَّخْوِيفُ
 مِنْ حِرْمَانِ منفعتها . وقال الكُمَيْتُ :
 كَهَوْلَةٌ مَا أَوْقَدَ الْمُخْلَفُو نَ لِلْحَالِفِينَ وَمَا هَوَّلُوا ^(٢)
 وَأَصْلُ ^(٣) الْحِلْفِ وَالتَّحَالِفِ ، إِنَّمَا هُوَ مِنَ الْحَلْفِ وَالْإِيمَانِ ^(٤)
 وَلَقَدْ تَحَالَفَتْ قِبَائِلُ مِنْ قِبَائِلٍ مُرَّةً بِنِ عَوْفٍ ، فَتَحَالَفُوا عِنْدَ نَارٍ فَدَنَوْا مِنْهَا ،
 وَعَشَّوْا بِهَا ^(٥) . حَتَّى مَحْشَتَهُمْ . فَسُمُّوا : الْمُحَاشِ ^(٦) .
 وَكَانَ سَيِّدُهُمُ وَالْمَطَاعَ فِيهِمْ ، أَبُو ضَمْرَةَ يَزِيدُ بْنُ سَنَانٍ بْنِ أَبِي حَارِثَةَ ^(٧) .
 وَلِذَلِكَ يَقُولُ النَّابِغَةُ :

جَمْعٌ مِحَاشِكَ يَا يَزِيدُ فَإِنِّي جَمَعْتُ يَرْبُوعاً لَكُمْ وَتَمِيمًا ^(٨)

- (١) هـ : « تحرقهم » مصحفة .
 (٢) الهولة ، بالضم : ما يهول . ط ، س : « لهولة » صوابه في هـ واللسان (هول) .
 وكانوا يطرحون في النار ملحا يفتح يهولون بذلك . اللسان (نور) . وانظر الخزانة
 (٣ : ٢١٤) حيث تجد تفصيلا أوسع . وقبل البيت كما في الخزانة :

فَقَدْ صَرْتُ عَمَّا لَهَا بِالْمَشِيبِ زَوَالاً لَدَيْهَا هُوَ الْأَزُولُ

- (٣) في الأصل : « وأهل » ، ووجهه ما أثبت .
 (٤) الإيمان : جمع يمين ، وهي القدم . ط : « ولا يماو » تحريف ما أثبت من
 س ، هـ .
 (٥) عشي بالنار ، كرضي ودما : ماء بصره . ومصدره العشا ، يكتب بالألف وبالياء .
 (٦) المحاش ، بالكسر . ومحشته النار : أحرقتها . والمحاش : هم صرمة وسهم ومالك بنومرة
 ابن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض ، وضبة بن سعد . اللسان (محش) . وفي شرح
 ديوان النابغة للبطلاني ٦٩ . أنهم بنو خصيلة بن مرة ، وبنو نثبة بن غيظ بن مرة ،
 تحالفوا على بني يربوع بن غيظ بن مرة ، وهط النابغة .
 (٧) يزيد هذا ، هو أخو هرم بن سنان بن أبي حارثة الذي مدحه زهير بن أبي سلمى . وأبوها
 سنان ، كان أيضاً من مدحه زهير .
 (٨) رواية اللسان والديوان : « أعددت يربوعاً » .

١٥١ ولحقتُ بالنَّسَبِ الذي عَبرَّتَنِي . . وتركتُ أصلاً يا يزيدُ ذمياً^(١)
وقوله : « تميم » يريد : تيممة^(٢) . فحذف الهاء .

(التحالف والتعاقد على الملح)

وربما تحالفوا وتعاهدوا على الملح . والملح شيئان : أحدهما المِرْقَة^(٣) ،
والآخر اللَّبَنَ . وأنشدوا لشتيم بن خويلد الفزاري^(٤) :
لا يبعد الله ربَّ العبادِ . والمِلْحُ ما وَلَدَتْ خالدة^(٥)

(١) كان يزيد يفتخر بنسبته في قيس ويقول :

إني امرؤ من صلب قيس ماجد لامدح نسباً ولا مستنكر
وكان يقول للنايفة : وافه ما أنت من قيس ولا أنت إلا من قضاعة . فقال
النايفة له : أنا لاحق بمن عبرتني ومتحقق بهم ، ولست مثلك تنفني عن أصلك .
وقيس من العدنانية . وأما قضاعة فكانت في العدنانية ، ثم تحولت إلى القحطانية .
انظر ما سبق من الكلام على هذا في ص ٣٢٥ - ٣٢٦ من هذا الجزء . وفي الديوان :
« وتركت أصلك » و « ذمياً » حال من فاعل « تركت » أي فعلت ذلك
وأنت مدموم .

(٢) أي استعمل الترخيم فحذف الهاء . وتيممة هي ابن ضبة بن عذرة بن سعد بن ذبيان ، كما
في شرح ديوان النايفة ٧٠ . قال : « قوله وتيمماً ، لم يرد تميم بن مر . إنما أراد :
تيممة بن ضبة بن عذرة » . وقد عقب على ذلك بقوله : « فرخم في غير النداء » . وكلمة :
« مر » هي في أصل الشرح : « مرة » . و « تيممة بن ضبة » هي في أصلها : « تميم
ابن ضبة » . وقد أصلحت التحريفين .

(٣) كذا . وفي القاموس واللسان أن الملح « الحرمة » . وفي اللسان عن ابن الأثير والخزاعة
(٤ : ١٦٤ بولاق) عن المفضل بن سلمة أن الملح « البركة » . ولم أجد من فسرها
بأنها المِرْقَة .

(٤) شتيم ، بهيئة التصغير ، شاعر جاهل كما في الخزاعة (٤ : ١٦٤ بولاق) . وروى في
الخزاعة أيضاً عن نوادر بن الأعرابي منسوباً إلى نهيك بن الحارث المازني من مازن فزارة .
ورواه المبرد في كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه ص ٢٧ منسوباً إلى ابن الزبير .
وفي مقطعات المراثي ١٠٦ نسبتها إلى الحارث بن عمرو الفزاري يرثي بني خالدة : كردما
وإخوته . وانظر اللسان (لوم ٣٨) .

(٥) الملح ، روى بالرفع في الفاخر ٩ والكامل ٢٨٤ ليساك . عطف على لفظ الجلالة

وأنشدوا فيه ^(١) قول أبي الطمّحان ^(٢) :

وإني لأرجو ملّحها في بطونكم وما بسّطت من جلدٍ أشعثٍ أغبر ^(٣)
وذلك أنّه كان جاورهم ، فكان يسقيهم اللبن ؛ فقال : أرجو أن
تشكروا لي ردّ إبلي ^(٤) ، على ما شربتم من ألبانها ، وما بسّطت من جلدٍ
أشعثٍ أغبر . كأنه يقول : كنتم مهازيل - والمهزول يتقشّف جلده
وينقبض - فبسط ذلك من جلودكم .

(نار المسافر)

ونار أخرى ^(٥) ، وهى النار التى كانوا ربّما أوقدوها خلف المسافر ،

= وروى بالجر عطفًا على « العباد » أو يجعل الواو واو القسم . انظر اللسان (٣ :
٤٤٤ س ٤) حيث تجد العبارة مضطربة . وقد حررتها . وخالدة هى بنت أرقم ،
أم كردم وكريدم ابني شعبة الفزاريين .

(١) أى فى الملح . وفى الأصل : « فى » محرفة .

(٢) أبو الطمّحان ، بالتحريك ، هو حنظلة بن الشرقى . كان نديما للزبير بن عبد المطلب
فى الجاهلية ، ثم أدرك الإسلام . وهو أحد المعمرين . الإصابة ٢٠٠٧ والأغاني
(١١ : ١٢٥) والشعراء ٣٤٨ .

(٣) كذا جاءت الرواية هنا وفى الكامل ٢٨٤ ليحك والاشتقاق ٢٦٧ والغريب المصنف .
٤٩٤ والمختص (١ : ٢٦) بالجر . والقصيدة مكسورة الروى . وأولها :

ألا حنّت المرقال واشتاق ربّها تذكّر أرمامًا وأذكّر معشرى

انظر اللسان (ملح) والشعراء والأغاني (١١ : ١٢٨) . والبيت يقوله لقوم
نزلوا عليه فشرّبوا من ألبانها ثم أغاروا عليها فأخلوها .

(٤) الرد بمعنى الفائدة والنفع . وانظر البيان (٣ : ٥٠) . ط ، هـ : « ودائل » س :
« رزائل » بهذا الإهمال . وصوابها ما أثبت .

(٥) سمّاها العسكري فى كتاب الأوائل : « نار الطرد » صبيح الأعشى (١ :
٤٠٩) وتنزيل الآيات لمحّب الدين أفندى . وسمّاها الثعالبي فى ثمار القلوب ٤٥٩ :
« نار المسافر » .

«وَحَلَفَ الزَّائِرُ الَّذِي لَا يَحْبُثُونَ رُجُوعَهُ . وَكَانُوا يَقُولُونَ فِي الدُّعَاءِ : أَبْعِدْهُ اللَّهُ
«وَأَسْحَقْهُ ، وَأَوْقِدْ نَاراً خَلْفَهُ ، وَفِي إِثْرِهِ ! وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ بَشَارٍ - وَضَرْبَةٍ
«مثلاً - :

صَحُوتَ وَأَوْقِدْتَ لِلْجَهْلِ نَاراً وَرَدَّ عَلَيْكَ الصَّبَا مَا اسْتَعَارَا^(١)
وَأَنشَدُوا :

وَجَمَّةٌ أَقْوَامٍ حَمَلَتْ وَلَمْ تَكُنْ لِتَوْقِدِ نَاراً لِإِثْرِهِمْ لِلتَّنْدُمِ^(٢)
وَالْجَمَّةُ : الْجَمَاعَةُ يَمْشُونَ فِي الصَّلْحِ . وَقَالَ الرَّاجِزُ فِي إِبْلِهِ :

« تَقَسَّمُ فِي الْحَقِّ وَتَعْطَى فِي الْجَمَمِ^(٣) » .

يقول^(٤) . لَا تَنْدُمُ عَلَى مَا أُعْطِيتَ فِي الْحِمَالَةِ^(٥) ، عِنْدَ كَلَامِ الْجَمَاعَةِ
«فَتَوْقِدْ خَلْفَهُمْ نَاراً كَى لَا يَعُودُوا .

(نَارُ الْحَرْبِ)

ونار أخرى^(٦) وهى النَّارُ الَّتِي كَانُوا إِذَا أَرَادُوا حَرْباً ، وَتَوَقَّعُوا جَيْشاً
عَظِيماً ، وَأَرَادُوا الْاجْتِمَاعَ أَوْقَدُوا لَيْلًا عَلَى جِبَلِهِمْ نَاراً ؛ لِيَبْلُغَ الْخَبْرُ أَصْحَابَهُمْ .

(١) ديوان بشار ٣ : ٤ ومجالس ثعلب ٦١١ والأزمة والأمكنة (٢ : ٣٥٧) .
واللسان (وقد) .

(٢) مثل هذه الرواية فى ثمار القلوب ٤٥٩ وتنزيل الآيات . وروى فى اللسان (نور)
ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٧) : « ولم أكن لأوقد ناراً » . والجمعة ،
بفتح الجيم وتضم .

(٣) فى الحق : أى فى حق الأضياف إذ ينحروها لهم . هـ : « يقسم » س ، هـ : « بالحق »
صوابهما فى ط . س : « بالجمع » صوابه فى ط ، هـ .

(٤) أى الشاعر السابق ، لا الراجز .

(٥) الحمالة ، كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم .

(٦) سماها الثعالبي فى ثمار القلوب ٤٦١ : « نار الإنذار » والمسكرى فيما نقل عنه
محب الدين أفندى : « نار الآهة للحرب » ، وفيما نقل عنه القلقشندي : « نار الحرب » .

وقد قال عمرو بن كلثوم :

ونحنُ غداةُ أوقدَ في خَزازٍ رَفَدْنَا فوقَ رَفْدِ الرَّافِدِيَا (١)
وإذا جَدُّوا في جَمْعِ عشائِرهم إليهم (٢) أوقدُوا نارَيْنِ . وهو قول
الفَرَزْدَق (٣) :

لولا فوارِسُ تغلبَ ابنةُ وائلٍ سدَّ العدوُّ عليكَ كلَّ مكانٍ (٤)
ضربُوا الصَّنَائِعَ والملوكَ وأوقدُوا نارَيْنِ أشرفَتَا على النِّيرانِ (٥)

(١) خزار وخزازی ، بالفتح : جبل . وروى البيت بالروایتين . س ، ه ، هـ :
« خزاز » مصحفه . وانظر خبر يوم خزاز في معجم البلدان والميداني (٢ :
٣٥٣) والمقد (٣ : ٣٦٥) وكامل ابن الأثير (١ : ٢١٠) والعمدة
(٢ : ١٦٦) . رَفَدْنَا : أعنا .

(٢) في الأصل : « في جميع » محرفة . ط ، س : « ولما وجدوا » هـ :
« ولما جدوا » وهما تصحيف ما أثبت . وجاء في تنزيل الآيات ٩٢ : « فإذا جد
الأمر أوقدوا نارين » ، وفي الخزانة (٣ : ٢١٤ بولاق) نقلا عن ابن قتيبة :
« فإذا جدوا وأعجلوا أوقدوا نارين » .

(٣) من قصيدة يهجو بها جريرا ، ويذكر فضل التغلبيين رهط الأخطل . الديوان
٨٨٢ - ٨٨٣ .

(٤) روى في الديوان وتنزيل الآيات : « نزل العدو عليك » هـ : « ترك » محرفة
عن الرواية السابقة .

(٥) الصنائع ، يروون أنه كان للنعمان الأكبر ملك الحيرة ، خمس كتائب : للرهائن ،
والصنائع ، والوضائع ، والأشاهب ، ودوسر . فالرهائن : خمسمائة رجل رهائن لقبائل
العرب يقيمون سنة على باب الملك طوع أمره ، ثم يستبدل غيرهم بهم . و (الصنائع) :
بنو قيس وبنو تيم اللات ابني ثعلبة . وكانوا خواص الملك لا يبرحون بابه .
والوضائع : ألف رجل من الفرس يضعهم ملك الملوك بالحيرة نجدة للملوك العرب ،
يقيمون سنة ثم يستبدل غيرهم بهم . والأشاهب : إخوة ملك العرب وبنو عمه .
وأما دوسر فكانت أخشن كتائبه وأشدّها بطشا ، وكانوا من كل قبائل العرب :
وأكثرهم من ربيعة . انظر بلوغ الأرب (٢ : ١٧٦) . وفي الأصل :
« ضربوا المصانع والتلول » وليت شعري ماذا يجدي عليهم ضرب التلول ؟ !

(نار الحرتين)

ونار أخرى ، وهي « نار الحرتين »^(١) ، وهي نار خالد بن سنان ،
أحد بني مخزوم . من بني قطيعة بن عبس^(٢) . ولم يكن في بني إسماعيل
١٥٣ نبي قبله . وهو الذي أطلق الله به نار الحرتين . وكانت ببلاد بني عبس^(٣) ،
فإذا كان الليل فهي نار تسطع في السماء ، وكانت طيئ تنفش بها إبلها
من مسيرة ثلاث^(٤) . وربما ندرت منها العنق^(٥) فتأني على كل شيء
فتحرقه . وإذا كان النهار فإنما هي دخان يفور . فبعث الله خالد بن سنان .

= فهو تحريف صوابه ما أثبت من الخزائن ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٨) ،
وتنزيل الآيات . ورواية الديوان : « قتلوا الصنائع والملوك » وفيه أيضاً :
« نارين قد علتا » . وأشرفنا وعلتا بمعنى .

(١) الحرة ، بالفتح : أرض ذات حجارة نخرة سود . والحرتان ، هما حرة ليل ،
لبني مرة ، وحرة النار لطفان ، كما في المزهري (٢ : ١١٩) . أما حرة ليل فهي
من وراء وادي القرى من جهة المدينة . وحرة النار قريبة من حرة ليل قرب
المدينة . عن معجم البلدان .

(٢) قطعة ، كجبهة ، بهيئة التصدير .

(٣) في الأصل : « وكانت حرة ببلاد بني عبس » . وكلمة « حرة » تفسد الكلام .
وضمير « كانت » راجع إلى : « نار الحرتين » فالصواب حذفها ، كما جاء في نقل
الشعالي من الجاحظ في ثمار القلوب ٤٥٦ . وكما في صبح الأعشى (١ : ٤٠٩)
وبلوغ الأرب .

(٤) أنفش الراعي إبله : جعلها ترمي ليلادون أن يراقبها . من مسيرة ثلاث : أي ثلاث
أيال ، كما جاء في ثمار القلوب نقلاً عن الجاحظ ، وكما في صبح الأعشى (١ : ٤٠٩)
وبلوغ الأرب . س : فقط « ثلاثة » : أي ثلاثة أيام . في الأصل : « تتبين بها
إبلها » ، وفي ثمار القلوب : « تنفش بها إبلهم » ، ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٨)
وهو ينقل عن الجاحظ ولو لم يصرح - : « تنفش فيها الإبل » صواب هذا
كلمة « تنفش » بالفاء ، كما أثبت موافقاً لما في عجائب المخلوقات ٨٨ .

(٥) ندرت : ظهرت وبدت . والعنق : القطعة أو الطائفة .

فاحتفَرَ لها بئراً ، ثمَّ أدخلها فيها ، والنَّاسُ ينظرون ؛ ثمَّ اقتحم فيها حتى غيَّبها . وسمع بعض القوم وهو يقول [هَلَكَ الرَّجُلُ ! فقال خالدُ بنُ سنانٍ ^(١)] : كذب ابنُ راعية المعز ، لأخرجنَّ منها وجيئني يندى ^(٢) ! فلما حضرته الوفاة ، قال لقومه : إذا أنا متُّ ثمَّ دفنتموني ، فاحضروني بعد ثلاثٍ ؛ فإنَّكم ترونَّ غيراً أبترَ يطوفُ بقبري ، فإذا رأيتم ذلك فانبشوني ؛ فإنِّي أخبركم بما هو كائن إلى يوم القيامة . فاجتمعوا لذلك في اليوم الثالث ^(٣) ، فلما رأوا العيرَ ^(٤) وذهبوا ينبشونه ، اختلفوا ، فصاروا فرقتين ، وابنه عبدُ الله في الفرقة التي أبَّتْ أن تنبشه وهو يقول : [لا أفعلُ ! إني ^(٥)] إذا أدعى ابنُ المنبوش ! فتركوه .

وقد قديمَت ابنتُهُ على النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فبسطَ لها رِدَاءَهُ . وقال : هذه ابنةُ نبيِّ ضيَّعهُ قومه .

قال : وسَمِعَتْ سورَةَ : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ فقالت : قد كان أبي يتلو هذه السورة .

(١) هذه التكلة من الإصابة ٢٣٥١ في ترجمة خالد بن سنان . وبدونها لا يصح الكلام .

(٢) كذا على الصواب في محاضرات الراغب ، والعبارة محرفة في الأصل . فني ط :

« وجيئني تندل » هـ : « وحيتني يندا » س : « وجيئني تندي » . ويندي :

أي عليه ندى العرق . كناية عن سلامته من أذى النار ولفحها .

(٣) كذا في س ، وثمار القلوب . وفي ط ، هـ : « فاجتمعوا له في ذلك اليوم » .

(٤) العير ، بالفتح : الحمار الوحشي .

(٥) « الزيادة من محاضرات الراغب . وانظر للخبر أيضا مروج الذهب (١ : ٦٧ - ٦٨) .

(نبوة خالد بن سنان)

والمشكّلون لا يؤمنون بهذا ، ويزعمون أنّ خالداً هذا كان أعرابياً
وبرياً ، من أهل شرج وناظرة^(١) . ولم يبعث الله نبيّاً قطّ من الأعراب
ولا من الفدّادين^(٢) أهل الوبر ، وإنما يبعثهم من أهل القرى ، وسكّان
المُدُن .

وقال خَلِيدُ عَيْنَيْنِ^(٣) :

وَأَيُّ نَبِيٍّ كَانَ فِي غَيْرِ قَوْمِهِ وَهَلْ كَانَ حُكْمُ اللَّهِ إِلَّا مَعَ النَّخْلِ^(٤)
وَأَنْشَدُوا :

كَنَّارِ الْحَرَّتَيْنِ لَهَا زَفِيرٌ يُصِمُّ مَسَامِعَ الرَّجُلِ السَّمِيعِ^(٥)

(عبادة النار وتمظيمها)

وما زال الناسُ كافّةً ، والأُممُ قاطبةً — حتى جاء الله بالحقّ — مُولَعين
بتعظيم النار ؛ حتى ضلّ كثيرٌ من الناس لإفراطهم فيها ، أنهم يعبدونها^(٦) .

(١) شرج وناظرة : ماءان لعبس . عن معجم البلدان (ناظرة) . وشرج ، بفتح الشين
وسكون الراء بعدها جيم . وناظرة ، بالظاء المعجمة . وفي ط ، س : « سرج
وناصرة » هـ : « سرج وناصر » محرفتان صوابهما ما أثبت .

(٢) الفدّادون : أهل الوبر ، أي الذين يعيشون في بيوت من وبر الإبل ، وهم
أهل البادية .

(٣) عينين : قرية بالبحرين نسب إليها خليل . وقد ترجمته في (١ : ٢٦٦) .
وفي الأصل : « خليل عبس » محرف .

(٤) يقوله لجرير في قصيدة يهجو بها ويرد عليه . انظر (١ : ٢٦٦) .

(٥) زفير النار : صوت توقدها واضطرامها . ط ، هـ : « تصم » . ورواية البيت
في ثمار القلوب :

ونار الحرتين لها زفير يصم لهوله الرجل السميع

(٦) في ثمار القلوب : « حتى ظن كثير من الناس لإفراطهم أنهم يعبدونها » .

فأما النار العلوية ؛ كالشمس والكواكب ، فقد عُبِدَت ألبتة . قال الله تعالى : ﴿ وَجَدُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ .

وقد يَجِيءُ في الأثر وفي سُنَّةِ بعض الأنبياء ، تعظيمها على جهة التعبد والمحنة ، وعلى إيجاب الشكر على النعمة بها وفيها . فيغلط لذلك كثير من الناس ، فيجوزون الحد .

ويزعم أهل الكتاب أن الله تعالى أوصاهم بها ، وقال : « لَا تُطْفِئُوا النَّيرانَ مِنْ بُيُوتِي » . فلذلك لا تجد الكنائس والبيع^(١) ، وبيوت العبادات ، إلا وهي لا تخلو من نارٍ أبداً ، ليلاً ولا نهاراً ؛ حتَّى اتَّخَذَتِ لِلنَّيرانِ ٦٥٣ البُيُوتَ وَالسَّدَنَةَ . ووقفوا عليها الغلات الكثيرة .

(إطفاء نيران المجوس)

أبو الحسن عن مسلمة^(٢) وقحذم^(٣) ، أن زياداً بعث عبد الله بن أبي بكرة^(٤) ، وأمره أن يُطْفِئَ النيران ، فأراد عبد الله أن يَبْدَأَ بنار

(١) البيع بكسر ففتح : جمع بيعة ، بالكسر ، وهي كنيسة النصارى ، وقيل . كنيسة اليهود .

(٢) هو مسلمة بن محارب ، فيما أرجح . وله حديث عن زياد في البيان (٢ : ٧٧) .

(٣) كذا جاء بالبدال المهملة . والمعروف في أسمائهم : « قحذم » بالذال ، و : « قحزم » بالزاي .

(٤) عبد الله ، أحد أولاد أبي بكرة الأربعين ، ذكره ابن قتبية في المعارف ١٢٥ . وأبو بكرة اسمه نفيح بن الحارث ، أسلم ومات في خلافة عمر . وكان تولى إلى النبي صلى الله عليه وسلم من حصن الطائف ببكرة ، فاشتهر بأبي بكرة . الإصابة ٨٧٩٤ .

جور^(١) فيطفيئها ، فقيل له : ليست للمجوس نارٌ أعظم من نار السكاريان^(٢) من دار الحارث^(٣) . فإن أطفأتها لم يمتنع عليك أحدٌ ، وإن أطفأت سافلتها . استعدوا للحرب وامتنعوا ، فابداً بها . فخرج إلى السكاريان فتحصن أهلها في القلعة . وكان رجلٌ من الفرس من أهل تلك البلاد معروف^(٤) بالشدة ، لا يقدر عليه أحد ، وكان يمر كل عشية بباب منزله^(٥) استخفاً وإذلاً بنفسه ، فغم ذلك عبد الله . فقال : أما لهذا أحدٌ ؟ ! وكان مع عبد الله ابن أبي بكر^(٦) رجلٌ من عبد القيس ، من أشد الناس بطشاً ، وكان جباناً ، فقالوا له : هذا العبدى^(٧) ، هو شديد جبان . وإن أمرته به خاف القتال فلم يعرض له . فاحتل له حيلة . فقال : نعم .

قال : فيينا هو في مجلسه إذ مر الفارسيُّ ، فقال عبد الله : ما رأيتُ مثلاً خلق هذا ، وما في الأرض — كما زعموا — أشد منه بطشاً ! ما يقوى

(١) ط ، هـ : « حوم » س : « حدر » ، صوابها ما أثبت . جاء في مروج الذهب (١ : ٣٨٣) : « وفي مدينة جور من أرض فارس وهو البلد الذي يحمل منه ماء الورد الجورى . وإليه يضاف بيت النار ، بناء أردشير بن بابك » . ونحو هذا الكلام أيضاً في معجم البلدان (جور) .

(٢) السكاريان ، بكسر الراء ، قال ياقوت : « مدينة بفارس صغيرة ، ورستاقها عامر ، وبها بيت نار معظم عند المجوس ، تحمل ناره إلى الآفاق » .

(٣) كذا بالأصل . ولعل وجهه : « ومن نار الحارث » ، والحارث : جبل بأرمينية انظر معجم البلدان .

(٤) كذا في س ، هـ ، على الوصفية ، وخبره : « لا يقدر » . ط : « معروف » على الخبرية .

(٥) في الأصل : « يأتي منزله » .

(٦) س : « وكان مع ابن أبي بكر » .

(٧) العبدى : نسبة إلى عبد القيس : قبيلة كانت تسكن البحرين . س : « العبدى » ولعل صواب ما في س : « العدوى » ، نسبة إلى عدوى بفتحيتين فسكون ففتح ، مقصور ، وهى قرية بالبحرين بلاد عبد القيس .

عليه أحد ! فقال العبدى^(١) : ما يجعلون لى إن احتملته حتى أدخله الدار وأكتفه؟ فقال له عبد الله : لك أربعة آلاف درهم . فقال : تفون لى بألف ؟ قال : نعم ! فلما كان الغد مر الفارسي^(٢) ، فقام إليه العبدى فاحتمله فما امتنع ولا قدر أن يتحرك ، حتى أدخله الدار وضرب به الأرض ووثب عليه الناس فقتلوه ، وغشي على العبدى^(٣) حين قتلوه . فلما قتل أعطى أهل القلعة بأيديهم^(٤) . فقتل ابن أبى بكر الهراينة^(٥) ، وأطفأ النار ، ومضى يطفى النيران حتى بلغ سجستان .

(تعظيم المجوس للنار)

والمجوس تقدم النار فى التعظيم على الماء ، وتقدم الماء فى التعظيم على الأرض . ولا تكاد تذكر الهواء^(٥) .

(نار السعالى والجن والغيلان)

ونار أخرى ، التى يحكونها من نيران السعالى^(٦) والجن ، وهى غير نار الغيلان^(٧) . وأنشد أبو زيد لسهم بن الحارث^(٨) :

(١) س : « العبدى » . وانظر التنبيه السابق .

(٢) س : « العبدى » ، محرف .

(٣) أعطوا بأيديهم : استسلموا واستأسروا .

(٤) الهراينة : جمع هربذ ، بكسر الهاء والباء ، كزبرج ، وهو خادم نار المجوس . وفى معجم استينجاس أنه قيم معبد النار : أو الرئيس من رؤساء كهنة المجوس .

(٥) فى الأصل : « الهوى » محرف .

(٦) السعالى : جمع سعالى ، بالكسر ، وهى أنثى الجن فيما يزعمون .

(٧) ذهب الجاحظ إلى أن الغيلان نوع مغاير للسعالى . انظر تفصيل ذلك فى الحيوان

(٦ : ١٥٨ - ١٦٠) . ونحوه ماورد فى عجائب المخلوقات ٣٠٩ . وبعض الغريين

يجعلها نوعا واحداً .

(٨) الذى فى نوادر أبى زيد ١٢٣ : « شمير بن الحارث الضبى » وضبط « شمير » =

وَنَارٍ قَدْ حَضَاتُ بُعَيْدَ هُدًى بدارٍ لا أريدُ بها مُقَامًا^(١)
 سَوَى تَحْلِيلِ رَاحِلَةٍ وَعَيْنٍ أَكَالَتْهَا خِشْيَةٌ أَنْ تَسَامَا^(٢)
 أَتُوا نَارِي ۖ فَقُلْتُ مَنُونَ أَنْتُمْ فَقَالُوا: الْجَنُّ أَقْلَتْ: عُمُوا ظَلَامًا^(٣)
 فَقُلْتُ: إِلَى الطَّعَامِ، فَقَالَ مِنْهُمْ زَعِيمٌ: نَحْسُدُ الْإِنْسَ الطَّعَامَا^(٤)

وهذا غلط وليس من هذا الباب ، وسنضعه في موضعه إن شاء الله تعالى^(٥) . بل الذى يقع ههنا قولُ أبي المطراب عبيد بن أيوب^(٦) :

بهية التصغير . وقال أبو الحسن في ١٢٤ : « حفظى سيمر » أى بالسين . وانظر الخزانة (٣ : ٣ بولاق) . وجاء في الحيوان (٦ : ١٩٦) : « شمر بن الحارث الفسبى » ومثله في اللسان (من) . ونسبه في (غير) إلى تأبط شرا .
 (١) حضات : أشعلت . هـ : « حضات » مصحفة . والهاء ، بالضم والفتح : أن تهدأ الرجل . والليل . س : « هذا » محرفة .

(٢) في شرح نوادر أبي زيد ١٢٦ : « سوى تحليل راحلة ، أراد سوى راحلة أقت بها فيها بقدر تحلة العينين » . وتحلة العينين : مثل في القليل المفرط القلة . وهو أن يباشر من الفعل الذى يقسم عليه المقدار الذى يبربه قسمه ويحمله . مثل أن يحلف على النزول بمكان ، فلو وقع به وقعة خفيفة أجزأته ، فتلك تحلة قسمه . انظر اللسان . وروى : « سوى ترحيل راحلة » أى إزالة الرجل عن ظهرها . وروى في المخصص (١ : ٩٤) الميداني (١ : ٣٢٠) مع نسبته في الأخير إلى تأبط شرا : « وغير » أكالكه خياقة أن ينما » . وفي الخزانة عن المفضل « وغير أكالكه خياقة أن تنما » . والعير ، بالفتح : إنسان العين ، يذكر ويؤنث .

(٣) مَنُونَ أَنْتُمْ : أى من أنتم . وانظر تفصيل القول في هذه اللغة في لسان العرب (من) .

(٤) إلى الطعام : أى هلموا إليه .

(٥) برّ الجاحظ بوعده . وأعاد ذكر الأبيات في موضعها . انظر الحيوان (٦ : ١٩٦) .

(٦) عبيد بن أيوب : شاعر من بني العنبر . كان يخبر في شعره أنه يرافق الغول والسحابة ، وبيات الذئب والأفاعى ، ويؤاكل الغلياء والوحش . الشعراء ٧٥٨ - ٧٦١ .

فَلَّهْ دُرُّ الْغُولِ أَيْ رَفِيقَةُ لِصَاحِبِ قَفْرِ خَائِفٍ مُتَقَفِّرٍ (١) ١٥٤
أَرَنْتُ بِلَحْنٍ بَعْدَ لَحْنٍ وَأَوْقَدْتُ حَوَالِي نِيرَانًا تَبُوخُ وَتَزْهَرُ (٢)

(نار الاحتیال)

وما زالت السَّدَنَةُ تَحْتَالُ لِلنَّاسِ جَهَةَ النِّيرَانِ بِأَنْوَاعِ الْحِيلِ ، كاحتیال
رُهبَانِ كَنِيسَةِ الْقُمَامَةِ (٣) بِبَيْتِ الْمُقَدَّسِ بِمَصَابِيحِهَا ، وَأَنَّ زَيْتَ قَنَادِيلِهَا
يَسْتَوْقِدُ لَهُمْ (٤) مِنْ غَيْرِ نَارٍ ، فِي بَعْضِ لِبَالِي أَعْيَادِهِمْ .

قال : وبمثل احتیال السَّادِنِ (٥) لِحَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، حِينَ رَمَاهُ بِالشَّرَرِ ؛

(١) المتقفر : الذى يتبع آثار الصيد ونحوه . فى الأصل : « در القول » صوابه ما أثبت من
الحيوان (٥ : ١٢٣) والشعراء ٧٥٨ والمسعودى (١ : ٣٢٨) وأصل إعجاز القرآن
للباقلاقي ٤٣ وتنزيل الآيات ٩٣ . ط ، س : « أى رفيقة » . صوابه : « رفيقة » أى
صاحبه ، كما فى هـ والمراجع المتقدمة . وفى الشعراء « يتستر » بدل « متقفر » .
(٢) أرنت : من الإرنان ، وهو التصويت . فى الأصل : « أذنت » صوابه فى المراجع . ط :
« حوالى نيران » صوابه فى س ، هـ ، والمصادر السابقة ، قال المسعودى ، « كانت
العرب قبل الإسلام تزعم أن الغيلان توقد بالليل النيران للعبث والتخيل واختلال السابلة » .
وانظر الحيوان (٥ : ١٢٣) . تبوخ : تسكن وتفتقر . تزهو : تضيء ، وبأبه منع .
والمعنى : أنها تخبر تارة وتشعل أخرى . وهذه رواية الأصل والشعراء وإعجاز القرآن
وتنزيل الآيات . وفى مروج الذهب والحيوان ج ٥ : « تلوح وتزهو » . وفى هذا
البیت إقواء ، فإنه مروي مع أبيات خمسة أخرى مكسورة الروى . انظر الحيوان
(٦ : ٥٠) .

(٣) هى كنيسة البقيامة : أعظم كنيسة للنصارى بالبيت المقدس . ورجح ياقوت فى معجم البلدان
تسميتها : كنيسة القمامة ، بالضم . فى الأصل : « القمة » محرفة . صوابها من الحيوان
(٦ : ٢٠٢) ومعجم البلدان . وجاء فى التنبيه والإشراف ١٢٣ : « وبنت هيلاني ،
بإيليا : الكنيسة المعروفة بالقيامة فى هذا الوقت ، التى يظهر منها النار فى يوم السبت
الكبير الذى صبحه الفصح » .

(٤) يقال اتقدت النار وتوقدت واستوقدت . القاموس . فى الأصل : « تستوقد » .

(٥) يريد سادن العزى . وكانت العزى ثلاث شجرات من سمر ، فأرسل النبى =

ليوهمه أَنَّ ذلك من الأوثان ، أو عقوبةً على ترك عبادتها وإنكارها ،
والتعرض لها ؛ حتى قال :

يَا عِزُّ كُفْرَانِكَ لَا سُبْحَانَكَ إِنِّي وَجَدْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكَ^(١)

حَتَّى كَشَفَ اللَّهُ ذَلِكَ الْغِطَاءَ ، من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(نار الصيد والبيض)

ونار أخرى ، وهى النار التى توقد للظباء وصيدها . لتعشى إذا أدامت
النَّظْرَ . وتجعل من ورائها . ويطلب بها بيض النعام فى أفاحيصها ومكناتها^(٢) .
ولذلك قال طفيل الغنوى :

عَوَازِبُ لَمْ تَسْمَعْ نُبُوحَ مَقَامَةٍ وَلَمْ تَرَ نَارًا نِمْ حَوْلَ مُجَرِّمٍ^(٣)

سِوَى نَارِ بَيْضٍ أَوْ غَزَالٍ بِقَفْرَةٍ أَغْنَى مِنَ الْخُنُوسِ الْمَنَاحِرِ تَوَامٍ^(٤)

صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ليعصدها ، وذلك يوم فتح مكة . انظر بقية الخبر
والزعم فى الأصنام ٢٥ وثمار القلوب ١٧ وخزانة البغدادى (٣ : ٢٤٢ - ٢٤٤
بولاق) . والعزى ، فى لفظها : تأنيث الأعز .

(١) روى فى المخصص (١٥ : ١٩٠) :

كُفْرَانُكَ الْيَوْمَ وَلَا سُبْحَانَكَ الْحَبْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَهَانَكَ

(٢) مكناتها ، بفتح الميم وضم الكاف وكسرهما ، أو بضمهما . والمسكنات : الأمكنة ومنه

الحديث : « أقرؤا الطير على مكناتها » . انظر التفصيل فى لسان العرب (مكن) .

قال الزمخشري : « ويروى : مُكْنَاتِهَا ، جمع مُكْنٌ . ومُكْنٌ : جمع مكان

كصُعْدَاتٍ فى صُعْدٍ ، وحمَّراتٍ فى حمْرٍ » .

(٣) س ، هـ : « بنوح مقامة » بحرف . وانظر تحقيق البيت وشرحه فى ص ٣٤٨ .

(٤) انظر رواية البيت وشرحه وتحقيقه فى ص ٣٤٨ .

وقد يُوقِدُون النَّيرانَ يُهَوِّلُونَ بِهَا عَلَى الْأُسْدِ إِذَا خَافُوهَا . وَالْأُسْدُ إِذَا
عَابَنَ النَّارَ حَدَّقَ إِلَيْهَا وَتَأَمَّلَهَا ، فَمَا أَكْثَرَ مَا تَشْغَلُهُ عَنِ السَّابِلَةِ ^(١) .

(قصة أبي ثعلب الأعرج)

وَمَرَّ أَبُو ثَعْلَبٍ ^(٢) الْأَعْرَجُ ، عَلَى وَادِي السَّبَاعِ ، فَعَرَّضَ لَهُ سَبْعَ ، فَقَالَ
لَهُ الْمَكَارِي : لَوْ أَمَرْتُ غِلْمَانَكَ فَأَوْقَدُوا نَاراً ، وَضَرَبُوا عَلَى الطُّسَاسِ ^(٣) !
فَفَعَلُوا فَأَحْجَمَ عَنْهَا ^(٤) . فَأَنْشَدَنِي لَهُ ابْنُ أَبِي كَرِيمَةَ ، فِي حَبِّهِ بَعْدَ ذَلِكَ لِلنَّارِ ،
وَمَدَحِهِ لَهَا وَلِلصَّوْتِ الشَّدِيدِ ، بَعْدَ بُغْضِهِ لَهُمَا ^(٥) وَهُوَ قَوْلُهُ :

فَأَحْبَبْتُهَا ^(٦) حُبًّا هَوَيْتُ خِلَاطَهَا وَلَوْ فِي صَمِيمِ النَّارِ نَارِ جَهَنَّمَ
وَصِيرْتُ أَلَدُ الصَّوْتِ لَوْ كَانَ صَاعِقًا وَأَطْرَبْتُ مِنْ صَوْتِ الْحِمَارِ الْمُرْقَمِ ^(٧)
وَرَوَى أَنَّ أَعْرَابِيًّا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْبَرْدُ ، فَأَصَابَ نَاراً ، فَدَنَّا مِنْهَا لِيَصْطَلِيَ
بِهَا ^(٨) ، وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ لَا تَحْرِثْنِيهَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ ! .

(١) سبق مثل هذا الكلام في ص ٣٤٩ . وقد سمي الثعلبي هذه النار : « نار التهويل » . ثمار
القلوب ٤٦٠ .

(٢) في الأصل : « ابن ثعلب » وفي ثمار القلوب ٤٦١ : « أبو ثعلب » . وجاء في الحيوان
(٦ : ١٦٦) : « وكان من العرجان الشعراء أبو ثعلب » ، وهو كليب بن الغول
وانظر ما كتب في هامش أصل معجم المرزباني ٣٥٤ — ٣٥٥ وكذا ما جاء في نهاية مادة
(اي ر) من لسان العرب .

(٣) الطساس : جمع طس ، بالفتح ، وهو الطست .

(٤) في ثمار القلوب : « وأحجم عنهم الأسد » .

(٥) في الأصل : « لها » ، والصواب ما أثبتت موافقاً ما في ثمار القلوب .

(٦) ط : « فأحببتها » ، صوابه في س ، ه و ثمار القلوب .

(٧) ينمت الحمار الوحشي بالمرقم ، لأنه مخطط القوائم .

(٨) س : « فدنا ليصطلي منها » .

(حيرة الضفدع عند رؤية النار)

ومما إذا أبصر النار اعترته الحيرة ، الضفدع ، فإنه لا يزال ينق
فاذا أبصر النار سكّت .

(نار الحباحب)

ومن النيران « نار الحباحب ^(١) » وهي أيضاً « نار أبي الحباحب » .
وقال أبو حية :

تعر في تغريبه فإذا انحنى عليهن في قفٍ أرنت جنادلّه ^(٢)
وأوقد نيران الحباحب والتقى غضى تراقى بينهن ولولة ^(٣) ١٥٥

وقال القطامي في نار أبي الحباحب :

تخود تخويد النعمة بعد ما تصوبت الجوزاء قصد المغارب ^(٤)

-
- (١) الحباحب ، بضم الحاء الأولى ، سيفمرها الجاحظ .
(٢) في الشطر الأول تحريف . والقف ، بالضم : الأرض ذات حجارة عظام . أرنت :
صوتت . ط ، هـ : « أرنت » س : « أرنتا » محرفتان . والجنادل : الحجارة
الكبيرة . جعلها تصوت مما يضرب بعضها في بعض .
(٣) الفضى : نبت شديد النار تبقى ناره طويلا . وفي الأصل : « عصا » صوابه في تنزيل الآيات
٩٣ . تراقى : تتصاعد . والولاول : الأصوات ، جمع ولولة .
(٤) خود الهير والظلم : أسرع واهتز في مشيه . وفي الأصل ، وهو هنا ط ، هـ ؛
لأن البيت ساقط من س : « تجرد تجريد » وتصحيحه من الديوان ٣ . وأمالى
ابن الشجرى (٢ : ٦٠ حيدر أباد) . والجوزاء : نجم . تصوبت قصد المغارب :
انحدرت ومالت إلى المغيب . يقول : تلك الناقة قد سارت ليلتها وهي بعد ذلك
تواصل سيرها السريع بعد تصوب الجوزاء حين يمتري الكلال كل شيء ، فهي
محتفظة أبدأ بنشاطها . وإنما تصوب الجوزاء وقت الغداة . ط : « تصوت »
صوابه في هـ والمرجعين السابقين . وفي الأصل : « قصر » صوابه في
للديوان والأمالى .

ألا إنما زيرَ أن قيس إذا اشتوت لطارق ليْل مثلُ نارِ الحباحب^(١)
ويصفون ناراً أخرى ، وهي قريبةٌ من نار أبي الحباحب . وكلُّ نار
تراها العينُ لا حقيقةَ لها عند التماسها ، فهي نار أبي الحباحب . ولم أسمع
في أبي حباحب نفسه شيئاً^(٢) .

(نار البرق)

وقال الأعرابيُّ ، وذَكَرَ البرق :

نَارٌ تُعَوِدُ بِهِ لِلْعَوْدِ جِدَّتُهُ وَالنَّارُ تُشْعِلُ زِيرَانَا فَتَحْتَرِقُ

(١) في الأصل : « ألا إنها نيران قيس إذا استوت » وتصحيح الكلمة الثانية من
الديوان وأمالى ابن الشجرى وثمار القلوب ٤٦٣ المخصص (١١ : ٢٨)
واللسان (حجب) والخزانة (٣ : ١٩٠ بولاق) وأمثال الميداني (٢ : ٨٦) .
وأما « استوت » فهي محرفة عما أثبت . واشتوت : صنعت شواء . ومثل هذه
الرواية رواية الخزانة (٣ : ٢١٣ بولاق) : « إذا اشتوا » . وقيس تؤنث
باعتبار القبيلة . والرواية الجيدة : « إذا شتوا » أى أقاموا شتاء . وهي رواية
جميع المصادر السالفة وكذلك العقد (٤ : ٢٢٤) وفيه : « ألا إنها » تحريف .
وهو قد هجا قيس عيلان ؛ لأنه مرقى بمض أسفاره بامرأة من محارب بن قيس
فاستقراها — أى طلب منها القرى — فقالت : أنا من قوم يشتون القد من الجوع .
قال : ومن هؤلاء ويحك ؟ قالت : محارب . ولم تقره ! فبات عندها
بأشْر ليلة ، وصنع فيها القصيدة . أمالى ابن الشجرى (٢ : ٥٨) والخزانة
(٣ : ١٨٩ — ١٩٠ بولاق) . وقد نسب البيت في اللسان (حجب) إلى النابغة .
وهو خطأ .

(٢) هكذا تكون أمانة العلم . ومثله ما قال أبو حنيفة : « لا يعرف حباحب ولا
أبو حباحب . ولم نسمع فيه عن العرب شيئاً » . لكن جاء في المخصص (١١ :
٢٨) نقلاً عن صاحب العين : « كان أبو حباحب رجلاً من محارب خصفة .
وكان بخيلاً لا يوقد ناره إلا بمحطب شخت » . ومثله في اللسان . وزاد :
« لتلا ترى » . وفي اللسان : « وقيل اسمه حباحب فضرب بناره المثل ؛ لأنه
كان لا يوقد إلا ناراً ضميقة مخافة الفصيفان » . وفي المخصص : « وزعم قوم أن =

يقول : كلُّ نارٍ في الدُّنيا فهي تحرق العِبدانَ وتبطلها وتهلكها ،
إلا « نار البرق » ، فإنَّها تبيء بالغيث . وإذا غيشت^(١) الأرضُ ومطرتْ
أحدثَ الله للعِبدانِ جِدَّةً ، وللأشجارِ أغصاناً لم تكن .

(نار اليراعة)

ونارٌ أخرى ، وهي شبيهة بنار البرق ، ونارِ أبي حباب ، وهي
« نار اليراعة » . واليراعة : طائر صغير ، إن طار بالنَّهار كان كبعض الطَّير ،
وإن طار بالليل كان كأنَّه شهابٌ قذِفَ^(٢) أو مصباحٌ يطير .

(الدفء بروية النار)

وفي الأحاديثِ السَّائرة المذكورة في الكتب ، أنَّ رجلاً ألقى في ماءٍ
راكدٍ^(٣) في شتاءٍ بارد ، في ليلةٍ من الحنَّادِسِ^(٤) ، لا قمر ولا ساهور^(٥) —
وإنما ذكر ذلك ؛ لأنَّ ليلة العَشرِ^(٦) والبدر والطوق الذي يستدير حول
القمر ، يكون كاسيراً^(٧) من برْد تلك الليلة — قالوا : فما زال الرجلُ حيًّا

= أبا حباب وحبابا اليراع ، وهو فراشة إذا طارت بالليل لم يشك من لم يعرفها
أنها شررة طارت من نار .

(١) غيشت الأرض : أصابها الغيث . والغيث : بالفتح : المطر . ط ، هـ : « غيشت »
صوابه في س .

(٢) أي الكوكب الذي ينقض على إثر الشيطان بالليل ويقذف به . وفي الكتاب : « إلا من
خطف الخطفة فأنبهه شهاب ثاقب » .

(٣) راكد : ساكن لا يتحرك . س : « بارد » .

(٤) الحنَّادِس : ثلاث ليالٍ من الشهر مظلمات .

(٥) الساهور : التسع البواق من الشهر .

(٦) أي العشر الليالي . س ، هـ : « العسر » ، صوابهما في ط .

(٧) كاسراً : أي مضمناً ومخففاً . ط ، هـ : « كاسداً » بالذال ، صوابه في س .

وهو في ذلك تَارِزٌ^(١) جامد ، ما دام ينظر إلى نارٍ ، كانت تَجَاهَ وجهه في القرية ، أو مصباح . فلما طَفِئَتْ انْتَفَضَ^(٢) .

(نار الخلاء والمُراب)

وقال الشاعر :

ونارٍ قبيل الصُّبحِ بادرتُ فذَحَّهَا حَيَا النارِ قد أوقدتها للمسافر^(٣)
يقول : بادرت الليل ، لأنَّ النارَ لا تُرى بالنهار ، كأنه كان خليعاً
أو مطلوباً^(٤) :

وقال آخر :

ودَوِيَّةٌ لا يثقب النارَ سفرُها وتَضْحِي بها الوجناء وهي لَهِيدُ^(٥)
كأنهم كانوا مُراباً ، فن^(٦) حثهم السيرَ لا يُوقِدون لبرمة ولا ملة ،

(١) التارز : الصلب الشديد . وفي الأصل : « بارد » ، وذا يفسد المعنى ، ووجهه ما أثبت .

(٢) طفتت النار ، كسمع ، طفوا : ذهب لها ، كانطفأت . وانتفض : ارتعد ، أى من البرد . وفي الأصل : « انطفأ » وهو تحريف .

(٣) أنشد هذا البيت صاحب اللسان في (١٨ : ٢٣٣) وقال في تفسيره : « قوله : حيا للنار : أراد حياة النار ، فحذف الهاء » . ط ، هـ : « خبا » ، صوابه من س واللسان .

(٤) الخليع : الرجل قد خلعه أهله ، فإن جنى لم يطالبوا بجنائته . والمطلوب : من يطلبه السلطان ليأخذه بجنائته .

(٥) أثقب النار : أشعلها . س : « ثقب » . والسفر : المسافرون . والوجناء : الناقة الشديدة . واللهيد : المجهدة المتعبة . في الأصل : « نهيد » بالنون ، ولا وجه له ، والصواب ما أثبت . واللهيد ، وصف يستوى فيه المذكر والمؤنث ؛ لأنه فعيل بمعنى مفعول . وانظر المزهري (٢ : ١٣٥) فيما جاء من صفات المؤنث من غير هاء .

(٦) ط : « من » وأثبت ما في س ، هـ .

لأن ذلك لا يكون إلا بالنزول والتمكث ، وإنما يجتازون بالبسيصة^(١) ،
أو بأدنى عُلقة^(٢) . وقال بعض اللصوص^(٣) :

ملساً بدودِ الحَدَسِيِّ مَلْساً^(٤) نَبَّهْتُ عَنْهُنَّ غَلَاماً غُسّاً^(٥)

لَمَّا تَغَشَّى فَرَوَةً وَحِلْساً^(٦) مِنْ غَدَوَةٍ حَتَّى كَأَنَّ الشَّمْسَ^(٧)

بِالْأَفْقِ الْغَرَبِيِّ تُكْسَى وَرْساً لَا تَخْبِزَا خَبْزاً وَبُسّاً بَسّاً^(٩) ١٥٦

(١) البسيصة: بالفتح، سيفرها الجاحظ. يقال بس البسيصة: صنعها. ط، س « بالبسيصة » .

هـ : « بالبيسة » صوابها ما أثبت . وانظر اللسان (بسس) .

(٢) العُلقة ، بالضم : كل شيء يتبلغ به .

(٣) هو الحفوان العقيلي ، أحد بني المنتفق ، وأحد لصوص العرب .

(٤) ملس بالإبل ملسا : ساقها في خفية . والدود ، بالفتح : جماعة الإبل . والحدي

يعني الرجل الحدي الذي سرقوا إبله . والحدي ، بالتحريك : نسبة إلى بني

حدس ، حتى من اليمن . والبيت محرف في الأصل . ط ، هـ : « ملسا برود

الحى منى » س : « يرود الحى منى » صوابها في اللسان (حدس) ومعجم

المرزبانى ٤٩٢ والمخصص (٧ : ١٢٧) . وفي اللسان (ملس) : « بدود

الحدي » محرف .

(٥) عنهن : أى عن الإبل . والغس ، بضم الغين : الضميف اللثيم . وفي الأصل : « قاسا »

صوابه من نوادر أبي زيد ١٢ ، ٧٠ . وفي معجم المرزبانى : « جبسا » . والجبس ،

بالكسر : النجوم الكسلان .

(٦) تغشى الشيء : تغطى به . والحلس ، بالكسر والتحريك ، مثل شبه وشبه ومثل ومثل .

وهو ما يبسط تحت حر المتاع من مسح ونحوه ، أو الكساء الذى على ظهر البعير

تحت القتب .

(٧) مثله في المخصص (٧ : ١٢٧) . وفي معجم المرزبانى : « من بكرة » .

(٨) في الأصل : « بالأفق الشرقى » صوابه من المخصص (٧ : ١٢٧) . وفي معجم المرزبانى

وتهذيب الألفاظ ٦٣٦ : « بالأفق الغورى » محرف . وجعل الشمس كأنها مكسوة

بالورس . والورس ، بالفتح : نبت له نور لونه يشبه الزعفران . ط : « تسكاسا »

س ، هـ : « تسكسا » صوابه في معجم المرزبانى ونوادر أبي زيد ١١ . ورواية المخصص

ونوادر أبي زيد : « تطل ورسا » . ومثله في المعنى قول أسقف نجران في الشمس — وقد

سبق في (٣ : ٨٨) — :

وطلوعها يبيض صافية وغروبها صفراء كالورس

(٩) رواه المرزبانى : « لا توقدا نارا » . وفسره بقوله : « لا توقدا نارا لتخبزا فتبطنا »

ولا تُطِيلَا بِمُخَاخِ حَبَسَا وَجَنَّبَاهَا أَسَدًا وَعَبَسَا^(١)

قال : والبسيسة^(٢) : أن يبلّ الدقيق بشيء حتى يجتمع ويؤكل .

(نار الوشم)

ونار أخرى ، وهى « نار الوشم^(٣) والميسم » يقال للرجل : ما نار

إبلتك ؟ فيقول : علاط^(٤) ، أو خباط^(٥) أو حلقة^(٦) أو كذا وكذا .

(رجز لبعض اللصوص)

وقرب بعض اللصوص إبلًا من الهواشة^(٧) ، وقد أغار عليها من كل

= ويعرف موضعكما - فى الأصل : موضعهما - واقتصر على الإساس وهو الحلب ،

وروى فى فقه اللغة ٥١ طبعة الحلبي : « لَا تَخْبِزَا خَبْزًا وَنُسًّا نَسًّا » وهى إحدى

روايتى ابن سيده فى المخصص (٧ : ١١٥) ورواية اللسان (مادة خبز) . وفسر

الخبز بأنه السوق الشديد . وأما النس ، بالنون ، فهو السوق الرفيق . ويزيد :

« لَا تَخْبِزَا خَبْزًا وَبَسًا بَسًا ، بِالباء وبالمعنى الأخير . وقيل إنها خطأ ، كما جاء

فى المخصص .

(١) أسد وعبس : قبيلتان .

(٢) البسيسة ، بالفتح . والمراد عمل البسيسة . وفى الأصل : « البسيسة » تحريف .

(٣) الوشم : التعليم على الإبل بالميسم ، وهو المكواة .

(٤) العلاط ، بالكسر : سمّة فى عرض عنق البعير . والمطاع بالطول . وربما كان العلاط

خطأ ، وربما كان خطين أو خطوطا فى كل جانب .

(٥) الخباط ، بكسر الخاء المعجمة : سمّة تكون فى الفخذ طويلة عرضاً . وهى لبنى سعد .

وقيل هى التى تكون على الوجه . حكاه سيبويه . ط ، هـ : « وخباط » صوابه « أو » .

س : « أو حباط » و « حباط » محرفة عما أثبت من ط ، هـ .

(٦) الحلقة ، بالفتح : سمّة على شكل الحلقة ، فى الفخذ أو أصل الأذن . ط ، س

« جلقة » صوابه فى هـ . وانظر باباً مفصلاً فى سمات الإبل ، فى المخصص (٧ :

١٥٤ - ١٥٦) .

(٧) هاشت الإبل هوشا : نفرت فى الغارة فتبددت وتفرقت . وإبل هواشة : أخذت =

جانب ، وجمَعَهَا من قبائل شَتَّى ، فقرَّبَهَا إلى بعض الأسواق ، فقال له بعض
التَّجَّار : ما نارك ؟ وإنما يسأله عن ذلك ؛ لأنهم يعرفون بميسم كلِّ قومٍ كَرَمَ
إِبلِهِمْ من لؤمها . فقال :

تَسْأَلْنِي الْبَاعَةَ مَا نَجَّارُهَا إِذْ زَعَزَعُوهَا فَسَمَتُ أَبْصَارُهَا^(١)
فَكُلُّ دَارٍ لَأَنَاسٍ دَارُهَا وَكُلُّ نَارٍ الْعَالَمِينَ نَارُهَا
وقال الكردوس المرادى^(٢) :

تَسْأَلْنِي عَنْ نَارِهَا وَنِتَاجِهَا وَذَلِكَ عِلْمٌ لَا يُحِيطُ بِهِ الطَّمْشُ^(٣)
وَالطَّمْشُ^(٤) : الْخَلْقُ . وَالْوَرَى^(٥) : الدَّاسُ خَاصَّةً .

تمَّ المصحفُ^(٦) الرَّابِعُ من كتاب الحيوان ، ويليه إن شاء الله تعالى
المصحفُ الخامسُ . وأوله . نبدأ في [هذا] الجزء بتمام القول في نيران العجم
والعرب ، ونيران الدِّيانة ، ومبلغ أقدارها .

= من هنا وهنا . لسان العرب . وفيه : « والمواشات ، بالضم : الجماعات من الناس .

ومن الإبل ، إذا جمعوها فاختلفت بعضها ببعض . وفي الأصل : « النواصة » محرف .

(١) زعزعوها : ساقوها سوقاً شديداً . وفي الخزانة (٣ : ٢١٣ بولاق) : « إذ

زعزعتها » أي زعزعتها الباعة . وانظر رواية الرجز في الخزانة ، وأمثال الميداني

(٢ : ٧٤) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٠) .

(٢) س : « المرارى » .

(٣) الطمش ، بالفتح ، سيفسر . وفي ط : « الطمس » بالسين ، صوابه في

س ، هـ .

(٤) ط : « الطمس » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) ط ، هـ : « الودى » ، صوابه بالراء كما في س .

(٦) ط فقط : « تم هذا المصحف » .

تذييل واستدراك

- صفحة سطر
- ٢٧ ١ كلمة « الشُّبُّور » مأخوذة من العبرية ، ولعلَّ أوَّل من انتبه إلى أصل هذه الكلمة هو ابنُ الأثير في مادة (شبر) ونقل ذلك عنه صاحب اللسان . وهي في العبرية (שִׁבּוּר) : شُوفَار . ومعناه عندهم : البوق الذي يُستعمل في الأعياد الكبرى كرماس السنة . والعيد الأكبر : (عيد الصَّيام) .
- ٢٧ ٢ « رأس الجالوت » المراد به : رئيس الجالوت . وجاء في مفاتيح العلوم ص ٢٤ للخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٧ : « والجالوت هم الجالية ، أعنى الذين جَلَّوْا عن أوطانهم بيت المقدس . ويكون رأسُ الجالوت من ولد داودَ عليه السلام . وتزعم عامَّتُهُمْ أَنَّهُ لَا يَرُؤُاسٌ حَتَّى يَكُونَ طَوِيلَ الْبَاعِ تَبْلُغُ أُنَامِلُ يَدَيْهِ رَكْبَتَيْهِ إِذَا مَدَّهَا » . قلت : وهو بالعبرية : (ראש גליות) : رُوش جالُويُوت .
- ٨٩ ٩ في الأصل « بنى النواحة ، والصواب : « ابن النواحة » كما جاء في ص ٣٧٨ س ٩ . وقد ذكره ابن حجر في الإصابة ٦٦٤٣ قال : « عبد الله بن النواحة ، ذكره بعضُ من ألف في الصحابة ، فقرأتُ بخطه بما هذا لفظه : كان قد أسلم ثم ارتد فاستتابه عبدُ الله بنُ مسعودٍ فلم يَتَّبْ ، فقتله على كُفْرِهِ وَرِدَّتِهِ . والنواحة : الكثيرة النوح » .

٩٣ ٣ ش مافى ط إذا صح عن الجاحظ ، كان حكاية منه لقول
العوام ، أوجريا على مذهب ضعيف فى النحو . وفى كتاب سيبويه
(٢ : ٢٩٦ س ١١ - ١٢) « وحدثنى الخليل أن ناسا يقولون :
ضربت به . فيلحقون الياء » .

٩ « ربطة » هى زوج المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ،
وهى بنت سعيد - بالتصغير - ابن سهم . ولدت من المغيرة
عشرة رجال . الإصابة ٨٣٢٩ . وفى الإصابة : « لم ينج من بنى
المغيرة فى طاعون عمواس إلا المهاجر ، وعبد الله بن أبى عمرو بن
حفص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام . وفى ذلك يقول
المهاجر بن عبد الله » . وأنشد الأبيات ، ماعدا البيت الأول .
وانظر الرواية عنده .

١١ ١٥٥ كتب إلى الأخ الشيخ على الطالبانى الكردى بتاريخ
١٩٤٧/١٢/٢٢ كتابا جاء فيه :

« أنشرف بأن أقول لك : إننى عثرت أثناء مطالعاتى لشروحك
القيمة على كتاب الحيوان لأبى عثمان الجاحظ فى الجزء الرابع
فى صفحة مئة وخمس وخمسين فى تعليقتك المرقمة بثلاثة على قولك
« الأجدهانى » إنك لم تهتد إلى ضبطها ، وقلت : هكذا بالأصل .
فإذا تنازلت فأنى أقول لكم إماما للفائدة : إن هذه الكلمة تكتب
بالفارسية : أرژدها (بفتح الألف وتسكين الراء وكسر الدال)
وتنطق الراء الأولى - التى هى فى الأصل زاي فارسية - حسب

لغة المصريين ، بحجم شديدة التعطيش . وعلى هذا فيكون ضبطها في الأصل الفارسي هكذا : « أرث دهاء » بهمزة بدل النون والياء ، بينما إذا استبدلت الهمزة براء « أردهار » فيكون معناها آفة مكلوبة . ومعنى « أرث دهاء » أفعى كبيرة . وهي متعارفة عند خواص الفرس : حيوان خرافى لا وجود له . وإنى أرجو أن تتقبل منى هذه الإشارة التى يعد قبولك إياها مثلاً كريماً

١٧٤ ٤ روى فى اللسان (عرر ٢٣٦) : « عرارة هبة » وفسر العرارة بأنها الجرادة أيضاً .

١٨٤ ٣ « وسواء علينا جعلوه كلاماً وحديثاً منشوراً أو جعلوه رجزاً وقصيداً موزوناً » . وقد يظن بعض الناس أن فى العبارة تحريفاً . والحق أنها صواب ، وإن كانت مخالفة للمذهب المشهور ، وهو أن يكون فى الجملة همزة التسوية وأن يكون العطف بكلمة « أم » لا « أو » . فتقول : سواء أكان كذا أم كذا . وجاء فى المغنى (١ : ٤٢) ، « وقد أولع الفقهاء وغيرهم بأن يقولوا ، سواء كان كذا أو كذا . وهو نظير قولهم يجب أقل الأمرين من كذا أو كذا . والصواب العطف فى الأول بأم وفى الثانى بالواو . وفى الصحاح تقول سواء على قمت أو قعدت . اهـ . ولم يذكر غير ذلك . وهو سهو . وفى كامل الهدى أن ابن محيصن قرأ من طريق الزعفرانى : سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم » .

أَوْ لَمْ تُنذِرْهُمْ . وهذا من الشذوذ بمكان . قلت . شذوذ هذا المذهب لا يمنع صحته . والجاحظ إمام عارف بالكلام متمرس به وكلامه حجة . وقد استعمل هذا المذهب هنا . وجرى عليه مرة أخرى في ٣٩٩ س ٢-٣ وج ٥ ص ١٣ س ١٧ .

٨ ٢٠٣ « المحلل باقره » أخذ هذا المعنى الخطيئة في قوله :

فهل كنتُ إلا نائياً إذ دعوتني

مُنَادَى عبيدانَ المحلل باقره

الديوان ص ٨ . ولعل هذا الاشتباه هو الذي دعا إلى تحريف

رواية بيت النابغة .

١٠ ٢١٨ ش « عقرب » . انظر الكلام بتفصيل ، على منع صرف

ما سمي من الذكور بأسماء الإناث ، في مع الهوامع (١ : ٣٤) .

لكن « عقرب » في أصله مذكر ، وقد يؤنث . تقول : هذا

عقرب ، وهذه عقرب . فإذا روعي أصل التذكير صرف ،

وإذا روعي أصل التأنيث لم يصرف .

٣ ٢٢١ « ويقتلها الآخر » . انظر لتوضيح هذا الكلام وتعيين

المراد منه ص ١١٠ من الجزء الخامس ، وكذا نهاية الأرب

(١٠ : ١٤٨٠) .

١٥ ٢٢٢ ولادة الدّساس ، ثبت علمياً أن الدّساس وأنواعا أخرى

من الحيات ، يكون تناسلها بطريق الولادة ، لا البيض . انظر

كتاب علم الحيوان المقرر للمدارس الثانوية المصرية إص ١١٤
طبع ١٩٣٤ .

٨ ٢٤٣ « دون صفاتها » أى دونه إرادة صفاتها وملاحظتها .
٧ ٢٧٠ نباح الحية ، جاء فى المخصص (٨ : ١١٥) « الأفاهى
تكشّ خلا الأسود ، فإنه يصفر وينبّح وينبّح . ونبح ،
يقال من بابى منع وضرب .

١١ ٣٢٣ ش « وكنت كالحق غدا يبتغى . . . » الخ . تعرض هذا
البيت للتصحيف ، فأنشده بعضهم : « فرحت كالعير غدا يبتغى »
وقد أثبت هذا التصحيف صاحب المعاهد والتنصيص ،
فى ترجمته لبشار (١ : ١٠٢) . بل بالغ فى تأكيد هذا التصحيف ،
فعقب عليه بقوله : « قوله : فرحت كالعير ، البيت ، مثل
قول بعضهم :

ذهب الحمار ليستفيد لنفسه قرنا فأب وماله أذنان » اهـ
وليت شعرى ، إن كان الحمار فاقد الأذنين ، فأى حيوان
سواه ميزه الله بطول الأذنين ؟

ومن العجيب أن يتغلغل هذا التحريف مع ظهور خطئه ،
وجلاء بطلانه ، بين بعض الشعراء ، فقال آخر :

كمثل حمار كان للقرن طالبا فأب بلا أذن وليس له قرن
فالظاهر أن « الحق » تصحف عليهم بـ « بالعير » ثم ترجموا
العير بـ « الحمار » فذاع الخطأ . ومن الشعر الذى يستشهد به

على أن طالب القرن النعامة ، ما أنشده الميداني - عند قولهم :

« كطالب القرن جدعت أذنه » - :

مثل النعامة كانت وهي سائمة

أذناء حتى زهاها الحين والجنن

جاءت لتشرى قرناً أو تعوضه

والدهر فيه رباح البيع والغبن

فقبل أذنك ظلم ثممت اصطلمت

إلى الصاخ ، فلا قرن ولا أذن

والجنن ، بضمين : الجنون ، كما في اللسان (جنن ٢٤٩)

عند إنشاد البيت .

٣٥٣ ٨ ش « جعلها كالقسي في نحوها » . ومما يستشهد به على تشبيهه

الإبل المهزولة بالقسي ، قول للبحرئ - (انظر معاهد التنصيص

١ : ٢١٦) - :

كالقسي المعطفات بل الأندهم مبرية بل الأوتار

وقول الشريف :

خوص كأمثال القسي نواحلاً وإذا سمّا خطب فهن سهاً

٣٨٦ ٩ ش البيت من قصيدة للمتنبى يمدح بها ابن العميد ويودعه .

ومطلعها :

نسيت وما أنسى عتاباً على الصبد

ولا خفراً زادت به حمرة الحسد

ورواية البيت بتمامه عند العكبرى (٢٧٧ : ١) :
وتلقى نواصيها المنايا مشيخة ورود قطا صم تشايخن في ورد.
وكلمة « تشايخن » تصحح ما نقلت عن الوساطة . ومعناها
أسرعن . والبيت في صفة خيل .

٤٠٨ ١ ش « ما زالت تحت عين خرساء » تفسير الجاحظ للعبارة
يشوبه بعض الغموض والتحريف . وفي اللسان (خرس) :
« أبو حنيفة : عين خرساء وسحابة خرساء : لا رعد فيها ولا برق
ولا يسمع لها صوت رعد . قال : وأكثر ما يكون ذلك في الشتاء ،
لأن شدة البرد تخرس البرد وتطفىء البرق » .

٤١٣ ١ خلُق ، أى طبيعة . ويصح أيضاً أن تقرأ : خلُق . بمعنى
خِلْقَة .

٤٢٧ ٢ « أربعين عاما » . كذا جاء بالأصل . وهو خطأ ، صوابه
« أربعين يوما » . وقد جاء في الأصحاح التاسع من سفر التثنية :
« حين صعدت إلى الجبل لكي آخذ لوحى الحجر ، لوحى
العهد الذى قطعه الرب معكم ، أقمت في الجبل أربعين نهرا ،
وأربعين ليلة ، لا آكل خبزا ولا أشرب ماء » .

٤٣٢ ١ الفصح هذه الكلمة معربة عن العبرية . وهى فى أصلها :
(פסח) وتنطق : پَسَحْ . ومعناها اللغوى : القفز ، أو العبور .
والعلة فى تسمية هذا العيد عند اليهود بهذه التسمية ، ما جاء فى سفر
الخروج (١٢ : ٢٧) : « إنكم تقولون : هى ذبيحة فصح

للرب الذى عَبَّرَ عن بيوت بنى إسرائيل فى مصر ، لما ضرب
المصريّين وخلص بيوتنا . ومعنى عبر عن بيوتهم ، أن الله
عاقب المصريين وخذهم بالضرب ، متجاوزاً بيوت بنى إسرائيل
لم يمسها بسوء . والضربة التى تشير إليها التوراة ، هى أن الله
قد أَمَات كل بكر من أبكار المصريين ، وكل بكر من حيوانهم
كذلك . انظر (١٢ : ٢٩ - ٣٠) . وكلمة عبر هى فى النص
العبرى للتوراة : [עבר] . وهذا هو الفعل العبرى
الذى أخذ منه المصدر المتقدم . فهذا أصل العيد وأصل تسميته
عند العبرانيين . وعندهم أخذ المسيحيون :

هذا ولم تشر المعاجم العربية إلى أصل الكلمة ، حسبوها
عربية للملاءمة نسجها للنسج العربى ، وهى ليست من ذلك .

٤٣٥ ٦ نمرود بضم النون والراء وآخره دال مهملة ، كما فى القاموس
والتنبيه والإشراف ٣٤ ، ٨٢ . ويقال : نمرود بذا دال معجمة فى آخره
كما فى كامل ابن الأثير (١ : ٥٣ - ٥٧) ورسائل الجاحظ ١٠٠
سبى . وعلى هذه اللغة جاء قول ابن رشيق :

يَا رَبِّ لَا أَقْوَى عَلَى دَفْعِ الْأَذَى

وبك استعنت على الزّمان المودى

مَالِي بَعَثَ إِلَى أَلْفِ بَعُوضَةٍ وَبَعَثَ وَاحِدَةً عَلَى نَمْرُودٍ

انظر شرح القاموس .

- ٢ ٤٥٦ « يا أحمد المرتجى » ضبط هذا المنادى بالفتح جائز في مذهب الكوفيّين فقط ، وأما البصريون فيوجبون ضمّه ، إذ أن مذهب البصريين إجازة الضم والفتح في المنادى العلم الموصوف بابن متصل بالعلم مضاف إلى علم آخر . ويوافقهم الكوفيون في هذا ولكنهم يفارقونهم في إجازة الضم والفتح أيضاً في المنادى العلم الموصوف بأي صفة أخرى كانت غير كلمة ابن . انظرهم الهوامع (١: ١٧٦) .
- ٧ ٤٨٧ البيت خامس أبيات خمسة رواها ابن سيذه في المخصص (٩: ١٠٢) وانظر الرواية فيه .

مصر الجديدة في } أول صفر سنة ١٣٨٦
٢٢ من مايو سنة ١٩٦٦


كتبه

عبد الله محمد هارون

أبواب الكتاب

| صفحة | |
|------|--|
| ٥ | القول في الذرة والنمل |
| ٣٦ | باب جملة القول في القرد والخزير |
| ٦٠ | رجع للقول إلى ذكر الخزير |
| ١٠٧ | القول في الحيات |
| ١٢٠ | ومن أعاجيب الحيات |
| ٢٣٢ | أصوات خشاش الأرض |
| ٢٣٣ | باب من ضرب المثل للرجل للذاهية وللحي الممتع بالحية |
| ٢٩٢ | ما جاء في الحديث من الحيات |
| ٣١٠ | جملة القول في الظليم |
| ٣٢٠ | باب آخر وهو أعجب من الأول |
| ٣٣٥ | القول فيما اشتق له من البيض اسم |
| ٤٦١ | القول في النيران |
| ٤٦٣ | باب آخر |

 Bibliotheca Alexandrina



04866696